# مجلة الهدى

مجلة فصلية علمية تعنى بالشؤون الحوزوية والمعرفة الدينية

السنة الحادية عشر / العدد الخامس والأربعون / لسنـــة ١٤٤٢هـ



مركز الهدى للدراسات الحوزوية

العراق . النجف الأشرف

مركز الهدى للدراسات

مؤسسة فكريّةٌ تنشطُ في ميدانِ البحثِ والمساهمةِ في تطوير الفكر الإسلامي المعاصر؛ إيماناً منها بقدرة الإسلام ومدرسة أهل البيت عليهم السلام على تقديم البديل الحضاري للإنسان، وتُعنى بالدّراسات الفكريّة والسياسية والتاريخية لحوزتي النجف الأشرف وقم المقدّسة؛ رغبةً منها في ترسيخ الثوابت، والوقوف بوجه الفكر الدّخيل.

# مجلة الهدى

مجلة فصلية علمية تعنى بالشؤون الحوزوية والمعرفة الدينية

السنة الحادية عشر / العدد الخامس والأربعون / لسنة ١٤٤٢هـ

## الهيئة الإستشارية

- السيد يوسف الحلو
  - أستاذ حوزة النجف الأشرف
- السيد جابر الموسوي
  - أستاذ في الحوزة العلمية
- الشيخ حسين السعيدي
  - أستاذ في الحوزة العلمية
- الدكتور أسامة السعيدي
  - جامعة النهرين
- الدكتور علي عبد الأمير
  - جامعة بغداد
- الدكتور سمير الأسدي
  - جامعة بابل
- الدكتور علي فياض
  - جامعة طهران

الإشراف العام

محمد صادق الهاشمي

رئيس التحرير

أ. عباس النوري

التنسق والمتابعة

محمد حميد الهاشمي

عصام الساعدي

معتمد الترجمة الفارسية

حسن علي مطر

الإخراج الفني

أحمد الحاسم

## هيئة التحرير

- أ. سمير العطواني
- أ. هادي بدر الكعبي
- أ. ضياء كاظم الهاشمي
- أ. عمار الولائي
- أ. حيدر آل وشاح
- أ. إبراهيم الأسدي
- أ. منى عبد الرحمن




## مجلة الهدى

العدد: الخامس والأربعون / السنة الحادية عشر/ ١٤٤٢هـ

الناشر: مركز الهدى للدراسات الحوزوية

المطبعة: الصنوبر

قطع الورق: ٢٣×٢٣ سم

عدد الصفحات: ٣٥٠ صفحة

التصميم والاخراج الفني: أحمد الهاشمي

سنة الطبع: ٢٠٢٠ م ـ ١٤٤٢ هـ



- البحوث الواردة في مجلة المنهج تعبّر عن رأي كاتبها.
- ترتيب البحوث خاضع لاعتبارات فنيّة

## هَوِيَّةُ المَجَلَّة:

مجلَّة [الهدى] فصلية علمية تعنى بالشؤون الحوزوية والمعرفة الدينية، تصدرُ عن مركز الهدى للدراسات الحوزوية، تعنى بالفكر الإسلاميِّ المستنير وما يتَّصل به من المجالاتِ والتخصُّصات، في الشريعةِ والتأريخِ والقانونِ والفلسفةِ وعلم الكلام الجديدِ والعلوم الإنسانيَّة المختلفة، مضافاً للفكري الحوزوي وتاريخ المرجعية والفكر المقاوم.

## شُرُوطُ الكِتَابَة:

١. يتراوح حجمُ البحث بين (١٠ ـ ٢٥) صفحةً بحجم (A٤).
٢. ينضَّد البحثُ على قرص مدمج (CD)، أما التصحيحُ اللغويُّ فتتكفَّل به المجلَّة.
٣. يجب أن لا تكون البحوثُ منشورةً سابقاً، في الصحف أو الدوريات أو مواقع الإنترنت على الإطلاق، وأن يتعهَّد الكاتب بعدم نشره في مكانٍ آخر إلا بعد أخذ الموافقة من المركز.
٤. تخضع البحوث لتسلسلٍ فنيٍّ في النشر، ولا يحقُّ للكتّاب الإعتراضُ على تأخير نشر المادَّة، لأنه أمرٌ تابعٌ لهيأة التحرير حصراً.
٥. تُقبل البحوثُ والدراساتُ المكتوبة بلغةٍ ثقافية مميزة، أما البحوث الضعيفةُ فتهمل ولا تعادُ إلى أصحابها.
٦. المجلَّة ليست ملزمةً بإرجاع الموادِّ إلى أصحابها، سواءٌ نشرت أم لم تنشر.
٧. يرفق الباحث ملخصاً مع البحث لا يزيد على نصف صفحة.
٨. تكون الهوامش متسلسلة في الصفحة نفسها لا في نهاية البحث.

# المحتويات


الإمام الخامنئي دام ظله

انتصار الشعب الإيراني في الحرب المفروضة رغم اجتماع القوى العالمية ضده

٢٩ تغطية خاصة: الشيخ التسخيري إلى دار الخلد

٣١ المحور الأول: البيانات

١ - الشخصيات

٢ - الجهات الرسمية والدبلوماسية

٣ - مؤتمر بيروت

٩٩ المحور الثاني: صور عن التشييع ومؤتمرات التقريب والتكريم

١١٣ المحور الثالث: الشيخ التسخيري مقاربة وإضاءات

١١٥ الشيخ محمد علي التسخيري في لمحة عن حياته ونشاطه الفكري

هيئة التحرير

١٤٣ تحديات تجابه التقريب

للراحل الشيخ محمد علي التسخيري

١٥٧ الدولة في فكر الشيخ محمد علي التسخيري

محمد حسن زراقط

١٧٣ المرجعية رؤية لقيادة معاصرة دراسة في تصور الشيخ التسخيري

لؤي نور الدين

١٨٥ التَّقْرِيبُ بَيْنَ المَذَاهِبِ الإِسْلَامِيَّةِ وَفِقْهِ الائْتِلَافِ فِي فِكْرِ الشَّيْخِ التَّسْخِيرِيّ
د. محمد بلبشير

١٩٩ مَلَفُ العَدَد: الغَزْوُ الثَّقَافِيُّ أَبْعَادُهُ وَمَدَيَاتُهُ وَأَهْدَافُهُ

٢٠١ نَظَرَاتٌ فِي رُؤْيَةِ القَائِدِ لِلْغَزْوِ الثَّقَافِيّ «قِرَاءَةٌ فِي كِتَابِ الغَزْوِ الثَّقَافِيّ»
أ. عباس ناظم البغدادي

٢١١ الغَزْوُ الثَّقَافِيُّ المُعَاصِرُ وَالمَوْقِفُ مِنْهُ «الأَبْحَاثُ وَالمُؤَلَّفَاتُ أَنْمُوذَجًا»
د. عبد الهادي الفضلي

٢٣٧ الغَزْوُ الثَّقَافِيُّ الصِّهْيُونِيُّ أَبْعَادُهُ وَسُبُلُ مُوَاجَهَتِهِ
ماجد سعيد

٢٦٣ الغَزْوُ الثَّقَافِيُّ وَمُقَاوَمَتُهُ
أ. شوقي شلباف

٢٨١ العِرَاقِيُّونَ تَحَدِّيَاتُ الغَزْوِ الثَّقَافِيّ
أ. محمد العبادي

٢٩٣ الدِّرَاسَاتُ الفِكْرِيَّةُ

٢٩٥ مَنْظُومَةُ القُرْآنِ الكَرِيمِ فِي عِلَاجِ المَفَاسِدِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ
د . السيد محمد الغريفي

٣٢١ نَظَرِيَّاتُ الدَّلَالَةِ عِنْدَ الأُصُولِيِّينَ
د. صلاح عبد الأمير الموسوي

٣٣٥ الإمامُ المَهْدِيّ عليه السلام ومَدْعَوالمَهْدَوِيَّة «ضَوابِطُ لِمَعْرِفَةِ المِصْداقِ الحَقِيقِيِّ لِلْمَهْدِيّ عليه السلام»
السيد محمد الشوكي

٣٤٧ فِي ضِفافِ أَهْلِ البَيْتِ عليهم السلام

٣٤٩ الدَّوْرُ السِّياسِيّ والاِجْتِماعِيّ لِلإمامِ الحَسَنِ عليه السلام لِلتَّهْيِئَةِ لِثَوْرَةِ الإمامِ الحُسَيْنِ عليه السلام
أ. د. أحمد عبد الأمير الانباري

٣٦٩ مَنْهَجُ الإمامِ الحُسَيْنِ عليه السلام فِي صِياغَةِ الإنْسانِ وتَرْبِيَتِهِ
أ. د. حكيمة الحسيني



الإمام الخامنئي دام ظله:

# انتصر الشّعب الإيراني في الحرب المفروضة رغم اجتماع القوى العالميّة ضدّه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وآله الطّاهرين، ولا سيما بقيّة الله في الأرضين. السّلام عليك يا أبا عبد الله، وعلى الأرواح التي حلّت بفنائك. عليك منّي سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار، ولا جعله الله آخر العهد منّي لزيارتك. السّلام على الحسين، وعلى علي بن الحسين، وعلى أولاد الحسين، وعلى أصحاب الحسين.

## تكريم روّاد الجهاد في «الدّفاع المقدّس» والاحتفاء بهم واجبٌ وطني

لقد اختار الإخوة أن تكون الذّكرى الأربعون لـ «الدّفاع المقدّس» يومَ «حفاوة وتكريم لمجاهدي ورواد "الدّفاع المقدّس"»، وهو عمل صحيح وفي مكانه. هذا التكريم، هذا الاحتفاء، جزء من واجبنا الوطني المؤكد، فضلاً عن أنه من وصايا الإسلام الأكيدة. هؤلاء، المجاهدون الروّاد الذين يجري تكريمهم اليوم، أيُّ أشخاص هم؟ إنهم أشخاص ضحّوا بحياتهم، وحملوا أرواحهم على أكفهم، وغضّوا الطّرف عن الراحة، والحياة العائلية، والأب والأم، والزوجة والأولاد، وفي بعض الأحيان عن المستقبل، وسخّروا كل ما يملكون للوقوف في وجه العدو دفاعاً عن الإسلام والبلاد. دافعوا عن الإسلام، دافعوا عن الثورة، دافعوا عن العزة والكرامة الوطنية. بعضهم عرج إلى السماء، بعضهم بقي وتابع إنجاز المهمة؛ ﴿**مِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**﴾ (الأحزاب، ٢٣). هذه الكوكبة من المجاهدين وروّاد الجهاد، الذين يشاركون اليوم في هذه الجلسة العامّة على مستوى البلاد، هم من هؤلاء الذين نالوا شرف الالتحاق بـ «الدّفاع المقدّس»، والتوفيق في إتمام العمل والمهمة[1].

## شرح مختصر عن ماهيّة «الدّفاع المقدّس» وأسبابه

متى يمكننا أن نُدرك أهمية هؤلاء المجاهدين وعظمتهم؟ عندما ندرك عظمة العمل الذي فعلوه، وعظمة الساحة التي قاتلوا فيها، فعندئذ يمكننا معرفة قيمة هؤلاء. لنعرف عظمة الساحة، يجب التعرف إلى «الدّفاع المقدّس». لهذا، سأشرح باختصار ماهيّة «الدّفاع المقدّس» وأسبابه. طبعاً هو كلام ذكرناه والآخرون مراراً، لكن يجب تكراره. يجب التذكير بالحقائق مراراً وتكراراً، ولو ألف مرة، لأن التحريف أمر جدي، وخطير جدّاً، ويدُ التّحريف حاضرة.

### ١ـ هدف مثيري الحرب: إسقاط النّظام الإسلامي

### ٢ـ صدّام واجهة للمحرّكين الرئيسيِّين

**أولاً**، كان هدف من أشعلوا الحرب وفرضوها على الشعب الإيراني هو تحطيم النظام الإسلامي وإسقاط الثورة، هذا هدفهم الرئيسي والنهائي.

**ثانياً**، لم يكن الطرف الرئيسي في الحرب هو صدّام (حسين) ونظامه البعثي، فهؤلاء مجرد آلة مدفوعة من المحرّكين الرئيسيّين الذين استغلوا مزاج صدّام وطمعه في السلطة. نعم، هو من دخل ساحة المعركة، لكن كان يقف خلفه آخرون، أطراف رئيسيّة، قوى مثل أمريكا التي تلقت صفعة قويّة من الثورة الإسلامية، وقوى أخرى صحيح أنها لم تُطرد من إيران مثل أمريكا، ولا يمكن القول إنها خسرت مصالح ضخمة، لكنها كانت قلقة وغير راغبة في وجود عنصر جديد وهويّة جديدة في المنطقة تقوم على أساس الدين والإسلام الذي يعرفون خصائصه جيداً، ولهذا وقفوا في وجه الجمهورية الإسلاميّة. لم تكن أمريكا وحدها، بل هناك الاتحاد السوفييتي، و «حلف شمال الأطلسي» (النّاتو)، ودول أوروبا الغربية أيضاً، بل حتى دول أوروبا الشرقية وقفت ضدّنا في هذه الساحة. إنّ الوثائق التي سُرّبت بعد، وتم نشرها، تثبت وجود اتفاقات بين أمريكا وصدّام من قبل بدء الحرب، كما أنّ الدعم العسكري والاستخباراتي الكبير جدّاً كانا يصلان بانتظام إلى قوات صدّام و «حزب البعث» طوال الحرب، الأمر الذي سأشير إليه في ما بعد. لقد كنا نرى القوافل العسكرية بأمِّ أعيننا، وبصورة متواصلة. كانت السفن ترسو في مرافئ الإمارات، ثم تتحرك القوافل يومياً دون توقف من الإمارات إلى السعودية فالكويت و (أخيراً) العراق، لتُسلّم الأسلحة والعتاد لقوات صدّام حسين. هكذا كانت حال العدوّ والجبهة.

### ٣ـ ضعف القوات المسلحة والمعدّات العسكرية

في الداخل أيضاً، كانت أوضاع البلاد في حال تُشجّع العدو على بدء الهجوم العسكري. لم يكن الوضع الداخلي للبلاد جيداً، ولا سيّما القوات المسلحة التي تتوجّه إليها الأنظار بالدّرجة الأولى أثناء الحروب. كان الجيش قد خرج حديثاً من نير القادة الطاغوتيين، وكان يُعيد بناء نفسه ويثبت حضوره الثّوري. طبعاً كان قادة الجيش ضبّاطاً جيدين، فأمثال الشهيد فلاحي[٢] أو المرحوم ظهير نجاد[٣] من شخصيات الجيش المهمة التي لها وزنها، لكنهما لم يكونا جاهزين لإدارة مؤسسة عظيمة مثل الجيش؛ لقد كانا في الواقع حديثي العهد في هذا المجال. أما «حرس الثورة»، فلم يكن قد مرّ على تأسيسه أكثر من سنة. عندما بدأت الحرب في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٠، كان عمر الحرس سنة وأشهراً، أي أنّه أُسِّس حديثاً. هكذا كان وضع القوات المسلّحة.

من ناحية التجهيزات العسكرية ـ ينبغي للجميع أن يتذكّروا هذا جيداً ـ كُنّا في منتهى الشدّة والضّيق. أولاً كانت معدّاتنا العسكرية قليلة وناقصة، والكثير منها لم يكن معروفاً للمسؤولين الجدد، وقد خسرنا بعضها بداية العدوان الذي شنّه العدو. في النتيجة، كانت إمكاناتنا قليلة جيداً. عندما أجريت جولة على الوحدات (القتالية) بعد أشهر من بدء الحرب، رأيت كيف أن لواء المدرّعات في الجيش، الذي يجب أن يمتلك ١٥٠ دبابة مثلاً، كان يمتلك أربعين فقط! هكذا كانت إمكاناتنا حتى في باقي المجالات. كذلك الأمر بالنسبة إلى «حرس الثورة» الذي افتقر إلى إمكانات كثيرة. (أصلاً) كانت إمكاناته بنادق ومدافع هاون خفيفة وهكذا. لم يكن لدينا إمكانات عسكرية أبداً، وهذا الأمر شجَّع العدو، فهو كان على معرفة بوضعنا إلى حد كبير، وهذا شجّعه على شنّ الهجوم.

### ٤ـ الدور الحسّاس جدّاً والمبهر لقيادة الإمام الخميني

حسناً، بدأت الحرب المفروضة وانطلق دفاعنا المقدّس. هنا يمكن للإنسان أن يدرك الدور الحسّاس للغاية والمدهش لإمامنا (الخميني) العظيم في القيادة. في مثل هذه الظروف، كان الإمام قادراً على إدارة بداية الحرب ثم الاستمرار بهذه الحركة تحت عينيه وإرادته. البعض يُنكر ويستغرب، ويقول كيف لرجل دين مُسنّ في الثمانين أن يتمكن من إدارة القوات المسلحة. يتخيّل هؤلاء أن إدارة الإمام الحربَ وقيادته لها كانت بأن يذهب إلى مقرّات العمليات على الخطوط

الأمامية، ويحرّك القوات، أو يرسل الوحدات القتالية من مكان إلى آخر. لم يكن الأمر كذلك، بل كان دور الإمام جملة من الأمور الأخرى. أولاً كان عمل الإمام المهمّ والكبير في أنه شخّصَ منذ البداية الحجم والأبعاد الحقيقية لهذه المعركة؛ عرف من البداية ماذا تعني هذه الحرب، فكثيرون منّا لم يكونوا يعرفون ذلك أو يُدركونه. في أحيان كثيرة، يحدث نزاع بين الدول المتجاورة، وهذا ليس أمراً مهماً (غالباً). لكنّ الإمام لم ينظر إلى الأمر على هذا النحو، بل عرف أن هذه الحرب ليست مجرد صراع عادي بين دولتين جارتين. لقد عرف العدوّ وشخّص من هو العدوّ الرئيسي في هذه الحرب، وأدرك أنّ صدّام مُجرّد آلة. كان الإمام يتحدث حول الحرب و «الدّفاع المقدّس» كثيراً. من الأمور التي ذكرها في كلماته حول الحرب أنّ أمريكا أسوأ من الاتحاد السوفييتي، والاتحاد السوفييتي أسوأ من أمريكا، وأنّ بريطانيا أسوأ من الاثنين معاً. أي كان يتعرض ويتوجّه في خطابه إلى الجهات التي أدرك أنها في الحقيقة هي العامل الرئيسي وراء الحرب وتديرها من خلف الستار.

ثانياً إنّ من التّشخيصات الرئيسية والمصيرية التي قدمها الإمام أنّ هذا الوضع الخطير لا يمكن أن يعالجه إلّا الشعب الإيراني، ولا يختصّ بالقوات المسلّحة فقط. حتى إن صار وضع القوات أفضل بعد، يبقى هذا العمل من مسؤوليات الشعب الذي يجب عليه أن ينزل إلى الساحة، فكما أوصل الشعب الثورة إلى مرحلة النصر، عليه كذلك أن يوصل الحرب إلى النصر. لقد شخّص الإمام هذا الأمر، وعمل على أساسه، وأوجد هذه الحركة العظيمة التي سأشير إليها لاحقاً. ثم هناك شخصيّة الإمام، والنفوذ المعنوي له، وصدقه في كلامه، فعندما كان يتكلم، كانت آثار الصدق في كلماته واضحة للجميع، وكانوا يدركون أنّه يقول الحق. أيضاً هناك نظرته الثاقبة، إذ يرى عمق الأمور، وكان مصداقاً بما تعنيه الكلمة لهذا القول: «ما يراه الشاب في المرآة (الصقيلة)، يراه الشيخ في الطوب (الأصمّ)». أحيانا كنا نرجع إليه مع بعض المسؤولين العسكريين في بعض القضايا العسكرية، وكان يُبيّن لنا بعض النقاط التي تجعل الإنسان يتعجّب، إذ كيف لمثله أن يلتفت إليها!

ثم هناك حزمه الفريد والاستثنائي في إنجاز الأمور التي كانت تبدو غير ممكنة. كان (مثلاً) يقول بحزم: «يجب فكّ الحصار عن آبادان». عندما كانت آبادان محاصرة، كنتُ في الأهواز. أساساً مسألة فكّ الحصار عن آبادان غير قابلة للتصوّر، (لكن) الإمام كان حاسماً في ذلك. (أو يقول مثلاً): «يجب أن تُحرّر خرمشهر»، ومن قبلها «يجب أن تُحرّر سوسنگرد»، أي أن الأمور التي كانت تبدو للموجودين هناك غير ممكنة كان الإمام يطرحُها بحَسْم. على هذا النحو، كان الإمام يقود الأمور ويُديرها. للأسف، هناك غفلة عن دور الإمام في ما كُتب حول الحرب والأبحاث الخاصة بها!

أريد أن أُبيّن نُقطة أخرى من طرق تعامل الإمام مع هذه القضيّة. في الظروف المختلفة للحرب، كان الإمام يتّخذ مواقفه ويوضّح ملاحظاته الأساسيّة وفق ما يقتضيه كل ظرف. على سبيل المثال، عندما كانت تهتز معنويّات الناس إثر مسألة تقع في ساحة الحرب، ويجب رفع معنويّاتهم، يبادر الإمام ويرفع معنويات الناس ويحقّر شأن العدو. هذا ما قصده من قوله المشهور: «لصّ جاء، رمى حجراً، وهرب»[٤]، أي أن مجاهدينا الذين ذهبوا إلى الجبهة يطاردون الآن العدوّ الهارب. هو يرفع معنويّات الشعب. وربما اقتضى ظرفٌ آخر أن يَحول بين المجاهدين والغرور، فمثلاً استطاع مجاهدونا بعد شهر من الجهود المضنية والاستثنائية أن يحرروا خرمشهر ـ في النهاية هذا إنجاز عظيم ومدهش أن تتمكن قوات الجيش والحرس والتعبئة من استعادة خرمشهر من العدو ـ لكن من الممكن أن يبعث هذا على الغرور. هنا ولكيلا يُولد هذا الغرور ويترك آثاره المدمرة في العاملين في كل مكان، قال الإمام: «خرمشهر حرّرها الله»، أي يريد أن يقول: نحن مجرد وسيلة، وأسندَ الأمر إلى إرادة الله وقدرته... هذا ما يجب فعله هنا. أو لنفترض في ظرف آخر: احتاج المجاهدون إلى من يتفقدهم ويُشجّعهم، فكان الإمام يرفع عزيمتهم ويقول لهم: «أُقبّل سواعدكم»[٥]. أي كان الإمام يراقب الأوضاع مثل الأب الحنون، والمدير القوي والعارف والمُسيطر على الساحة، فيصدر عنه كل ما هو لازم لكُلّ مرحلة. لذا يجب أن نُبرز دور الإمام في أبحاثنا والأعمال التي ننتجها. بلا شك، كان دور الإمام واضحاً.

## نقاط حول «الدّفاع المقدّس» منعاً للتحريف وإلقاء الشّبهات

حسناً، بهذا الحديث المختصر، تتضح ماهيّة الحرب المفروضة وأسبابها إجمالاً. لكن أريد أن أطرح بعض النقاط حول «الدّفاع المقدّس». طبعاً هذا الكلام قيل مراراً وتكراراً لكن يجب تكراره، لأنّ يد التحريف تعمل بكل اندفاع لإلقاء الشّبهات.

### ١ـ انتصار نظام الجمهوريّة الإسلاميّة وهزيمة العدو

النقطة الأولى، كما سبق وذكرت، أنّ العدو أثار هذه الحرب لإسقاط نظام الجمهورية الإسلامية، النظام الإسلامي، واستبدال حكومة تابعة وضعيفة وعميلة به، ليُعيد هيمنته على البلاد، لكن العدو قد هُزم. إنّ هذه المسألة الأساسية والمُهمة جدّاً، أي أنّ إيران انتصرت في الحرب أم لا، (جوابها) أن انتصار الجمهورية الإسلامية في الحرب

المفروضة كان واضحاً وضوح الشمس. هل هناك نصر أكبر من هذا؟ أنْ تهاجم جميع القوى الكبرى في العالم آنذاك دولة ما، لتُسقط نظامها ولتُسيطر عليها ولتُقسّم أراضيها ـ هؤلاء كانوا يخططون لفصل أجزاء من غربي البلاد وجنوب غربيّها ـ، وتستخدم كل قدراتها على مدى ثماني سنوات، ثمّ لم يقدروا في النهاية على فعل شيء، أليس هذا نصراً؟ لقد حقّق الشّعب الإيراني نصراً متلئلئاً.

**أولاً** لم يستطع هؤلاء أن يفصلوا شبراً واحداً عن أرضنا. **ثانياً** لم يستطيعوا أن يُرجعوا الثورة والنظام حتى خطوة واحدة إلى الوراء. بات النظام بعد الحرب وفي نهاية هذه السنوات الثماني أكثر قوّة وقدرة، وأكثر فعّالية واقتداراً من مرحلة ما قبل الحرب. هذه انتصارات عظيمة قد تحقّقت. لقد كانت إيران تخسر المعارك دائماً في عهد حكم الملوك والطواغيت، في القرن أو القرنين الأخيرين، سواء في الحكم القاجاري أو البهلوي، بل حتى في الحروب التي كانت تُعلن فيها الحياد. فقد أعلنت إيران الحياد في الحرب العالمية الأولى، ثم في الثانية، ومع هذا، تعرّضت للاحتلال في كلتا الحربين: الأول كان في العهد القاجاري والثاني في البهلوي. في الحرب العالمية الثانية، كانت القوات الأمريكية والقوات السوفييتية تستعرض عسكرياً في شوارع طهران. يجولون ويقترفون الفساد أمام أعين الناس. كانت أجزاء من شماليّ البلاد وجنوبيّها تحت سيطرتهم المباشرة. جاء رؤساء الدول الثّلاث إلى إيران دون إذن أو تأشيرة دخول، بل دون علم من قادة إيران آنذاك ـ الملوك الضعفاء ومن حولهم من الجهلة والعاجزين ـ وعقدوا اجتماعاً[٦]. ذهب شاه إيران، محمد رضا، ليحضر الاجتماع، فعاملوه باحتقار. عندما دخل قاعة الاجتماع، لم يقفْ كلٌّ من تشرشل[٧] وروزفلت[٨] احتراماً له، وإنّما نهض ستالين[٩] فقط. بعد ذلك كتب الشيوعيون في مذكراتهم أن ستالين عندما رأى تجاهل الاثنين لشاه إيران نهض من مكانه ليجذبه إلى طرفه. هكذا كان وضع البلاد: مستباحة من العدو. خلال المعارك مع روسيا خسرنا القوقاز[١٠]، وفي الشرور التي أثارها البريطانيون في بوشهر والجنوب والخليج الفارسي، تلقينا ضربات كثيرة؛ جميع الحروب كانت على هذا النّحو: لم نربح فيها أيّ معركة. أما في عهد الجمهورية الإسلامية، فاستطاعت دولة إيران العزيزة أن تقف في وجه كل قوى العالم: الشرق، والغرب، وأوروبا، وأمريكا، والاتحاد السوفييتي، والرجعيّين... وأن تنتصر عليهم. هذه النقطة الأولى، وهي في غاية الأهمية، وجُزء من هويتنا الوطنية. عندما يُقال أحياناً، وهو كلام صحيح، إن «الدّفاع المقدّس جزء من هويتنا الوطنية»، هذا لأنّ «الدّفاع المقدّس» كانت مَظهراً لتجلي الهويّة الراقية والمُميزة لشعب إيران الذي استطاع أن يصل بالحرب إلى النصر.

## ٢ـ «الدّفاع المقدّس» من أكثر تحرّكات الشّعب الإيراني عقلانية

النقطة الثانية هي أن «الدّفاع المقدّس» من أكثر أحداث الشعب الإيراني عقلانية. هناك من يستند إلى بعض الأخطاء التي وقعت في قسم ما، أو ارتكبها جمعٌ ما، ويرى أن «الدّفاع المقدّس» كانت غير عقلانية. لا، أبداً، لم يكن الأمر كذلك، بل كانت «الدّفاع المقدّس» بمنتهى التدبير والعقلانية من أوّلها إلى آخرها. إنّ الكلمات التي انطلق منها عمل «الدّفاع المقدّس» ـ سواء التي أوردها الإمام (الخميني) أو الآخرون ـ تثبت مدى عقلانية الدخول في هذا المعترك. ثمّ التعاون المشترك بين الجيش و «حرس الثورة» والأعمال التي نفّذاها. إنّها مسألة في غاية الأهميّة. في ذلك الوقت، كان الجيش مؤسسة تقليدية لها وجودها ومكانتها في البلاد، وكان الحرس مؤسسة ثورية حديثة العهد. كان عليهما أن يعملا معاً، وهذا ليس سهلاً، لكنه حدث. طبعاً بعد أن هرب (أبو الحسن) بني صدر بات هذا التعاون أفضل وأكمل. رأيت بنفسي المرحوم الشهيد (غلام علي) بيجك في معسكر «أبو ذرّ». كان نائباً لقائد ذلك المعسكر الذي لم أعد أذكر اسم قائده. كان قائد المعسكر من الجيش، ونائبه من الحرس، وكانا يعملان ويعيشان معاً. كان «أبو ذرّ» من المواقع الحسّاسة غربي البلاد، وتُدار الكثير من ساحات المعارك من هناك. بعدما تبدّلت الأوضاع وهرب بني صدر، واستلم الإمام قيادة الحرب، بات التعاون بين الجيش والحرس أكثر وضوحاً، في: عمليات «الإمام الرضا»، فكّ الحصار عن آبادان، عمليات «الفتح المبين»، عمليات «بيت المقدّس»، وبعد ذلك عمليات «خيبر» و «بدر وغيرها». لقد كانت أعمالاً عظيمة. هل يمكن أن نجد عملاً أكثر عقلانية وتدبيراً من هذا؟ ثم هناك اللجوء إلى تكتيكات شجاعة ومبتكرة واستثنائية. مثلاً التكتيكات القتالية التي استُعملت في «الفتح المبين»، أي أن تتمكن القوات المسلّحة للجمهورية الإسلامية بكل شجاعة من اختراق صفوف العدو، ومهاجمته من الخلف، وإلحاق الهزيمة به. هذه التكتيكات مبتكرة. الكثير من الأعمال العظيمة والتكتيكات الجديدة نُفذت في عمليات «بيت المقدّس». في الدّفاع الجوي، قام الشهيد (منصور) ستّاري خلال أيام على ابتكارات استثنائية في عمليات «والفجر ٨». العبور من نهر أروند في هذه العمليات كان عملاً عظيماً أيضاً. هذه الأعمال كُلّها عظيمة وعقلانية وتنمّ عن تدبير، وقلّما تجد قوات مسلحة تستطيع أن تُسيّر الأمور بهذه القدرات الفكرية وهذا الاقتدار المعنوي والتّدبير. حتى الموافقة على القرار الأممي في نهاية المطاف، في تلك الظروف التي عبّر عنها الإمام بالقول: «تجرعاً لكأس السم»، كانت أمراً عقلانياً

وحكيماً أيضاً. في تلك المرحلة، كان ذلك القرار حكيماً ويجب اتّخاذه. لو لم يكن قراراً عاقلاً وحكيماً، ما اتّخذه الإمام. كنّا نرى الأمور عن قرب، ونعلم ما الذي يجري. بناء على هذا، كان موضوع «الدّفاع المقدّس» من البداية حتى النهاية حدثاً عقلانياً، بل من أكثر تحرّكات الشعب الإيراني عقلانية، فيجب الحذر من عمليات التّحريف في هذا الموضوع.

## ٣ـ تقديم أنموذج جديد عن المشاركة الشعبية في «الدّفاع المقدّس»، وتفجّر الطاقات

النقطة الثالثة: استطاعت «الدّفاع المقدّس» أن تقدم ـ نموذجاً جديداً عن المشاركة الشعبية. كانت طريقة مشاركة الناس مذهلة وأساساً لتفتّح المواهب، وسأتحدث عن كل واحد من هذين الأمرين باختصار.

أولاً استطاع كل أفراد الشعب الراغبون في المشاركة على هذا الصعيد، أياً كانوا، أن يجدوا لهم مكاناً ضمن هذه الحركة التطوعية والحيّة والفعّالة والمفعمة بالحماسة. مثلاً المقاتل في الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة الذي وصل إلى الجبهة بتزوير البطاقة الشخصية استطاع أن يجد له مكاناً هناك، ولم يجلس دون عمل، فكان يأتي بالماء للمقاتلين، أو ينقل الرسائل والأخبار، وغيرها من الأعمال. كذلك الشيخ المسنّ، ابن السبعين، يذهب إلى الجبهة، ويجد ما يفعله. فما يُنتظر من رجل مسنّ في الجبهة كان واضحاً ومعلوماً؛ لم يكن أحد بلا عمل، لا الطفل ابن الثالثة عشرة، ولا المسنّ ابن السبعين. أو مثلاً التلميذة في الثامنة أو التاسعة أو العاشرة ـ في المرحلة الابتدائية ـ التي كانت تريد أن تشارك في هذا العمل كانت تجد لها مكاناً، فتُمسك ورقة وتكتب رسالة إلى أخيها المجاهد المجهول، وتضع هذه الرسالة في صناديق الطعام والهدايا التي يرسلها الناس إلى الجبهة. كثيراً ما كان يحدث أن يفتح أحد المجاهدين في ساحة المعركة صندوق الطعام، فيجد فيه رسالة، فيقرؤها ليجد أنها مرسلة من طفلة في السابعة أو الثامنة أو العاشرة، كتبت فيها: «أخي المجاهد! قوّاك الله، أنا أدعو لك»... وغيرها من العبارات. أي حتى الطفلة الصغيرة استطاعت المشاركة هنا. كما كان يمكن لسيّدة محترمة أن تشارك بتقديمها العون إلى المجاهدين خلف خطوط الجبهة، بالخياطة أو الطّبخ أو صناعة المربى أو المخلّل أو الخبز أو غسل الثياب. أنا شخصياً ذهبت إلى الأهواز أيام الحرب، ورأيت في إحدى النقاط جمعاً من السيّدات المحترمات كنّ يغسلن ثياب المجاهدين المتسخة. الكل كان يجد سبيلاً للمشاركة وأداء عمل ما. الأطباء الجراحون كان بإمكانهم أن يشاركوا، وقد شاركوا، ورأيناهم هناك. التاجر، رجل الدّين، عمال المصانع، الشاعر، المنشد، السّائق، الحرفيّ، المزارع القروي، الموظّف... كل أصناف الناس كان بإمكانهم أن

يشاركوا في هذه الحركة الشعبية العظيمة. كان هذا أنموذجاً جديداً ليس له نظير في العالم. لقد قرأنا كتباً كثيرة حول الحروب، وعُرضت أفلام كثيرة لكننا لم نقرأ ولم نجد في أنحاء العالم أنموذجاً مشابهاً لهذه التّعبئة الشعبية العظيمة. كان أنموذجاً جديداً وفريداً استطاع الجميع فيه أن يساعدوا وأن يؤازروا، وأن يُقدِّموا العون وأنواع الخدمات.

ثم على إثر هذه الحركة الجماعية كم ظهرت من طاقات ومواهب! على سبيل المثال، ينهض شاب من قرية من نقطة ما في البلاد ـ قرية من (محافظة) كرمان مثلاً ـ ويأتي إلى المدينة، وينضمّ إلى هذه الحركة، ليصبح في ما بعد الحاجّ قاسم سليماني. لقد كانت حركة عظيمة. أو مثلاً ذاك الطالب الجامعي الشاب، من دون أن يكون قد أمسك البندقية بيده حتى مرة واحدة، ويذهب إلى الجبهة تطوّعاً، وفي أحداث الجبهة، وخلال سنة ونصف مثلاً، يصير عضواً بارزاً ومؤثراً في أحد المقرات العسكرية الرفيعة المستوى. أو مثلاً شاب يعمل في إحدى الصحف وينشط في عمل النّشرات، فيذهب إلى الجبهة، وبعد مدة قصيرة يصير الشهيد حسن باقري، النابغة في استخبارات الحرب. لقد شوهدت مثل هذه الحالات العجيبة وظهور هكذا مواهب. والوجوه التي خلّدتها الحرب وشهداؤها العظام هي من قبيل هؤلاء. لقد رأينا ضباطاً شباباً، على سبيل المثال الشهيد صياد (شيرازي) الذي كنت أعرفه وأراه من بدايات الثورة، فعلى ما أظن كان في ذلك الوقت ضابطاً شاباً برتبة ملازم أول، أو نقيب، وكان يتردد علينا ويزورنا. هكذا شخص يصير في ما بعد قائداً مخضرماً استطاع أن يقود القوات البرية في الجيش لمدة طويلة، وأن يتقدم بها بذلك الأسلوب، وأن يشارك في أعظم الأعمال (القتالية). كذلك كان الشهيد (عبّاس) بابائي وآخرون من أمثالهم. هذا الأنموذج المُبتكَر للمشاركة الشعبية يمكن استحضاره دائماً. واليوم يمكننا ذلك. إذا هممنا ونظرنا إلى الشعب والمسائل بطريقة صحيحة، نستطيع أن نستفيد من هذا الأنموذج. طبعاً وضعيّة الحرب مختلفة، ووضعيّة الاقتصاد وضعيّة أخرى. يمكن لأصحاب الفكر أن ينظروا إلى هذا (الأنموذج (على أنه وسيلة للاقتدار الوطني، وأن يتّبعوه. في ذلك الوقت، كانت أهمية الدور لما خلف الجبهة في هذا الأنموذج كأهمية الجبهة نفسها، لأنه لا يمكن للجميع أن يحملوا البنادق، فالرغبات والميول والقدرات مختلفة. يمكن لبعضهم أن يؤدّوا دوراً خلف الجبهة، ولقد أدّوا ذلك الدور. أولاً كان الدعم المالي وإيصال المُؤن مهماً ومؤثراً جدّاً، ثم إسعاف الجرحى... إلى تشييع الشهداء على نحو مهيب. لقد قلتها مراراً: لو لم يحدث هكذا تكريم وتجليل للشهداء، ما كان ليشتعل الشوق للشهادة في القلوب على النحو الذي جرى. عندما كان جثمان الشهيد ـ أو واحد أو أكثر ـ يدخل

المدينة، كانت المشاركة الواسعة للناس في استقبال جثامين الشهداء وتشييعها إلى مثواها بحد ذاتها من الأحداث المهمّة والمراسم المؤثرة جدّاً. (وأيضاً) الدعم الثقافي والإعلامي، من الشعر والشعارات إلى إحباط عمليات الحرب النفسية للأعداء ـ كان العدو دائماً مُنكبّاً على الحرب النفسية، وهناك في المدن والقرى من يتصدّى لها ـ ثم استضافة مهجّري الحرب وإسكانهم، إلى ثبات الناس في مدنهم في بعض المناطق التي كانت تحت القصف الصاروخي للعدو مثل دزفول. من أهمّ مفاخر الصّمود خلف الجبهة بقاء الأهالي في بعض المدن، سواء في كردستان أو خوزستان أو باقي المحافظات، فقد بقي الناس في بعضها داخل المدينة رغم كونها مكاناً لهجوم عنيف ومتواصل من العدو.

## ٤. ظهور أعلى المراتب في الفضائل الأخلاقية والعروج المعنوي

النقطة الرابعة: في «الدّفاع المقدّس»، برزت أعلى مراتب الفضائل الأخلاقية والعروج المعنوي والارتقاء الروحي. في الحقيقة، لا يمكن العثور على شبيه لذلك. نعم، يوجد هنا وهناك، هي موجودة في كل مكان، لكن أن تظهر الفضائل الأخلاقية وأبعاد الارتقاء المعنوي والروحيّات الدينية وما شابه بهذه الكثرة وهذا العدد، فأنا لم أجد مثيلاً لذلك في أي مكان إلّا في جبهات «الدّفاع المقدّس». السِيَر التي كُتبت تُظهر هذه الخصوصيات، والوصايا أيضاً، والأحوال التي كانت تُنقل عن بعض المجاهدين، (كلّها) تُظهر ذلك. الفضائل الأخلاقية مثل المودّة والصّدق والصّفاء. أساساً كانت الجبهة منطقة للصّدق والصّفاء، فالجميع كانوا يعيشون الصفاء بينهم. الإخلاص والعمل لله... كان هناك أشخاص يتدرّبون على الإخلاص، وفي الوقت نفسه يُثبتون إخلاصهم في العمل لله هناك. التواضع وخدمة الآخرين... يقرأ المرء في السِيَر مثلاً أنّ مجموعة كانوا نائمين في خيمتهم ليلاً، وعندما يستيقظون في الصباح، يجدون أحذيتهم العسكرية مُلمّعة. من الذي لمّعها؟ غير معلوم. بعد التحرّي، يُعلم أن قائد السّرية مثلاً أو المجموعة جاء ليلاً ولمّع جميع الأحذية، أو غسل ثيابهم التي كانوا قد جمعوها ليغسلوها، أو نظّف لهم المَرافق. هذا التواضع وهذه الخدمة وروح الخدمة والإيثار والتضحية والفداء إنّها أمور عجيبة. وبعد ذلك تلك الحالات المعنوية، وذاك البكاء في جوف الليل، وقيام الليل، وتلك الحماسة، والعشق التوحيدي، وذاك العزوف عن الزخارف الدنيوية، والارتباط الغيبيّ في بعض الحالات. بعض هؤلاء الأعزاء، هؤلاء الشباب العارفين ـ العارفين بالمعنى الحقيقي للكلمة، العارفين المتّصلين ـ وصل

بهم الأمر في الجبهة أن يروا المستقبل ويخبروا عنه: عن شهادتهم، عن شهادة أصدقائهم، عن الأحداث التي يمكن أن تصير. هذه الأشياء ذكرت في سِيَر المجاهدين، وهي مهمة جدّاً.

طبعاً من الواضح أن هذه النقطة تعود إلى بَركة الإسلام أكثر من سائر النقاط التي ذكرتها. وأيضاً بروز النقاط الأخرى وتألّقها كانا ببركة الإيمان الديني طبعاً، لكن هذه النقطة على الخصوص تتعلق بتسليم القلب لله، وبقضية الإسلام، وبمسألة الإيمان الديني. بالفعل، يقف الإنسان حائراً أمام تأثير هذا الإيمان العميق. أو (مثلاً معنويات) أمّهات الشهداء. طبعاً، أنا وأنتم لا يمكننا أن ندرك شعور الأمومة أساساً، وبالفعل لا أحد يستطيع أن يدرك شعور الأمومة إلّا الأمّ نفسها. ثم تأتي هذه الأمّ وترسل ابنها الشاب إلى الجبهة، وعندما يأتي الشاب ويطلب من أمه أن تأذن له بالذهاب، تقول له: لأنك تريد الذهاب من أجل الإسلام فاذهب، اذهب من أجل الإسلام. وعندما يُحضرون جثمان هذا الشاب نفسه، تفرح الأم بأنها قدّمته في سبيل الله، فتقول لقد قدّمتُ هذا في سبيل الله. الحمد الله، كان لي التوفيق بالجلوس كثيراً مع عائلات الشهداء وأمهاتهم وآبائهم. فيلاحظ الإنسان في موارد كثيرة، لا تُعدّ ولا تحصى، أيّ معنويات وأيّ حالات وأيّ إيثار تتمتع به أمهات الشهداء! ما كان هذا ليكون لولا بَركة الإسلام وهذه التضحيات العظيمة التي تُشكّل فصلاً ناصعاً في كتاب «الدّفاع المقدّس» الضخم. هذه نقطة (مهمة) أيضاً.

## ٥ـ «الدّفاع المقدّس» والمكاسب التي حققتها للبلاد

النقطة الخامسة: إن «الدّفاع المقدّس» صنعت مكاسب ثمينة للبلاد. «الدّفاع المقدّس» جَلبَت أشياء كثيرة. أولاً أمن البلاد هو ببركة «الدّفاع المقدّس» (التي) أثبتت للأعداء أن تكلفة الاعتداء والتعرض لهذه البلاد كبيرة جدّاً. هذا أُثبت بـ «الدّفاع المقدّس»، وهو ما يمنح الأمن لأيّ بلد. عندما يثبت أيُّ شعب أن لديه الهمّة والقدرة للدفاع عن نفسه، وأن يردّ على المعتدي بردٍّ ساحق، هذا يجعل العدو يفكر ملياً قبل أن يرتكب عدوانه على هذا البلد وهذا الشعب، وإذا أراد أن يحسبها بعقلانية، سيفهم أن هذا العمل ليس مجدياً وسيكلّفه كثيراً. هذا الأمن متعلّق بذلك. ثانياً أنها مَنحَت شعبنا روح الإيمان بالذّات. هذا الإيمان بالذّات الذي ترونه اليوم أحياناً، ولحسن الحظ عند كثيرين من أبناء شعبنا، في ساحة العلم وفي مختلف الساحات ـ كالصناعة وغيرها ـ يعود أساساً إلى «الدّفاع المقدّس». فمثلاً عندما

ينهض شاب يبلغ من العمر العشرين ونيّفاً، ويقود خلفه مجموعة أو فرقة عسكرية بكل اقتدار وثقة بالنفس تامّين، ويوجّه ضربة موجعة إلى العدو، هذا يمنح الناس الإيمان بالذّات. ولقد استطاعت «الدّفاع المقدّس» أن تُثبت أنّها تستطيع إخراج الشعب الإيراني من الأزمات مرفوع الرأس، كأزمة الحرب المفروضة.

ثم إن هذه الحركة باتّجاه الإبداع التقني والعلمي التي حققناها هي أيضاً من مكاسب «الدّفاع المقدّس»، لأننا كنا فيها بحاجة إلى أشياء كثيرة، ولم نكن نملكها ولم نملك إمكاناتها، فتحرّكت الطاقات المؤمنة والمُضحّية وذهبت تفكّر في صناعتها. مثلاً قام الشهيد حسن (طهراني) مُقدَّم في تلك الأوقات وعمل في مرحلة على صناعة الصواريخ بإتقان، إذ إنّه وآخرين قالوا لنا: تعالوا وزورونا، وقد ذهبنا إلى هناك ورأينا كيف انطلقوا بهذا العمل. طبعاً نحن كنا نحتاج إلى الصواريخ، ولم تكن تُعطى لنا، في حين أن العدو لديه صواريخ ويقصفنا بها. هذا الأمر جعل الطاقات الخلّاقة عندنا تفكر في أن تقوم على عمل ما، وفعلوا ذلك، وأدّوا عملاً جيّداً واستطاعوا فعله على أحسن وجه، ولا يزالون إلى يومنا طبعاً، وهو أمر واضح. هذا بالنسبة إلى موضوع الحركة باتّجاه الإبداع.

وهناك الإقدام على أعمال تبدو غير ممكنة في الظاهر، وهذا الأمر علّمتنا إيّاه «الدّفاع المقدّس» أيضاً. فهي صنعت لنا هذا المكسب: أن نعرف أنّ الكثير من الأشياء التي تبدو مستحيلة في الظاهر يمكن أن تتحقق فعليّاً، إذا عزمنا. لقد تعلمنا هذا في «الدّفاع المقدّس»، وهو من ذخائرنا المهمة.

فضلاً عن هذا ارتقت «الدّفاع المقدّس» بثرواتنا البشرية. ولحسن الحظ، الكثير من العناصر الذين حضروا في سنوات «الدّفاع المقدّس» الثماني وبعدها ـ يعني في الأمس والحاضر وفي المستقبل، إن شاء الله ـ هناك منهم أفراد كثيرون ولا يزالون يخدمون في القطاعات المختلفة والمتنوّعة في البلاد، وشهيدنا العزيز قاسم سليماني كان أنموذجاً عن ذلك، فقد كان له نشاطات مذهلة على الصعيد الدبلوماسي والدولي، والمنطقة. في الحقيقة، إلى الآن لا يَعرف الكثير من الأصدقاء والإخوة المؤمنين والشعب الإيراني عن مدى نشاط الشهيد سليماني ونطاقه. إنهم يعرفون بعض الأشياء مثل وجوده في بعض الجبهات، أما تفاصيل نشاطه وجزئياته، فهي أكثر من ذلك بكثير. ربما يُكشف عنها في المستقبل بالتدريج، إن شاء الله. كان أنموذجاً عن الثروة البشرية التي صُنعت في الحرب، أي أن الأساس لأمثال قاسم سليماني كان في الحرب، ووُضع في مرحلة «الدّفاع المقدّس». هذه نقطة (مهمة) أيضاً.

### ٦ـ فضح الغرب وإظهاره على حقيقته

من المكاسب الأخرى التي قدّمتها مرحلة «الدّفاع المقدّس» أنها عرّفتنا حقيقة الحضارة الغربية المُزيّنة وواقعها. طبعاً، لأنّ الشعب الإيراني تلقى سابقاً ضربات من الغربيّين ـ من البريطانيّين على نحو، ومن الأمريكيّين على نحو آخر ـ وكان على معرفة بهم إلى حدّ ما، لكن ليس بقدر المعرفة التي عرفها بـ «الدّفاع المقدّس».

طبعاً، كان هناك مشاهد كثيرة في الماضي لمس الشعب الإيراني عبرها من قرب مدى عناد الدول الغربية وخيانتها، مثل احتلال بعض أجزاء البلاد بعد الحرب العالمية الأولى، واحتلال بعض آخر بعد الحرب الثانية، وألاعيب البريطانيّين وخباثتهم في الجنوب وبوشهر والخليج الفارسي، في قضية حرب إيران وبعض القوى الأخرى، وفي قضية أفغانستان أيضاً. لقد لمس الشعب الإيراني مدى خيانة الدول الغربية في كل هذه الأحداث، لكن ليس بدرجة ما عرفه عنهم في «الدّفاع المقدّس». ما رأيناه في «الدّفاع المقدّس»، إنْ لم نقل أكثر من ذلك، الشيء الذي رأيناه في الماضي من الغربيين على مدى سنين طويلة ليس أقل منه، بل كان يساويه أو يفوقه. كان الغرب ضدنا بوجهيه، أي ليس الغرب الرأسمالي فقط، بل الغرب الرأسمالي والغرب الشيوعي. فالشيوعية أيضاً من منتجات الغرب. لقد عملت إنجلترا ضدنا في الحرب، وكذلك فعلت فرنسا بجديّة، وألمانيا أيضاً، ويوغوسلافيا أيضاً مع أنها كانت محسوبة على المعسكر الشرقي، والاتحاد السوفييتي، طبعاً، كان دوره واضحاً. إنّ جميع الغربيّين كانوا يحرموننا أقلّ الإمكانات. حقاً كانوا يحرموننا أقلّ الإمكانات! لم نحصل على أيّ شيء من الخارج. حتى الأسلحة الخفيفة، بل حتى الذخائر، لم نحصل عليها بسهولة. [أما] للطرف المقابل، فكانوا يعطونه كل شيء. من طائرات «ميراج» القاذفة إلى طائرة «سوبر اتندارد» لقصف السفن، إلى تزويده بالمعلومات عبر الأقمار الاصطناعية عن أماكن تجمّع قوّاتنا وتحرّكاتها، وإلى المال والدبابات ومختلف الأنواع... وضعوا كلّ شيء في تصرّف العدو، إلى السّلاح الكيميائي! حتى أنّهم زودوه بالسلاح الكيميائي، واستخدم صدّام السلاح الكيميائي ضدنا وضد شعبه. فصدّام استخدم السلاح الكيميائي في حلبجة، وطبعاً استخدمه على بلدنا بكثرة. هذا يعني أنّ الغربيّين والأوروبيّين داسوا بذلك على كلّ ادعاءاتهم الإنسانيّة وحقوق البشر، وناقضوا كلّ هذه الادعاءات بتقديمهم الدعم إلى نظام صدّام الفاسد والقمعيّ والعدو للإنسانية. إن هذه المعرفة العميقة هي مكسب كبير لنا. فيجب علينا أن نفهم وندرك حقاً أن هذه هي حقيقة الغربيّين، وأن نتخذ قراراتنا ونفكّر، ونعمل على أساس هذه المعرفة.

### ٧ـ ظهور قدرات الشّعب الإيراني وطاقاته للعالم بأسره

آخر نقطة أريد الحديث حولها هي أن هناك حدثاً عظيماً جرى في «الدّفاع المقدّس»، وهو أن ظَهر للعالم مدى قدرات الشعب الإيراني وطاقاته. يعني بَلَغهم ذلك. كانت جميع وسائل الإعلام في العالم ضدنا. وسائل الإعلام في العالم كانت ضد الثورة الإسلامية، واليوم الوضع كذلك، وفي تلك الأيام، كان كذلك. في بدايات الثورة الإسلامية، كانت وسائل الإعلام الرسمية في العالم تلجأ إلى الكذب، أو كتمان النّقاط الإيجابية، أو التّهم الباطلة بحق الجميع، من شخص الإمام (الخميني) إلى حكومة الجمهورية الإسلامية، إلى النظام الإسلامي، إلى السلطة القضائية، وأفراد الشعب، والجميع، إلى القوات المسلحة وآخرين. كانوا يعملون ضد هؤلاء ويريدون أن يسقطوا الشعب الإيراني من أعين الشعوب في العالم وأن يقدّموا صورة سيّئة عنه. لقد تحوّلت «الدّفاع المقدّس» إلى وسيلة إعلامية بليغة، وصوت عالٍ، لكي تُظهر حقائق الشعب الإيراني. لقد صنعت منزلة للشعب الإيراني وأظهرت للعالم أجمع مدى شجاعة الشعب ومقاومته. كان هذا في الواقع حدثاً عظيماً ومهماً. لقد أظهر للعالم مدى تلاحمنا الوطني وحجم الدعم والتّأييد الشعبي خلف الجبهة. عرف الجميع هذه (الحقائق) وانكشفت أكاذيب العدو. هذه بعض النقاط حول موضوع «الدّفاع المقدّس».

### زوال الخوف والحزن بالمقاومة وبالاستقامة

طبعاً ما ذكرناه من حقائق حول «الدّفاع المقدّس» هو جزء صغير وقليل جدّاً؛ نحن استطعنا أن نُبيّن أجزاء صغيرة. إن «الدّفاع المقدّس» لوحة عظيمة، ولقد تحدّثتُ عن بعض الجوانب الصغيرة من هنا وهناك، وبيّنها آخرون أيضاً. نحن مدينون جدّاً لـ «الدّفاع المقدّس». إن الحرب بطبيعتها ظاهرة مخيفة وعنيفة، لكن من هذه الظاهرة المخيفة والعنيفة الممتدة ثماني سنوات تمّت هذه البركات التي ذكرت بعضها، وهي أكثر من ذلك بكثير. أي كسبنا من الحرب البِشارة والتقدّم والتجدّد. إنّ هذه الحرب رغم كلّ صعوباتها ومشكلاتها، ورغم كلّ الخسائر التي تركتها لنا في كل مكان، فإنها حققت لنا مكاسب. بالفعل كانت كذلك.

إن أدبيات الحرب عامة هي أدبيات مُبشّرة؛ انظروا ماذا يقول القرآن الكريم حول الشهداء: ﴿**وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ (آل عمران، ١٧٠). يُعطَون بشارة. يُبَشّرون بماذا؟ بأنه يجب ألّا

يكون لديهم آفتان، وليس لديهم ذلك، أي أنهم يُبَشّرون بانتفاء هاتين الآفتين: أحدهما الخوف، والأخرى الحزن. ينفون عنهم الخوف والحزن أيضاً. في اعتقادي، إذا كنا نريد النشاط الاجتماعي والأمل والحيوية، وإذا كنا نريد التجدد لأجيالنا الشابّة، يجب علينا أن نؤمن بهذه البيان القرآني الملكوتي، فكلمة «يستبشرون» مهمة جدّاً. إن الخوف والحزن آفتان كبيرتان على أيّ شعب، أو جماعة، أو إنسان ما. هاتان الآفتان لا يمكن التخلّص منهما إلا بالبشارة القرآنية، وكذلك يمكن التخلص منهما إذا قاومنا، وهذا أيضاً هو مفاد الآية القرآنية: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا**﴾ (فصّلت، ٣٠). فالمقاومة هي كذلك. إنْ كنتم تريدون ألّا يصيبكم الخوف ولا الحزن، اتخذوا من المقاومة والاستقامة نهجاً لكم. عندئذ ستتحرّرون من الخوف والحزن. هذه تعاليم قرآنية.

## ترسيخ أدب «الدّفاع المقدّس» لمواجهة أيادي التحريف

للأسف، يجب أن أقول: نحن قصّرنا في ما يخص «الدّفاع المقدّس». طبعاً، إنّ هذه الأعمال التي أشار إليها الأخ العزيز، رئيس هيئة الأركان، حول ما تمّ إنجازه، هي أعمالٌ جيدة وقيّمة جدّاً، ومع هذا هي قليلة. إنّنا بحاجة إلى أعمال كثيرة. التفتوا! إننا كلما ابتعدنا زمانياً عن «الدّفاع المقدّس»، يجب أن نزداد قرباً معرفياً منها، لماذا؟ لأن أيادي التحريف تكمُن لنا، أيادي التحريف (تتربّص) في الكمين. حسناً، أنتم ممن شاركتم في الحرب موجودون اليوم، وفي النهاية، تقولون شيئاً عنها، وتدافعون، لكن بعد عشرين سنة لن يكون الكثير ممن يحضرون اليوم (أحياء)، وبعد ثلاثين عاماً عدد أكبر لن يكونوا حاضرين. يمكن ليد التحريف أن تطاول هذا الجزء المشرق من تاريخنا، ولذا يجب أن نعمل، وأن نزيد معرفتنا، وأن نعزّز أدب «الدّفاع المقدّس».

إن أدب «الدّفاع المقدّس» ليس نوعاً من الأدب مقابل الأنواع الأخرى، أي عندنا مثلاً الأدب الملحمي، الأدب العشقي، الأدب الاجتماعي، البوليسي... وأدب «الدّفاع المقدّس» واحد منها! لا، ليس الأمر كذلك. إن «الدّفاع المقدّس» نبع فوّار يفيض بأنواع مختلفة من الأدب، ويمكن لنا أن نستخرج منه ألواناً متنوعة وراقية من الأدب، وأن نوجد نصوصاً ممتازة: تاريخية أو اجتماعية أو سياسية أو عشقية أو عائلية، وهذه النصوص تكون أساساً لأعمال أخرى. لكن المسألة الأهم هي إنتاج النصوص؛ نحن بحاجة إلى إنتاج النصوص. إن تمكنّا من إعداد نصوص جيدة وفاخرة، يمكننا أن نُقدّم منها مسرحيّة، وأن ننتج فيلماً سينمائياً، وأن نكتب شعراً. على سبيل المثال، سمعت أن أحد الشعراء

الملتزمين في بلادنا ألّف عشر غزليات من كتاب الشهيد خوش لفظ[١١]. هذا جيد جدّاً، إنْ دخل شعراؤنا الملتزمون هذا المجال، يمكنهم تأليف عشرات الدواوين من كتب «الدّفاع المقدّس»، فالشعر فنّ عظيم، وهكذا الأفلام والآثار السينمائية وأمثالها. حتى في العالم الأمر كذلك؛ ربّما أن جزءاً من أفضل الأفلام والأعمال السينمائية هي في الحقيقة مقتبسة من نصوص وكتابات فاخرة، من روايات ومؤلفات فاخرة سابقة. يصنعون عبرها (أعمالاً). علينا أداء العمل نفسه: علينا أن نوجد هذه النصوص الفاخرة، وأن نصنع منها أفلاماً ومسرحيات وأمثالها. لذلك هذا العمل مهم. سمعت أنه داخل البلاد هناك من يصنع مسرحيات من نصوص الكتّاب الأجانب، مثل فيكتور هوغو أو شارل ديكنز، ويعرضها. حسناً، لنعمل على إبداع كتابات يمكنها أن تحظى بإعجاب الآخرين ـ أولاً في الداخل ولاحقاً في أماكن أخرى ـ في العالم، ليصنعوا منها مسرحيات وأفلاماً سينمائية. إذاً، علينا أن نركز الجهود على إنتاج النصوص الفاخرة.

## أهمية إحياء ذكرى «الدّفاع المقدّس» والتطرّق إلى شخصياتها

من المواضيع الأخرى إحياء ذكرى «الدّفاع المقدّس». إنّ إحياء هذه الذكرى أمر مهمّ وعمل كبير يمكن أن يمنع حدوث فجوة بين الأجيال، وأن يعرّف الأجيال الشابّة إلى «الدّفاع المقدّس»، وهذا بدوره يترك تأثيره ويصنع أشخاصاً مثل الشهيد (محسن) حججي، وشهداء الدّفاع عن الحرم الذي يعدُّ بدوره امتداداً لـ «الدّفاع المقدّس» ومن بركاته.

أيضاً من الأعمال المهمة جدّاً إقامة مراسم تكريم وتخليدٍ لشخصيات «الدّفاع المقدّس». طبعاً بعضها من الشخصيات المعروفة في الجيش، أو «حرس الثورة»، أو قوات الأمن، وبعضها كان من قوات التعبئة، لكن هناك الكثير من المجاهدين المغمورين غير المعروفين. الكثير من قصص المجاهدين التي كتبت تتحدث عن أفراد مغمورين، وهم كثيرون جدّاً، لكنهم أنجزوا أعمالاً عظيمة ونُسبت إليهم مسائل مهمة. علينا أن نقيم مجالس تكريم لأمثال هؤلاء الأشخاص، وأن نحقق ونبحث حولهم، وأن نتكلم ونتحدث عنهم وعن تفاصيل حياتهم. طبعاً إنّ موضوع المدافعين عن الحرم الذي أشرت إليه هو من المواضيع المذهلة في هذا الزمان، ومن الأحداث المهمة جدّاً. أن يجتمع المجاهدون، السوريون واللبنانيون والعراقيون والإيرانيون والأفغانيون، جميعهم في صفّ واحد، وفي آن، وأن يتحرّكوا لتحقيق هدف واحد، إنّه أمرٌ مدهش! إنه من ظواهر زماننا العظيمة، ومما لا شك فيه أنه من بركات «الدّفاع المقدّس» نفسها.

## ضرورة العمل بواجباتنا في موضوع «كورونا»

حسناً، وصل كلامي إلى نهايته، لكن لا بد من التعريج على موضوع «كورونا». لا تستهينوا بهذا الموضوع؛ أن نخسر ١٥٠ شخصاً يومياً من أبناء وطننا هل هذا أمر هيّن؟ إن بعضهم لا يملكون تقييماً صحيحاً وتقديراً مناسباً عن القضية. افرضوا مثلاً أن تسقط كل يومين طائرة تحمل على متنها ثلاثمئة شخص ويموت الجميع، هل هذا شيء قليل؟ أن يكون لدينا كل يوم ١٤٠ أو ١٥٠ أو ١٧٠ متوفّين، هل هذا شيء قليل؟ والعلاج في أيدينا! تلاحظون كيف أن المسؤولين يبذلون جهوداً جبّارة وتضحيات كبيرة، من أطباء وممرضين ومديرين وغيرهم، فيعملون ويبذلون الجهود بصورة متواصلة. يجب علينا، نحن الناس، أن نتحمّل مسؤولياتنا، وأن نراعي مسألة التباعد الاجتماعي، وأن نرتدي الكمامات، وأن نعمل بالتوصيات، وأن نغسل أيدينا دائماً... جميعها أعمال ضرورية يجب أن نفعلها.

اليوم يُطرح موضوع «الأربعين». بعضهم يعشقون الإمام الحسين ويعشقون «الأربعين»، وهذا أمر واضح، وجميعنا كذلك. ربما الكثير منكم وُفّق للذهاب لزيارة «الأربعين»، أما أنا، فكنت محروماً رغم شوقي لذلك ـ رغم بُعدنا لكننا نلهجُ بذكرك[١٢] ـ لكنّ أمر المشاركة في مسيرة «الأربعين» يتوقف على تشخيص المسؤولين في «اللجنة الوطنية لمكافحة كورونا». إن قالوا «لا» ــ هم إلى الآن قالوا «لا» ـ يجب على الجميع أن يخضعوا ويتّبعوا التوصيات. أمّا أن ننهض ونذهب مثلاً إلى الحدود لنُظهر ولاءنا ومحبّتنا للإمام، فهذا غير جائز. علينا أن نفعل ذلك من داخل البيوت. هناك زيارات عدة واردة حول يوم «الأربعين». ليجلس الناس جميعاً في البيوت، وليقرؤوا زيارة «الأربعين» بتوجّه وحضور قلب، وليشكوا للإمام الحسين عليه السلام ويخاطبوه بهذه الكلمات: «يا سيد الشهداء، كنا نريد القدوم (إليك) من أعماق قلوبنا، لكن لم نستطع، بسبب هذا الوضع»؛ عسى أن ينظر إلينا الإمام ويمدّ يد العون.

أسأل الله تعالى أن يُقدّر للشعب الإيراني كل ما هو خير، وكل ما فيه صلاحه، وأن يُجزل الأجر لمجاهدينا الأعزاء على جهودهم والأعباء التي تحمّلوها، وأن يُعلي درجات شهدائنا. كما نسأل الله أن يحشر إمامنا العزيز مع أحبّائه وأوليائه، وأن يجزل له الأجر والثواب على هذا العمر الشّريف والثّمين الذي أمضاه.

فالإمـام كـان قائـداً لهـذه الحركـة العظيمـة للشـعب الإيرانـي، ولا يـزال، فالإمـام مـا زال يقودنـا حتـى بعـد رحيلـه. فـي الختـام، أسـأل اللـه العـون والهدايـة لجميـع إخواننـا الأعـزاء، والمسـؤولين فـي القـوات المسـلحة، والمسـؤولين فـي الحكومة، والمسؤولين في مختلف القطاعات والدوائر، ليتمكّنوا من أداء وظائفهم على أكمل وجه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

## الهوامش:

[١] استُهلّت هذه المراسم بتقرير قدّمه اللواء في «حرس الثورة» محمد باقري (القائد العام لهيئة الأركان في القوات المسلحة).

[٢] العميد ولي الله فلاحي (رئيس هيئة الأركان المشتركة في جيش الجمهورية الإسلامية الإيرانية في زمن «الدفاع المقدس»).

[٣] اللواء قاسم علي ظهير نجاد (قائد القوات البرية في جيش الجمهورية الإسلامية الإيرانية في زمن «الدفاع المقدس»).

[٤] صحيفة الإمام، م. ١٣، ص. ٢٢١، كلمة موجّهة عبر الراديو والتلفزيون بمناسبة بدء العام الدراسي الجديد (١٩٨٠/٩/٢٢).

[٥] صحيفة الإمام، م. ١٦، ص. ١٤٣، كلمة موجّهة إلى الشعب الإيراني والمجاهدين (١٩٨٢/٣/٢٢).

[٦] في ١٩٤٣/١١/٢٨، عقد رؤساء الدول الثلاث، الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفييتي، لقاءات على مدى ثلاثة أيام في سفارة الاتحاد السوفييتي يطهران، عُرفت بـ «لقاء طهران».

[٧] رئيس وزراء بريطانيا آنذاك ونستون تشرشل.

[٨] رئيس الولايات المتحدة آنذاك فرانكلين روزفلت.

[٩] رئيس الاتحاد السوفيتي آنذاك جوزيف ستالين.

[١٠] في «معاهدة غلستان» التي وقعت بين المملكة القاجارية وروسيا القيصرية عام ١٨١٣.

[١١] كتاب وقتى مهتاب گم شد [عندما ضاع القمر]، ذكريات الشهيد علي خوش حفظ.

[١٢] مقتبس من بيتِ شِعر لحافظ الشيرازي.

تَغْطِيَةٌ خَاصَّةٌ:

# الشَّيْخُ التَّسْخِيرِيُّ إِلَى دَارِ الخُلْدِ...

## تَقْرِيرٌ كَامِلٌ بِمُنَاسَبَةِ

## رَحِيلِ رَائِدِ الوِحْدَةِ وَالتَّقْرِيبِ بَيْنَ المَذَاهِبِ

## آيَةُ اللهِ الشَّيْخُ مُحَمَّد عَلِيّ التَّسْخِيرِيّ

## المحور الأول:

# البيانات

- الشخصيات الدينية والسياسية
- الجهات الرسمية والدينية
- مؤتمر بيروت

# الشَّيخُ التَّسخيريُّ إلى دارِ الخُلدِ...



## آية الله العظمى الإمام السيد علي الخامنئي

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

تلقّينا ببالغ الأسى والحزن نبأ رحيل العالم المجاهد، ولسان الإسلام والتشيّع الناطق، سماحة حجّة الإسلام والمسلمين الحاج الشيخ محمّد علي التسخيري (رحمة الله عليه) عن هذه الدنيا الفانية. إنّ سجلّ هذه الهامة المقاومة التي لا تعرف الكلل لامعٌ بالفعل فيما يخصّ أنواع الخدمات البارزة في المحافل الإسلاميّة العالميّة. كما أنّ إرادة سماحته الراسخة وقلبه المغمور بالدوافع تفوّقا على عجزه الجسديّ خلال الأعوام الأخيرة، ودفعا باتّجاه مواصلة مشاركته الفاعلة والمباركة في أيّ نقطة ضروريّة ومفيدة. إنّ مسؤوليّات وخدمات سماحته داخل البلد هي أيضاً فصلٌ آخر وقيّم من جهود هذا العالم الفاضل والمسؤول.

إنّني أتقدّم من عائلة وأقارب سماحته المكرّمين، وأيضاً من جميع زملائه وأصدقائه بأسمى آيات العزاء، سائلاً الله عزّوجل له الرّحمة والمغفرة والرّضوان.



## آية الله العظمى السيد كاظم الحسيني الحائري:

### «الراحل آية الله التسخيري كان عاملاً مخلصاً لخدمة الإسلام»

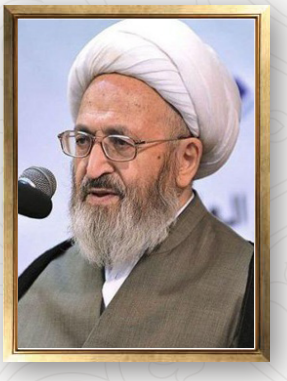
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾. البقرة: ١٥٥–١٥٧.

مــرّة أُخرى يتجدّد حزني ويخيّم الألم على قلبي بفقد حبيب آخر من الأحبّة، فقد تلقّيت بمزيد من الحزن والأسى نبأ رحيل أخي وزميلي آية الله الشيخ محمد علي التسخيري رحمه الله الذي عرفته منذ عقود من الزمن، إلى بارئه تاركاً وراءه قلوباً مكلومة، وعيوناً مقروحة، ونفوســاً مفجوعة برحيله، لقد كان فقيدنا الراحل تلميذاً باراً ووفيّاً لأســتاذه الشهيد آية الله العظمى الســيّد محمّد باقر الصدر قدس سره، وعاملاً مخلصاً لخدمة الإسلام ونشر الثقافة الإســلامية الأصيلة في مختلف بلدان العالم، وجندياً وفيّاً للقيادة الشرعيّة في الجمهوريّة الإسلاميّة، وداعية للتقريب بين المسلمين، وأباً حنوناً يرعى العاملين للإسلام.

وإنّني بهذه المناسبة الأليمة أرفع خالص تعازيي إلى إمامنا الحجّة المنتظر عجل الله فرجه وإلى قائد الأُمّة الإسلاميّة سماحة آية الله العظمى السيّد علي الخامنئي (دام ظله) وإلى أُسرته الكريمة وإلى كافّة محبّيه، سائلاً المولى القدير (جلّ شأنه) أن يتغمّده بواسع رحمته، وأن يجزيه عن الإسلام وأهله خير جزاء المحسنين، ويلهم ذويه الصبر والتسليم لأمره سبحانه وتعالى، ويجزل لهم الأجر والعطاء، إنّه سميع مجيب، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم.

# الشَّيخُ التَّسخيريُّ إلى دارِ الخُلدِ...



**آية الله العظمى الشيخ جعفر السبحاني:**

كان العالم العظيم ، و المحقق البارز، متحدثا بليغا للإسلام والتشيع في اللقاءات العلمية التي تعقد في الداخل والخارج. ودّع المرحوم آية الله الحاج الشيخ محمد علي تسخيري رحمه الله الدار الفانية ووضع غبار الحزن على وجوه الأصدقاء والمعجبين.

كان المرحوم السعيد خريج حوزة النجف الاشرف وكان يعتبر من أبرز تلاميذ الشهيد الصدر ﷺ، وكان له مكانة في قلوب الفضلاء الحوزويين وشباب العراق المتدينين ، ولذلك سجنه النظام البعثي وتعرض للتعذيب لبعض الوقت، حتى أفرج عنه باهتمام خاص من الإمام الخميني ﷺ ، فقرر مغادرة العراق متجهاً لإيران.

وبعد إقامته في قم استأنف نشاطه العلمي والتاليفي والسياسي ، وعمل لفترة من الوقت رئيس تحرير مجلة «الهدى» لنشر الأفكار الشيعية ، و وسع نشاطه بعد انتصار الثورة وكانت له خدمات قيّمة بتقبله مناصب عديدة و زياراته المتنوعة.

كان على مستوى عالٍ من الناحية العلمية، لا سيما علم الفقه والأصول الشريف ، وحقق درجة الاجتهاد الذي هو من النعم الإلهية، واستطاع في ظل تفقهه أن يضع آراء فقهاء الشيعة تحت كتاب ابن رشد القرطبي «بداية المجتهد». وانتشر الكتاب على نطاق واسع في الدول العربية ، ومن خلاله انتشر الفقه الشيعي.

وللعزيز الراحل مؤلفات علمية أخرى وردت في سيرته الذاتية وكان له مكانة عظمى في كتابة المقالات العربية وفي مجال الشعر البنّاء.

وكان جديرًا بالثناء في مراعاة المبادئ الأخلاقية والتواضع، ولم يفضّل المناصب والسلطة على الخدمة أبداً. فإن رحيل مثل هذا العالم الخادم ليس موت شخص واحد:

وما كان قيس هلكه هلك واحد
ولكنّه بنيان قوم تهدم

فسلام الله عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حيّاً.



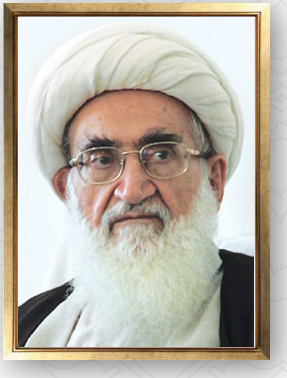
### آية الله العظمى السيد علوى گركاني:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

تلقّينا ببالغ الأسى والحزن نبأ وفاة العلامة المجاهد آية الله الحاج الشيخ محمد علي التسخيري، والذي قضى حياته المشرفة في خدمة الإسلام وتقريب الأديان الإسلامية ومدرسة أهل البيت عليهم السلام.

إن جهود هذا العالم الكبير في تقريب الأديان الإسلامية وشرح تعاليم أهل البيت عليهم السلام وكتابة أعمال ومقالات مختلفة في مجال الشؤون الدينية لهي خدمةٌ لا تُنسى.

أقدم التعازي الأولى للإمام الزمان عجل الله فرجه وكذلك المرشد الأعلى والمراجع العظام، ولأهل الفقيد، وأسأل الله تعالى أن يرفعه إلى أعلى المراتب.



### آية الله العظمى الشيخ نوري الهمداني:

إن هذا الشخص البارز استطاع أن يدافع عن حقوق وقدسية أهل البيت من العصمة والطهارة عليهم السلام بعلمه وحكمته ورصانة وخصائص أخلاقية كثيرة أخرى ، ومن خلال خلق التقارب بين الأديان الإسلامية ، وشرعية الإسلام النقي. أعرض للعالم.

إن جهود آية الله الحاج الشيخ محمد علي التسخيري وخدماته القيمة في شتى المجالات داخل العقول وخارجها لن تختفي من أذهان الناس بصدق واجتهاد وجه وحيوية. .

# الشَّيخُ التَّسخيريُّ إلى دارِ الخُلدِ...



**الشيخ آية الله صادق آملي لاريجاني / رئيس مجمع تشخيص مصلحة النظام**

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا لله وإنا إليه راجعون

تلقّينا ببالغ الأسى والحزن نبأ رحيل العالم المجاهد آية الله الحاج الشيخ محمد علي التسخيري ، المستشار الأعلى للمرشد الأعلى للثورة الإسلامية وعضو مجلس خبراء القيادة المحترم.

وأتقدم بأحر التعازي للمرشد الأعلى، وللعلماء، ولعائلته الكريمة على هذه الخسارة، وأسأل الله العلي القدير أنْ يفيض على الفقيد السعيد من رحمته الواسعة، والصبر والثواب العظيم لأهل بيته.



**آية الله الشيخ أحمد جنتي / رئيس مجلس خبراء القيادة :**

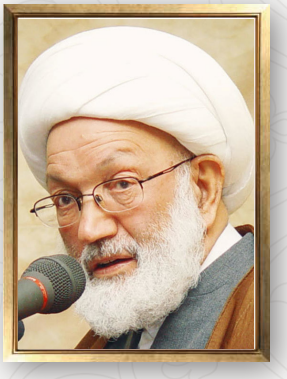
بسم الله الرحمن الرحيم

إنا لله وإنا إليه راجعون

تلقّينا ببالغ الأسى والحزن نبأ وفاة المغفور له آية الله الحاج الشيخ محمد علي التسخيري «رضوان الله عليه»

هذا العالم الرّباني ، بالإضافة إلى كونه عضوًا فعالًا في مجلس خبراء القيادة ، فقد أمضى سنوات عديدة من حياته الشريفة في التقريب بين الأديان الإسلامية وتعزيز تعاليم أئمة الهدى عليهم السلام ، وكان بحق من خدام الدين الشرفاء.

أقدم التعازي في فقدان هذا العالم المؤسف لجناب المرشد الأعلى للثورة الإمام الخامنئي وأعضاء مجلس الخبراء والعلماء والحوزات وعائلته ، وعشية أيام الحداد على سيد الشهداء عليه السلام أسأل الله عز وجل أن يحشر الراحل في القيامة مع القديسين والأبرار ، وأن يخلف على أهله بالصبر والثواب العظيم.



## آية الله الشيخ عيسى قاسم:

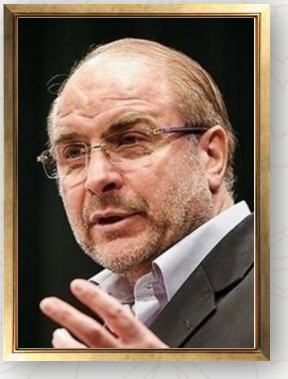
بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

إنّا لله وإنّا إليه راجعون

التعازي الصادقة بمناسبة فَقْد الأمة لسماحة آية الله الشيخ محمد علي التسخيري الذي قضى عمراً مباركاً في خدمة الإسلام والمسلمين، لولي العصر الحجة بن الحسن "أرواحنا فداه وعجل الله فرجه"، وإلى الفقهاء والعلماء والمجاهدين الصادقين المخلصين من رجال الأمة، وإلى أسرته الكريمة وكل المؤمنين.

وجبر الله خسارة الدين والأمة بفقده، فلقد كان عالماً عاملاً مجاهداً مثالاً في حب الحق والفداء من أجله. كان كبيراً حقاً في عقله وإيمانه وخلقه وجدّه في الخير وصدقه وصلاحه وإصلاحه.

رحمه الله وأراه في قبره وبرزخه وبعثه وحشره وكل آخرته ما تقرّ به عينه، وجَمَع بينه في مجلس الأنس والسرور وبين محمد وآله الطيبين.



## رئيس البرلمان الايراني محمد باقر قاليباف:

عزى رئيس مجلس الشورى الاسلامي الايراني محمد باقر قاليباف في برقية بوفاة كبير مستشاري قائد الثورة الاسلامية لشؤون العالم الاسلامي والامين العام الاسبق للمجمع الدولي للتقريب بين المذاهب الاسلامية آية الله محمد علي التسخيري.

وجاء نص برقية العزاء لرئيس مجلس الشورى الإسلامي ان رحيل الفقيد اية الله محمد علي التسخيري كبير مستشاري قائد الثورة الاسلامية لشون العالم الاسلامي وعضو مجلس خبراء القيادة مدعاة للاسف والتالم.

# الشَّيخُ التَّسخيريُّ إلى دارِ الخُلدِ...



**رئيس مجلس النواب اللبناني نبيه البري:**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

«الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون» صدق الله العظيم

سماحة المرشـــد الاعلى للثورة الاسلامية الايرانية آية الله السيد علي الخامنئي حفظكم المولى.

ببالغ التسليم بقضاء الله تبلغنا خبر رحيل مستشار سماحتكم لشؤون العالم الإسلامي، رئيس المجلس الأعلى للتقريب بين المذاهب الإسلامية العالم الرباني الحجة الشيخ محمد علي التسخيري الذي عرفناه داعية وحدة ولسانا ناطقا بالدعوة الى الاسلام المحمدي الاصيل بالكلمة الطيبة فكان مصداقا لقول نبي الرحمة محمد صل الله عليه وآله وسلم: «والله إنما العلماء كمثل النجوم يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة».

انني بهذه المناسبة اتقدم من سماحتكم ومن الشعب الايراني الشقيق ومن اسرة الراحل الكبير ومن المجلس الاعلى للتقريب بين المذاهب بأحر التعازي سائلا المولى العزيز القدير ان يسكن الراحل الفسيح من جنانه ويلهمنا واياكم جميل الصبر والسلوان.

وانا لله وانا اليه راجعون.

رئيس مجلس النواب اللبناني

نبيه بري



**العلامة السيد علي فضل الله:**

(إذا مات العالم ثُلم في الإسلام ثَلمة لا يسدّها شيء إلى يوم القيامة)

ببالغ الأسى والحزن والتسليم بقضاء الله تعالى، تلقّينا نبأ وفاة سماحة آية الله الشيخ محمد علي التسخيري ، هذا العالم الجليل الذي عاش حياته كلها في خدمة الإسلام والمسلمين، وعاش هم الوحدة الإسلامية وعمل على تأصليها وتعزيزها والدعوة إليها في وجه كل دعاة الفرقة والتعصب وكان من الشخصيات الحركية التي واكبت فكر المرجع السيد فضل الله ووقفت معه ودافعت عن صورة الإسلام المشرق في مواجهة كل محاولات التشويه..

إننا في الوقت الذي نشعر فيه بألم الخسارة لرحيله نحتسبه في ركب العلماء الكبار الذين حملوا الهم الإسلامي والوحدوي والقضايا الكبرى في مواجهة التحديات والفتن التي عصفت بالواقع الإسلامي.

أسأل الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته ويسكنه الفسيح من جنته ويلهمنا جميعاً الصبر وعظيم الأجر.



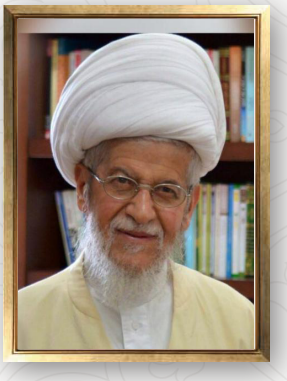
**الرئيس الإيراني الدكتور حسن روحاني:**

أصدر رئيس الجمهورية الاسلامية الايرانية حجة الإسلام الشيخ الدكتور حسن روحاني، بيانا اليوم الثلاثاء، عزى فيه برحيل الأمين العام الفقيد للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، آية الله محمد علي التسخيري.

وصرح روحاني في بيانه: تلقينا ببالغ الحزن والأسى نبأ رحيل العالم الورع، الأمين العام الفقيد للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية والعضو السابق في مجلس خبراء القيادة ومستشار قائد الثورة الإسلامية في شؤون العالم الاسلامي، آية الله محمد علي التسخيري.

وجاء في جانب من البيان: «كان رجل الدين الفاضل، آية الله التسخيري، من رواد وحدة الأمة الإسلامية في العالم الإسلامي واللسان الناطق عن أهل البيت عليهم السلام، الذي كرس سنوات طويلة من حياته المباركة على تبليغ المعارف الدينية، والتقريب بين المذاهب الإسلامية، والتواصل المستمر مع نخب العالم الإسلامي وترك وراءه سجلا علميا ناصعا».

# الشَّيخُ التَّسخِيريُّ إلى دارِ الخُلدِ...



**العلامة الشيخ عفيف النابلسي:**

بكامل الحزن والأسى، ومنتهى التسليم بقضاء الله وقدره، ارتحل أخي وصديقي العالم والمجاهد سماحة آية الله الشيخ محمد علي التسخيري وقد تزمل بثوب الاستقامة والتقوى، متحملا أثقال الدعوة إلى الله وأعباء حمل التكاليف القاسية . فأظهر في مهامه كلها حضورا نورانيا وورعا شديدا وصبرا جميلا، ملتزما الأدب والأخلاق الربانية في سيرته، والحكمة في التعامل مع محن المسلمين وقضاياهم الملتبسة. فكان بحق حارسا من حراس الإسلام، وجنديا من جنود الثورة المباركة. ودودا مع إخوانه، حليما مع خصومه، شجاعا في وجه أعداء الله.

ارتحل رجل الفهم والإدراك، ورجل الاختصاص والخبرة، ورجل الجهاد في سبيل الله، المحاور الهادىء صاحب البيان والحجة الدامغة وهو نقي السريرة، سليم المسيرة، المتيقظ الدائم لفتن ومكائد الأعداء، المعين والمساند الدائم لكل تجمع علمائي يدعو إلى الوحدة والتفاهم بين المسلمين.

وتوجه النابلسي بالعزاء إلى الإمام السيد علي الخامنئي وقيادة الجمهورية الإسلامية الإيرانية وأهل الفقيد الكبير وأولاده وإخوته لاسيما الشيخ الدكتور محمد مهدي التسخيري وإلى كل محبيه وعارفيه.



**مفتي حلب الشيخ د. محمود عكام:**

عزى مفتي حلب العلامة الشيخ د. محمود عكام بوفاة رئيس المجلس الاعلى لمجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية آية الله محمد علي التسخيري.

وجاء في البيان الصادر عن مفتي حلب العلامة الشيخ د. محمود عكام: "لن أزيدَ على وصفي له بالإنســـان، والإنسان عندي ركنان: عقلٌ وعدل؛ وإنهما لمتوافران في فقيدنا حتى الحدود العليا، ولا داعي لوصف عقله بالراجح، أو عدله بالرائع، ما دمتُ قد اعترفتُ بقيامهما فيه، فاللفظ إذا أُطلق دلّ على الفرد الكامل في جنسه".

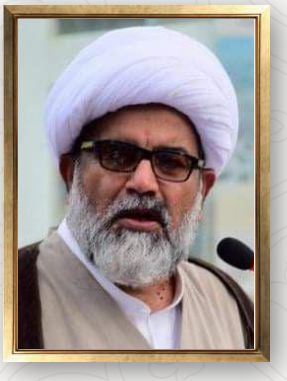
واضاف البيان: "أيها الإنســـان الراقي، العادل العاقل: طِبْتَ حيّاً إذ قدّمتَ الكثير لإنسان يَنْشُدُ حصانةَ إنسانيته ورُشدَها وكمالها.

وطِبْتَ مَيْتاً وأنت تلتحق بالرَكب الأطهر من عالم الإنسان.

وســـتبقى قيمةَ خيرٍ وصلاح وإصلاح يســـتلهم منها الباحثون عن حضارة الإسلام، يبغونها واقعاً وحقيقةً قائمة".

وتابع: "اذكرنا عند ربك جلّ شأنه، واذكر ساعاتٍ قضيناها معاً تحت ظلال عقلك وعدلك وعرفانك وأدبك ولطفك".

# الشَّيخُ التَّسخِيريُّ إلى دارِ الخُلدِ...



**العلامة الشيخ راجا ناصر عباس جعفري / أمين عام حزب مجلس وحدة المسلمين باكستان**

وفي برقية تعزية قدم العلامة عباس جعفري تعازيه بوفاة آية الله محمد علي التسخيري الذي توفي اليوم الثلاثاء عن عمر ناهز ٧٦ عاما بسبب نوبة قلبية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون) صدق الله العلي العظيم

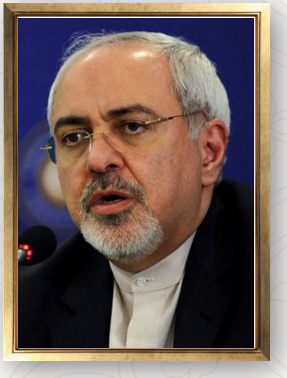
تلقينا بأسف ببالغ الحزن والأسى خبر رحيل آية الله محمد علي التسخيري(قدس سره) رئيس المجلس الاعلى للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ومستشار قائد الثورة الاسلامية في شؤون العالم الاسلامي والذي قضى عمراً طويلاً في خدمة الدين الحنيف ومذهب أهل البيت عليهم السلام وقد بذل رحمه الله جهداً كبيراً في التأليف والتدريس و تربية أهل العلم في الحوزات العلمية، وكان يعد من الشخصيات الإسلامية الداعية للتوفيق والتقريب بين السنة والشيعة ومناهضة التكفير.

إذ نتقدم بأحر التعازي بهذا المصاب الجلل إلى الإمام العصر –عجل الله فرجه الشريف– ومراجع الدين العظام –دام ظلهم– وقائدنا العزيز –دام ظله الوارف سماحة الامام الخامنئي — وجميع أسرة الفقيد المحترمة، وجميع ذويه، سائلين العلي القدير أن يحشره مع محمد (ص) وآله الطاهرين عليهم السلام، وأن يلهم ذويه ومحبيه الأجر الجزيل والصبر الجميل.



**الشيخ سميح عثامنة :**

أصدر المحكم الأردني البارز للمسابقات الدولية للقرآن، «الشيخ الدكتور سميح خالد أحمد عثامنة» بيان تعزية بمناسبة وفاة آية الله التسخيري جاء فيه: «نعزيكم بوفاة الامام العلامة اية الله الشيخ محمد علي تسخيري رئيس المجلس الأعلى للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية صاحب اليد الطولى و عبر عقود و هو يسعى بكل جد و اخلاص و نشاط للعمل على و حدة الامة الإسلامية على الرغم من المعوقات المفتعلة التي كان يقف في وجهها بكل صدق و تفان ... رحمه الله تعالى رحمة واسعة و غفر له وأسكنه فسيح جناته و انا لله وانا اليه راجعون و لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ...عظم الله أجوركم جميعا.



**وزير الخارجية الايراني جواد ظريف:**

أعرب وزير الخارجية الايراني محمد جواد ظريف عن تعازيه بوفاة مستشار قائد الثورة الاسلامية لشؤون العالم الاسلامي آية الله محمد علي تسخيري.

وفي بيان تعزية بوفاة رئيس المجلس الاعلى للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية، قال ظريف: ان رحيل هذه الشخصية المتميزة والبارزة والمثابرة في العالم الإسلامي الذي قضى حياته المباركة في الترويج للإسلام وترسيخ الثورة والجمهورية الإسلامية ونشر العلوم والتنوير الديني، وخاصة جهوده المخلصة في المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ومنظمة التعاون الاسلامي ومجمع الفقه الاسلامي، في تعزيز الوحدة والتقريب بين الامة الاسلامية، والتعريف الصحيح لمدرسة اهل بيت العصمة والطهارة (عليهم السلام) والمذهب الشيعي ومواجهة فتن الأعداء لإحداث شرخ في العالم الإسلامي والتشاور مع قائد الثورة في شؤون العالم الإسلامي، قد احدث فراغا عميقا للمستفيدين من وجود هذا العالم الكبير والحوزات الدينية والمهتمين بوحدة العالم الإسلامي.

ودعا الباري تعالى ان يتغمد الفقيد برحمته الواسعة، وأن يلهم ذويه ومحبيه الصبر والسلوان.

# الشَّيخُ التَّسخيريُّ إلى دارِ الخُلدِ...



## نوري المالكي

عزى الأمين العام لحزب الدعوة الإسلامية نوري المالكي في برقية بوفاة كبير مستشاري قائد الثورة الاسلامية لشؤون العالم الاسلامي والامين العام الاسبق للمجمع الدولي للتقريب بين المذاهب الاسلامية آية الله محمد علي تسخيري.

وجاء نص برقية العزاء للأمين العام لحزب الدعوة الإسلامية نوري المالكي: « ببالغ الحزن والألم؛ ننعى أحد رموز الحركة الإسلامية العالمية سماحة آية الله الشيخ محمد علي التسخيري، الذي وافاه الأجل اليوم الثلاثاء، بعد سنوات من المعاناة مع المرض.

ولم تكن هذه المعاناة حائلاً يوماً دون أدائه واجباته الدينية والفكرية والسياسية الكبيرة، والتي تتسع لمساحات واسعة من الجغرافيا الإسلامية، دون أن يكل أو يسمح أن تبين عليه علامات التعب أو التوجع.

واضاف: «لقد كان العلامة المجاهد التسخيري منذ عرفناه، نموذجاً رفيعاً للمجاهد العارف والفقيه العامل والمفكر الدؤوب والقائد الميداني الذي يعيش هموم الإسلام وحركته ومجتمعاته، ويسخر كل طاقاته العلمية والحركية من أجل خدمة الواقع الإسلامي في مختلف الميادين والموضوعات، حتى بات خلال العقود الخمسة الأخيرة أحد العلامات الفارقة في مسيرة الوعي؛ بل أحد روادها، ليس على المستوى الإسلامي الشيعي وحسب؛ بل على المستوى الإسلامي برمته؛ لأن الحركة العالمية للتقريب بين المذاهب الإسلامية وتعميق العلاقة بين علمائها ومفكريها وحركييها، اقترنت باسمه منذ أكثر من ٣٨ عاماً، وستبقى لأعوام طويلة.

وجاء في البيان: «إذ نتحدث عن فاجعة رحيل العلامة التسخيري؛ فإن القلب يعتصر حزناً وألماً؛ لأنني على المستوى الشخصي، فقدت أخاً كبيراً وصديقاً صدوقاً وناصحاً مخلصاً وسنداً نادر الوفاء، بقي حريصاً بشدة على أداء واجب الأخوة والصداقة طيلة أربعة عقود من الزمن، دون انقطاع.

ختاما قال الأمين العام لحزب الدعوة الإسلامية: «بهذه الفاجعة الأليمة نعزي الشعبين الإيراني والعراقي، وحركتيهما المجاهدتين، والحوزتين العلميتين في النجف وقم، والمراجع العظام، والأمة الإسلامية التي فقدت أحد أعلامها وقادتها. وقبل ذلك نعزي أنفسنا وأسرة الراحل الكريمة.



### آية الله الشيخ عبد الأمير قبلان:

نعى رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان، آية الله الشيخ عبد الأمير قبلان، في بيان، الى المسلمين عموما واللبنانيين خصوصا،» فقيد العلم والعلماء المستشار الأعلى لسماحة اية الله العظمى السيد علي الخامنئي لشؤون العالم الإسلامي والرئيس الأسبق للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية آية الله الشيخ محمد علي التسخيري، عن عمر شريف ناهز ٧٦ عاما قضى معظمه في خدمة الدين الحنيف ودعم القضايا المحقة للشعوب المستضعفة، واسهم الراحل الكبير في نهضة الامة وترسيخ وحدتها وتعزيز مسيرة التقريب بين المذاهب الاسلامية».

أضاف: «لقد فقدنا برحيله اخا عزيزا تشاركنا معه العمل في المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية فعرفناه صاحب همة عالية في خدمة الإسلام ونشر تعاليمه ونصرة قضاياه المحقة ولاسيما القضية الفلسطينية».

وختم الشيخ قبلان:» كان الراحل الكبير مثال العالم الرسالي الذي تفانى في خدمة الجمهورية الإسلامية الإيرانية من خلال المواقع القيادية التي تسلمها في مسيرته الجهادية الحافلة بالعطاءات، ولقد أغنى المكتبة الإسلامية بأبحاثه ومؤلفاته التي اشتملت حقول المعرفة والعقيدة، وخسرت الحوزات والمراكز الدينية برحيله عالما جليلا واستاذا باحثا اسهم في تأسيس الحوزات الدينية وتخرج على يديه جمع من العلماء الفضلاء.

# الشَّيخُ التَّسخيريُّ إلى دارِ الخُلدِ...



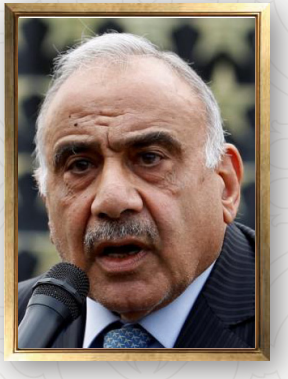
## السيد عمار الحكيم

عزى رئيس تحالف عراقيون السيد عمار الحكيم، اليوم الثلاثاء، بوفاة رئيس المجلس الاعلى للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية آية الله الشيخ محمد علي التسخيري.

وقال السيد الحكيم في بيان : إنه «بمزيد من الحزن والأسى ننعى علما من اعلام الحوزة العلمية المباركة سماحة آية الله المرحوم الشيخ محمد علي التسخيري «قدس سره الشريف» رئيس المجلس الأعلى للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية».

واضاف السيد الحكيم ان «الفقيد من الشخصيات الإسلامية الراعية للتقريب بين المذاهب الإسلامية ومناهضة التكفير داخل إطار العالم الإسلامي بمذاهبه المتعددة».

متابعاً: «وبهذا المصاب الجلل نتقدم الى الجمهورية الاسلامية قيادة وحكومة وشعبا سيما اسرة ومتعلقي الفقيد بالعزاء والمواساة سائلين العلي القدير ان يتغمده بواسع رحمته ويسكنه فسيح جناته»



## عادل عبد المهدي :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ صدق الله العلي العظيم.

بعد حياة جهادية حافلة وانجازات علمية وفكرية طويلة لبى نداء ربه العالم الجليل اية الله الشيخ محمد علي التسخيري طاب ثراه وانتقل عن هذه الدنيا الفانية الى دار المستقر وجنان الخلد ان شاء الله.

كان الفقيد في مقدمة المقارعين لمظالم النظام الصدامي قبل ان يضطر للمغادرة الى الجمهورية الإسلامية، وهناك ايضا تحمل مسؤوليات جهادية وعلمية وفكرية كبيرة، بل تحمل مسؤوليات اوسع من خلال تنظيمه المؤتمرات العالمية وحضوره المحافل الدولية ودعم ونشر آلاف الادبيات الاسلامية وبشتى اللغات للدفاع عن الإسلام الملتزم ونشر الآراء الصلبة التنويرية ورد التهم والشبهات.

فكان صوتا مدويا للتقريب بين المذاهب وللدفاع عن وحدة المسلمين وقضاياهم العادلة.

فتغمد الله روحه الطاهرة برحمته الواسعة. انا لله وانا اليه راجعون.



**المفكر المغربي إدريس هاني:**

عرفته دمثا وخلوقا ومسؤولا وعميقا، قبل عشرين عاما استقبلني في مكتبه حيث كان رئيسا لرابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية، دار بيننا حديث حضره أعوان من مكتبه، حديث في الثقافة والسياسة كان فيه مختلفا عن الكثير من نظرائه، وتوطّدت العلاقة بيننا حيث شاركنا في ملتقيات عدّة، من القلائل الذين بادلوني وبادلتهم المحبّة من دون مجاملة، لأنه شـــخصية جادة ويدري ما يقول وما يفعل وأخلاقي إلى أبعد الحدود ومتواضع لا يطغى لا في قول ولا في عمل، وهذا هو الصنف الذي أبادله المحبة لأنّني غير مجبور أن أحبّ طاغية، وما أكثرهم.

وفي عدد من مؤتمرات التقريب ومناهضة الإرهاب ومناسبات وطنية أخرى كنت ألاحظ أنه هو هو لا يتغيّر وأخلاقه ثابتة. قال لي في آخر مشوار التقينا فيه إنني أتابعكم جيدا، وكان هذا كلام له تأثير كبير عليّ لسبب بسيط هو أنّني ظننت بعد سنوات من الغياب بأنه سينسى، لقد كانت ذاكرته قوية يتذكر التفاصيل ويتابع، وحينما أتحدث إليه يمنح الكلام أهمية وجدية تترك انطباعا لدى الإنسان بأن للكلمة معنى وليس اللقاء مجرد مجاملة.

أذكر في اللقاء الذي دمعنا في المؤتمر الدولي لمواجهة الإرهاب والتكفير بقم أنني ذهبت لأسلم عليه، وبينما كان يتحدث إليّ جاء أحد من الذين لا يفقه في البروتوكول، وبادر إلى السلام بطريقة مائعة ثم سرعان ما قال لي آمرا: تفضل وخذ لي صورة مع الشيخ، فعلت ذلك، لكن الشيخ تأثر ولما سلمت جهاز التصوير لصاحبه التفت إليّ الشيخ وبخطاب أخلاقي رفيع هامسا: أعتذر منكم كثيرا..نرجو المعذرة كررها ، وفهمت أنه يعتذر من طريقة تعامل المتوحش الذي لا يفقه في البروتوكول والآداب. وعليه، حضر قبل ذلك معنا أشواطا من ملتقيات حول حوار الحضارات، كان حاضرا بمطارحاته إيجابيا في رؤيته متفائلا، ملمّا بما تحتاجه سيكولوجيا الإنسان العربي المقهور، في جلسات جمعت كبار المفكرين العرب من مناحي ومشاريع شتّى.

لا أســـتطيع أن ألمّ بعدد اللقاءات التي كان فيها بمثابة حكيم الوفود، لكنني أذكر آخر مشـــوار جمعني به في لقاء العلماء ومشروع التقريب نظمته وزارة الأوقاف بدمشق، أذكر حين كان الرئيس بشار الأسد قد أنهى حديثا عن التسامح والحوار وحديثه عن الشهيد محمد سعيد رمضان البوطي استلم الكلمة المرحوم الشيخ التسخيري وتحدث عن الحوار في القرآن مقدما رؤية حضارية واضحة عن مفهوم الحوار نالت إعجاب الرئيس والوفد المرافق، وفي كل مرة كان

يتحدث فيها عن الحوار والتقريب لم يكن شيئا جديدا طارئا على قناعاته الأولى، فهو مؤمن بالحوار في الوقت الذي سقط فيه من كانوا يمدحون موقفه حتى ظهرت موجات الفتنة وبيع الذمم.

وأذكر يوم هجم طالبان على الآثار التاريخية استدرج لحوار مفتعل كان القرضاوي يلعب فيه دور مفسد الحفلة والمؤسس لمسار فتنوي جديد، هاجمه بشكل غوغائي حتى أن الشيخ التسخيري سكت مترفّعا لأنه لا يحسن إلاّ ذلك.

يمكن تصنيف المرحوم الشيخ التسخيري في زمرة الوحدويين والتقريبيين الكبار الذين هندسوا لهذا المشروع، هم ناذرين في التاريخ نذرة الكبريت الأحمر، وهو متمم مشروع الشيخ محمد تقي القمّي في دار التقريب بالقاهرة، تذكره عواصم العالم العربي والإسلامي وتذكر خطابه المرمّم للثغور، وظل في ذلك وفيّا لرسالة التقريب حتى بعد أن انكشف الغطاء عن أبالسة الفتنة. أقول مخلصا لأنني شاهد على حديثه في الدوائر الخاصة، إنه يملك خطابا واحدا، واحدا فقط.

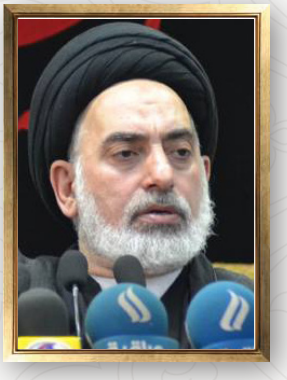
رأيت الشيخ التسخيري ونحن نمشي يكاد يكون وحيدا، الجميع يهرول ويتقدم في الوفود، ولأنه أصبح ضعيف البنية لا يقوى على الحركة كان يتخلف ولا أحد ممن كنت أرمقهم يلتفت إلى هذا الأسلوب و.... في مقدمة الوفود، ....، لكن جيلا ممن يعرف قدر الرجل لا زال يحتفظ له بذكريات رائعة.

بقيت آثاره وأخلاقه وجديته التي قلّ لها نظير في ميدان العمل، كان مقنعا وحيويا وأصدقاؤه من بلاد العالم يذكرونه بسيرته العطرة.

و ختم المفكر الباحث المعاصر المغربي الدكتور ادريس هاني تصريحه : سأبقى مدينا لهذا الرجل في حسن العلاقات والاحترام المتبادل ونوعية الخطاب مصوّبا ومقدّرا ما أقدّمه مما أشعرني بارتياح كبير، نحتاج إلى هذا من الأعلام والطيبين لأنّه يرفع المعنويات في سياق حاد مليئ بالإحباط وسوء التقدير وغياب الوفاء، أهنّؤه على صبره في طريق التقريب على الرغم من المواجع والصدمات والإحباطات، ذلك لأنه آمن بالوحدة والتقريب بينما الكثيرون هم مجرد راكبي موجة التقريب، بعضهم مجرد انتهازيين، وكان رأيي فيهم كما لا أخفيه أنّهم لن ينفعوا على طريق التقريب، وبأنّ هذا المشروع يتطلب انقلابا في الرؤية والمنهاج.

كان رحمه الله من بين من جعلوني أقتنع برسالة التقريب بشكل مقنع وحيوي وجاد، كان جادّا رحمه الله ويحمل مشروعا متكاملا، وها قد ودّعنا والعالم العربي على حافة انفجار فتنوي لعب فيه أذناب الإمبريالية والإرهاب الوهّابي دورا كبيرا وممنهجا.

نم قرير العين أيها المجاهد السمح الودود، قدمت الإسلام كبيرا في متاهة التصاغر بالخطاب، رفعته إلى مقام دين الوحدة والعمران ولاهوت التحرير والنهضة والتحرر والتسامح والمفهوم الحضاري، أخلصت للوحدة ولمصير العالم الإسلامي وحملت همّ فقئ عين الفتنة. كنت رائعا في القول والعمل، ستظلّ حاضرا بيننا، والعزاء لأهلك وأصدقائك وأحبّائك، وإنا لله وإنا إليه راجعون..



## صدرالدين القبانجي

بسم الله الرحمن الرحيم

انا لله وانا اليه راجعون

تلقينا باســـى بالغ نبا ارتحال العلامة الكبير الحجة المجاهد اية الله الشـــيخ محمد علي التسخيري تغمده الله بوافر رحمته .

لقد كان علما من اعلام الاسلام , وحجة من حجج الفكر , ورائدا من رواد الوحدة والتقريب.

لقد ترك في مختلف بقاع العالم الاسلامي اثرا بالغا في توحيد الامة الاسلامية وهمومها الى جانب عطائه العلمي الثر في مختلف مجالات الفكر الاسلامي.

لقد شهد المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية على عهده حراكا واسعا وتواصلا كبيرا مع علماء الاسلام من كل المذاهب, هذا كله الى جانب ماكان يتمتع به رحمه الله من دماثة خلق رفيع وصدر وسيع وجد لايعرف الكلل وجهد لايعرف الملل.

فالى رحمة الله ورضوانه , والحشر في جنانه مع محمد واله الطاهرين

# الشَّيخُ التَّسخِيريُّ إلى دارِ الخُلدِ . . .



**وزير الأوقاف د. محمد عبد الستار السيد**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سماحة الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في ايران

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه أجمعين .

قال الله تعالى : (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) صدق الله العلي العظيم، سورة البقرة (١٥٥)

عندما نؤمن أنّ الموت حق تنفتح أمامنا أبواب الرحمة والخلاص الروحي ونجد في تسليمنا بقضاء الله تعالى وقدره طمأنينة الإيمان ونستروح نسائم جنته عبقاً يحمل الى نفوسنا راحة العزاء والسلوان .

بمزيد من اللوعة والأسى تلقينا نبأ وفاة العلامة الجليل العارف بالله العالم، العابد، الزاهد، المجاهد سماحة آية الله الشيخ محمد علي التسخيري (رحمه الله ).

الذي كان علماً من أعلام هذه الأمة ورمزاً من رموزها، ذلك القلب العملاق الذي أشرق نوراً ويقيناً وعشقاً، وتلك الروح السامية التي تجسدت القاً واشراقاً وسمواً، وذلك العقل الفذ نبوغاً وشموخاً واقتداراً، وذلك الإيمان المتجسم صدقاً وعرفاناً ورسوخاً .

لقد أعطى (رحمه الله) للكلمة عمقاً في المعنى وامتداداً في الحياة وحركة في الواقع لأنه كان مؤمناً أن الإسلام رسالة للحياة والكون والإنسان، لقد جسّد بحركته الفكر والخط لأنه عاش الإسلام وعياً وحركةً وعياً في خط المسؤولية وحركة في خط العدل .

رحم الله تعالى العلامة الجليل وأسكنه فسيح جناته وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان إنا لله وإنا إليه راجعون .

دمشق في ٢٨ ذو الحجة ١٤٤١ هـ الموافق لـ ١٨ آب ٢٠٢٠ م



### اتحادالعلماءالمسلمين

تقــدم اتحاد علماء المســلمين في العراق بأحر التعازي من الامام الســيد علي الخامنئــي (دام ظله) ومراجعنا العظام والحــوزات العلمية وذويه الكرام برحيل آية الله الشيخ محمد علي التسخيري (طيب الله ثراه).

وفي بيان، قال اتحاد العلماء أنه «لقد رحل آية الله الشــيخ التســخيري ليحل في واســع رحمة الله راضياً مرضياً»، لافتين إلى أنه «كان فريداً في وعيه ، ثاقباً في بصيرته، يحكي جوانب مضيئة من إشــراقات أُســتاذه الامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر (قدس ســره) ، واســعاً في رؤيته لكل المسلمين ، مثابراً لتوحيد صفهم وتقريب مذاهبهم، رحّالة في علمه وهديه لأغلب حواضر المسلمين وبلادهم المترامية ، رائداً من روّاد الحركة الاسلامية ، وكان العراق و شعبه في سويداء قلبه».

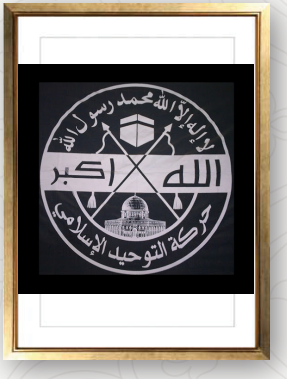
كما أضاف البيان أن الشيخ التسخيري عشق الامام الخميني (قدس سره) ، ونذر نفسه لنصرة الثورة الإسلامية ، وترسيخ أسس نظامها الإلهي .. حتى وجد فيه آية الله العظمى الامام السيد الخامنئي (دام ظله) النموذج الأمثل للمستشار الأعلى لسماحته في الشؤون الدولية.




**جماعة علماء العراق:**

أصدرت جماعة علماء العراق بيان تعزية بمناسبة وفاة آية الله الشيخ التسخيري جاء فيه: "بقلوب مؤمنة بقضاء الله و قدره و بقلوب مليئة بالحزن تنعى مؤسسة جماعة علماء العراق ورئيسها سماحة الشيخ الدكتور خالد الملا وأعضائها في جميع مكاتب العراق وتتقدم بأصدق التعازى القلبية و عظيم المواساة إلى العالم الإسلامي عامة و المراجع العظام في كل مكان وخصوصاً سماحة آية الله السيد علي الحسيني الخامنئي المرشد الأعلى للثورة الإسلامية بوفاة سماحة آية الله الشيخ محمد علي التسخيري، الأمين العام الأسبق للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب و مستشار المرشد الأعلى في شؤون العالم الإسلامي، و نعبر عن بالغ حزننا و أسفنا لهذا المصاب الأليم، تغمد الله الفقيد بواسع مغفرته و أن ينزل عليه رحمته و أن يلهم أهله و ذويه جميل الصبر و السلوان، و يسكنه فسيح جناته مع الأنبياء و الصديقين و الشهداء و الصالحين وحسن أولئك ".

واضاف ان الفقيد كان عالما كبيرا ومن الوجوه العلمية والثقافية المعروفة ومن اهل الحكمة في العالم الإسلامي والذي بذل جهودا كبيرة دوما على صعيد تبيين آراء الشيعة والفقه الإسلامي وكذلك خلق التفاهم والتعاطف بين المسلمين وان نتاجات جهوده قد تجلت في جمعية الفقه الإسلامي والمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية ومركز الاديان للدراسات والابحاث.




### حركة التوحيد الاسلامي في لبنان

وأبرق مجلس أمناء «حركة التوحيد الإسلامي» في لبنان إلى السيد علي الخامنئي ومجمع التقريب بين المذاهب في الجمهورية الإسلامية في إيران، مقدما التعازي بوفاة آية الله محمد علي التسخيري، ومما جاء في البرقية: «فقدت الأمة برحيل رئيس المجلس الأعلى لمجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية، ومستشار قائد الثورة الإسلامية في شؤون العالم الاسلامي، آية الله محمد علي تسخيري رحمه الله أحد العلماء الأجلاء والدعاة الأفاضل.

لقد كان رضوان الله عليه ممن حق القول فيهم «العلماء ورثة الأنبياء» فهو المفكر العظيم صاحب العقل الراجح والروح الطيبة، وإننا إذ نتقدم من السيد الخامنئي ومن مجمع التقريب بأحر التعازي، نستذكر رحيل عالم كان له أثر عظيم وفعال في طريق الوحدة الاسلامية منذ عقود، وقد قيل «موت العالم ثلمة في الإسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار».

# الشَّيخُ التَّسخِيريُّ إلى دارِ الخُلدِ...




**بيان تعزية صادر عن حزب الله:**

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا لله و إنا اليه راجعون

بعد جهاد طويل ومسيرة زاخرة بالعطاء والإنجازات الكبيرة غادر سماحة آية الله الشيخ محمد علي التسخيري دنيانا الفانية إلى المقر الأبدي وفي يمينه كتاب مليء علماً وعملاً وجهوداً وأخلاقاً ووفاءً وتضحيةً وهجرةً مستمرة في سبيل الله، وهو الذي كان ومنذ عشرات السنين في كل تأسيس للوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب الإسلامية والتقارب والتعاون بين مسلمي العالم سواءً على مستوى الأطر القيادية أو التجمعات العلمائية أو المؤتمرات والدراسات والأبحاث والحوارات والتأليف والعلاقات المباشرة وكذلك كان علماً من أعلام محور المقاومة فكراً وثقافةً وتعبئةً وموقفاً صلبًا.

كان سماحة آية الله التسخيري مثالاً للعالم المجاهد الذي يعمل ليل نهار، لم يقعده المرض ولم ينل منه التعب حتى آخر دقيقة من عمره الشريف.

إننا في حزب الله والذين كان لنا شرف الأخوة والصداقة والعمل المشترك مع الراحل الكبير نتقدم من سماحة الإمام الخامنئي دام ظله ومن مراجعنا الكرام حفظهم المولى ومن الحوزات العلمية وبالخصوص من عائلته الشريفة فردًا فردًا بأحر التعازي ومشاعر المواساة لفقد هذا العزيز الغالي ونسأل الله تعالى لهم جميعًا الصبر والسلوان ولسماحة الراحل الكبير الرحمة وعلو الدرجات.

حزب الله

### تعزية البطريركية المارونية

"ان البطريركية المارونية تتوجه بالتعزية الحارة الى سعادة السفير الايراني في لبنان والى طاقم السفارة بوفاة سماحة العلامة الشيخ محمد علي التسخيري، الذي نخسر بغيابه وجها طيّبا من وجوه الحوار والانفتاح والتقريب ليس فقط بين المذاهب الاسلامية انما بين الاديان كافة.

رحمه الله وعوّض عن غيابه برجال دين وعطاء ينشرون ثقافة الاخاء والحوار.

### تجمع العلماء:

عزى تجمع العلماء المسلمين آية الله العظمى الإمام السيد علي الخامنائي والمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية برحيل آية الله الشيخ محمد علي التسخيري بعد عمر زاخر بالجهاد والعمل المتواصل في خدمة الإسلام والمسلمين خاصة في مجال الدعوة للإسلام المحمدي الأصيل والوحدة الإسلامية.

التجمع وفي بيان التعزية أكد أن الشيخ التسخيري كان مثالاً للعالم الذي لا يهدأ ولا يُقعده حتى المرض الذي ألم به عن التطواف في بلاد المسلمين داعياً إياهم للوحدة، ومركزاً على أن عدو الأمة الإسلامية المتمثل بالشيطان الأكبر أميركا هو الذي يسعى إلى تفرقتهم وبعثرة جهودهم خدمة لبقاء الكيان الصهيوني وإطالة أمد بقائه.

واسترجع التجمع ذكرياته مع الراحل واللقاءات العملية الكثيرة، موضحاً أنه تم توقيع اتفاق تعاون مشترك بينهما ومع المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، والذي أنتج لاحقاً عملاً مشتركا لسنوات طويلة وساهم في تأسيس الاتحاد العالمي لعلماء المقاومة والذي كان الراحل ضمن هيئة رئاسته.

# الشَّيخُ التَّسخِيريُّ إلى دارِ الخُلدِ...




**رابطة التبليغ الإسلامي في السويد**

(اللهمَّ صلِّ على محمَّدٍ وآل محمَّد وعجِّل فرجهم)

قال تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء}

ببالغ الحزن والأسى تلقينا في رابطة التبليغ الإسلامي نبأ رحيل رجل التقريب الكبير (آية الله الشيخ محمد علي التسخيري) عن عمر بلغ ٧٦ سنة، قضاها في الجهاد العلمي والثقافي والسياسي. فلم يترك مجالا يستطيع فيه إيصال دعوته الى وحدة المسلمين وعزّتهم وكرامتهم ومقارعة خصومهم الاّ ودخله بكل شهامة وشجاعة وإصرار.

مسلِّمين لمشيئة الله تعالى.

أن الفراغ الذي يحدثه افتقادنا لمثل هذه الشخصيات الكبيرة لا يعوض بشئ. وبه نفهم قول أمير المؤمنين عليه السلام : (إنَّ المؤمن العالَم لأعظم أجراً من الصَّائم القَائم الغَازِي في سبيل الله، فإذا مات انثلَمَت في الإسلام ثلمة لا يسدُّها شيء إلى يوم القيامة).

وإنَّنا إذ ننعاه نُفَاخِر به، لأننا وجدناه قد سَخَّرَ حياتَهُ في سبيل كلمة السّماء وإعلاء راية التوحيد والحرص على تبيان تراث اهل البيت عليهم السلام، فقدكان رحمه الله أول أمين عام للمجمع العالمي لأهل البيت، وثاني امين عام لمجمع التقريب بين المذاهب الاسلاميه وقد شـــارك رحمه الله في الكثير من المؤتمرات الفكرية والفقهيةالتي طرح فيها آراء فقهاء مدرسة أهل البيت عليهم السلام ببيان علمي وباتقان

وكذلك كان للفقيد الدور البارز في إرسال المبلغين الى الكثير من أقطار العالم،وقد ترك لنا إرثاً كبيراً في هذا المجال من خلال تأسيســـه المراكز والمساجدالعديدة لأتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

وبهذا المصاب الجلل نرفع آيات العزاء للنَّبي الأعظم والأئمَّة المعصومين عليهم السلام و قائد الثورة الإسلامية آية الله العظمى السيد علي الحسيني الخامنئي والحوزات العلميَّة والمجاميع الفقهيَّة والفكريَّة والمراجع العظام ، سائلين المولى عزَّ وجل شموله بأعظم الوفادة وأحسن العزاء.

كتبَ الله لأهلِه الصّبر والسّــلوان، وجمعَ اللهُ بينه وبين النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا (إنا لله وإنا إليه راجعون).

# مُؤتمر بيروت

العلماء المشاركون في مؤتمر بيروت:

رحيل الشيخ التسخيري خسارة للعالمين الاسلامي والمسيحي/ الراحل التسخيري كان رائد الحوار بين الأديان

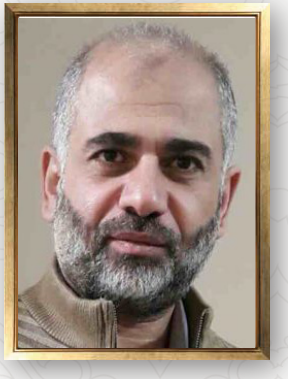
ـ وبمناسبة رحيل العالم الكبير آية الله الشيخ محمد علي التسخيري، رائد التقريب والوحدة بين المذاهب والأديان إجتمعت شخصياتُ دينية بارزة، جمعيات ومجموعات دينية متنوعة، مثقفون ووجوه اجتماعية من كافة الأديان والطوائف، في تأبين جامع في الفضاء الإفتراضي اقامته المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية في لبنان، فيَ وقفةَ إجلالٍ لخدمات ومقام هذا العارف الجليل.

في وصف مشهد التأبين الجامع إلتقت كوكبةٌ من الشخصيات العلمائية اللبنانية، الإسلامية والمسيحية، من مختلف المشارب الفكرية والسياسية والدينية، إلى لقاءٍ نخبوي جامع في منتدى افتراضي عبر خدمة الزووم، لتأبين سماحة العلامة آية الله محمد علي التسخيري، تقديراً لجهوده الوحدوية، ومواقفه الوسطية، ومساعيه الرائدة للتقريب بين مذاهب الأمة الإسلامية، وأطيافها الدينية الإسلامية والمسيحية.

وعقد اللقاء التأبيني في مدينة بيروت المكلومة الجريحة، التي طالما ارتحل إليها الشيخ التسخيري حاملاً معه فكره، ومتوشحاً قلمه، ومتأبطاً كتبه ومؤلفاته، ومسكوناً بأحلامه وطموحاته، وقد أحب لبنان المقاوم وأهله، ووثق فيهم واطمأن إليهم، وأودعهم أمانته ورغبته، في أن يكون له دورٌ كبيرٌ وأساسٌ في وحدة الأمة وجمع كلمتها على قاعدة المقاومة، ,فحفظ له اللبنانيون عهده، وأصروا على الوفاء له بالحفاظ على نهجه، والاستمرار في السعي لتحقيق هدفه، وهو الذي كان يتطلع إليه ويتمناه قبل موته.

وأدار اللقاء التكريمي الذي حضره علماء، وأصحاب مقامات فكرية وعلمية «الناشط والكاتب السياسي الفلسطيني الدكتور مصطفى اللداوي»، وبشهادة من حضروا وشاركوا في اللقاء فإنه لم يكن حلقةً ولا ندوةً، ولم يكن منتدىً أو حفلاً تأبينياً، بل كان مؤتمراً من مؤتمرات الأمة المشهودة، ، إذ حشد أمام شاشات الكمبيوتر وعبر الفضائيات الإسلامية،

ومن خلال مئات المواقع الاليكترونية عبر الفضاء الافتراضي، الآلاف من المتابعين من كل الاقطارالإسلامية، للمشاركة في مؤتمر التأبين، وليكون لمن شارك وحضر فضل المساهمة في رعاية غرس العلامة التسخيري المبارك، ومواصلة جهوده الرامية إلى توحيد الأمة وجمع كلمتها.



**الناشط والكاتب السياسي الفلسطيني الدكتور مصطفى اللداوي:**

أُفتتح اللقاء بشريط عن سيرة الراحل التسخيري ، ثم تقديم من مدير المؤتمر الكاتب والباحث الفلسطيني الدكتور مصطفى اللداوي والذي حيا الحضور فقال «كلٌّ باسمه وصفته ولقبه، وجميعكم قامات عالية وهامات شامخة»، اضاف اللداوي اليوم نلتقي في بيروت، في لبنان، في هذا الهامش الافتراضي، لنؤبّن رجلا عالما عظيما ، شُرِّفت بحول الله تعالى بالتعرّف عليه عن قرب، وعملت معه وتحت اشرافه سنين طويلة .

وتابع اللداوي اليوم نلتقي جميعا لنؤبّن رجلا له علينا حق التأبين، وحق الاعتراف، وحق الشهادة، إنّه العالم الكبير آية الله الشيخ محمد علي التسخيري، اسم علم، اسمٌّ يعرفه الجميع في كل مكان، بل سكان العالم الاسلامي، والمسيحيون قبل المسلمون يعرفون هذا الرجل، إنّه رائد التقريب والوحدة الاسلامية بين مذاهب الامّة الاسلامية، إنّه رجلٌ متعدد الصّفات والمناصب والمراكز والمهام.

هذا الرجل عاش طيلة حياته وهمّه الاكبر التقارب بين المسلمين وجمع كلمتهم ، هذا الرجل آمن أن قوة الامة ورفعتها إنّما تتحقق من خلال الوحدة وتحقيق المصالحة، هذا الرجل مذكور في فلسطين، مذكور في المقاومة. لطالما قال لي كم أسأل الله سبحانه وتعالى بأن يُطيل في عمري كي أشهد تحرير فلسطين، وأشهد الصلاة في المسجد الاقصى، وأشهد صلاة المسلمين جميعا في قبلة المسلمين الاولى.

# الشَّيخُ التَّسخيريُّ إلى دارِ الخُلدِ...



**الدكتور عباس خامه يار / مستشار الثقافي للجمهورية الإسلامية الإيرانية في لبنان**

## خامه يار: التأبينِ الذي يعبرُ الأطرَ المذهبية والطائفية هو خيرُ رثاءٍ للشيخ محمد علي «الإنسان»

والكلمة الافتتاحية كانت للمستشار الثقافي للجمهورية الإسلامية الإيرانية في لبنان ، الدكتور عباس خامه يار، والذي توجّه الى المشـــاركين بالتأبين بالقول» ربما لا يسعُني اليوم أن أُقولَ الكثير في رحيل آية الله الشيخ التسخيري. فالمنبرُ اليوم لعباراتكم وخطاباتكم ورسائلِ قلوبكم التي ألّفها هذا العالِم الكبير. جمعُكم هذا يبعثُ على الاعتزاز والفخر، ممثلي المرجعيات الدينية الثلاث في لبنان، من بكركي إلى دار الفتوى والمجلسِ الشـــيعي الأعلى، المؤسســـات والجمعيـــات والمنظمات من كل الأطياف والمذاهـــب والأديان. يكبرُ القلبُ فهذا التأبين الذي يتجاوزُ حدودَ لبنان وإيران والذي يعبرُ الأطرَ المذهبية والطائفية والعرقية، هو خيرُ رثاءٍ للشيخ محمد علي «الإنسان»، الذي كان مقرّباً في حياته وموحّداً، وبعد رحيله كان جامعاً شملَ الأديانِ في حفلِ تأبينه. شكراً لهذه الفُسَيفَساء الجميلة التي يقدّمُها اللبنانيون لذكرى هذا الرجل، رغم كلِّ ما يمرُّ به وطنُهم ورغم الأســـر الذي وضعتنا فيه أزمة الوباء. غير أنّكم حضرتُم في رثاء هذه الشمس.

وتابـــع الدكتـــور عباس خامه يار «ربما قلتُ كلَّ ما أحببـــتُ قولَه في هذا الرجل بعد معرفتي به على مدى أربعةِ عقود، والتي كانت معرفةَ مريدٍ بشيخه وأنيسه الذي يهربُ إليه كلما احتاجَ إلى نصيحة، وقد كتبتُ عنه بالفارسية والعربية مقالةً بعنوان « التسخيري، من الصومعة إلى الدير ومن الكنيسة إلى المسجد» والتي نُشرت في إيران ولبنان منذ أيام، وكانت فيها كلُّ عاطفتي ومحبتي وامتناني لهذا العالِم القدير، غير أنّ اجتماع الأحبة اليوم بذاته يجعلَني أراه بعيونٍ أخرى. أراه في قلوب كافة الأطياف والأديان، ويا لِكَثرةِ ما يمكنُ قولُه بعد عن شـــيخِنا الجميل الجليل بعد هذا الاحتفاء الجماهيريّ العزيز».



## الاب الدكتور عبدو ابو كسم / رئيس المركز الكاثوليكي للاعلام

### ابو كسم: من يطّلع على مسيرة الراحل الكبير، يتبين له انه كان عالماً في الدين كما في الثقافة والعلم

ثم القيت كلمة باسم نيافة بطريرك أنطاكيا وسائر المشرق للموارنة الكاردينال بشارة بطرس الراعي تلاها ممثله الاب الدكتور عبدو ابو كسم رئيس المركز الكاثوليكي للاعلام ، والذي قال: «شرّفني صاحب الغبطة والنيافة الكاردينال مار بشارة بطرس الراعي الكلي طوبى ، بان اشـــارك باســـمه في حفل تأبين العلامة آية الله الشيخ محمد علي التسخيري،وان انقل اليكم تعازيه القلبية».

واضاف الاب الدكتور ابوكسم ان «من يطّلع على مسيرة الراحل الكبير ، يتبين له انه كان عالما في الدين كما في الثقافة والعلم ، وكان بحكمته يوازي بينهما في خدمة تعزيز الحوار بين الشعوب والتقريب فيما بينهما ، ليجعل من الانسان محورا اساسيا في تعزيز القيم الدينية والانسانية التي تساهم في تطوير المجتمعات، لترقى الى مستوى من الانفتاح والتلاقي ، وذلك انطلاقا من الدين ، بمعنى انه جعل من الاديام منصّة للانفتاح بعيدا عن التقوقع ، جعل منها منصّة بعيدا عن التعصّب ، منصة للحوار بعيدا عن التقاتل،وجعل منها واحة للسلام بعيدا عن كلّ اشكال الحروب.

وتابع الاب الدكتور ابوكسم «إن مسيرته الدينية والثقافية التي تجلّت في مقالاته ومؤلفاته العديدة والقيّمة تشهد على فكر هذا الراحل الكبير الذي اختار التقريب بين المذاهب والاديان ونشر ثقافة الاخاء بين الناس، بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية ، مؤكدا ان اصحاب النوايا الطيبة يستطيعون نشر ثقافة الاخوة والتلاقي في سبيل تعزيز ثقافة السلام بين الشعوب».



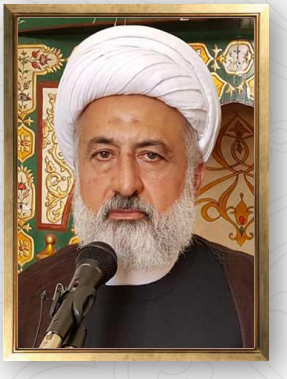
**الشيخ بلال محمد الملا**

## الملا: أسس التسخيري لمشروع الوحدة الإسلامية

وممثل سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ الدكتور عبد اللطيف دريان فضيلة الشيخ بلال محمد الملا تقدم باسم مفتي الجمهورية اللبنانية من عائلة الشيخ محمد علي التسخيري، بأصدق عبارات التعازي برحيله، سائلا الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته.

وقال الشيخ الملا : «لقد كان الراحل الكبير صاحب مشروع إسلامي وحدوي، وكان صاحب رؤية في حركته التقريبية بين المذاهب الإسلامية، تماما كما كان رائداً من رواد الإصلاح والحوار بين الطوائف في العالم المعاصر».تابع الشيخ الملا عمل الراحل الكبير في المرحلة الأصعب من تاريخ الأمة العربية والإسلامية حيث كان الانقسام الحاد على أشده، فأسس لمشروع الوحدة الإسلامية، وسعى لها سعيها، وتحمل في سبيلها، كما حمل لواء الأخوة الإنسانية بكل جدارة وتقدير، ربما لم يحقق الشيخ التسخيري حلمه كما شاء وأراد، لكنه غرس بذرة الخير هذه، وستؤتي أكلها في القريب العاجل إن شاء الله تعالى».

وختم الشيخ الملا كلامه»يقيني أن دعاة الوحدة الإسلامية قد خسروا برحيل الشيخ التسخيري الركن الأساس المؤسس لمشروع الوحدة الإسلامية والنهضة الإسلامية والإنسانية والحوار بين أبناء الرسالات السماوية.



## سماحة الشيخ علي الخطيب

### الخطيب: الشيخ التسخيري لعب دوراً مميزاً في الوحدة والتقريب

ونائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، سماحة الشيخ علي الخطيب قدم العزاء برحيل العالم الرباني سماحة آية الله الشيخ محمد علي التسخيري إلى آية الله الإمام القائد السيد علي الخامنئي والمراجع العظام والحوزات العلمية سائلا الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته.

وأشار الى أنه قد أدرك العلامة التسخيري مدى أهمية الدعوة التي أطلقها الإمام الخميني ﷺ في العمل على الوحدة بين المسلمين وقد بذل جهداً كبيراً ومميزاً على هذا الصعيد لما كان يمتلكه من مؤهلات علميه وثقافية وقدرة على الحركة والإبداع.

وقال الشيخ علي الخطيب «مع إيماننا ويقيننا بأن الموت حق نفتقد الآن برحيله الدور المميز الذي لعبه رضوان الله عليه في ساحة من أهم ساحات العمل الإسلامي والإنساني ألا وهي مسألة الوحدة والتقريب بين المسلمين على إختلاف مذاهبهم وهي مسألة طالما شكلت الهم الأساس للقادة والمفكرين المسلمين».

واضاف الشيخ علي الخطيب «إن الحركة بهذا الإتجاه لن تكون سهلة ودونها عقبات كثيرة وتُخاض في وجهها حروب أقسى وأخطر من الحروب العسكرية والإقتصادية ويُرصَد لها ميزانييات كبيرة ويُسَخَّرُ في سبيل ذلك جيش جرار من الإعلام والبرامج التلفزيونية ووسائل التواصل الإجتماعي وغرف سوداء لقلب الحقائق وتشويه الوقائع. لذا فإن هذه المعركة بحاجة إلى مزيد من تحريك الطاقات وابتداع الوسائل وتطويرها كي يصبح هناك تكافؤ في الإمكانات لخوض هذه الحركة بنجاح. كما أثبتت الحقائق والأحداث التي مر ويمر بها العالم العربي والإسلامي من تفجرات طائفية كادت تقضي على كل شيء».



**الدكتور محمد السماك**

## السماك: الشيخ محمد علي التسخيري كان حريصاً على الوحدة الاسلامية

من جهته، قال امين عام القمة الروحية الإسلامية المسيحية، الدكتور محمد السماك: لم يكن مجرد زائد واحد الى عدد العلماء المسلمين الذين اهتموا بالوحدة الاسلامية، كان نسيج وحده من حيث ايمانه بأن الاختلاف يجب ان لايؤدي ويجب ان لايعني الصراع، وانّما الاجتهاد الفكري هو التعدد والتنوع في اطار الايمان الواحد

رأى ان العلّامة الفقيه الشيخ محمد التسخيري رحمه الله، لم يكن مجرد زائد واحد الى عدد العلماء المسلمين الذين اهتموا بالوحدة الاسلامية، كان نسيج وحده من حيث ايمانه بأن الاختلاف يجب ان لايؤدي ويجب ان لايعني الصراع، وانّما الاجتهاد الفكري هو التعدد والتنوع في اطار الايمان الواحد، لذلك كانت مبادراته تلقى كثيرا من التعاطف والتفاهم واحيانا كثيرة من الايجابيات،فالامر مبني على قول الله تعالى «واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرّقوا» ، لم يقل القرآن الكريم ولاتختلفوا، قال ولاتفرّقوا، فالاختلاف امر طبيعي في الاجتهادات ، وهذه الاجتهادات ليست حصرا في الاسلام، هي موجودة في كل العقائد، في المسيحية واليهودية والبوذية والهندوسية وغيرها من العقائد، هناك مدارس متعددة كثيرة، المهم كيف نمدّ جسور الاحترام والتفاهم بين هذه المدارس، وخاصة داخل الاسرة الاسلامية الواحدة».



## سماحة الشيخ ماهر حمود

### الشيخ حمود: الراحل الكبير قد حقق نموذجاً مميزاً ينبغي على علماء العالم الاسلامي أن يتخذوه منهجاً

وقال رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المقاومة سماحة الشيخ ماهر حمود إن الراحل الكبير قد حقق نموذجا مميزا، ينبغي على علماء العالم الاسلامي والدعاة الاسلاميين، وكل العاملين في الحقل الاسلامي ان يتخذوه منهجا، ذلك انه جعل انتماءه المذهبي والقومي انتماء علميا او انتماء عضويا ، ولكن لم يجعله اولوية في العلاقة مع الاخرين، ولاشعارا للصراع مع الاخرين، ولم يكن من اولوياته ان يتحدّث عن مذهب او يتحدذث عن قومية ما . والطف مافيه انه يتكلم العربية افضل من الفارسية، يكتب ويخطب فيها افضل من اللغات الاخرى.

وأضاف الشيخ حمود :لقد كان دوره مميزا جدا في الاتحاد العالمي لعلماء المقاومة، وكان الجميع يعوّل على رأيه، خاصة عندما اصبح نائبا للرئيس، وكان يجول البلاد وينشر فكرة الوحدة، ويهئ الامّة لخطوة جديدة، هذا كله قبل ان ينحرف الاتحاد وللاسف الشديد بداية من العام ٢٠٠٧ تقريبا، وتصبح الاولوية عنده التحريض المذهبي، ومواجهة الانظمة بطريقة غير مدروسة وغير اسلامية، بل بطريقة تنتمي الى الاستكبار العالمي، كما حصل في ليبيا او في مصر او في سوريا،مع الاسف الشديد. فمعنى ذلك انه في هذا الوضع المميز، استطاع ان يشّق الطريق وان ينتج شيئا، بالرغم من انه كان يسير، ان صح التعبير، عكس الاتجاه الذي تسير عليه الامة في حالة غفلتها وجهلها .

وشدد الشيخ حمود على انه هنا لابد ان نقول ان معركتنا كوحدويين وكتقريبيين، كمؤمنين بوحدة الامة في مواجهة الاستكبار الغربي والصهيونية ، ومواجهة كل التحديات، معركتنا ليست سهلة، بل صعبة ، تكاد تكون مستحيلة، لان اعداءنا تفريقيين اتباع الاستكبار والجهات البشعة المسيطرة على عقول الناس وعلى ثرواتهم ، يتمتعون بدعم لوجستي غير عادي، لوجستي ومالي واعلامي بشكل واسع، ويكفي ان نضرب مثلا واحدا، هو عندما قال جيفري فلتمان اننا دفعنا بعام واحد او عام ونصف تقريبا ٥٠٠ مليون دلار لتشويه صورة المقاومة ، هذا مثل يكفي لبيان حجم التحدي الذي نعيشه.

# الشَّيخُ التَّسخِيريُّ إلى دارِ الخُلدِ...



**القس الدكتور رياض جرجور**

**جرجور: برحيل آية الله الشيخ محمد علي التسخيري نخسر عالماً كبيراً**

واعتبر أمين عام الفريق العربي للحوار الاســـلامي ـ المســـيحي القس الدكتور رياض جرجور انه برحيل الامين العام السابق للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية، آية الله الشيخ محمد علي التسخيري في العاصمة الايرانية ـ طهران ، نخسر عالما كبيرا كان داعية للتوافق بين الســـنة والشيعة ومناهضا للتكفير داخل اطار العالم الاسلامي بمذاهبه المتعددة، وقد كان العالم التقي، المجاهد ، المناصر لله ورسوله ، والائمة الطاهرين.

و اضاف القس جرجور «تقلّد الحجة الشيخ تسخيري العديد من المسؤوليات بعد انتصار الثورة الاســـلامية، ابرزها مستشار قائد الثورة ، والعلاقات الاسلامية، الامانة العامة للمجلس الاعلى لمجمع التقريب بين المذاهب الاسلامية.

وأشـــار الى أنه الّف الشـــيخ التسخيري وترجم عشـــرات الكتب في مواضيع مختلفة ، كالتفســـير والاقتصاد الاسلامي والفقه والفكر العام والتاريخ ، وقد تُرجمَت بعض مؤلفاته الى الانكليزية والاوردية والفارسية وغيرها من اللغات.



## الحاج ابراهيم المصري

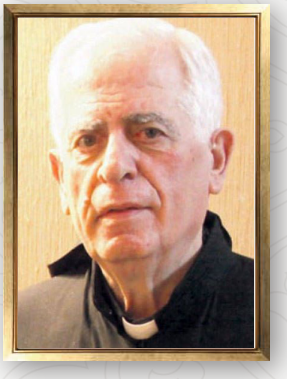
### الحاج ابراهيم المصري: كان الشيخ التسخيري من ابرز العاملين في مؤتمرات الوحدة الاسلامية في ايران وخارجها

وقال الامين العام السابق للجماعة الاسلامية الحاج ابراهيم المصري قال عرفنا الشيخ التسخيري في مطلع ثمانينات القرن الماضي ، بعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران ، حيث كانت تعقد الجمهورية الاسلاميه مؤتمرات الوحدة الاسلامية ، تدعو للمشاركة فيها حشدا كبيرا من العاملين في الساحة الاسلامية.

وأضاف المصري «كان الشيخ التسخيري من ابرز العاملين في مؤتمرات الوحدة الاسلامية في ايران او خارجها ، او عندما انتقلت الى لبنان، عندما تم تشكيل مجمّع التقريب بين المذاهب الاسلامية، وبعده الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، حيث كان الشيخ التسخيري نائبا لرئيس الاتحاد ، الشيخ يوسف القرضاوي، الى جانب الشيخ فيصل مولوي لرحمه الله تعالى.

واذكر في احدى مؤتمرات الوحدة الاسلامية، الذي انعقد في طهران في اواخر الثمانينات، كانت صيغ الاذان للصلاة غير موّحدة، لدى ابناء الطوائف المشاركة في المؤتمر، فتشكّلت لجنة من اعضاء المؤتمر، وكان الشيخ التسخيري الى جانب الشيخ سعيد شعبان رحمه الله، وهو عالم ازهري من ابناء الجماعة الاسلامية في لبنان، قبل ان يعلن قيام حركة التوحيد الاسلامية في طرابلس، واعتمدت اللجنة صيغةً موّحدة للأذان، التزمها المؤتمر في كلّ جلساته وصلواته».

# الشَّيخُ التَّسخيريُّ إلى دارِ الخُلدِ...



**الأباتي انطوان ضو**

**ضو: خسارته هي خسارة كبرى للعالم الاسلامي والمسيحي معاً**

واعتبر رئيس اللجنة الأسقفية للحوار الإسلامي المسيحي، الأباتي انطوان ضو أن الشيخ التسخيري المُحب المحبوب، تميّز بحبه للتقريب بين المذاهب، والحوار المسيحي الاسلامي، وهو يعرف بأن الوحدة هي ثقافة انسانية ضرورية في عصرنا، لذلك على المسلمين ان يحبّوا بعضهم بعضا، وعلى المسيحيين أن يحبّوا بعضهم بعضا، وعلى المسلمين والمسيحيين أن يُحبّوا بعضهم بعضا.

اضاف الاب ضو «التسخيري كان لطيفا، كان محبّا، كان عاقلا، كان متّفهما ، كان حنونا، وكان انسانا رائعا لامثيل له، لذلك أنا اعتبره رجل الحوار الاول في العالم الاسلامي، لاسيّما مع المسيحيين، والذي قام بلقاءات متعددة بين الشخصيات الاسلامية وبينه وبين المسيحيين، فقد زار الفاتيكان وحاور مع الفاتيكان، وزار بكركي وحاور بكركي، حاور جميع الناس، وكان دوما لطيفا ، مجبّا هادئا، يقرّب الناس الى الاسلام، ويقرّب الناس الى المسيحية، ويقرّب الناس الى بعضهم البعض، لذلك التسخيري هو خسارة كبرى، كتبتُ عنه مقالا حول التسخيري فقه اللحظة، بأن فقه اللحظة هو الفقه المطلوب ، المطلوب في عصرنا ، لكي نحاكي انساننا، وعالمنا المعاصر بلغة الله التي يجب ان تتجسّد في حياتنا اليوم، ولذلك كان التسخيري عنصر توحيد ووحدة ، وعنصر محبة.



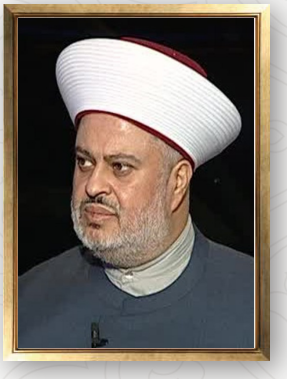
## الشيخ الدكتور محمد الموعد

### الشيخ الموعد: الشيخ التسخيري يحذّرنا من التطبيع

من جهته، قال الشيخ الدكتور محمد الموعد رئيس الهيئة الاستشارية في مجلس علماء فلسطين إن المرحوم آية الله الشيخ محمد علي التسخيري هو علم ورائد في الوحدة الاسلامية، كان دائما يعتبر ما يقوم به يصبّ في خدمة القضية الفلسطينية ،وكان دائما ينصحنا بأن نُبقى دائما، كل همّنا وكل طاقاتنا تتوجه نحو تحرير فلسطين

وأضاف: المرحوم آية الله الشيخ محمد علي التسخيري هو علم ورائد في الوحدة الاسلامية، له الباع الطويل في التقريب بين المذاهب، لعب دورا مهمّا وكان يسعى جاهداً لما عنده من طاقة ، من اجل التقريب بين المذاهب على كل المستويات، وكان هذا همّه ، وكان يسعى دائما من اجل تحقيق ذلك، كان دائما يعتبر ما يقوم به يصبّ في خدمة القضية الفلسطينية. نحن التقينا به عدة مرّات وفي كثير من المؤتمرات، وكان دائما ينصحنا بأن نبقى دائما، وكل همّنا وكل طاقاتنا ينبغي ان تتوجه نحو تحرير فلسطين.

وختم الشيخ الموعد كلمته :كان الشيخ التسخيري يحذّرنا من التطبيع، كان دائما عنده بعد نظر، ونظرته ثاقبة الى المستقبل ، كأنه كان يعلم بأن هناك من سيتكلّم وسيفعل، وسيقدم الاوراق المجانية للكيان الصهيوني.



## سماحة الشيخ زهير جعيد

### جعيد: كان هذا الرجل في عمله التقريبي رجلاً استثنائياً

وقال منسق عام جبهة العمل الإسلامي في لبنان سماحة الشيخ زهير جعيد: نجتمع اليوم لنؤبن شخصية استثنائية في العالم الإسلامي انه آية الله الشيخ محمد علي التسخيري، هذا الرجل الذي عرفناه منذ بدايات عملنا الاسلامي في تجمع العلماء المسلمين في لبنان وبعدها في جبهة العمل الاسلامي ومنذ اللحظات الأولى بدأ التعاون معه من خلال العمل الوحدوي الذي نقوم به في تجمع العلماء ومن خلال عمله في مجمع التقريب بين المذاهب كعالم يسعى إلى وحدة الأمة وجمعها وإزالة كل ما يفرقها من خلال النهج الإسلامي الأصيل وليس من خلال بث الفتن والتفرقة الذي يقوم به البعض.

وتابع الشيخ جعيد لذا كان هذا الرجل في عمله التقريبي رجلا استثنائيا، من خلال عمله الدؤوب والدائم كان لا يكل ولا يتعب من سفر إلى سفر ليشارك في كافة المؤتمرات والندوات والمجاميع العلمية والثقافية والفكرية، وكان يقطع المسافات الطويلة ليذهب إلى من يختلفون معه ليحاورهم من خلال العقل المنفتح الذي يبحث عن نقاط الالتقاء ليبني عليها جسرا للتواصل والتعاون.



## سماحة الشيخ المفتي حسن عبدالله

### الشيخ المفتي حسن عبدالله: غياب اية الله التسخيري شكّل فراغا ليس بالسهل ان يعوض

وأوضح مسؤول المكتب الثقافي المركزي لحركة أمل، سماحة الشيخ المفتي حسن عبدالله أن غياب اية الله التسخيري شكّل فراغا ليس بالسهل ان يعوض، لأن ما قام به من عمل هو قليل النظير، من عمل دؤوب ومتابعة مستمرة لكل القضايا المركزية التي احب ان يكون نموذجا متعلقا بقيادة حكيمة تحمل قضايا مركزية هامة وتجمعنا معه ونجتمع واياه على هذه القضايا المهمة.

واضاف المفتي الشيخ حسن عبد الله «لا شك أن الراحل شكل نموذجا للعالم العامل الذي عمل على الوحدة الاسلامية والوحدة بين المسلمين، والقريب بين المذاهب، والتقرب مع غير الديانات الإسلامية، حيث كنت نشاهد مشاركاته في العالم اجمع، ولعلك لا ترى مناسبة من المناسبات الا والراحل موجود فيها، ورغم إصابته بداء عضال، كان من الممكن أن يعيقه عن العمل، الا انه كان يرى ان العمل أقوى من كل التحديات التي من الممكن أن تمنعه القيام بهذه المسؤوليات».



## سماحة الشيخ حسان عبدالله

### الشيخ حسان عبدالله: التسخيري يعيش الإسلامَ في قلبه حركةً وعملاً دؤوباً من أجل الدفاع عنه ودرء الشُّبهات

وقال رئيس الهيئة الإدارية في تجمع العلماء المسلمين، سماحة الشيخ حسان عبدالله: التسخيري يعيش الإسلامَ في قلبه حركةً وعملاً دؤوباً من أجل الدفاع عنه ودرء الشُّبهات.. في كل ساحات العمل الإسلامي كنا نراه حاضراً.. في الميادين كافةً وعلى الرغم من المرض الذي ألمَّ به لم يُقْعِدْهُ.. بل كان جاماً وصلباً يكابدُ في متابعة أدق التفاصيل.

واضاف الشيخ حسان عبدالله ما لمسناه في عمل سماحته هو الإيمانُ الذي يجعل من المسؤولية تكليفاً وليس تشريفاً.. وكان مثالاً لمن يحمل المسؤولية ويتابعُ تفصيلات العمل كي يكون منجزاً على نحو يرضاه الله.. وما يُرضي الله في منظوره هو ما يوصلُ إلى نجاح ما يقوم به...



## سماحة الشيخ بلال شعبان

### شعبان: التسخيري كان يعتبر المذاهب مدارس فكرية تنبع من معينٍ واحد

وقال أمين عام حركة التوحيد الإسلامي سماحة الشيخ بلال شعبان إن التسخيري كان يعتبر المذاهب مدارس فكرية تنبع من معينٍ واحد ؛ هو معينُ الإسلام ومعين النبوة ومعينُ الرسالة الأساس. لذلك كان يقول: «التقريبُ بين المذاهب ؛ هو تقريبٌ فيما بين أتباع المذاهب لكي يفهم الجميعُ بعضهُم البعض».

وشدد الشيخ بلال شعبان على ان التسخيري كان يعتبر رحمه الله المذاهب مدارس فكرية تنبع من معينٍ واحد ؛ هو معينُ الإسلام ومعين النبوة ومعينُ الرسالة الأساس. لذلك كان يقول: «التقريبُ بين المذاهب ؛ هو تقريبٌ فيما بين أتباع المذاهب لكي يفهم الجميعُ بعضهُم البعض ؛ والطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق».



## سماحة الشيخ حسين شحادة

### شحادة: كان قلمه رضوان الله تعالى عليه يروي ازهار التقريب فتفوح عطرا ومحبة

وقال أمين عام ملتقى الأديان والثقافات للحوار والتنمية، سماحة الشيخ حسين شحادة: ما اصعب ان ينثلم الاسلام برحيل كبار الكبار من علماءه وفقهاءه وشهداءه، من بينهم جميعا كان آية الله التسخيري رضوان الله عليه، ومن موقعه كأمين عام للمجمع العالمي للتقريب ، قدوة للعلماء الرّبانيين العارفين بمعنى ان تكون الوحدة الاسلامية نبراساً لخلاص الامّة مت أزماتها ومشكلاتها وضعفها وهوانها.

واضاف الشيخ شحادة لقد عرفته على مدى نصف قرن من حياته العلمية والرسالية، كان قلمه رضوان الله تعالى عليه يروي ازهار التقريب فتفوح عطرا ومحبة، كانت مقالاته ودراساته وابحاثه تروي حدائق الوحدة بسقاية اخلاقية تربوية، مؤمنا كأشد مايكون الايمان بأنّ لاحياة للمسلمين بدون رباط التوحيد والأخاء، ولامستقبل لهم من دون ان تكون الوحدة في دينهم فريضة لاتقلّ قداسة عن قداسة صلاتنا وصومنا وجهادنا في سبيل الله.

وتابع الشيخ شحادة كذلك ربط التسخيري رضوان الله تعالى عليه وشائج الوعي والايمان، بين النظام الاسلامي العبادة والروح، والنظام الاسلامي الاجتماعي والاداري والسياسي، لافتا الى أن الطريق الى وحدتنا يجب أن يمرّ من ادراك المسلمين جميعا، لمنابع قوتهم اولا ، من تصويب النظر ثانيا الى خطرين، أحدهما: خطر الارهاب المثير لتأجج الفتن ، التي تضرب أمننا الديني والاجتماعي، وثانيهما : خطر الاحتلال يهدد وجود الامّة في ارضها وسيادتها وعزّها وحريتها.

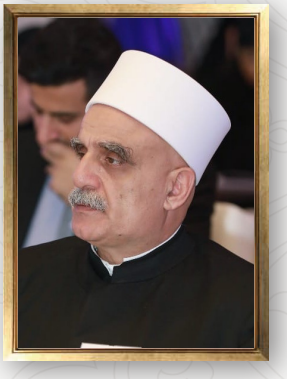


**سماحة الشيخ الدكتور أكرم بركات**

**بركات : نجد ان الشيخ التسخيري قد ذاب في الامام الخميني، وذاب في الامام الخامنئي**

من جهته رئيس جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، سماحة الشيخ الدكتور أكرم بركات تحدث عمّا إعتبره سببا عميقا لانسانية العلامة التسخيري، ولتوفيقاته مدى حياته، فذكّر بحادثة حصلت معه أثناء تدريسه في الجامعة فقال: عندما كنت اتحدث فيه عن العصر الذي برز فيه احد رجال العقيدة، والذي لم يقتنع باجوبة بعض اساتذته، وكان يعيش في زمن الامام جعفر الصادق وزمن تلميذه الامام ابي حنيفة و الامام مالك بن انس، فهذا الشخص ذهب وأسس مدرسة معروفة من الناحية العقائدية.

من هذه الحادثة ختم الشيخ اكرم بركات كلمته ، نجد الشيخ..... قد ذاب في الامام الخميني، وذاب في الامام الخامنئي، بالرغم من كل الكماليات والحال فيه، والتي نعرفها وتحدث الكثيرون من الحاضرين الكرام عنها، لكنه ذاب في الولي، وأعتقد أن هذا الذوبان هو سر كماله وتوفيقه وانسانيته.



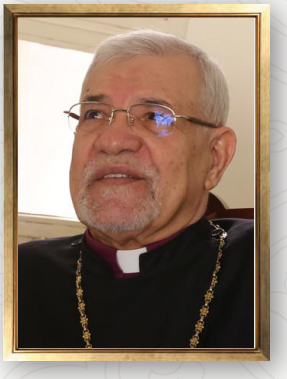
## سماحة الشيخ الدكتور سامي ابو المنى

### الدكتور سامي ابو المنى: كان الشيخ التسخيري مهتّماً بالحوار والتقارب بين المذاهب

وقال امين العام مؤسسة العرفان الدرزية سماحة الشيخ الدكتور سامي ابو المنى: كان سماحته الشخصية الاولى التي التقيناها في الجمهورية الاسلامية الايرانية عام ١٩٨٩، حين زرناها بدعوة من قيادة الجمهورية، كأول وفد يمثل طائفة الموحدين الدروز، وقد استقبلنا سماحته في مطار طهران الدولي، فأعطانا من اللحظة الاولى بحديثه الجذّاب وبشاشته المعهودة وصدق عاطفته ومحبته، اعطانا كما اعطى سوانا المثل الصالح عن علماء الجمهورية الاسلامية الايرانية المنفتحين، المتنورين، الملتزمين بقضية الاسلام والانسان فوق كل اعتبار، وعرفناه اكثر وأكثر عندما تكررت زياراتنا الى ايران، وعندما التقيناه في لبنان، وكان يحب ويستأنس بأصدقاءه الكثر فيه، وعندما راح يحاضر في العديد من المراكز الاسلامية والمسيحية بالكلمة الطيبة المعبّرة، وبالدعوة الخالصة بضرورة أنسَنة الفكر والدين والابتعاد عن التعصّب والتكفير والكراهية بين اتباع المذاهب والاديان، وهي ايضا رسالتنا ورسالة ابناء لبنان.

وتابع الشيخ سامي ابو المنى وعرفناه ايضا مهتّما بالحوار والتقارب بين المذاهب والديانات والثقافات، وليس فقط بين المسلمين، وعرفناه العالم المتواضع الرصين الهادئ.

# الشَّيخُ التَّسخيريُّ إلى دارِ الخُلدِ...



**مارثيوفيلوس جورج صليبا**

## سركيسيان: الشيخ التسخيري هو رائد الوحدة والحوار البنّاء بين الاديان والحضارات

والمطران سيبوه سركيسيان القى كلمة بإسم كاثوليكوس بيت كيليكيا للأرمن الأرثوذكس البابا آرام الاول كشيشيان وقال: الشيخ محمد علي التسخيري رحمه الله هو رائد الوحدة والحوار البنّاء بين الاديان والحضارات، رائد التقريب والوحدة بين المذاهب والاديان، رئيس المجلس الاعلى لمجمع تقريب المذاهب الاسلامية في العالم و مستشار المرشد الروحي، الامام السيد آية الله علي الخامنئي حفظه الله، للقضايا الاسلامية العالمية.

واضاف المطران سركسيان لقد كان آية الله التسخيري من احدى رموز الجمهورية الاسلامية الايرانية، الذي أمن بالثورة الاسلامية وعمل بايمان والتزام منذ الايام الاولى للثورة، دون اتخاذ اي موقف سلبي او رافض تجاه الديانات التوحيدية الاخرى.

وشدد المطران سركسيان على ان المناصب التي شغلها لسنوات طويلة، اولا كرئيس الرابطة الثقافية والعلاقات الاسلامية الدولية، ثم مشرفا عاما على مركز حوار المدارس الدينية والمذاهب الاسلامية، هي شهادة صادقة وجميلة ومميزة لتلك الحقائق التي اتسمت بها شخصيته.

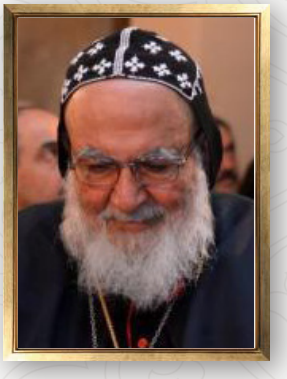


## سماحة السيد الدكتور جعفر فضل الله

### فضل الله: كان الشيخ التسخيري رحالةً لأجل الوحدة الإسلامية وللتقارب بين الأديان

وقال رئيس مؤسسة الفكر الإسلامي المعاصر للدراسات والبحوث سماحة السيد الدكتور جعفر فضل الله: إذا أردنا أن نُطلق عنواناً على شيخنا الفقيد رضوان الله عليه؛ لإستطعنا بكل بساطة وأعتقد بأن كثيرًا من الكلمات أشارت إلى ذلك؛ يُمكن أن نُطلق عليه عنوان «الوحدوي الرحالة». نعم لقد كان شيخنا «التسخيري» رضوان الله عليه؛ رحالةً لأجل الوحدة الإسلامية وللتقارب بين الأديان؛ لم يُقعدهُ عن العمل للوحدة وللتقارب بساطةُ قاربه أو آمواجٌ عاتيةٌ أو رياح أو آمواجٌ هوجاء أو رياحٌ عاتية أو آغوارٌ عميقة. كما لم يُقعدهُ المرض الذي ألمّ بجسده؛ فكان جهادهُ الأكبر لأجل الوحدة يمتزجُ بالجهاد الأكبر في مواجهة ثقل الجسد عن الحركة والإنتقال.

تابع السيد الدكتور جعفر فضل الله نعم لقد جمعت الشيخ الفقيد بالسيد «فضل الله» رضوان الله عليه؛ علاقةٌ خاصة ومميزة ملؤها الحُب والصفاء والإحترام والتواضع والإخلاص؛ تقديرًا لشخصه وروحه وأخلاقه وحركته الدؤوبة في سبيل الفكر الإسلامي الأصيل والحضاري المُنفتح والماد لجسور الوحدة في كل صعيد.



## المطران مارثيوفيلوس جورج صليبا

### مارثيوفيلوس جورج صليبا: عندما نذكر غياب هذا الوجه الانساني المؤمن نذكر الفضيلة المتمثلة بالفضل والفاضل

وقال مطران جبل لبنان للســـريان الارثوذكس مارثيوفيلوس جورج صليبا: نحن عندما نقيم ذكرى الصالحين، نتذكر مبادئ أساســـية في حياة البشر، عند المسيحيين الموت يدعى الرقاد، النوم لأنه يعقبه صحو طويل، قد يطول يوما، سنة، دهراً، قرناً كاملاً، أو مئات السنين، هو فراق الحبيب وغيابه عن هذه الدنيا. ولأننا موعودون بيوم البعث والنشور والقيامة، فالانسان يرقد ولا يموت، الموت هو للحيوان وللجماد، الذي ليســـت له حياة، وحددت المسيحية مبادئ، للقيامة العامة ويوم البعث والنشور، نقول كل انسان له أربع عواقب في هذا العالم والعالم الآتي، العاقبـــة الأولى هي الموت أو الرقاد الطويل. والعاقبة الثانية هي القيامة اي البعث والنشـــور، العاقبة الثالثة هي الدينونة حيث يمثل كل البشر أمام عرش الله الرحمن الرحيم الذي نطلب رحمته أبدا، والعاقبة الرابعة هي المجازاة الأبدية والسيد المسيح يقول يذهب الصالحون إلى قيامة الحياة، ويذهب الأشرار إلى قيامة الدينونة. العظماء المنتجبون في العالم بل الأوصياء، هؤلاء لهم مكانة في العالم وميزة في العالم الآخر.

وهذه العقيدة التي تؤمن بها الديانات الموحدة الثلاث اليهودي والمســـيحية والإسلام، هذه الديانات الثلاث تؤمن بهذه العواقب وتؤمن بالعالم الآخر وبيوم البعث والنشور، وإلا ما كان اي سبب في خلقة الانسان، لماذا لأن كثيرين يولدون في هذا العالم وفي أفواههم ملعقة ذهب، وراحة ومال وأفضال كثيرة وخيرات وآخرون يولدون فقراء بحاجة إلى الخبز، إلى الطعام.

وفي هذا العالم مجرمون يســـرحون ويمرحون على مســـرح الحياة وأبرياء يكمنون في

الســـجون وراء القضبان، أين تظهر عدالة الله؟ الذي خلق الإنســـان على صورته ومثاله، وجعله خليفة له على الأرض لابد من مكافأة الأبرار في هذا العالم على برهم ويعاقب الأشـــرار على شـــرورهم من هذا المنطلق نرى الذين لم ينالوا حقهم هنا ولفقدان العدالة على الأرض، لابد من أن تظهر عدالة الله ونحن عندما نصلي نقول يا رب لا تعاملنا بحسب عدلك بل بحسب رحمتك، والرحمة تفتخر على الحكم، لذلك بشرياني يسمي الله القادر على كل شيء، الله الرحمن الرحيم، والمسلمون اعتمدوا هذا الاصطلاح في صلواتهم ويبدأون بها كل مناسباتهم، وحسناً يفعلون. عندما نتكلم على هؤلاء الأصفياء، نعرف بأنهم مشاعل جاؤوا إلى العالم يهدون الناس من الظلمة إلى النور يقودون البشر في معارج.... في قمة المواهب والعطاءات الصالحة، فهم منتخبون مختارون بل بالأحرى هم اســـتحقوا أن يفوزوا بالقيامة الأبدية بعد الدينونة، لينالوا المجازات الأبدية وان شـــاء الله تكون خيراً لهم ولنا في مستقبل الأيام .

وختم المطران صليبا كلمته واليوم نودعه ترافقه صلواتنا ليكون في الســـماء مع هؤلاء الذين اســـتحقوا الفوز بالعالم الآتي وكلنا ننظر إلى العالم الآتي الذي هو امنية ومنية المؤمن والمؤمنون بدون يوم البعث لا قيمة لهم في هذه الحياة فالقيمة الحقيقية هي الذي يحافظ على الايمان يحافظ على الأماني يقوم بواجباته تجاه الله ونفسه والآخرين، فيكرم ويستحق الكلمة الذهبية في القرآن الكريم، إنا لله وإنا إليه راجعون صدق الله.



## الاستاذ معن بشور

### بشور: كان قائداً وقدوة في الوقت نفسه

وقال الرئيس المؤسس للمنتدى القومي العرب، الاستاذ معن بشور: لم تخسر الجمهورية الاسلامية الايرانية برحيل لأية الله الشيخ محمد علي التسخيري بكل المواقع التي يمثّلها فقط، بل خسره ايضا كل دعاة التقريب والوحدة في هذه الامة العربية والاسلامية، فقد كان رحمه الله جسرا ليـــس بين المذاهب فقط، بل بين ابناء الامة كلها على اختلاف تياراتهم وافكارهم وعقائدهم، فهو ككل اهل التقريب والدعوة يدرك تماما ان نقطة القوة الرئيسية التي تمتلكها امتنا لمواجهة كل التحديات، هي في وحدة ابناءها على تباين اديانهم ومذاهبهم وافكارهم وعقائدهم واحزابهم وتنظيماتهم، وبالتالي آن كل عمل وكل جهد يصبّ في اقامة الجســـور بين ابناء الامة، هو يصبّ مباشرة في اتجاه الدفاع عن استقلال الامة ووحدتها وكرامتها، وعن عزّتها في مواجهة الاعداء، لذلك لم يحزن لرحيل أية الله التسخيري فقط الذين عملوا معه في طهران او في مؤتمر التقريب بين المذاهب، بل خسره كلّ من عرف فيه دماثة الخلق ورحابة الصدر والانفتاح الواسع على كل الاراء الاخرى، فقد كان قائدا وقدوة في الوقت نفسه، قائدا لتيار التقريب والوحدة بين المذاهب، ولكنه كان قدوة في سلوكه وعلاقاته باتجاه خدمة هذا المشروع، رحم الله الشيخ الفاضل الذي يبقى علامة مضيئة في حياة امتنا العربية والاسلامية، ويبقى دعوة مستمرة لكي نعلي مايجمعنا وهو الكثيرعلى مايفرقنا وهو القليل، نحن شاركنا الشيخ التسخيري في نهجه هذا، هو اشتغل على اساس المذاهب، ونحن كنا نعمل على اساس التقريب بين الافكار وبين التيارات وبين الاحزاب، ان مســـتقبل امتنا مرهون بوحدة ابناءه، ووحدة ابناءه مرهون بنجاحنا بالتقريب بين المذاهب والمكونات المتعددة التي تتشكل منها امتنا .



## سماحة السيد علي السيد قاسم

### السيد قاسم: ذهب التسخيري في مشروعه الوحدوي إلى تكريس منظومة التقريب بين المذاهب

وأوضح سماحة السيد علي السيد قاسم رئيس مركز حوار الأديان والثقافات في لبنان وعضو الأكاديمية الحبرية المريمية في الفاتيكان: نحن أمام مناسبة كبيرة في عقولنا ومؤلمة في نفوسنا وذلك بالنسبة إلينا وللعالم الإسلامي حيث خسارتنا وألمنا بفقد هذا العالم المجاهد العزيز والكبير، هو ألم كبير وخسارة كبيرة وإن كان من عاداتنا أننا لا نتحدث عن علمائنا وهم أحياء، الأحياء يتعبون، يسهرون، يجاهدون، يبذلون جهود مضنية جدا، يقومون بإنجازات عظيمة جداً، ولكن لا ننسب الإنجازات إلى الأشخاص وهم أحياء لأنهم بذلوها من أجل الرسالة لا من أجل غايات زائفة لأنفسهم.

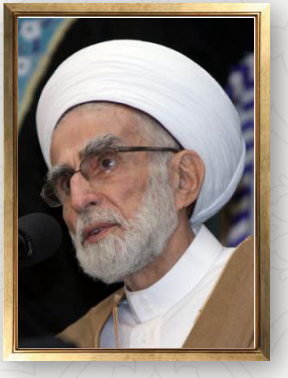
واضاف السيد علي السيد قاسم أن نتحدث عن سماحة الشيخ الفقيد من زاوية معينة ومحددة بعد رحيله يمكن لنا أن نقدّمه كأسوة ونموذج وقدوة نحتاجه اليوم وفي كل حين في لغة الحوار والانفتاح على الآخر.

وتابع السيد علي السيد قاسم من ميزات آية الله تسخيري أنه كان يدرس ويعلّم ويحقّق ويكتب وينشر هذا العلم بقالب وحدوي وتقريبي بين المذاهب، فقد أخرج العلم من حيز الكتب والنظرية إلى الحياة والواقع العملي ولهذا كان ممن طلب العلم لله، وعلّم لله عز وجل وعمل لله عز وجل.

وتحدث السيد علي السيد قاسم عن لقاء جمعه، في الأشهر الأخيرة في الجمهورية الإسلامية الايرانية في مؤتمر الوحدة الاسلامية وبالرغم من اشتداد مرضه وحتى اللحظات الأخيرة التي كان جسده يعينه، وكنت أستغرب من هذه الهمة العالية وما لفتني في وصاياه الخالدة من خلال كلمته التي أدلى بها في أعمال المؤتمر والتي شعرت بنفسي أنها الوداعية وهو يؤكد على تكريس الوحدة الاسلامية وقبول الآخر على قاعدة تثبيت المتفق عليه ومحاورة

المختلفات بشكل موضوعي ونقدٍ بنّاء والالتفات الى القضايا والهموم الكبرى التي يعيشها العالم في ظل سياسات الحرب الناعمة التي تتجرأ على مقدساتنا وتعمل على تكريس العدو الاسرائيلي من خلال التطبيع معه والإرهاب التكفيري ليكون صورة مشوهة للإسلام المحمدي الأصيل ودعا إلى العمل الدؤوب على نبذ الخلافات الطائفية والمذهبية وإلى ضرورة تكريس الخطاب الاسلامي الذي ينطلق من لغة الحب والانفتاح على الآخر وممن يمتلكون مفاتيح المعرفة ورد الشبهات بلغة العقل والمنطق والفكر القويم لنكون الأمة التي تستعد للقاء الامام المنتظر الذي سيحاور العالم بأسره وليحاكي أهل التوراة بتوراتهم وأهل الانجيل بإنجيلهم وأهل القرآن بقرآنهم.

ختم السيد علي السيد قاسم إن نموذج آية الله التسخيري هو ما نحتاج إليه نحن من نعمل في لغة الحوار والتواصل مع الطوائف والمذاهب والملل والنحل حيث نتعب وتحيط بنا أحياناً الهموم والمشكلات والتحديات.. نحن الذين نتحاور في قضايا الدين والفكر والحياة لنرتقي إلى مستوى المسؤولية في الكلمة والموقف.



## الشيخ احمد الزين

### الزين: الشيخ محمد علي التسخيري رائد من رواد التقريب بين المذاهب الإسلامية من السنة والشيعة

وقال رئيس مجلس الأمناء في «تجمع العلماء المسلمين» في لبنان الشيخ احمد الزين إن الشيخ محمد علي التسخيري الذي هو المستشار الاعلى للامام الخامنئي رحمه الله، من علماء العالم الإسلامي ورئيس المجلس الأعلى للتقريب بين المذاهب، حيث كنت التقي به في المؤتمرات وكثير من الزيارات، خلال سنين عديدة، وهو رائد من رواد التقريب بين المذاهب الإسلامية من السنة والشيعة، وهو من دعاة الوحدة الاسلامية الذي رايناه وسمعناه في الكثير من المؤتمرات.

وختم كلمته «نعود ونكرر تعازينا المخلصة إلى الأمة الإسلامية، بصورة عامة، وللشعب الايراني العظيم بوفاة الشيخ محمد علي التسخيري، سائلين الله تبارك وتعالى له الجنة وأن يكون مع ال البيت عليهم السلام والصحب الكرام، في رضوان من الله تبارك وتعالى».



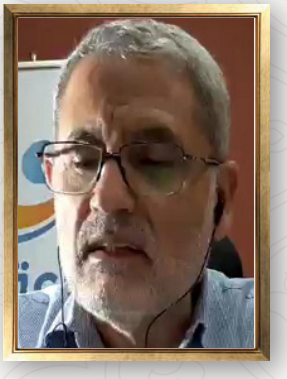
## الاعلامي الدكتور يحيى أبوزكريا

### ابوزكريا: الشيخ التسخيري كان قامة فكرية عملاقة

وقال الاعلامي الدكتور يحيى أبوزكريا من قناة الميادين اعتبر ان الفقيد المفكر الإسلامي العملاق الشيخ محمد علي التسخيري كان قامة فكرية عملاقة بحجم خط طنجا جاكرتا، عرفته الجزائر عندما كان يحضر مؤتمر الفكر الإسلامي الذي كان ينعقد كل سنة في الجزائر، كان يحاور هذا ويناقش ذلك وكانت قاعدته الأساس الفكر اساس التعامل سميته آنذاك وهو يجول في حلبات الفكر والثقافة بفقيه الحوار والتلاقي.

واضاف ابو زكريا كان صدقا فقيه الحوار رغم انه كان مجتهداً وله المكنة ان يستنبط الأحكام الشرعية لكن اضاف إلى الفقه الإسلامي وإلى حركة الاجتهاد ما يسمى بالحوار والتلاقي، كان مؤمناً إلى النخاع بضرورة إحقاق الحوار الاسلامي كمقدمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي ومن ثم الحوار الإسلامي الإنساني كان الشيخ محمد علي التسخيري هذا العملاق المفكر حقيقة يجسد مقاصد الشريعة الإسلامية في دعوتها إلى تلاقي ووحدة المسلمين.

تابع ابو زكريا كان يجسد أيضاً السنّة النبوية الشريفة عندما كان يدعو إلى التلاقي لأن الحضارة الإسلامية في نظره لا تنتصر إلا بوحدة المسلمين، فائض القوة لدى المسلمين لا يمكن حسابه بالمقاسات المعروفة لدا خبراد الاستراتيجية، الوحدة وحدة تشكل الثقل الثقيل الذي يمكن المسلمين من إحقاق نهضتهم، وكان يدعو إلى استخدام فائض القوة هذا لكي يصبح المسلمون رواداً في المشهد الدولي وفي المسرح الدولي، نعم خسرناه حقيقةً خسرناه لأن العالم الاسلامي من خط طنجا جكرتا اليوم في أمس الحاجة إلى القادة الوحدويين إلى المنظرين الوحدويين إلى المفكرين الوحدويين.



## السيد يوسف نورالدين

### السيد يوسف نورالدين: الشيخ التسخيري كان قائداً للدفاع عن المستضعفين

وبعد ذلك تحدث السيد يوسف نور الدين بإسم المجموعة اللبنانية للإعلام، فقال: عندما تقف امام بحر زاخر تحار من أين تاتيه، وكيف تعاين آفاقه، وتسبراغواره، وكيف لك ان تمخر امواجه المتحركة، فما لك الا ان تقف على الشاطئ تتأمل السفن العائمة، والزوارق الماخرة، والاشرعة العابرة، والمبحرين العائدين باللآلئ النادرة، وكريم الجواهر.

وتابع السيد نور الدين قائلا: نعم أيها الراحل الكبير، ليس غريبا ان يكون بحرك مترامي الأطراف، بعيد الآفاق، زاهي السواحل، ورائع المرافئ، لما حملت من علم، وتمتعت به من أخلاق، لذلك راينـاك تعلو المدارج والمناطق، ليس حبا بها وجاها، بل عملا وتقريبا إلى الباري تعالى، ورأينا تعلو بك المؤتمرات والمجالس، لما انت عليه من حكمة ومعرفة وبعد نظر، ورأينا نجما في المنتديات والاجتماعات على مختلف الطوائف والمذاهب، وعلى انواع الملل والنحل، وفي كل جهات الأرض، تحاور بالكلمة الطيبة، وتناقش بالفكر النير، لا يوقفك بذلك تنوع أحزاب، ولا تعدد أديان، قائدك في كل ذلك وحدة الصف، وجمع الكلمة، لمواجهة الظالمين، والدفاع عن المستضعفين، ورأينا في مؤلفاتك القيمة وحواراتك البينة، ولقاءاتك الشيقة، تمخر عبير الحكمة، وانوار المعرفة، ورائع الأفكار، وصائب الآراء، ورأيناك ثقة ولي الأمر، يمنحك حبه وبركته، وثقة العلماء الذين يحطونك بالاحترام والتقدير، ورأيناك للإسلام عروة وثقى، وللوحدة الإسلامية نبراسا، ولنصرة المقاومين درعا ومتراسا، وللمسلمين والمؤمنين في كل مكان عونا وسلاماً.



## الدكتور طلال حاطوم

### حاطوم: التسخيري يعد من الشخصيات الإسلامية الداعية لمناهضة التكفير داخل إطار العالم الإسلامي

وقال الدكتور طلال حاطوم مدير عام اذاعة الرسالة إن التسخيري يعد من الشخصيات الإسلامية الداعية لمناهضة التكفير داخل إطار العالم الإسلامي بمذاهبه المتعددة. فالراحل الكبير كان همه وبوصلة تفكيره ان يسعى للتقريب بين المسلمين وبث روح وفكر الوحدة بين المذاهب الاسلامية

واضاف حاطوم «الراحل الكبير اية الله التسخيري كان ثقة الامام القائد اية الله السيد علي الخامنئي الذي قدر فكره فعينه في مجلس خبراء القيادة لاكثر من دورة، كما تنكب مسؤولية كبيرة وعظيمة وهامة هي مسؤولية الأمين العام السابق لـ المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية. وهو يعد من الشخصيات الإسلامية الداعية للتوفيق بين السنة والشيعة ومناهضة التكفير داخل إطار العالم الإسلامي بمذاهبه المتعددة. فالراحل الكبير كان همه وبوصلة تفكيره ان يسعى للتقريب بين المسلمين وبث روح وفكر الوحدة بين المذاهب الاسلامية وتوسيع دائرة المشتركات الكثيرة وعدم الوقوف عند بعض تفاصيل اختلاف لا تفسد في الود قضية ولا تستدعي اي تفرقة او تباعد بين المسلمين، والانطلاق منها باتجاه المسيحية والمسيحيين لتمتين أواصر العلاقات خدمة الإنسان في كل مكان من بوابة الحوار والانفتاح بعيدا عن التعصب والتقوقع والأحكام المسبقة النمطية».

## المحور الثاني:

# صور عن التشيع ومؤتمرات التقريب والتكريم

# الشَّيخُ التَّسخيريُّ إلى دارِ الخُلدِ...

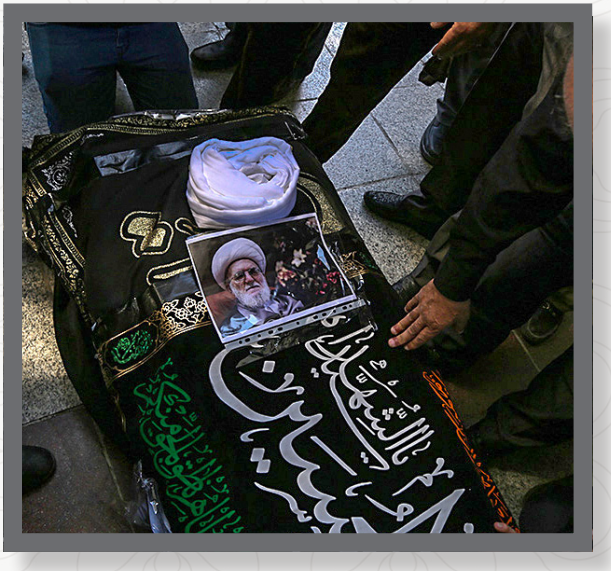







# صُوَرٌ عن التَّشْيِيعِ







# الشَّيخُ التَّسخيريُّ إلى دارِ الخُلدِ...















مجرم و سفّاک است که اسلام را زنده نگه داشته است.

# الشَّيخُ التَّسخيريُّ إلى دارِ الخُلدِ...













# الشَّيخُ التَّسخيريُّ إلى دارِ الخُلدِ...










# صُوَرٌ عَنْ مُؤْتَمَرَاتِ التَّقْرِيبِ وَالتَّكْرِيمِ







# الشَّيخُ التَّسخيريُّ إلى دارِ الخُلدِ...







# صُوَرٌ عَنْ مُؤْتَمَرَاتِ التَّقْرِيبِ وَالتَّكْرِيمِ







# الشَّيخُ التَّسخيريُّ إلى دارِ الخُلدِ...









# صُوَرٌ عَنْ مُؤْتَمَرَاتِ التَّقْرِيبِ وَالتَّكْرِيمِ







# الشَّيخُ التَّسخيريُّ إلى دارِ الخُلدِ...








# صُوَرٌ عَنْ مُؤْتَمَرَاتِ التَّقْرِيبِ وَالتَّكْرِيمِ







# الشَّيخُ التَّسخيريُّ إلى دارِ الخُلدِ...











# صُوَرٌ عَنْ مُؤْتَمَرَاتِ التَّقْرِيبِ وَالتَّكْرِيمِ








# الشَّيخُ التَّسخيريُّ إلى دارِ الخُلدِ...





# صُوَرٌ عَنْ مُؤْتَمَرَاتِ التَّقْرِيبِ وَالتَّكْرِيمِ





# الشَّيخُ التَّسخيريُّ إلى دارِ الخُلدِ...






# صُوَرٌ مَعَ القَائِد





# الشَّيخُ التَّسخيريُّ إلى دارِ الخُلدِ...









# صُوَرٌ مَعَ القَائِد







# الشَّيخُ التَّسخيريُّ إلى دارِ الخُلدِ...







# صُوَرٌ مَعَ القَائِد







## المحور الثالث:

# الشيخ التسخيري

## مقاربة وإضاءات

# الشَّيخُ مُحَمَّدُ عَليّ النَّسِخِيرِيّ

## فِي لَمحَةٍ عَنْ حَيَاتِهِ وَنَشَاطِهِ الفِكْرِيّ

❖ هيـئة التحـرير

## الولادة والنشأة:

ولد الشيخ محمد علي علي أكبر التسخيري بتاريخ ١١/ ١١/ ١٣٦٤ هجري / قمري الموافق لـ: ١٩/ ١٠/ ١٩٤٤ م، في مدينة النجف الأشرف في أسرة دينية. والده الشيخ علي أكبر التسخيري من أهالي محافظة مازندران في شمال إيران.

أنهى دراسته الابتدائية والمتوسطة والإعدادية في مدينة النجف الأشرف، وواصل دراسته الأكاديمية في كلية الفقه في النجف الأشرف أيضاً، فحاز على شهادة الليسانس في العلوم العربية والفقه الإسلامي.

وكان إلى جانب دراسته الأكاديمية يتابع دراساته الحوزوية حتى بلغ مرحلة البحث الخارج بإشراف كبار العلماء من أمثال الشهيد السيد محمد باقر الصدر، والمرحوم السيد أبو القاسم الخوئي، والسيد محمد تقي الحكيم، والشيخ جواد التبريزي، والشيخ كاظم التبريزي، والسيد محمد رجائي، والشيخ صدر البادكوبي، والشيخ مجتبى اللنكراني، وغيرهم من أساتذة الحوزة العلمية في النجف الأشرف، ولم يقتصر اليخ التسخيري أثناء تلقيه للعلم بل ضم إليه تدريس ما أتقنه من تلك العلوم.

وكما يعرف المتابعون لتاريخ النجف الأشرف فإن الحوزة العلمية لم تكن مركز للعلوم الإسلامية فحسب بل كانت إلى ذلك مركز للأدب والشعر برز فيه الكثير من الشعراء العلماء الذين جمعوا إلى الدقة العلمية ذوقاً أدبياً رفيعاً، حيث يمكن استعارة وصف من أحد الأدباء لعلماء النجف بأنهم شعراء بالتجربة والمعاناة أو برهافة الحس وحسن تذوق الأدب. وعلى سيرة من سبقه من علماء النجف كان للأدب والشعر عند الشيخ محمد علي التسخيري مكان وأي مكان، فقد استفاد في مجال

الأدب العربي والشعر من أساتذة كثر من أمثال: الشيخ محمد صالح الدجيلي، والشيخ محمود الدجيلي، والسيد هادي فياض، والشيخ محمد رضا المظفر، والأستاذ محمد جواد الغبان، والشيخ عبد المهدي مطر، والشيخ محمد أمين زطن الدين. وعندما أحس بذلك الميل الفطري إلى الأدب بشعره ونثره كانت له مع الأدب وقفات فأنتج في مقتبل العمر قصائد نشرت في ديوان أسماه أوراق وأعماق، وكانت له إلى جانب الشعر خطب أدبية في مناسبات إسلامية وندوات أدبية وشعرية.

## العودة إلى أحضان البلد الأم:

وبعد اشتداد الضغوط على العلماء والطلاب في النجف من قبل السلطة آنذاك، اضطر كما غيره من طلاب وعلماء النجف إلى الهجرة والعودة إلى بلده عام ١٩٧٠ م، وفي إيران سكن في قم المقدسة، ليواصل دراسته الحوزوية فيها ما يقارب العشر سنوات، فدرس على أساتذتها الكبار من أمثال: السيد الگلپايگاني، والشيخ وحيد الخراساني، والشيخ هاشم الآملي. واشتغل الشيخ التسخيري بالتدريس في قم المقدسة والجامعات والمراكز العلمية في مختلف أنحاء الجمهورية الإسلامية في إيران، ودرس العلوم الإسلامية وعلوم العربية.

وبعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران انصرف إلى العمل التبليغي والإداري، فتقلد مجموعة من المناصب وأدى أدوارا خدم فيها الإسلام والدولة الإسلامية الفتية، ومن المهام التي تولاها:

١ ـ انتخب عام ١٩٩٨ عضوا في مجلس الخبراء ممثلاً فيه أهالي محافظة گيلان.

٢ ـ عين مستشاراً للقائد آية الله الخامنئي في الشؤون الثقافية في العالم الإسلامي حالياً.

٣ ـ معاون مكتب القيادة الإسلامية للعلاقات الدولية منذ عام ١٩٩٠.

٤ ـ المستشار الأعلى للشؤون الدولية لبعثة قائد الجمهورية الإسلامية إلى الحج ومعاون العلاقات الدولية لها.

٥ ـ رئيس رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية (منذ تأسيسها عام ١٩٩٤ م وحتى عام ٢٠٠١ م).

٦ ـ مستشار وزير الثقافة والإرشاد الإسلامي للعلاقات الدولية ووكيل وزيرها.

٧ ـ معاون العلاقات الدولية لمنظمة الإعلام الإسلامي (خلال الأعوام ١٩٨١ ـ ١٩٩١ م).

٨ ـ عضو في هيئة أمناء الشورى الدولية، وشورى الكتاب لمنظمة الإعلام الإسلامي.

٩ ـ مسؤول اللجنة المشرفة على تعليم الطلاب الأجانب داخل وخارج القطر.

١٠ ـ أمين عام المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام لمدة تسع سنوات. وعضو الهيئة العليا لهذا المجمع.

١١ ـ عضو الهيئة العليا لمجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية ثم الأمين العام له.

١٢ ـ عضو هيئة مجمع فقه أهل البيت عليهم السلام في قم ونائب رئيسها.

١٣ ـ رئيس اللجنة الثقافية في مؤتمر القمة الثامن للدول الإسلامية في طهران.

١٤ ـ رئيس لجنة العمل الإسلامي المشترك في منظمة المؤتمر الإسلامي.

١٥ ـ عضو فخري لبعض المعاهد العلمية الجامعية في سوريا والسودان.

١٦ ـ عضو هيئة أمناء منظمة الحوزات والمدارس الدينية خارج إيران.

١٧ ـ عضو هيئة الأمناء في لجنة الدفاع عن حقوق الطفل (كافل).

١٨ ـ عضو لجنة الثقافة العليا لمؤسسة أمير كبير للنشر، خلال الأعوام (١٩٨١ ـ ١٩٨٦) الميلادية.

١٩ ـ عضو الهيئة المشرفة على كلية أصول الدين في طهران التي يشرف عليها العلامة السيد مرتضى العسكري.

٢٠ ـ رئيس الهيئة العليا لجامعة التقريب بين المذاهب الإسلامية في طهران.

٢١ ـ ممثل الجمهورية الإسلامية في إيران في كثير من المؤتمرات السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية خارج إيران.

٢٢ ـ عضو مجمع الفقه الإسلامي الدولي مندوبا فيه عن الحوزة العلمية الإسلامية الإيرانية. (منذ تأسيسه عام ١٩٨٣ م وحتى الآن. وهو الممثل الرسمي الوحيد حاليا للمذهب الإمامي فيه.

٢٣ ـ أستاذ الدراسات العليا في جامعة الإمام الصادق عليه السلام في الفقه المقارن لسنوات عدة.

٢٤ ـ أستاذ الدراسات العليا في جامعة إعداد المدرسين في الاقتصاد الإسلامي لسنوات عدة.

٢٥ ـ مشرف على مجلة التوحيد العربية التي تصدر حالياً في (قم / إيران) ومجلات أخرى.

٢٦ ـ عضو اللجنة الفقهية لبنك التنمية الإسلامي ـ جدة.

٢٧ ـ عضو لجنة خبراء منظمة المؤتمر الإسلامي

لدراسة تحديات القرن ٢١.

٢٨ ـ عضو مجمع اللغة العربية ـ دمشق.

٢٩ ـ عضو في اللجنة المؤلفة من عدد من الشخصيات والتي ألفت لدراسة وضع منظمة المؤتمر الإسلامي بمناسبة مرور ٢٥ عاماً على تأسيسها.

## قائمة موجزة لبعض نشاطاته الثقافية:

لم تكن النشاطات والمهام الإدارية التي أداها الشيخ التسخيري معيقة له عن التصدي للتأليف والبحث العلمي فكانت له أعمال علمية وبحثية مهمة وهذا شيء منها:

١ ـ ألّف ما يقرب من (٥٠) كتاباً وكراساً في موضوعات مختلفة كالتفسير، والاقتصاد الإسلامي، والفقه، والتاريخ. وقد ترجم بعضها إلى الإنكليزية والأردية والفارسية وغيرها.

٢ ـ نشر عددا من المقالات والأبحاث في مجلات وكتب ومؤتمرات. منها ما كتبه في مجلة التوحيد؛ حيث ناهز ما كتبه فيها ٢٠٠ مقالة. وقد ترجم بعضها ونشر في مجلات وصحف غير عربية.

٣ ـ درس في عدد من الجامعات والمعاهد والحوزات العلمية.

٤ ـ كانت له لقاءات إذاعية وتلفزيونية تبلغ أكثر من (٦٥٠) لقاء باللغتين العربية والفارسية.

٥ ـ درس الدورة الأولى من مجموعة مؤسسة (في طريق الحق) العلمية.

٦ ـ نشرت له أو عنه حوالي (٢٠٠) مجلة وصحيفة في مختلف أقطار العالم وبلغات متعددة.

٧ ـ نظم أكثر من (٣٠) قصيدة شعرية نشرت في ديوان تحت عنوان (أوراق وأعماق).

٨ ـ أقام أو شارك في ما يقرب من (٢٠٠) مؤتمر وندوة عالمية.

٩ ـ ترجم ما يقرب من ١٣ كتاباً.

١٠ ـ كتب ما يقرب من ١٣ تقرير بحث عن أساتذته في الفقه والأصول.

١١ ـ أشرف أو ساهم في الإشراف على أكثر من ٢٠ رسالة جامعية.

١٢ ـ شارك في تأسيس الكثير من المؤسسات الثقافية ـ والاجتماعية.

المؤتمرات التي شارك فيها أو أقيمت بسعي منه:

### أوّلاً: المؤتمرات الدورية:

ـ مؤتمرات القمة الإسلامية ثلاث مرات.

ـ مؤتمرات وزراء الخارجية الإسلامية سبع مرات.
ـ مؤتمرات مجمع الفقه الإسلامي الدولي ثلاث عشرة مرة.
ـ مؤتمرات تنسيق العمل الدعوي والإغاثي أربع مرات.
ـ مؤتمرات اللجان الفرعية لمؤتمر وزراء الخارجية خمس مرات.
ـ مؤتمر الوحدة الإسلامية، الذي ينعقد في طهران، أربع عشرة مرة.
ـ مؤتمرات الفكر الإسلامي في طهران تسع مرات.
ـ مؤتمرات المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ثلاث مرات.
ـ مؤتمرات أهل البيت عليهم السلام في مكة المكرمة عشرة مرات.
ـ مؤتمرات التقريب في مكة المكرمة اثنى عشرة مرة.
ـ مؤتمرات وزارة الحج السعودية في مكة المكرمة أربع مرات.
ـ مؤتمرات القضية العراقية (الدولية) أربع مرات.
ـ مؤتمرات القضية الفلسطينية (الدولية) مرتان.
ـ مؤتمرات القضية الأفغانية خمس مرات.
ـ مؤتمرات البنك المركزي الاقتصادية خمس مرات.
ـ مؤتمرات ملتقى الفكر الإسلامي في الجزائر خمس مرات.

ب ـ مؤتمرات أخرى:
ـ مؤتمر جمعية الجامعات في المغرب ١٩٧٥.
ـ مؤتمر حلول القرن الخامس عشر الهجري كوالالامبور ١٩٨١.
ـ مؤتمر عالمية الإسلام في سريلانكا ١٩٨٢.
ـ مؤتمر مناهضة العنصرية في مانيلا ١٩٨٣.
ـ مؤتمر الندوة العالمية للثورة الإسلامية في لندن ١٩٨٤.
ـ مؤتمر سيرة الإمام الرضا عليه السلام في مشهد إيران ١٩٨٤.
ـ مؤتمر حافظ الشيرازي في شيراز إيران.
ـ مؤتمر الفردوسي الشاعر طهران.
ـ مؤتمر المثابة العالمية في ليبيا ١٩٨٦.
ـ مؤتمر نهج البلاغة السادس في طهران ١٩٨٦.
ـ مؤتمر المستضعفين في قم إيران ١٩٨٦.
ـ مؤتمر الإمام الرضا عليه السلام الثاني في مشهد ١٩٨٦.
ـ مؤتمر النظام السياسي في الإسلام في لندن ١٩٨٦.
ـ مؤتمر الندوة الثقافية السادسة في الخرطوم ١٩٨٦.
ـ مؤتمر الرسول الأكرم في كرمان ١٩٨٦.
ـ مؤتمر التوحيد الإبراهيمي في أسبانيا ١٩٨٧.

ـ مؤتمر الإسلام والمرأة في طهران ١٩٨٧.
ـ مؤتمر ظاهرة الإرهاب في جنيف ١٩٨٧.
ـ مؤتمر الملتقى الاقتصادي في طهران ١٩٨٧.
ـ مؤتمر التضامن الإسلامي في كوالالامبور ١٩٨٧.
ـ مؤتمر قدسية الحرم وأمنه في طهران ١٩٨٧.
ـ مؤتمر الحج في لبنان ١٩٨٨.
ـ مؤتمر الوحدة الإسلامية في باكستان ١٩٨٨.
ـ مؤتمر الشهيد الصدر في طهران ١٩٨٨.
ـ مؤتمر الفقه الإسلامي في مسقط ١٩٨٨.
ـ مؤتمر الإقتصاد الدولي الأوّل في مشهد ١٩٨٨.
ـ مؤتمر الوحدة والسلام في هولندا ١٩٨٩.
ـ مؤتمر اللائحة الإسلامية لحقوق الإنسان في طهران ١٩٨٩.
ـ مؤتمر الشيخ الأنصاري في قم.
ـ مؤتمر نماذج الدستور الإسلامي في كوالالامبور ١٩٩٠.
مؤتمر الاقتصاد الإسلامي الثاني في مشهد ١٩٩٠.
ـ مؤتمر الإمام الصادق في دمشق ١٩٩٠.
ـ مؤتمر الإيسيسكو حول التقريب في الرباط ١٩٩٢.
ـ مؤتمر التقريب بين المذاهب في كوالالامبور ١٩٩٢.
ـ مؤتمر الذكر والذاكرين في الخرطوم ١٩٩٤.
ـ مؤتمر السكان والتنمية في القاهرة ١٩٩٤.
ـ مؤتمر المرأة العالمي الرابع في بكين ١٩٩٥.
ـ مؤتمر بمناسبة مرور ٢٥ عاماً على تأسيس oic في جدة ١٩٩٥.
ـ مؤتمر الحوار بين الغرب والإسلام في لندن ١٩٩٥.
ـ مؤتمر الحوار الإسلامي المسيحي في طهران ١٩٩٦.
ـ مؤتمر التيموريين في مشهد ١٩٩٦.
ـ مؤتمر الشيخ حبيب المهاجر في بيروت ١٩٩٦.
ـ مؤتمر الفكر السياسي للمسلمين في لندن ١٩٩٦.
ـ مؤتمر التقريب في المغرب ١٩٩٦.
ـ مؤتمر الصحوة الإسلامية في المغرب ١٩٩٦.
ـ مؤتمر الزهراء عليها السّلام والمرأة في طهران ١٩٩٦.
ـ مؤتمر إعداد القواعد الفقهية في جدة ١٩٩٧.
ـ مؤتمر الحوار الإسلامي المسيحي في موسكو ١٩٩٧.
ـ مؤتمر الايسيسكو والقرن ٢١ في الرباط ١٩٩٧.
ـ مؤتمر الشيخ المفيد في قم.
ـ مؤتمر الحوار الإسلامي المسيحي في باريس ١٩٩٧.
ـ مؤتمر الحوار الغربي الإسلامي في زغرب ١٩٩٧.
ـ مؤتمر تنظيم السكان في داكار ١٩٩٧.

ـ مؤتمر القرآن في سراييفو ١٩٩٧.
ـ مؤتمر تكريم كليم صديقي في لندن ١٩٩٧.
ـ مؤتمر أهل البيت عليهم السلام في كندا ١٩٩٨.
ـ مؤتمر العلامة الحر العاملي في بيروت ١٩٩٨.
ـ مؤتمر المرآة وبناء المستقبل في المغرب ١٩٩٨.
ـ مؤتمر المحقق الأردبيلي في قم.
ـ مؤتمر لجنة التقويم الموحدة في جدة ١٩٩٨.
ـ مؤتمر الاقليات الإسلامية في مدريد ١٩٩٨.
ـ مؤتمر الحضارة الإسلامية وآذربايجان في باكو ١٩٩٨.
ـ مؤتمر وثيقة القاهرة في لاهاي ١٩٩٩.
ـ مؤتمر الملا صدرا في طهران ١٩٩٩.
ـ مؤتمر دور الإسلام في روسيا في موسكو ١٩٩٩.
ـ مؤتمر الحوار الإسلامي المسيحي في موسكو ١٩٩٩.
ـ مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الحادي عشر في القاهرة ١٩٩٩.
ـ مؤتمر الحوار الإسلامي المسيحي في فيينا ١٩٩٩.
ـ مؤتمر المنظمة الإسلامية الطبية الثاني عشر في الكويت ١٩٩٩.
ـ مؤتمر الاسرة العالمي في جنيف ١٩٩٩.
ـ مؤتمر بيروت العاصمة الثقافية في بيروت ١٩٩٩.
ـ مؤتمر الإمام الخميني في دمشق ١٩٩٩.
ـ مؤتمر العلامة المجلسي في أصفهان ٢٠٠٠.
ـ مؤتمر السيد البروجردي والشيخ سلتوت في طهران وقم ٢٠٠٠.
ـ مؤتمر الشهيد الصدر العالمي في طهران ٢٠٠٠.
ـ مؤتمر التنمية الثقافية في العالم الإسلامي في الرياض ٢٠٠٠.
ـ مؤتمر الأقليات الإسلامية في سان باولو ٢٠٠٠.
ـ مؤتمر الشاعر سعدي الشيرازي في طهران ٢٠٠٠.
ـ مؤتمر الإيرانيين في الخارج في طهران ٢٠٠٠.
ـ مؤتمر أبي فراس الحمداني في الجزائر ٢٠٠٠.
ـ مؤتمر حول بدر في قطر ٢٠٠٠.
ـ مؤتمر الأقليات الإسلامية في باريس ٢٠٠١.
ـ مؤتمر العلم في الإسلام في الكويت ٢٠٠١.
ـ مؤتمر الحوار الإسلامي المسيحي الثالث في طهران ٢٠٠١.
ـ مؤتمر مجمع البحوث في القاهرة ٢٠٠١.
ـ مؤتمر الإيسيسكو حول العلاقة بين الحضارات في المغرب ٢٠٠١.
ـ مؤتمر الأقليات الإسلامية في بلغاريا ٢٠٠١.
ـ مؤتمر الحوار الإسلامي المسيحي في طهران ٢٠٠١.

ـ مؤتمر السيدتين المقدستين في طهران ٢٠٠١.
ـ مؤتمر الحوار المسيحي الإسلامي في القاهرة ٢٠٠١.
ـ مؤتمر الحوار المسيحي الإسلامي في فيينا ٢٠٠١.
ـ مؤتمر الشاعر مولانا جلال الدين الرومي في فيينا ٢٠٠١.
ـ مؤتمر أهل البيت عليهم السلام في سنندج إيران ٢٠٠١.
ـ مؤتمر الحوار بين الحضارات في دمشق ٢٠٠١.
ـ مؤتمر التقريب بين المذاهب في الجزائر ٢٠٠٢.
ـ الدورة الرابعة للمؤتمر العام في مكة المكرمة ٢٠٠٢.

## قائمة بأسماء مؤلفات الشيخ محمد علي التسخيري:

١ ـ مع بعض المؤتمرات الإسلامية لوزراء الخارجية.
٢ ـ أضواء على طريق الوحدة الإسلامية.
٣ ـ الوحدة.
٤ ـ من حياة أهل البيت عليهم السلام.
٥ ـ أوراق وأعماق. (ديوان شعر)
٦ ـ التقارب الإسلامي المسيحي.
٧ ـ نظام العبادات في الإسلام.
٨ ـ الاقتصاد.
٩ ـ الصوم والروايات المشتركة بالاشتراك مع الشيخ محمود قانصوه.
١٠ ـ الدولة الإسلامية.
١١ ـ حول كتاب الآيات الشيطانية.
١٢ ـ حول الدرستور الإسلامي ـ (أسس النظام الإسلامي).
١٣ ـ الصحوة الإسلامية.
١٤ ـ مع الأمة والذكريات.
١٥ ـ ملتقيات الفكر الإسلامي في الجزائر.
١٦ ـ قواعد أصول الفقه على مذهب الإمامية بالاشتراك مع لجنة من العلماء.
١٧ ـ القواعد الفقهية (١) بالاشتراك مع لجنة من العلماء.
١٨ ـ القوعد الفقهية (٢) بالاشتراك مع لجنة من العلماء.
١٩ ـ الظواهر العامة في الإسلام.
٢٠ ـ حول الشيعة والمرجعية.
٢١ ـ مع مؤتمرات مجمع الفقه الإسلامي (١).
٢٢ ـ مع مؤتمرات مجمع الفقه الإسلامي (٢).
٢٣ ـ مع مؤتمرات مجمع الفقه الإسلامي (٣).

٢٤ ـ المؤتمر الدولي للسكان والتنمية.
٢٥ ـ تفسير القرآن الكريم (١) بالاشتراك مع سماحة الشيخ النعماني.
٢٦ ـ نظام العقوبات الإسلامية.
٢٧ ـ رأي الإسلام في السلام المفروض.
٢٨ ـ الحج أهدافه ودوره.
٢٩ ـ النبع والسمكة.
٣٠ ـ الزكاة.
٣١ ـ الإسلام دين الكرامة الحقة.
٣٢ ـ صلاة الجمعة والروايات المشتركة حولها بالاشتراك مع الشيخ محمود قانصوه.
٣٣ ـ إلى الوحدة أيها المسلمون.
٣٤ ـ في الطريق إلى الله.
٣٥ ـ خرافة أزلية المادة. (ترجمة)
٣٦ ـ نشيد المقاومة الفلسطينية. (ترجمة)
٣٧ ـ النبي الأمي. (ترجمة)
٣٨ ـ الإنسان والقدر. (ترجمة)
٣٩ ـ الهدف السامي للحياة الإنسانية. (ترجمة)
٤٠ ـ الدوافع نحو المادية. (ترجمة)
٤١ ـ نحو حياة أفضل. (ترجمة)
٤٢ ـ دروس في أصول الدين. (ترجمة)
٤٣ ـ حياة نبي الإسلام. (ترجمة)
٤٤ ـ الإمامة والولاية في القرآن الكريم. (إشراف)
٤٥ ـ التكامل الاجتماعي للإنسان. (ترجمة)
٤٦ ـ حول النظرة الكونية. (ترجمة)
٤٧ ـ العودة إلى الذات. (ترجمة)
٤٨ ـ حول المثالية والواقعية. (ترجمة)
٤٩ ـ الفطرة والله. (ترجمة)

## توصيف إجمالي لأعمال الشيخ التسخيري:

### عنوان الكتاب: حول الدستور الإسلامي في مواده العامة

الناشر: مؤسسة الهدى للنشر والتوزيع
الطبعة: الرابعة ١٤٢١ هجري قمري / ٢٠٠٠ ميلادي
موضوع الكتاب: الفقه السياسي ونظام الحكم والقانون الدستوري في الجمهورية الإسلاميظ الإيرانية.

### المحتويات:

يضم الكتاب أربعة عشر فصلاً يعالج كل منها موضوعاً محدداً، فيبحث الفصل الأوّل العلاقة بين

الأيديولوجية والنظرة الكونية، والفصل الثاني عناصر النظرة الكونية أو التصور الإسلامي الكوني، والثالث أهداف الدولة الإسلامية وأسسها وخصائصها. فيما تحدث الفصل الرابع عن موقف الإسلام من مسألة الحكم والسيادة، والفصل الخامس عن حقوق الإنسان بين الإعلانين الإسلامي والعالمي والدستور الإسلامي، والسادس عن الإسلام أساساً للدستور في كل مواده، والسابع عن دور العمل الحكومي في تحقيق مسؤوليات الدولة الإسلامية، أما الفصل الثامن فقد اختص بولاية الفقيه عند الشيعة والسنة، والفصل التاسع بالشورى في الإسلام ونظامها وعلاقتها بولاية الفقيه، وبحث المؤلف في الفصل العاشر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باعتبارها من أهم خصائص الأمة الإسلامية، وفي الحادي عشر بحث موضوع الأسرة باعتبارها الحجر الأساس في النظرية الاجتماعية الإسلامية ثم تطرق إلى موضوع الوحدة الإسلامية وإشكاليات الواقع الدولي في الفصل الثاني عشر، فيما اختص الفصل الثالث عشر بالمادة الثانية عشرة من دستور الجمهورية الإسلامية ذات العلاقة بالمذهب الرسمي في البلاد والفصل الرابع عشر بالمادتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة اللتين تقننان موضوع حقوق الأقليات الدينية في الدولة الإسلامية.

**عنوان الكتاب: الدولة الإسلامية ـ دراسات في وظائفها السياسية والاقتصادية.**

الناشر: مجلة التوحيد (منظمة الإعلام الإسلامي) الكتاب الأوّل من سلسلة كتاب التوحيد.

الطبعة: الأولى ١٤١٤ هجري قمري / ١٩٩٤ ميلادي

موضوع الكتاب: النظام السياسي والقانون الدستوري والنظام الاقتصادي للدولة الإسلامية

**المحتويات:**

يضم الكتاب بابين ومقدمة بقلم الأستاذ علي المؤمن رئيس تحرير مجلة التوحيد، ويحمل الباب الأوّل عنوان: النظام السياسي في الدولة الإسلامية ويحتوي على أربعة فصول يبحث الأوّل موضوع نظرية الدولة، وضرورة الحكومة والثاني موضوع العلاقات الدولية وإشكالية حركة الدولة في إطار القانون الدولي، وبحث المؤلف في الفصل الثالث دور الدولة الإسلامية في استتباب السلام العالمي وفي الفصل الرابع مبادئ الدستور الإسلامي وأسسه النظرية. واحتوى الباب الثاني الذي حمل عنوان النظام الاقتصادي في الدولظ الإسلامية خمسة فصول أيضاً، بحث الأوّل منها ـ

الخامس حسب تسلسل فصول الكتاب ـ الواجبات العامة للدولة في المجال الاقتصادي والفصل السادس موضوع اقتصاد الدولة الإسلامية وواردتها وتحدث الفصل السابع عن الحرية الاقتصادية في الإسلام وصفاتها العامة وحدودها فيما اختص الفصل الثامن بموضوع التسعير وتقنين الدولة للقيمة المادية للسلع والفصل التاسع بالعمليات المصرفية ونظام المصارف اللاربوية.

**عنوان الكتاب: ملتقيات الفكر الإسلامي في الجزائر.**

الناشر: مؤسسة الهدى للنشر والتوزيع.

الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هجري قمري / ١٩٩٩ ميلادي

موضوع الكتاب: استعراض للمؤتمرات الفكرية الدولية.

**المحتويات:**

يضم الكتاب استعراضاً لستة ملتقيات عقدت في الجزائر في سنوات متعاقبة حاضر فيها علماء متخصصون وحضرها جمع كبير من العلماء والمفكرين والأساتذة والطلاب الجامعيين. بين الكاتب انطباعه ودورها في بلورة الصحوة الإسلامية وتنميتها، وذكر مقترحات قيمة في إنجاح هذه الملتقيات وكيفية تفعيل مقرراتها والتحذير من حرفها، وذكر بعض مقترحات اللجان وتوصياتها ونقد بعض مجرياتها. كما تحدث عن نشاط الجمهورية الإسلامية الإيرانية خارج وداخل أطر الملتقيات من قبيل مناقشة المحاضرين والإجابة على أسئلة المستمعين ومحاورة وصياغة بيانات اللجان والبيانات الختامية ورفدها بالبحوث والمقالات التالية والتي ألقيت في هذه المؤتمرات من قبل المؤلف.

١ ـ مستقبل المجتمع الانساني على ضوء القرآن الكريم مبيناً وسائل وأساليب القرآن الكريم التي يراها كفيلة في تحقيق هذه الرؤية.

٢ ـ السنة النبوية ودفع الشبهات عنها باعتبارها المرجع الثاني للمسلمين بعد القرآن الكريم راداً فيه شكوك وشبهات الأعداء حولها.

٣ ـ حول الاجتهاد في مدرسة أهل البيت مبيناً معنى وضرورة الاجتهاد، ولمحة تاريخية عن هذه المدرسة وخصائصها.

٤ ـ الصحوة الإسلامية: حقيقتها أسبابها استدامتها، معرّفاً حقيقة الصحوة الإسلامية وصفات المسلم الصاحي ومن ساهم في أحداثها وما يجب

مراعاته في ترشيدها وديمومتها.

٥ ـ النهوض الثقافي في المجال الإعلامي متحدثاً فيها عن المساحة الثقافية ـ العقائدية والعاطفية والعملية ـ في نظر الإسلام ودورها في تعميق الإيمان في النفوس وتفعيله في ميادين الحياة.

٦ ـ التوازن في التصور الإسلامي عن الواقع والمجتمع، ذاكراً فيه معنى التوازن وشروطه في العرف الإسلامي وموقعه في تقييم الواقع وتعامل المسلم معه والتشريع والمجتمع.

**عنوان الكتاب: الصحوة الإسلامية والإعلام.**

الناشر: رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية / مديرية الترجمة والنشر.

الطبعة: الأولى ١٤١٨ هجري قمري / ١٩٩٧ ميلادي

موضوع الكتاب: الصحوة الإسلامية.

**المحتويات:**

يتألف الكتاب من مقدمة وأربعة فصول تحدث في الفصل الأوّل عن الصحوة الإسلامية مبيناً معالمها وعوامل حصولها، ووسائل ديمومتها، وسلامتها من الطعن والتشويه، والاحتواء ووسائل نضجها وترشيدها، وعن المرونة الإسلامية في التطبيق والتبليغ، واستعرض الأمثلة الدالة على هذه المرونة والتدرج في الأحكام، وضمن استعراضه لهذه الأمثلة رد بعض الشبهات التي أثيرت بوجه الإسلام. وفي الفصل الثاني تحدث عن الغزو الفكري، وأساليب المواجهة مستشهداً ببعض الآيات القرآنية، مبيناً بعدها الحكمة من وجود المحكم والمتشابه في القرآن، ورد المشككين فيه وفي السنة النبوية كأهم مصدرين للتصور والأحكام الإسلامية، كما بين دور الحكومة والدولة وأهميتها في أري الماركسية والإسلام، وتأثير الدول العلمانية الغربية على العالم الإسلامي، وموقف الإسلام من العلمانية وسيادة الدولة. كما ذكر في الفصل الثالث من الكتاب دور الإعلام الإسلامي في إحداث الصحوة الإسلامية، مبيناً عناصر الضعف فيه والمقترحات التي يراها مناسبة لتلافي هذا الضعف ناقداً السطحية اللامبالية والتعمق اللاطبيعي لدى بعض المفكرين داعياً إلى توحيد العمل التبليغي في العالم، مبيناً أهداف الدعوة وخصائصها، وعناصرها، وأساليبها، ووسائلها، ويذكر الفصل الخامس بعض المقابلات الصحفية حول الثقافة والإعلام في مجال المواجهة والتغيير وعلاقة الصحوة الإسلامية بالإعلام ودور رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية.

**عنوان الكتاب: الأمة الإسلامية والذكريات.**

الناشر: معاونية العلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي.

الطبعة: الأولى ١٤١٤ هجري قمري / ١٩٩٤ ميلادي

موضوع الكتاب: مناسبات إسلامية.

**المحتويات:**

يضم الكتاب عدة محطات لمناسبات متنوعة تحت عناوين رئيسة، فالعنوان الأوّل (مناسبات إسلامية) ويضم أحاديث عن شخصية الرسول صلى الله عليه وآله والإمام الصادق عليه السلام ونهضة الإمام الحسين عليه السلام، وشهر رمضان، والحج، وتحت العنوان الرئيسي الثاني (مناسبات الثورة الإسلامية) تحدث حول يوم الجمهورية الإسلامية، وإصلاح الدستور، وحكم الإمام حول كتاب (الآيات الشيطانية)، ويوم المرأة، ويوم القدس، وغيرها من الموضوعات الثورية الأخرى التي تهتم بها الجمهورية الإسلامية في إيران، وتحت عنوان شهيد العلم والجهاد تحدث عن الشهيد آية الله السيد محمّد باقر الصدر، والشهيد آية الله المطهري، ثم كتب حول العنوان الأخير من أدوائنا في الفكر والعمل وبالتالي فهي محطات تأمّل يمكن ان يستوحي المؤمن منها العبر وتجلية أبعادها التغييرية.

**عنوان الكتاب: أضواء على طريق الوحدة الإسلامية**

الناشر: رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية / مديرية الترجمة والنشر.

الطبعة: الأولى ١٤١٨ هجري قمري / ١٩٩٨ ميلادي

موضوع الكتاب: الوحدة الإسلامية.

**المحتويات:**

يضم الكتاب ثلاثة فصول ومقدمة تشير إلى أهمية الوحدة الإسلامية ومساحاتها وآثارها، أما الفصل الأوّل فقد تحدث عن وحدة المسيرة المؤمنة بجميع الأديان السماوية حيث تستمد شريعتها من الله تعالى مستشهداً بآيات قرآني، وكذلك وحدة السنن الإلهية الكونية، وفي الفصل الثاني يعطي شواهد عملية للوحدة في الإسلام فالحج وصلاة الجمعة والعيدين بعض من مظاهر العبادات التي تجسد وحدة المسلمين في أفكارهم وشعائرهم مستشهداً بآيات القرآن وأحاديث

المعصومين عليهم السلام على أهميتهما وانهما طريقان يؤديان بالمسلم إلى الجنة، ثم يتطرق في الفصل الثالث إلى جوانب تقريبية أخرى في مجال الأدلة الأصولية تمهيداً للتقريب في المساحات الفقهية مقدماً بعض المقترحات المناسبة في هذا الشأن، ثم تحدث عن جوانب سياسية وغير سياسية لها ارتباط ما بالوحدة الإسلامية.

**عنوان الكتاب: الحج وآثاره على الحياة الاجتماعية.**

الناشر: رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية / مديرية الترجمة والنشر.

الطبعة: الثانية / ١٩٩٦

موضوع الكتاب: الفقه والمجتمع.

**المحتويات:**

ويضم الكتاب مقدمة وتمهيداً حول أعمال الحج فقهاً مقارناً، كما يضم ثلاثة فصول يذكر في الفصل الأوّل الروايات المشتركة في الحج وفيه خمسة عشر باباً تضم روايات عن طريق الشيعة وأهل السنة حول مواضيع مختلفة تتعلق بالحج، أما في الفصل الثاني فيتحدث عن فلسفة الحج وتحقيق هدف الأنبياء، وفي الفصل الثالث يتحدث عن قداسة الحرام وأمنه وآثارهما الاجتماعية والسياسية مستشهداً بالآيات القرآنية والروايات ومبيناً تلك الآثار التي يستفيد منها الفرد والأمة في تحقيق السعادة المتوخاة من الحج.

**عنوان الكتاب: مع مؤتمرات مجمع الفقه الإسلامي.**

الناشر: مؤسسة الهدى للنشر والتوزيع.

الطبعة: الأولى ١٤١٩ هجري قمري / ١٩٩٩ ميلادي

موضوع الكتاب: الفقه

**المحتويات:**

يتكون الكتاب من حوالي ألف صفحة في جزئين ذكر فيه تعريفاً بمجمع الفقه الإسلامي ومبادئه العامة ونظامه الأساسي وأهدافه، واللائحة التنفيذية التي أقرها في دورته التأسيسية والمشاركين فيها وأعضاء مكتب مجلس المجمع وشعبة التخطيط والترجمة فيه، ثم تحدث عن تسع من دورات المجمع قدم من خلالها صوراً عن مجرياتها ونشاطات وفد الجمهورية الإسلامية الإيرانية ومناقشاته فيه والتوصيات والقرارات التي أوصى

المجمع بها. كما ذكر المقالات والبحوث الفقهية والأصولية وغيرها التي ساهم بها المؤلف وهي «خلاصة التأمين» و «مسألة الفرار من الربا» و «الاستحسان المقارن» وخطاب الضمان و «توحيد بدايات الشهور العربية» و «إحرام الحجاج الوافدين إلى جدة بالطائرة» و «كيفية مكافحة المفاسد الأخلاقية» و «بدل الخلو وتصحيحه» و «العرف ودوره في عملية الاستنباط» و «الحقوق المعنوية وإمكان بيعها» و «حقوق التأليف والطبع والنشر» و «نظرة إلى عقد المرابحة للآمر بالشراء» و «الإجارة بشرط التمليك والوفاء بالوعد» و «رأي في تنظيم العائلة وتحديد النسل» و «مسألة تغير قيمة العملة الورقية وأثرها على الأموال المؤجلة» و «حكم إجراء العقود بوسائل الاتصال الحديثة» و «زراعة عضو استأصل في حد أو قصاص» و «بيع الوفاء عند الإمامية» و «الغزو الفكري وأساليب المواجهة» و «أحكام الحرب والأسرى في الإسلام بين الرحمة والمصلحة» و «حقوق الإنسان بين الإعلانين الإسلامي والعالمي» و «التلفيق والأخذ بالرخص وحكمها» و «بطاقات الائتمان وتكييفهما الشرعي» و «الودائع المصرفية وتكييفها الفقهي وأحكامها» و «المناقصات (عرض ونقد)» و «سد الذرائع» و «نفي الغرر والسلم وتطبيقاته المعاصرة» و «تجارة الذهب» و «الاختراق الحضاري الثقافي للمجتمع الإيراني» و «الوحدة الإسلامية والتعامل الدولي» مبيناً رأي العلماء الشيعة فيها من قبيل الشيخ الأنصاري والسيد محسن الحكيم والسيد الخميني والسيد أبو القاسم الخوئي والسيد الشهيد محمد باقر الصدر والشهيد الأوّل والمحدث الكاشاني وصاحب الحدائق وصاحب الجواهر الكلام والنراقي والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء والعلامة مغنية وغيرهم، إضافة إلى رأيه فيها مقارناً بآراء علماء أهل السنة (الحنفية والمالكية والحنابلة والشافعية) وذكر بعض الأحاديث المناسبة عن طريق الفريقين الشيعة وأهل السنة.

**عنوان الكتاب: الظواهر العامة في الإسلام.**

الناشر: دار الحق للطباعة والنشر والتوزيع.

الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هجري قمري / ٢٠٠١ ميلادي.

موضوع الكتاب: ثقافة إسلامية.

**المحتويات:**

يقع الكتاب في أكثر من أربعمائة صفحة يستعرض خمساً من الظواهر العامة في الإسلام وهي الظاهرة الأخلاقية وظاهرة الترابط وظاهرة التوازن

وظاهرة المرونة وظاهرة الأمل.

فمن خلال حديثه عن الظاهرة الأخلاقية تحدث عن روح النظام الإسلامي وإطاه العام وأنه مستمد من هدفية الخلقة الإنسانية العامة والدوافع الفطرية المتأصلة في هذا الموجود، وبين العناصر اللازم توفرها في المجتمع المعد للتطبيق الإسلامي الجيد كما تحدث عن أسلوب الإسلام في تطبيق نظامه الأخلاقي ونفي الشبهات التي أثيرت حول الواقعية الإسلامية.

وعند حديثه عن ظاهرة الترابط تعرض لمدارج ومراتب هذا الترابط في نظر الإسلام فبدأ ببيان الترابط الكوني ونظرة الإسلام نحوه ثم الترابط بين مكونات الإسلام ثمّ الترابط بين قطاعات الأمس المسلمة وأفرادها ثم تحدث عن المظاهر العامة لتركيز هذا الارتباط في ذهن الأمة فذكر خمساً منها.

وفي بيانه عن ظاهرة التوازن تحدث عن الحكمة المتجلية في مخلوقات الله وتشريعاته والتوازن الحكيم فيهما.

ففي حديثه عن مجالات التوازن في الواقع ذكر تسعة من مجالات الموازنة بين خلالها أنواع الهدايات والعوامل المحركة للتاريخ والنظريات المطروحة حولها فناقشها ثم تحدث عن عشر من سمات تعامل المسلم مع الواقع. ثم تحدث عن التوازن في المجال التشريعي وذكر الآراء السياسية في أحقية انتخاب الشعب قائده ورئيس حكومته والتشريعات المقترحة وناقشها، كما بين صوراً من التوازن في النظم الإسلامية تطرق خلالها إلى صفات الحاكم وأنواع الملكية وحالات الذات وميولها ومعالجة القرآن لأمراضها وتوجيهها الوجهة النافعة.

أما في حديثه عن الظاهرة الرابعة ـ ظاهرة المرونة الإسلامية ـ في مجالي التشريع والتطبيق فقد تحدث عن الثابت والمتغير في التشريعات الإسلامية ومظاهر التدرج في إعطاء الأحكام وتشريعها وكذلك في مواجهة الخصوم ومراحل تطبيق الأحكام ذاكراً ـ خلال بحثه ـ العامل المغير للمجتمع بالأصالة بنظر الإسلام.

وفي خلال حديثه عن الظاهرة الخامسة (ظاهرة الأمل) ذكر أن عنصر الأمل أحد معالم المبدأ الناجح ثم تحدث عن الأمل في النظم الوضعية مبيناً أهم موهنات الأمل المادي كما ذكر الأمل في الإسلام مبيناً الروافد التي تغذيه، كما تحدث عن مسألتي القضاء والقدر وعن ضوابط الأمل مستشهداً بالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة بما يناسب المقام.

**عنـوان الكتـاب: الصـوم معطياتـه الأحكـام والروايات المشتركة فيه.**

الناشـر: معاونيـة العلاقـات الدوليـة فـي منظمـة الإعلام الإسلامي.

الطبعـة: الأولـى ١٤٠٦ هجـري قمـري / ١٩٨٥ ميلادي

موضوع الكتاب: فقه.

**المحتويات:**

يضم الكتاب ٣١٠ صفحات ويتكون من فصلين الفصل الأوّل حول روافد الشعود عند المسلم الصائم ويشمل خمسة أقسام القسم الأوّل منه حول عظمة الشهر، ومقام الصائم، وأهمية العبادة فيه مطلقاً، ومصاحفة الأعمال فيه، والقسم الثاني حول حكم الصوم، واستيحاء الصائم، روافده وآثاره الإيجابية على الفرد والمجتمع، والقسم الثالث حول روافد الجو القدسي المفعم بالمستحبات سيما الدعاء، والقسم الرابع حول روافد الذكريات فيه، والقسم الخامس حول روافد تشريع العيد. أما الفصل الثاني فيتعلق بأحكام الصوم ويشمل أربعة عشر قسماً هي: وقت الصيام، واجباته، أحكام تناول المفطرات، أحكام عامة، حديث حول ثبوت الهلال في أوله وأول شوال، الصيام في غير شهر رمضان، صوم القضاء، صوم التكفير، والتعويض، الصيام المستحب والمكروه، الصيام المحرم، جدول للمقارنة بين أقسام الصوم الاعتكاف، زكاة الفطرة، وصلاة العيد.

أما الفصل الثالث: فيتعلق بذكر الروايات المشتركة حول الصوم ويضم سبعة أقسام تتحدث عن فضل الصوم والصائم في شهر رمضان، من يصح منه الصيام في أحكام الصيام في ما يجب وما لا يجب الإمساك عنه في آداب الصائم في القضاء وبالتالي في بقية الصوم.

**عنوان الكتاب: المؤتمر الدولي للسكان والتنمية (في القاهرة)**

الناشر: مؤسسة الهدى للنشر والتوزيع.

الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هجري قمري / ١٩٩٩ ميلادي

موضوع الكتاب:

**المحتويات:**

يضم الكتاب ٧٥٠ صفحة ويتكون من ثلاثة أقسام يبين القسم الأوّل تقريراً عن المؤتمر ونشاط الوفد

الإسلامي وتأثيره، وفيه نص خطاب رئيس الوفد الإيراني في المؤتمر ونص التعليق الذي ألقاه في الجلسة الختامية للمؤتمر تقريراً آخر عن الجلسات غير الرسمية للمؤتمر.

أما القسم الثاني فيبين التقرير الرسمي الذي أعدته منظمة الأمم المتحدة ويتعلق بالقرارات التي اتخذها المؤتمر والمبادئ التي تبناها في مهامه ودراساته ومداولاته والموضوعات التي أعدها للدراسة وتشمل النقاط التالية: المساواة بين الجنسين والإنصاف وتمكين المرأة الأسرة وأدوارها وحقوقها وتكوينها، النمو السكاني والهيكل السكاني، الحقوق الإنجابية والصحة الإنجابية، الصحة ومعدلات الاعتلال والوفيات، التوزيع السكاني، والتحضر الهجرة الدولية، السكان والتنمية، والتعليم التكنولوجيا، والبحث والتطوير، الإجراءات الوطنية التعاون الدولي المشاركة مع القطاع غير الحكومي ومتابعة أعمال المؤتمر.

أما القسم الثالث: فيتناول الموقف الإعلامي من المؤتمر ويشمل الموضوعات التالية: لماذا المؤتمر؟ أهدافه، المشاركة فيه أم المقاطعة؟ إيران في المؤتمر، مشكلات المسلمين والدول الإسلامية، وموقفهم من المؤتمر، موقف الديانات الأخرى من المؤتمر، أهداف مشتركة ومواقف متفاوتة، رأي المرأة في المؤتمر، موقف الدول الغربية منه، المستقبل الأفضل الغرب والعالم من نتائج المؤتمر.

كما الحق بالكتاب تقريران آخران الأوّل في نقد مؤتمر القاهرة، والثاني عن المجمع الدولي في مؤتمر لاهاي المسمى (وثيقة القاهرة + ٥ سنوات)

**عنوان الكتاب: من حياة أهل البيت عليهم السلام.**

الناشر: المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام.

الطبعة: الأولى ١٤١٦ هجري قمري / ١٩٩٥ ميلادي

موضوع الكتاب: سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام.

**المحتويات:**

يضم الكتاب ٢٨٢ صفحة ويتكون من قسمين رئيسيين القسم الأوّل منهما يبحث في مقومات الشخصية القيادية ويشمل النقاط التالية: أهم مقومات الشخصية القيادية، لماذا ندرس هذه المؤهلات؟ لماذا تفضيل الإطار السامي للعمل الانساني، المنهج التجزيئي والمنهج الشمولي خطان متميزان في مجال دراستهم عليهم السلام، مستوى الصورة الفردية والواقع الدور الاجتماعي الكبير للمعصومين عليهم السلام، ظاهرة القتل والم عنصران ضروريان لتحقيق مقومات المنهج الشمولي،

قواعد البحث المنطقية، التقية بين الإثبات والنفي، حب أهل البيت عليهم السلام وأثاره العملية الربط بينه وبين الحقيقة الكونية للحب قضية الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

أما القسم الثاني فيبحث موقف الإمام علي عليه السلام من معاوية ويشمل النقاط التالية: الموقف السياسي لأهل البيت عليهم السلام، لا يمكن فصل الموقف السياسي عن باقي المواقف، الموقف من معاوية وظاهرة عدم تقبل أنصاف الحلول، شبهة واعتراض قديم، نصوص تاريخية مرتبطة بالموقف، الجو الصالح لتطبيق الأطروحة الإسلامية، أهم مقومات التربية الاجتماعية، الفرصة المناسبة لإصلاحات الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام شواهد من القرآن الكريم والسيرة النبوية، الانحرافات والمصالح أججت نار الثورة، غرس الهدفية والالتزام الثقيل في قلب الحماس، الاستثمار السريع أهم مجالات الإصلاح الاجتماعي، مقياس تعيين الموظف، التذكير بدور الأئمة من أهل البيت دور الأمة في ضوء تعاليم الإسلام أطروحة الإمام تتجاوز عصره، هدف الإمام علي عليه السلام من الخلافة، نتائج العهد، الإمام يتعامل مع المسيرة المؤمنة عبر التاريخ، التغيير وأنواعه، الإمام والتغيير الجهاد الفاسد والتغيير الحقيقي، الربح المحتمل، دعاء معاوية، التخطيط الأموي الواسع الأبعاد، بعض الخسائر.

**عنوان الكتاب: حول كتاب الآيات الشيطانية.**

الناشر: المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام.

الطبعة: الأولى

موضوع الكتاب: ثقافة

**المحتويات:**

يتضمن النقاط التالية: من هو سلمان رشدي؟ حقيقة الكتاب الذي كتبه، أبعاد المؤامرة الكافرة، خلاصة الفصل السادس كتاب «الآيات الشيطانية، رد الفعل الإسلامي، أقوال فقهاء مدرسة أهل البيت عليهم السلام، كلمات الفقهاء من سائر المذاهب الإسلامية الأخرى، أدلة الحكم من السنة الشريفة.

**عنوان الكتاب: صلاة الجمعة والروايات المشتركة حولها.**

الناشر: معاونية العلاقة الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي.

الطبعة: الأولى ١٤٩٦ هجري قمري / ١٩٨٥ ميلادي

موضوع الكتاب: فلسفة العبادات وآثارها على الحياة الإسلامية.

**المحتويات:**

تأليف الكتاب من قبل سماحة الشيخ التسخيري وسماحة الشيخ محمود قانصوه.

يتمضن الكتاب مائة وأربعين صفحة، ويتكون من مقدمة وفصلين يتحدث في الفصل الأوّل عن أهمية صلاة الجمعة وأثرها على روحية الإنسان المسلم خاصة والمجتمع الإسلامي عامة، اضافة إلى رسالتها السياسية. وكونها مؤتمراً على مستوى المدينة وما يحيط بها، مجتمعاً إسلامياً مصغراً ويعدد ويشرح سبعاً من السمات التي امتازت بها صلاة الجمعة، ويقدم عدداً من المقترحات لإحيائها وتفعيلها، ثم يعرف المجتمع الإلامي المصغر ويعدد سماته مقارناً بصلاة الجمعة، سيما في مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

وأما في الفصل الثاني فقد ذكر عدداً من الأحاديث المروية عن أهل السنة والشيعة حول فضل صلاة الجمعة وفضيلة يوم الجمعة وبعض الأعمال التي يحسن أداؤها فيها وبعض آدابها ومستحبات الأعمال فيها، والتبكير إلى أدائها، وتعيين وقتها، وبيان فضلها، وعقوبة تاركها، ووجوبها على القرى والأمصار، والمعذورين من أدائها، وعدد المصلين فيها، وآية الانفضاض، وفي صلاة الإمام ولباسه واستقباله، وغيرها من خصوصيات وأفعال الإمام، وآداب المصلين. وصفات الخطبة، وغيرها مما يتعلق بعناصر صلاة الجمعة.

**عنوان الكتاب: التقارب الإسلامي المسيحي.**

الناشر: دار الحق.

الطبعة: الأولى ١٤١٨ هجري قمري / ١٩٩٧ ميلادي

موضوع الكتاب: الحوار بين الأديان

**المحتويات:**

عنوان الكتاب يدل على مضمونه، فهو يتحدث عن الحوار والتقارب بين الإسلام والمسيحية.

والمواضيع التالية: من بعثتهم، والقاعدة القرآنية للتقارب، وبعض نقاط الضعف في مسيرة الحوار، ومساحات مشتركة للحوار، منها: (حقوق الإنسان ـ السكان والتنمية ـ القيادة والشورى ـ الهجوم المادي)، ثم دعوة جميع الأديان إلى الحوار فالإجابة على الأسئلة حول التقارب في الحوار، فتطور الفقه نحو تعاون

مشترك، ومدارس الأقليات الدينية في الجمهورية الإسلامية، الحرية والكرامة، الدين والحب، الفطرة في ظل المعايشة اليومية لأمور الحياة على ضوء المنهج القرآني، وضع المسيحيين في الجمهورية الإسلامية، العقول المتنورة في مجتمع الثورة الإسلامية، علاقة الدين بالوحي ونظام الحكم في الجمهورية الإسلامية، ورأي الشعب في (الديمقراطية) فالحوار من أجل الوصول إلى الحقيقة، ثم بيان وتوضيح العدالة الاجتماعية في الإسلام.

**عنوان الكتاب: مع بعض المؤتمرات الإسلامية لوزارء الخارجية.**

الناشر: رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية.

الطبعة: الأولى ١٤١٧ هجري قمري / ١٩٩٦ ميلادي

موضوع الكتاب: سياسة

**المحتويات:**

يضم الكتاب حوالي ٢٦٠ صفحة، تحدث فيه المؤلف عن سبعة مؤتمرات وزراء خارجية الدول المنبثقة عن المؤتمر الإسلامي والتي شارك المؤلف فيها وهي المؤتمر الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر، مبيناً خلالها أهم الموضوعات التي طرحت فيها لدراستها، وما اتخذته من قرارات، وما تم إنجازه من أعمال، ناقداً المواقف المتفاوتة في قاعات النقاش، مبيناً ما امتاز به الوفد الإيراني من خصائص وامتيازات، الدور الذي قام به وما قدمه من مقترحات ومناقشات ولقاءات وخطب له أو للسيد ولايتي وزير الخارجية آنذاك.

هذا وقد الحق بكتابه خمسة ملحقات تضمن الملحق الأوّل منها، قائمة بمواعيد عقد مؤتمرات القمة، وأخرى بمؤتمرات وزراء الخارجية، وثالثة بمؤتمرات مجمع الفقه الإسلامي ورابعة بالدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي، وخامسة في بيان فروع منظمة المؤتمر الإسلامي، وخامساً في بيان فروع منظمة المؤتمر الإسلامي والمؤسسات التابعة لها، بينما تضمن الملحق الثاني نص ميثاق تأسيس منظمة المؤتمر الإسلامي والمواد الأساسية لقانونها الأساسي الذي تضمن ثلاث عشرة مادة، أما الملحق الثالث فقد تضمن تقريراً عن الاجتماع الأول للجنة الإسلامية لمراقبة تحركات العدو الصهيوني، أما الملحق الرابع، فقد تضمن تقريراً عن الندوة الإسلامية الدولية حول ظاهرة

الإرهاب في العالم المعاصر وبحثاً حول تعريف الإرهاب من وجهة نظر إسلامية وإنسانية، أما الملحق الخامس فكان تقرير المؤلف حول المحصول الثقافي لمنظمة المؤتمر الإسلامي بمناسبة الذكرى الفضية لتأسيسها. كما تضمن الكتاب نص مواد الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان ومعلومات حول منظمة المؤتمر الإسلامي.

**عنوان الكتاب: نظام العقوبات الإسلامية.**

الناشر: معاونية العلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي.

الطبعة: الأولى بيروت ١٣٩٨ هجري قمري / ١٩٧٨ ميلادي

موضوع الكتاب: النظم الإسلامية

**المحتويات:**

يتضمن الكتاب خمسة عشر فصلاً، تحدث في الفصل الأوّل منها عن نظام العقوبات بإيجاز، وعن أقسام الجرائم وأقسام العقوبات، وفي الفصل الثاني تحدث عن التوازن بين نظام العقوبات وحياة الإنسان، أما الفصل الثالث فكان حول المذهب الجبري وانه عامل مشجع على الاجرام بألوانه، كما تحدث في الفصل الرابع عن فشل المادية في منع الإجرام ونجاح الدين، وأما في الفصل الخامس فقد ذكر الترابط بين القانون الجنائي والأجزاء الإسلامية الأخرى، وفي الفصل السادس تحدث عن تأثير التصورات والعواطف في تقرير نوع العقوبة، وفي الفصل السابع بين الهدف الأخلاقي من الميزات المهمة للشريعة وارتباط العقوبة به وفي الفصل الثامن ذكر قصد القربة لله تعالى وتأثيره في بعض العقوبات، كما تحدث في الفصل التاسع عن نظرية الشريعة في العقاب وعن سبقها للقانون فيه، وفي الفصل العاشر تحدث عن منطقة الفراغ في التشريع الجنائي، وفي الفصل الحادي عشر تحدث عن الاحتياطات الكبرى التي يتخذها الإسلام عند التثبت، وفي الفصل الثاني عشر ذكر بعض النتائج الباهرة لتطبيق قانون العقوبات الإسلامي، كما تحدث في الفصل الثالث عشر عن العيوب الأساسية في القوانين الوضعية وعلاج الإسلام لها، أما الفصل الرابع عشر فكان حول التهويل النظري للجريمة والدلالة على اثارها الوضعية مستشهداً بالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، وفي الفصل الخامس عشر ذكر الإشكالات الواردة على النظام الإسلامي ودفعها.

**عنوان الكتاب: الحج أهدافه ودوره.**

الناشر: المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية في بيروت.

الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هجري قمري / ١٩٨٨ ميلادي

موضوع الكتاب: فلسفة العبادات وآثارها على الحياة الاجتماعية.

**المحتويات:**

يضم الكتاب حوالي ثمانين صفحة يتناول فيه أهداف الحج ودوره عبر مجموعة من العناوين والموضوعات، فتحت عنوان: «الحج وتحقيق هدف الأنبياء» ذكر الموضوعات التالية: مناسك الحج في تهذيب نفس المسلم، بعض الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة الواردة عن أهل البيت عليهم السلام والأدعية الجليلة في هذا المجال.

وتحت عنوان: «قدسية الحرم وأمنه وآثارهما الاجتماعية والسياسية» يتحدث عن فضل الكعبة المشرفة ومسجدها وأمنهما مستدلاً على ذلك بالعديد من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، ثم يذكر ما يستظهره من النصوص وما يحس به وجدانه من آثار أعمال الحج فيذكر خمسة منها.

وتحت عنوان: دور الحج في تنشيط الوحدة الإسلامية يتحدث عن الوحدة الإسلامية وخصائصها ومعانيها ومجالات الاتفاق بين المسلمين فيذكر عدداً منها.

**عنوان الكتاب: تفسير القرآن الكريم.**

الناشر: معاونية العاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي.

الطبعة: الأولى ١٤١٣ هجري قمري / ١٩٩٢ ميلادي

موضوع الكتاب: تفسير القرآن

**المحتويات:**

يقع الكتاب في أكثر من خمسمائة صفحة، ويتضمن تفسير عشرة أجزاء من القرآن الكريم، يبدأ بتفسير سورة الحمد فالبقرة فآل عمران فالنساء فالمائدة فالأنعام فالأعراف فالتوبة، بجهود بذلها كل من سماحة الشيخ محمد علي التسخيري وسماحة الشيخ محمد سعيد النعماني، استهدفا فيه الإيجاز

والعمق والوضوح، اضافة إلى بيان ما يمكن بيانه من الأبعاد الأخلاقية والعسكرية والاجتماعية وغيرها للمفاهيم القرآنية، وحاولا تضمينه ما يوافق مختلف آراء المفسرين مع التركيز على المروي عن أهل البيت عليهم السلام.

وهما ـ مع وجازة التعبير ودقة البيان ـ لم يهملا الجوانب البلاغية والنحوية واللغوية والغائية وغيرها من دواعي التفسير وأسباب التنزيل في استعراض أدبي جميل.

كما تطرقا إلى بعض الجوانب العقائدية والفقهية التي يراها ويؤمن بها الشيعة، مثل التقية، فأثبتا ـ في موردها ـ أنها موقف إنساني وإسلامي خالص ينسجم مع الخلق والمنطق والفطرة، لحفظ الكيان العقائدي.

**عنوان الكتاب: في الطريق إلى الله.**

الناشر: معاونية العلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي.

الطبعة: الأولى ١٤١١ هجري قمري / ١٩٩٠ ميلادي

موضوع الكتاب: عقائد

**المحتويات:**

يتسعرض في الكتاب حواراً بين المدرستين: العقلية والحسية حول علة الوجود، في مناقشات موجزة بينهما، ينتهي منها إلى اثبات ان البرهان التجريبي لا يكفي وحده، بل ويعتمد على البرهان العقلي في اثبات نظريته ومدعاه.

كما يتعرض إلى ذكر نظرية المعرفة ومصادرها والمدارس التي تحوم حولها، يذكر ـ بعد ذلك ـ نظرية المعرفة القرآنية، وحث القرآن الإنسان على الاستفادة من حواسه الطبيعية في التدبر العقلي لاكتشاف الحقائق الكونية، ثم معرفة مبدعها وخالقها من خلالها.

ثم يذكر الفطرة الإنسانية ومجالاتها ودورها في اكتشاف الحقائق واثبات النظريات لكي تصل بالإنسان إلى الهدف الكبير.

ثم يتحدث عن أنواع الهداية الإلهية إلى الكمال الإنساني، يتعرض ـ من خلالها ـ إلى ذكر الغرائز ودورها في استكناه الحقائق، مبيناً عوامل وعلل الانحراف، نحو المادية، كما يبين الدوافع البيئية والنفسية، الشخصية والنوعية.

ثم يستشهد بالآيات القرآنية والأحاديث

الشـريفة علـى دور الفطـرة فـي التمهيـد إلـى سـلوك الإنسـان السـبيل المؤدي إلـى الله سـبحانه، عقب ذلـك يستشـهد بالتناسـق الكـوني وسـيره نحـو الكمـال والإيمـان مبينـاً مراتبهمـا والعلـة الكامنـة وراء هـذا التكامـل البـديع، كمـا يستشـهد بآيـات قرآنيـة أخـرى ذاكـراً لكثيـر مـن الآيـات الكونيـة ثـم مـا ورد مـن الأحاديـث الشـريفة فـي المجـال لينتهـي إلـى التوحيـد أحـد أهـم الـدعائم الإسـلامية التـي تقـوم عليهـا المبـادئ والأحكام الإسلامية الشريفة الأخرى.

# تَحَدِّيَاتُ تُجَابِهُ التَّقْرِيبَ

❖ محمد علي التسخيري رحمه الله(*)

(*) الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

فقد اثمرت جهود العلماء والمفكرين والمصلحين اتجاهاً عاماً نحو التقريب بين المذاهب الإسلامية، وميلاً عاماً نحو تغليب لغة الحوار المنطقية. وترجيحها على اية لغة اخرى انسجاماً مع توجهات الإسلام الأصيلة وتناغماً مع الميل العالمي نحو هذا الأسلوب فيما بين الحضارات و الثقافات والأديان.

والواقع أن كل النصوص الإسلامية والمفاهيم والأحكام الشرعية وتصريحات الأئمة والعلماء وسلوكاتهم تدفع نحو اعتماد هذا الاسلوب مما يفسح المجال نحو تحقق مثل هذه النتيجة.

ونحن اذ نستبشر خيراً بهذا الأمر نعتقد بلزوم تعميقه في الاذهان والنفوس لانه اتجاه علمي ونفسي خلقي في آن واحد، يريد أن يتعالى فيه الإنسان المسلم على خلافه في الراي مع الآخر، ويتغاضى عما يرتبه هذا الخلاف من مقتضيات التنوع في السلوك وصولا إلى الموقف الموحد من التحديات الكبرى التي تواجهها الامة، وكذلك من الامور الداخلية التي هي لوازم الشخصية الواحدة لها.

وتستلزم عملية التعميق هذه القيام بكل ما من شانه تحويل الرغبة في التقارب وبالتالي في التفاهم إلى ملَكة وخلق اجتماعي أصيل وعام بحيث يعود معه كل صوت تبعيدي حالة نشازاً وخروجاً على الجماعة، وسعياً خارج الدائرة وتحركاً خارج السرب تنفر منه الطباع وتتقزز منه النفوس.

ولن يتحقق هذا الهدف إلا إذا قام العلماء والمفكرون بعملية الاستيعاب الكامل للفكرة أولاً ودراسة تاريخها وآثارها في مسيرة الأمة التاريخية والحضارية ثانياً، وتوعية الجماهير بها وبآثارها ثالثاً ونقل الفكرة ـ بالتالي ـ إلى الممارسة العملية اليومية المستمرة حتى تتحقق تلك الملكة ويسود ذلك الخلق المطلوب.

وربما تطلب الامر تنفيذ مشروعات اجتماعية مشتركة في المجالات البحثية أو الاجتماعية وغيرها.

ولعل اهم نقطتين يجب التركيز عليهما في البين هما:

أ ـ استقصاء الدوافع الدينية والاجتماعية وحتى السياسية باعتبارها مقتضيات التحرك نحو التقريب في الفكر والتوحيد في العمل، واستعادة تلك الحالات التي تم فيها التقارب والتعاون بين العلماء في المشتركات ـ وما أوسع دائرتها ـ في حين راح البعض يعذر الآخر في ما اختلفوا فيه من المسائل.

ب ـ معرفة العقبات والموانع التي تقف بوجه ذلك.

اما النقطة الاولى فليست هي محط نظرنا فعلا رغم اهميتها. ويمكن الاستعانة فيها باساليب القرآن الكريم المتنوعة في الدفع نحو الوحدة من خلال الدعوة المباشرة، وتركيز روح التعامل العقلاني والحوار المنطقي مع الآخر، والتذكير بتوحد العدو ـ رغم تناقضاته ـ في جبهة المواجهة مع الأمة الإسلامية، والنتائج الايجابية للوحدة، والسلبية للتمزق وامثال ذلك وله حديث مفصل يذكر في محله.

واما النقطة الثانية فهي موضع تركيزنا هنا رغم أننا بلحاظ محدودية الزمان لا نستطيع التوسع في الامر.

## التحديات التي تواجه التقريب:

وهذه التحديات كثيرة وقاسية بعضها من الأعداء والآخر من داخل الأمة، ولعل اهمها ما يلي:

### اولاً: العامل الخارجي:

فمن الواضح تماماً ان أعداء هذه الامة يخلقون كل الظروف التي تؤدي لتمزيقها ويقفون في وجه كل ما يعمل لتوحيدها. وقد لاحظنا ان الاستعمار الغربي عمل خلال فترة احتلاله للعالم الإسلامي، وخصوصاً في الفترة التي احتل فيها العالم الإسلامي كله تقريباً، وقضى على آخر دولة إسلامية قوية في النصف الاول من القرن الميلادي العشرين، لاحظنا انه اعتمد سياسة ثلاثية تستهدف:

١ ـ ابقاء الامة على تخلفها العلمي والاقتصادي والثقافي والتعليمي وغير ذلك.

٢ ـ اشاعة الحالة العلمانية الغربية على الروح الإسلامية في العالم الإسلامي إلى جانب تحريك النزعات القومية والعنصرية ولكن سرعان ما فشل مشروعه مما دعى بعض الكتاب المعاصرين لتسميته بـ

«النصر سريع الزوال للعلمانية (١٩٢٠ ـ ١٩٧٠)»

٣ ـ تمزيق العالم الإسلامي إلى دول وشعوب متفرقة، وتحريك العنعنات المذهبية والجغرافية والقومية والعنصرية وحتى التاريخية اذ شجع كل جزء منها للتأكيد على تأريخه قبل الإسلام أو تاريخه الخاص به بعد الإسلام حتى رأيناه يشجع بعض شعوب آسيا الوسطى لتعظم أمثال الطاغية تيمورلنك باعتباره بطلا قومياً، ونسيان جرائمه الوحشية ضد شعوب الامة الإسلامية. كل ذلك خوفا من هاجس الوحدة الإسلامية الذي يجري الحديث عنه والتخوف منه باستمرار من قبل القادة والمفكرين والكتاب الغربيين ويتم التنظير لصراع دائم مع العالم الإسلامي على اساسه تقول الكاتبة الغربية هانتر في مقدمة كتابها (مستقبل الإسلام والغرب) مايلي: :

«قامت الرواية التي ألفها جون بوشان، وكان لايزال رائداً في إستخبارات الجيش البريطاني عام ١٩١٦، على فرضية قيام ثورة إسلامية، من شأنها، إذا ما اندلعت، أن تقلب مجرى الحرب العالمية الأولى في غير مصلحة القوات الحليفة.

كتب بوشان في روايته، العباءة الخضراء **The Green Mantle**: «**الإسلام عقيدة قتالية، إذ لا يزال ذلك الشيخ يقف في المحراب حاملاً القرآن باليد والسيف المشهور في اليد الأخرى. فإذا افترضنا أن هناك أملاً بالخلاص يعيد الروح حتى إلى الفلاحين في المناطق النائية ويدغدغ أحلامهم بالجنة فماذا سيحدث يا صديقي؟ ستفتح جهنم أبوابها في هذه الأرجاء عما قريب. لدي تقارير من العلماء في كل مكان؛ صغار التجار في جنوب روسيا، وتجار الأحصنة في افغانستان والتجار التركمان، والحجاج في الطريق إلى مكة، والأشراف في شمال أفريقيا، ولابسي جلود الغنم من المغول، والفقراء الهندوس والتجار اليونانيين في الخليج، فضلا عن القناصل المحترمين الذين يستخدمون الشيفرة. هؤلاء جميعاً يجمعون في رواياتهم التي يرسلونها إلي على الأمر نفسه، أن الشرق في إنتظار إشارة إلهية**».

بعد ذلك بنحو ثلاثة أرباع القرن، عبر المعلق السياسي الأميركي، تشارلز كراوثمر، عن مخاوف مماثلة عندما قال إن الولايات المتحدة تواجه خطرين جيوسياسيين محتملين، يتأتى احدهما من المنطقة نفسها التي ذكرها جون بوشان في روايته، فهو يتخذ «شكل عالم إسلامي متحد تحت راية أصولية على النمط الايراني تخوض صراعاً وجودياً ضد الغرب

الكافر».[1]

وها نحن نشهد دور اليد الاجنبية الممتدة لتحرك النزاعات الطائفية في باكستان والعراق وافغانستان ولبنان وسائر البلاد التي يتعايش فيها اتباع المذاهب. وربما استخدمت وسائل الاعلام والاقلام والالسنة الماجورة لتحقيق الهدف، والتحدث عن النفوذ الإيراني و (الشيعي) والتخويف الوهمي وبالتالي تفكيك الامة وإهدار قواها، لتنسى وحدتها وتنحرف بوصلتها عن المشكلة الواقعية، والعدو الحقيقي، فإذا هي مشكلة الصراع العربي الفارسي أو العربي الكردي وليست مشكلة الصراع بين الصحوة الإسلامية والاستعمار والاستكبار العالمي وربيبته الصهيونية العالمية.

## ثانياً: المصالح الشخصية لبعض الزعماء والحكام

وهو امر شهدناه في عصور الظلام الماضية، ونشهده اليوم ايضاً حيث يستغل البعض نفوذه ليثير العامة بل ربما بعض المنتسبين لاهل العلم لتحريك الاحن والنزاعات الطائفية.

يقول احد الكتاب المؤرخين واصفاً بعض حروب الطوائف بتحريك من السلطات الحاكمة:

«وكانت لا تمر سنة دون عنف بين ما وصف بفرق السنة وفرق الشيعة في سائر ارجاء المنطقة العربية الإسلامية فقد تولى الترك بانفسهم عام ٢٤٩هـ عمليات القمع الطائفي ضد الشيعة... وكان اكثر الضحايا من منطقة (الشاكرية) ببغداد وبنتيجتها هوجم السجن المركزي واحرق احد الجسرين الواصلين بين جانبي الكرخ والرصافة».

ويستمر في الحديث عن دور حكومات الطوائف في تحريك الفتن في مصر، وعن الاقتتال الطائفي بعد قيام حركة الزنج في سواد جنوب العراق، وامتداد النزاع إلى المدينة المنورة والى طبرستان، وتواصلت إلى شمال افريقيا وهكذا.[2]

وهناك كتب كثيرة تتحدث عن هذه الظاهرة كمقدمة ابن خلدون وغيرها.

ويكفي ان نذكر بدور النزاع العثماني الصفوي ـ الذي دام اربعة قرون ـ في خلق الفتن الطائفية الداخلية واضعاف الامة الإسلامية مما جر بالتالي إلى ان تفقد شوكتها وعزتها امام التحديات.

وهنا نود ان ننقل نصاً للسيد الباز العريني مترجم كتاب الحروب الصليبية للكاتب الغربي ارنست باركر يقول فيه:

على ان السبب الاكبر في نجاح الصليبيين، لم يرجع فحسب إلى كثرة عددهم، والى ما تلقوه من مساعدات من الدولة البيزنطية، بل يرجع أساساً إلى تفرق وحدة المسلمين من الناحيتين السياسية والدينية. ففي الوقت الذي انطلقت فيه القوات الصليبية نحو الشرق، اشتد النزاع بين الاخوين دقاق ورضوان من امراء السلاجقة، من اجل حرص كل منهما على ان ينفرد بحكم سوريا، ونشبت فعلا الحرب بين الاخوين، بينما كان الصليبيون في طريقهم إلى الشام. وما حدث من الاختلاف الديني والسياسي، بين الخلافة العباسية في بغداد، والخلافة الفاطمية في القاهرة، كان معروفاً عند الصليبيين. وحينما سعى الامراء السنيون في الشام إلى الاتصال بالخليفة الفاطمي، يطلبون التعاون لوقف تقدم الصليبيين، لم يجدوا استعدادا عند الخليفة الفاطمي لتحقيق غرضهم.

واذ تبين ان نجاح الصليبيين يرجع إلى ما ساد العالم الإسلامي من الاختلاف السياسي والديني، سعى الامراء والقادة المسلمون، على أسباب هذه التفرقة، فأعلنوا حركة الجهاد الديني. فاحرزوا من الانتصارات ما ادى إلى توحيد مصر والشام واعالي الجزيرة، وبذلك تم حصر الصليبيين على الساحل، وتلى ذلك ازالة الخلافة الفاطمية، ودعوة الديار المصرية إلى المذهب السني، فتحققت بذلك الوحدة الروحية ايضاً وتيسر لصلاح الدين عندئذ ان يقهر الصليبيين، وان يسترد معظم ما استولوا عليه من الاراضي، واضحت هذه السياسة، هي القاعدة التي جرى عليها الايوبيون والمماليك حتى انقطع دابر الصليبيين نهائياً من الشرق سنة ١٢٩١، فضلا عن تجنب البلاد خطر المغول بعد ان حاقت بهم الهزائم المتكررة.

وهذا الكتاب الذي نقلته إلى اللغة العربية، انما يصور ما صاحب الحركة الصليبية من اغراض استعمارية، ويشرح العوامل المختلفة التي تحكمت في توجيه الحروب الصليبية، ويبين ان العداء بين الغرب والشرق انما يرجع إلى قرون عديدة، وان الغرب اتخذ من الأساليب ما حاول بها تحقيق آماله الاستعمارية في الشرق. وما اوردته في الملحق الذي اضفته إلى هذا الكتاب، يشرح يقظة العالم العربي وقتذاك، وادراكه انه لن يتم القضاء على القوات المعادية الا بالاتحاد والصبر على جهاد العدو. غير انه ينبغي ان نشير ايضاً إلى ان الجهاد الديني الذي نادى به الزعماء والقادة من المسلمين، استجاب له السكان في جميع انحاء الوطن العربي.

ويقول مؤلف الكتاب نفسه: في الفصل الثالث وهو يتحدث عن نزاع المسلمين الذي مهد لنجاح الحملة الصليبية.

اما حالة آسيا الصغرى وسوريا في سنة ١٠٩٧، فتعتبر في نواح عديدة ملائمة لنجاح الصليبيين. إذ لم يحفل سلاطين السلاجقة الا بالاحتلال العسكري لما فتحوه من الاقليم، فاستقرت حاميات سلجوقية في بعض المدن، مثل نيقية وانطاكية، واستعدت لمواجهة الصليبيين والاستماتة في مقاومتهم، وتفرق أيضاً في انحاء البلاد جيوش سلجوقية، اما مرابطة في جهات معينة، أو في حالة انتقال وارتحال. غير ان سكان المدن كانوا دائماً اعداء للحاميات العسكرية السلجوقية، كما ان مناطق شاسعة لم يكن بها على الاطلاق قوات عسكرية.

..... وفي تلك الاثناء لم يتوان الفاطميون في الافادة من هذه المنازعات. إذ ان انشقاقاً دينياً كبيراً، كان يفصل الخليفة الفاطمي في القاهرة وزعيم المذهب الشيعي، عن الخليفة العباسي ببغداد وزعيم المذهب السني. وهذا الاختلاف يجوز مقارنته، بما كان بين الكنيستين اليونانية واللاتينية من نزاع. بل انه يفوقه بما غلب عليه من طابع الاختلاف السياسي. وكيفما كان الأمر، فان هذا الاختلاف ادى إلى عرقلة حركة المسلمين مثلما ادى ما بين الكسيوس واللاتين من الحسد والحقد، إلى عرقلة حركة الحرب الصليبية. وادرك الامراء الصليبيون تمام الادراك، الفجوة التي تفصل بين خليفة القاهرة عن الامراء السنيين في سوريا، وسعوا عن طريق مبعوثيهم إلى ان يتصلوا بخليفة القاهرة، املا في ان يظفروا، بفضل مساعدته، ببيت المقدس، التي حكمها وقتذاك نيابة عن الترك سقمان ابن الامير ارتق[٣]. غير ان الخليفة (الفاطمي) رأى ان ينفرد بالعمل لنفسه، واستغل ما وقع بين امراء سوريا من حروب، وما اثاره زحف الصليبيين من الخوف والرعب، فاستولى على بيت المقدس (اغسطس سنة ١٠٩٨) على الرغم من ان زعماء الحملة الصليبية لم يحرزوا شيئا من النجاح في استغلال ما وقع من منازعات بين المسلمين على النحو الذي يبتغونه، فالواقع ان ما اصابوه من النجاح، انما يرجع إلى حد كبير إلى هذه المنازعات. وما وقع من الفرقة بين امراء الشام، وما حدث من الانقسام بين العباسيين والفاطميين هيأ للصليبيين الاستيلاء على المدينة المقدسة، وانشاء مملكة بيت المقدس. على ان مصير المسيحية اللاتينية في الشرق تقرر، حينما نهض بالموصل حوالي سنة ١١٣٠م قوة جديدة، استطاعت ان

توحد الشام، وحينما انضمت ايضاً سوريا، بعد اتحادها، إلى مصر، واجتمعتا في يد صلاح الدين.

ويتحدث في الفصل الثالث عشر عن المقترحات التي اقترحها بييرديبوا في رسالته (استعادة الأرض المقدسة) لتعالج فشل الحروب الصليبية فيقول:

ومن المعروف ان زوال نظام من الانظمة لا يتم الاعتراف به، الا بعد زمن طويل. ولذا تحتم على الناس ان ينصرفوا إلى ان يحاولوا من جديد، ان يثيرو في الحياة الجديدة ما خمد من الجذوات. مثال ذلك ان بيير دبوا fierre Dubois في رسالته المعروفة باسم استعادة الأرض المقدسة **De recuperatione Sanctae Terrae** التي وجهها إلى ادوارد الأول، ملك انجلترا، في سنة ١٣٠٧، اخذ يحض على عقد مجمع بأوروبا لاقرار السلام، ومنع المنازعات التي ساعدت، مثلما حدث في سنة ١١٩٢، على فشل الحرب الصليبية التي سبق ذكرها. واقترن بهذا الدفاع العالمي (الجماعي)، الدفاع عن تجربة الكنيسة من احباسها كما يتم وضع أساس لتمويل الحرب الصليبية القادمة. ومن الاقتراحات، ما عرضها رجال، اشتهروا بشدة معرفتهم بالشرق، وتعتبر في اغراضها عظيمة الأهمية من الناحية العملية، غير انه لم تكن لها صفة سياسية. فقيام اسطول دولي، يفرض الحصار البحري على مصر، واجراء تحالف مع المغول، واتحاد الطائفتين الدينيتين الكبيرتين، الداوية والاسبتارية، تلك هي الأسس الثلاثة الكبيرة لهذه المقترحات[٤].

## ثالثاً: التكفير

وتعد هذه الظاهرة من اهم العقبات بوجه التقريب. ورغم ان الإسلام وضح تماماً الحدود الفاصلة بين الكفر والايمان، وحددها بدقة فان هذه الحالة الغريبة حدثت بقوة.

فعن عبادة بن الصامت قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من شهد ان لا إله الا الله وحده لاشريك له وان محمداً عبده ورسوله وان عيسى عبدالله ورسوله وكلمته القاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل.

وفي رواية ادخله الله من ابواب الجنة الثمانية أيها شاء وروى الشيخان والترمذي: من شهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله حرم الله عليه النار.[٥]

وروى سماعة عن الامام الصادق عليه السلام قوله: الإسلام شهادة ان لا إله الا الله والتصديق برسول الله، به حقنت الدماء، وعليه جرت المناكح والموريث، وعلى

ظاهره جماعة الناس.[٦]

وربى القرآن الكريم الرسول الكريم ﷺ اتباعه على التعامل العقلاني والحوار المنطقي والقبول بالتعددية الاجتهادية اذا كانت على اسس شرعية منضبطة.

الا ان هذه الظاهرة حدثت في ظل ظروف عصبية في مطلع الأمر كما في قضية الخوارج.

ورغم ان الامة عبرت هذه الحالة وعادت إلى التعامل المنطقي في عصر أئمة المذاهب وقدم الأئمة اروع صور منطقية وربوا اتباعهم عليها ولكن العوامل الكثيرة الاخرى قادت إلى عودتها من جديد.

واني اعتقد أن أهم ما قاد لهذه الظاهرة هو ما يمكن تسميته بمؤاخذة الاخر بلوازم كلامه رغم ان هذا الآخر لا يؤمن بهذه الملازمة مطلقا.

فقديماً كفر الخوارج علياً عليه السلام معتقدين ان لازم موقفه من التحكيم كفره والعياذ بالله.

فقد ذكروا انه شك في نفسه حين قال للحكمين: «**انظرا فان كان معاوية احق بها فأثبتاه، وان كنت اولى بها فاثبتاني**» **فاذا هو شك في نفسه ولم يدر أهو أحق ام معاوية فنحن فيه أشد شكا**».

ورد الامام عليهم بقوله: «**فان ذلك لم يكن شكاً مني، ولكن انصفت في القول، قال الله تعالى: ﴿وانا أواياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين﴾.**

**ولم يكن ذلك شكاً وقد علم الله أن نبيه على الحق**»[٧]

وبعد عصر الأئمة دبت هذه الحالة بوتيرة اوسع وذلك كما لاحظناه في الاختلاف حول (زيادة الصفات على الذات الالهية) و (التحسين والتقبيح العقليين) حيث رأى الطرفان المتنازعان ان الطرف الآخر يقوده رايه إلى الكفر وهكذا نجد هذه الظاهرة في قضايا كثيرة من قبيل (التوسل) و (الشفاعة) و (البداء) وحتى في مثل (الاستحسان) و (القياس) و (المصالح المرسلة) وغيرها. في حين لواحتكم الجميع إلى الحوار المنطقي لاكتشفوا على الاقل لدى الطرف الآخر ما يبرر له الايمان بهذه القضية او تلك وربما اكتشفوا ان النزاع لفظي لاحقيقة له.

وربما أدى نزاع مافي مسألة فقهية مثلاً إلى أن يتهم المخالفون بالضلالة والابتداع.

فمثلاً اتفق المسلمون على أن الإسلام قد نهى عن طلاق الزوجة البالغة المدخول بها غير الحامل إذا كانت غير طاهر أو في طهر واقعها فيه، ولكن اختلفوا في تأثيره في إفساد الطلاق فقال البعض بمجرد حصول

الإثم وتحقق الطلاق وقال الآخرون بطلان الطلاق فوصف هؤلاء بالضلالة والابتداع[٨].

ووصل التهجم المتبادل إلى مستوى غريب فهذا المرحوم تقي الدين السبكي يقول في كتابه طبقات الشافعية الكبرى في حق أستاذه الذهبي وهو العالم المعروف: وهذا شيخنا الذهبي رحمه الله من هذا القبيل: له علم وديانة، وعنده على أهل السنة (يعني الاشاعرة) تحمل مفرط فلا يجوز أن يعتمد عليه... وقد وصل إلى حد من التعصب المفرط يُسخر منه[٩].

ويقول عن ابن حزم: «**وكتابه (الملل والنحل) من شر الكتب**»[١٠]

وزاد الجهل والتعصب الطين بلة حيث يدخل في عملية الفتوى من ليس أهلا لها فيفتي بغير ما انزل الله. وهذا ما شهدناه بكل وضوح في الحركات التكفيرية في عصرنا مما ادى إلى سفك الدماء البريئة على نطاق واسع باسم الدفاع عن الدين والامة وهما من هذه الحالة براء.

## رابعاً: التشكيك في نوايا الداخلين في الحوار.

فانه لا يحقق الجو الهادىء المطلوب، ويدفع لنوع من التهرب او المماطلة او تلمس العثرات مما يمنع من تحقق النتيجة المطلوبة. وهذا ما شهدنا نظيره في عمليات الحوار بين اتباع الاديان نتيجة ما يحمله كل طرف من تراكمات ذهنية عن الآخر فالطرف المسيحي مثلا يحمل احقاده الصليبية وايحاءات المستشرقين بما يسمونه بـ (الهرطقة الإسلامية) وما يدور في نفسه من هواجس الصحوة الإسلامية التي تنافس مشروعه في السيطرة، في حين يحمل الطرف الإسلامي سوابق ذهنية كبيرة عن خدمة التبشير المسيحي للاستعمار على مدى قرون.

ولكن العمل الجاد والتوجه للتعليمات الإسلامية الهادية والداعية لحسن الظن في الاخ المسلم يمنع من أن يلعب هذا العامل دوره في المنع من التقريب خصوصا اذا تم على مستوى العلماء العاملين الذين خبر بعضهم بعضا في مجالات العلم والاخلاص والعمل في سبيل الامة بمجموعها.

## خامساً: التهويل والتضخيم واستحضار الماضي والتهجم على المقدسات وعدم احترام الآخر.

وكل واحد من هذه الامور يمكن ان يشكل بنفسه مانعاً من تحقق الحوار المطلوب وبالتالي الوصول إلى التقريب، وقد وجدنا النصوص الإسلامية تتظافر في

المنع من هذه الامور:

فقوله تعالى: ﴿**قل انما اعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة**﴾[11] يمنع من الحوار في الاجواء الانفعالية المصطنعة.

وقوله تعالى: ﴿**قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون**﴾[12] يمنع من الانشغال بالماضي ويفرض احترام الآخر وذلك ايضا واضح في الآية التي تنهى حتى عن سب آلهة المشركين.

## سادساً: اضف إلى كل ذلك ان اختلاف مناهج الاستدلال وطرق الاستنباط يمنع من التقارب في النتائج

فينبغي السعي إلى ما يأتي:

١ ـ الفراغ من المفروضات المسبقة قبل بدء عملية الحوار

٢ ـ الاتفاق على منهج واحد للاستنباط وليس هذا الاتفاق امراً صعباً.

٣ ـ تحقيق محل الحوار بدقة لئلا ينظر كل طرف إلى قضية ومفهوم لاينظر اليه الطرف الآخر.

**وهناك موانع أخرى من قبيل:**

١ ـ اعتبار القول الشاذ علامة على المذهب كله.

وهو أمر غير منطقي، من قبيل ان يقول بعض المحدثين قولاً يرفضه كل المحققين من مذهب معين على مدى التاريخ ثم يصر مخالفوهم على نسبة لكل المذهب.

٢ ـ اخذ تصورات المذهب من اقوال خصومه.

وهو أيضاً بعيد عن المنطقية، لأن الخصوم أحياناً يعملون على نسبته الأوهام إليه انتصاراً لمذهبهم.

٣ ـ دخول من ليس أهلاً في عملية الحوار

وهو أمر يرفضه القرآن والمنطق أيضاً: يقول تعالى ـ مخاطباً أهل الكتاب الذي يدعون دعاوى لا علم لهم بها: «ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجّون فيما ليس لكم به علم»[13]

٤ ـ اتباع الأساليب الملتوية للظفر بالآخر.

الأمر الذي يحيل الحوار إلى لعبة لا فائدة فيها.

وغير ذلك مما لا يسعنا المجال للتعرض له ولكن يجب حذفه حتى نصل إلى التقريب المطلوب بل الضرورة في عالمنا الملتهب.

## الهوامش:

[١] مستقبل الإسلام والغرب. شيرين هنتر تعريب زينب شوربا ص ١١١.

[٢] قصة الطوائف للدكتور فاضل الانصاري ص ٢٣٣.

[٣] حدث في وقت واحد المفاوضات والقتال اثناء الحرب الصليبية الأولى. وجرى ذلك أيضاً في الحرب الثالثة والحرب السادسة. ونلحظ ما قام به العلمانيون من نشاط في توجيه سير الحرب الصليبية. فعلى الرغم من ان هذه الحرب قامت على أساس ديني، فإنها اتخذت في سيرها صفة دنيوية. ومن الأمور المتناقضة ان حملة دينية اسهمت في نمو الحافز الدنيوي، وهيأت للعلمانيين ان يفلتوا من ذلك الميل نحو التيوقراطية البابوية، وكان ذلك واضحاً في زمن بابوية جريجوري السابع.

أنظر حبشي: الحرب الصليبية الأولى. القاهرة ١٩٥٨ ص ١٢٦ ـ ١٢٧.

William of Tyre Trans. Krey. ١٩٤٣. Vo. l. pp. ٢٢٤-٢٢٣.

[٤] رسالة التقريب العدد ٦٩ الصفحات ٢٢٩ ـ ٢٣٦.

[٥] ذكرتها الصحاح في اول ما ذكرته من روايات وجمعها صاحب جمع الفوائد في مطلع كتابه.

[٦] الكافي، ج٢ ص ٢٥.

[٧] الاحتجاج للعلامة الطبرسي ج١ ص ٤٤٤.

[٨] الفقه على المذاهب الخمسة ص ٤١١.

[٩] طبقات الشافعية الكبرى ج ٢ ص ١٣ ـ ١٥.

[١٠] ن. م، ج ١ ص ٩٠.

[١١] سبأ ٤٦.

[١٢] سبأ ٢٥.

[١٣] آل عمران: ٦٦

# الدَّوْلَةُ فِي فِكْرِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ عَلِيّ التَّسْخِيرِيّ

❖ محمد حسن زراقط (*)

(*) مدير تحرير مجلة (الحياة الطبية).

**تمهيد:**

وقف المفكرون المسلمون أو الباحثون في إطار الفكر الإسلامي من مفهوم الدولة مواقف شتى، تنوعت بين من يرى أن تصدي الإسلام لشأن الحكم والدولة أمر بديهي لا يستحق النقاش والجدل، وبين من يرى أن الإسلام دين لا دولة ولا ملك، ومن رأى أن الدين افترض في الدولة شروطاً إذا توفرت قبلها الإسلام وإن لم تتوفر صارت ممارسة الدولة من أي كان ظلماً وافتئاتاً على سلطات صاحب الحق الأصلي. ولتوضيح موقف الشيخ التسخيري من الدولة لا بدّ من عرض موجز لهذه المواقف المشار إليها أعلاه مع شيء من المرتكزات الفكرية التي تبتني عليها.

**المنكرون للدولة في الإسلام:**

ليس المفكرون الذين يمكن تصنيفهم في هذا الموقع الفكري للنظر إلى مفهوم الدولة كثراً. ومن هنا نجد أن أكثر من مال إلى هذا الرأي هم ممن تأثر بالنظرة الغربية إلى الدين أو اتُّهم بذلك على الأقل. ولذلك نجد أن عاصفة من الاعتراضات ثارت في وجه علي عبد الرزاق عندما صرّح بإنكار تدخل الإسلام في قضايا الدولة وشؤون إدارة المجتمع. وينطلق عبد الرزاق في مقولته هذه من أن القرآن لا يشير إلى الخلافة لا من قريب ولا من بعيد، قائلاً: «**إنه لعجب عجيب أن تأخذ بيدك كتاب الله الكريم وتراجع النظر في ما بين فاتحته وسورة الناس، فترى فيه تعريف كل مثل، وتفصيل كل شيء من أمر هذا الدين... ثم لا تجد فيه ذكراً لتلك الإمامة العامة أو الخلافة**»[1].

ويتابع: «**ليس القرآن وحده هو الذي أهمل تلك الخلافة، ولم يتصد لها، بل السنَّة كانت كالقرآن أيضاً،**

**قد تركتها ولم تتعرض لها. يدلك هذا على أن العلماء لم يستطيعوا أن يستدلوا في هذا الباب بشيء من الحديث...»** [٢].

ثم بعد استعراض أدلة الفقهاء على النظرية القائلة بوجود دولة في الإسلام وردها والمناقشة فيها يقول: «لم يبق أمامك بعد الذي سبق إلا مذهب واحد وعسى أن تجده منهجاً واضحاً، لا تخشى فيه عثرات ولا تلقى عقبات، ولا تضل بك شعابه، ولا يغمرك ترابه، مأمون الغوائل خالياً من المشاكل. ذلك هو القول بأن محمداً صلى الله عليه وآله ما كان إلا رسولاً لدعوة دينية خالصة للدين لا تشوبها نزعة ملك ولا دعوة لدولة، وإنه لم يكن للنبي صلى الله عليه وآله ملك ولا حكومة وإنه صلّى الله عليه وسلم لم يقم بتأسيس مملكة بالمعنى الذي يفهم من هذه الكلمة ومرادفاتها، ما كان إلا رسولاً كإخوانه الخالين من الرسل، وما كان ملكاً ولا مؤسس دولة ولا داعياً إلى ملك» [٣].

ويصعب في هذه المقالة استعراض أدلة عبد الرزاق واتخاذ موقف منها ولكن في الوقت نفسه لا يسعني المرور عليها دون إثارة تساؤل في وجهها. يقول عبد الرزاق: إن الإسلام دين لا ملك، ورسالة لا مَلَكية؛ أقول: لا شك في أن الإسلام دين خالص والنبي صلى الله عليه وآله رسول لدعوة دينية خالصة لا تشوبها نزعة ملك، وهذا كلام صحيح لا غبار عليه، فإنه لا يشك أحد من المسلمين في أن النبي لم يكن يهدف بالدرجة الأولى إلى زعامة ولم يكن يريد أن تدين له الرقاب، وقد عرض عليه ذلك في بدايات دعوته فأبى، ولكن ماذا يقول عبد الرزاق لمن يقبل هذه الدعوى، ولكنه يوسع مفهوم الدين الخالص والدعوة الدينية الصافية لتشمل تدخل الدين في شؤون الإنسان في الدنيا والآخرة؟ وتدخله في إدارة حياة الفرد كما حياة الأمة والمجتمع؟

إذاً لا بدّ من تحديد دائرة الدين ونطاقه، قبل أن ننكر وجود مفهوم الدولة في الإسلام. وربما يكون هذا التصور حلاً للتنازع بين الفريقين، ما يجعل الخلاف بينهما نزاعاً لفظياً إذا رأينا أن مساحة التدخل الديني في شؤون الحياة واسعة؛ بحيث تشمل ما تتولاه الدولة، وعندها فلا ضير في أن لا نقبل مفهوم الدولة والملك ونستبدله بمفهوم آخر غيره.

والأمر الآخر الذي يمكن الإشارة إليه هنا أن أدلة الفقهاء وعدتهم في الاستدلال ليست في النصوص فحسب، بل توجد أدوات إثبات أخرى هي سيرة المسلمين وسلوكهم الذي يكشف عن رضاً شرعي بل عن توجيه شرعي باتجاه محدد وهو ما يسميه الفقهاء

سيرة المتشرعة، فإنه يصعب على المنصف المتأمل في مسيرة التاريخ الإسلامي أن يقبل أن الإسلام ليس فيه دولة بأي معنى من معاني الدولة، عندما يرى هذا التطور التاريخي لواقع المسلمين الإداري والسياسي، فما الذي دعا عدداً من المسلمين إلى عقد ذلك الاجتماع العاجل في سقيفة بني ساعدة، واعتراض آخرين على نتائجه، وما تلاه من حروب وخلافات بدأت بحروب الردة وطالت بعد ذلك؛ حتى قال ابن قتيبة ما سل في الإسلام سيف كما سل على الإمامة. وبأي شيء نفسر تصدي الحكام المسلمين واتفاقهم على تولي عدد كبير من المهام الاجتماعية كالقضاء، وعقود الذمة، والمعاهدات، والفتوحات، وجباية الزكاة، وغير ذلك من المظاهر التي تكشف صراحة عن الرضا الشرعي بل التوجيه الشرعي للمسلمين باتجاه ممارسة دور الدولة، حتى لو وافقنا عبد الرزاق في أن هذا المفهوم لم يرد له ذكر في كتاب ولا سنة.

وف ختام النقاش مع علي عبد الرزاق يمكن أن يقال: إذا كان يريد أن الإسلام لم يحدد بشكل واضح وصريح صيغة جاهزة لنظام الحكم بكل تفاصيلها تبدأ من رأس الدولة وتنتهي بالمجالس الاختيارية والبلدية مروراً بالوزارات وصلاحيات السلطات فربما يجد من يوافقه ويقبل منه أن الإسلام ترك كثيراً من حلقات هذه السلسلة فارغاً ليملأه العقل الإسلامي على ضوء التوجيهات العامة للشرع، فمثلاً: أقبل أن الإسلام لم يتحدث عن الوزارات؛ لأن هذا الأمر يخضع للمتغيرات الزمنية فالإقليم الذي لا زراعة فيه لا يحتاج إلى وزارة للزراعة وهكذا. ولكن يصعب عليّ، على الأقل، القبول بأن خلاف المسلمين على كيفية اختيار الحاكم (رأس الدولة) وأنه النص كما يرى الإمامية أو الشورى كما يرى عدد من أهل السنة، لم يكن خلافاً على موقف الشرع من قضية تعيين الحاكم ورأس الدولة الإسلامية.

## الموافون لفكرة الدولة في الإسلام:

يقف على هذه الضفة من جدول الفر الإسلامي عدد كبير من أهل الرأي في الإسلام أو حوله من فقهاء وفلاسفة ومتكلمين. ويبدأ هذا المحف من الفقهاء الذين نظّروا للدولة التي عرفها تاريخ الإسلام ولن ينتهي عندما يعرف في عصرنا هذا بتيار الإسلام السياسي أو غيره من الأسماء التي تطلق على طيف واسع ممن يرى إلى الإسلام على أنه دين ودولة، أو فقل دين ينظّر للإنسان في مجال الحياة الفردية والعامة. ويتفق علماء المذاهب الإسلامية بشكل عام على هذا القول وإن

اختلفوا على طبيعة النظرة إلى موقع الدولة والإمامة في الإسلام في عصوره الأولى على الأقل؛ حيث يرى الإمامية أن البحث عن الإمامة موقعه علم الكلام؛ ولذلك بحث عنه في كتب العقيدة وإن أشاروا إليه في الفقه فهو تكرار أو استطراد أو بحث عن التفاصيل لا عن أصل الفكرة.

بينما يبحث أهل السنة عن الإمامة في الفقه العام أو في كتب الفقه السياسي ككتاب «الأحكام السلطانية» للمارودي وأبي يعلى الفراء مثلاً؛ ولذلك عُدَّ بحث الجويني عن الإمامة في كتابه الكلامي «الإرشاد» خروجاً عن المألوف وتأثراً بنمط الإمامية وطريقتهم.

وعلى أي حال، مال إلى هذا التصور أكثر المسلمين ولم يعرف رفض هذا التصور بشكل واضح إلا من بعض الخوارج الذين رأوا عدم الحاجة إلى الإمام إلا في حالة الحرب وسموه أمير الجهاد فإذا وضعت الحرب أوزارها استقال وأقالوه وإن أبى قتلوه.

وبين المتفقين على أصل الفكرة خلاف في تفاصيل الإمامة وطبيعة الإمام، بين من يشترط فيه العصمة والأفضلية مع القرشية، وبين من لا يشترط إلا كونه من قريش، وبين من يرى أن الإمامة لا تنعقد إلا بالنص، ومن رأى أنها تنعقد باختيار أهل الحل والعقد، بل بالتصدي والاستبداد، إلى غير ذلك من الشروط والتفاصيل التي لا يمكن استعراضها ولو باختصار في هذه المقالة.

## الدولة في الفكر الإسلامي الحديث:

### أ ـ في الفقه السني:

يبدو أن وجود الدولة واستقرارها كان يبعث على ركود البحث في موقف الإسلام من السلطة السياسية؛ ولذلك ليس من الغريب أن يطفو هذا الموضوع إلى سطح اهتمامات الفقهاء في أوقات الأزمات التي تعصف بالأمة فتهز شيئاً من أركانها. وقد واجهت العقل الإسلامي أزمات من هذا النوع في فترات الانتقال من نظام سياسي إلى آخر، ومن دولة إلى دولة أخرى وتنوعت مواقف أهل العلم من هذا الانتقال والتبدل، فهناك من برر وتعامل مع الواقع ونظر لما هو موجود، وهناك من حاول اجتراح الحلول والوقوف في موقف الفاعل لا موقف رد الفعل. ومن أكثر فترات التاريخ الإسلامي حراجة، انتهاء أمر الخلافة العثمانية التي ما زلنا نعيش تداعياتها حتى عصرنا هذا. وقد برز بعد هذه المرحلة من تاريخ الأمة الإسلامية من نظّر لشكل من أشكال التدخل الإسلامي في الشأن السياسي، وهؤلاء

كثر أشير إلى نموذج منهم وأكتفي به للانتقال إلى الحديث عن الفقه الإمامي وموقفه من الدولة؛ وإذا أخرجنا من رفض فكرة الدولة في الإسلام فإنه يمكن الإشارة إلى:

محمد رشيد رضا:

كان محمد رشيد رضا من أوائل من حاول تقديم أطروحة بديلة للخلافة العثمانية حتى قبل سقوطها الكامل بعد أن صارت تعرف لمدة غير قصيرة بالرجل المريض؛ حيث نشر رسالة بعنوان «الخلافة والإمامة العظمى» في مجلة المنار المجلدان الثالث عشر والرابع عشر لعام ١٩٢٢ م. وفي معالجته لهذا الموضوع يطوي محمد رشيد رضا ثلاث مراحل هي:

أ ـ البحث عن أسس الحكومة الإسلامية على المستوى النظري.

ب ـ المقارنة بين النظرية وبين الواقع المعطش للخلافة.

ج ـ طرح تصور جديد.

في المرحلة الأولى يستند رضا لإثبات وجوب إقامة الدولة في الإسلام إلى الأسس الموروثة في الفقه الإسلامي، فيعتمد على الأدلة الشرعية الدالة على الوجوب كالأحاديث والإجماع، ويحشد عدداً من الفقهاء في صفه من الماوردي وعضد الدين الإيجي إلى سعد الدين التفتازاني وغيره. وفي تقييم هذا الحشد الفقهي يرى بعض الباحثين أن الهدف منه التمهيد للمرحلة الثانية للقول بأن تلك الأسس النظرية التي أقرها الفقهاء المسلمون عبر التاريخ لا تنطبق على ما هو الواقع المعيش في العصر الراهن أي عصره، بل حتى في العصور السابقة. وبالتالي فهو يستند إلى هؤلاء الفقهاء كمرجعية علمية قانونية بل كخط دفاع للانتقال إلى المرحلة الثانية[٤].

وفي المرحلة الثانية وبعد أن أثبت وجود الهوة بين النظرية والتطبيق يطرح الحلول المحتملة لهدم هذه الهوة، فيرى استحالة إعادة عقارب الساعة إلى الوراء؛ حيث إن إعادة اعتبار الخلافة وإحياء ما خبا من رونقها يحتاج إلى مجموعة من العناصر أهمها:

ـ شخص الخليفة

ـ عاصمة الخلافة

حول العنوان الأول يرى أوّلاً أن الشخص المؤهل موضوعياً والذي يملك قبولا شعبياً في ذلك العصر هو الشريف حسين، ولككن لما كان متهماً بالميل إلى الإنكليز والتواطؤ معهم، فلا يمكن ترشيحه لهذا المنصب الخطير. والشخص الثاني الذي يقترحه

هو الإمام يحيى في اليمن فهو يجمع الفقه والشجاعة ولكن مشكلته في مذهبه الزيدي الذي يمنع سائر المسلمين من أهل السنة من البيعة له.

وحول النقطة الثانية يرى أن الخلافة ينبغي أن تكون في منطقة وسطى في العالم الإسلامي فيقترح الموصل عاصمة للخلافة حيث كانت في تلك الفترة أرضاً متنازعاً عليها بين تركيا وسوريا والعراق. ولكن رغم سهولة حسم هذا الأمر الأخير، إلا أن أدواء الخلافة التي كانت قائمة وقتها جعلته يحكم باستحالة إعادة إحياء الخلافة الإسلامية، وهذا يبرر طرح تصور جديد.

وهذه هي المرحلة الثالثة من طرحه في رسالة الخلافة، وفي هذه المرحلة يبدأ بالحديث عن الدولة الإسلامية أو الحكومة الإسلامية وربما كان هذا منه اقتباساً من القاموس الحديث المستوحى من الفكر الغربي: **State** أو **Goverment** ويمكن تلخيص تصور رشيد رضا في هذه المرحلة، بإقامة الدولة الإسلامية على علاقة تعاقدية بين الحاكم والمحكوم وفق موازين الشورى التي تؤمن الديمقراطية، وحق الاعتراض على استبداد الحاكم. ويبدو أنه وبوحي من أحداث إيران زمن ثورة التبغ والتنباك، عندما صدرت الفتوى الشهيرة بتحريم شراء التبغ احتجاجا على الامتيازات التي أعطيت لإحدى الشركات الأجنبية من قبل الشاه، يطرح نوعاً من الإشراف للعلماء على حركة السلطة السياسية كي لا تحيد عن أصول الإسلام وقوانينه.

وبعد رشيد رضا لم يحسم النقاش؛ حيث طرحت من جديد فكرة إعادة إحياء الخلافة مع أفكار حزب التحرير، وطرحت تصورات أخرى تلتقي مع حزب التحرير في أشياء وتختلف معه في أخرى عند الإخوان المسلمين وغيرهم من تلوينات الحركات الإسلامية الناشطة في ميدان الفقه الإسلامي عند مذاهب أهل السنة.

### ب ـ الفقه الإمامي:

ظل الفقه الإمامي مسكوناً بالوفاء إلى مدرسة النص واشتراط عصمة الإمام ما دام المعصوم موجوداً بين الناس يستطيع ممارسة دوره، وعليه كان الموقف من كل سلطة لا تنبع من رضا الإمام المعصوم سلبياً، واستمر الوفاء لهذا التصور حتى بعد غيبة الإمام الثاني عشر؛ حيث رأت جماعة من الإمامية عدم جواز تولي السلطة في غيابه؛ لأن في هذا الأمر تجاوزاً واعتداء على صلاحيات الإمام، حتى لو كان غائباً عن الأنظار. وهكذا بقيت العلاقة بين الفقه الإمامي وبين السلطة متوترة غالباً، خلا فترات استثنائية في التاريخ الإسلامي كما

حصل مع الدولة البويهية في أواخر العصر العباسي، والدولة الصفوية في إيران.

وعلى أي حال، وبالغرم من أن الهم السياسي كان يشغل الفقه الإمامي في عصوره كافة إلا أنه كان خاضعاً أيضاً بشكل أو بآخر لقانون «العرض والطلب»، إن صحت استعارة هذا التعبير من الاقتصاد، إلا أنه يمكن القول: إن تجربة المشروطة أو الحركة الدستورية التي خاضها عدد من الفقهاء في وجه سلطة الملك، وما سبقها وما ترتب عليها من آثار، كانت من أغنى مراحل المزاوجة بين الفقهي والسياسي؛ حيث وجد الفقهاء أن الفرصة مؤاتية لتقديم طرح يحد من سلطة الملك ويقيدها بالدستور، وقد ترتب على خوض هذه التجربة آثار مهمة في تغيير النظرة الفقهية إلى الشأن السياسي، إلى أن برز الإمام الخميني الذي يعد من أبرز الدعاة إلى فكرة الدولة المرتكزة على مبدأ ولاية الفقيه، هذه الولاية المستمدة من الشرع.

ومن أبرز ما يلاحظ في هذه النظرية أنها منسجمة وربما مستوحاة من النظرة العقدية إلى سلطة الإمام، بمعنى أنه كما يعرف الإمام المعصوم بالنص كذلك يعرف الفقيه الولي بالنص أيضاً، والفرق هو في أن النص الذي يدل على الإمام يدل على شخصه بينما يدل النص على الفقيه كعنوان ولا يدل عليه بالشخص، ولكن مصدر السلطة هو الشرع والنص الشرعي.

## الدولة عند الشيخ التسخيري:

بعد تبني الإمام الخميني لفكرة ولاية الفقيه سار على دربه وتابعه في الدعوة لها والدفاع عنها عدد كبير من العلماء من هؤلاء الشيخ محمد علي التسخيري الذي كتب وحاضر في هذا الموضوع، ومن أهم ما كتبه في هذا المجال كتابان: أحدهما أوسع من الآخر وإن كانا متحدين في بعض الموضوعات، الأوّل مطبوع بعنوان: الأسس المهمة في النظام الإسلامي، والثاني طبع بعنوان: حول الدستور الإسلامي. وفي الكتابين يعالج الشيخ التسخيري مفهوم الدولة وأبرز أسسها وعناصرها المميزة لها في الإسلام.

ويمكن اختصار أهم أطروحات الشيخ التسخيري في بحثه حول السلطة والدولة في الإسلام بمجموعة من العناوين:

أ ـ المرتكزات العقدية

ب ـ مصدر السلطة والتشريع

ج ـ رأس السلطة وصفاته

د ـ أهداف الدولة الإسلامية وخصائصها

### أ ـ المرتكزات العقدية:

ينطلق الشيخ التسخيري في بحثه حول الدولة في الإسلام من العقيدة، فيرى وجود تلاحم كامل «**بين القناعات العقائدية والتفريعات التفصيلية في الإسلام باعتباره الدين الإلهي الخالد المنظم للحياة مدى بقائها على ظهر هذه الأرض، فترى التوحيد روح كل نظام من نظمه...**»[٥].

ومن هنا، إذا كنا نعتقد في علم الكلام بـ:

ـ التوحيد في الخالقية والتشريع

ـ عبودية الإنسان وخضوعه لله

ـ هادفية الحياة ووجود عالم بعد الموت

لا بدّ إذن، من أن يكون شكل الدولة ومضمونها منسجماً مع هذه الأسس العقدية. ويشير إلى هذا المعنى صراحة في فصل مخصص لهذا العنوان حيث يفتتح الفصل بسؤال: هل هناك علاقة بين الايديولوجية والنظرة الكونية؟ وإذا كانت النظرة الكونية تعني التصور العام للوجود فإن الايديولوجية تعني ما تعنيه الأفكار التي تجيب عن الأسئلة التالية: كيف ينبغي أن نسلك في الحياة؟ وما هو النموذج الأمثل للحياة[٦]؟

ومن الطبيعي أن يجيب عن السؤال بنعم ويستند في هذا الجواب إلى النصوص الإسلامية في التفاتة جميلة حيث يقول: «**وهذا بالضبط ما توحي به النصوص الإسلامية، إنها تذكر العقيدة أو التصور ثم تستنتج منه موقفاً عملياً. فلنقرأ هذه الآية الشريفة لنجد كيف ينتقل القرآن الكريم من موقف تصوري واقعي إلى موقف إيديولوجي، من تصور العالم الواقعي المتوازن إلى طلب العدالة في الميزان والقسط في التعامل العملي؛ يقول تعالى: ﴿والسماء رفعها ووضع الميزان * ألّا تطغوا فى الميزان * وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسرون الميزان﴾**»[٧].

### ب ـ مصدر السلطة والتشريع:

أشرنا في الحديث عن النقطة السابقة إلى أن الموقف العقدي من مسألة حق التشريع يلقي بظله على الشأن السياسي وما يستتبعه من تصد لإدارة شؤون الناس وتنظيم حياتهم، وتفصيل ذلك هو: إنه عندما نعتقد بكون الله وحده هو المشرع يترتب على هذا الاعتقاد توقع تدخله لضبط حركة التقنين للاجتماع الإنساني عبر القواعد العامة التي أقرتها الشريعة وأوكلت أمر الاستنتاج منها والبناء عليها إلى حركة الاجتهاد الفقهي المتطور خلال الزمن. أو توقع تدخل الشارع المباشر في تقديم الحلول القانونية الجاهزة في مجال ثوابت الحياة الإنسانية التي لا تتغير. وفي هذا

الإطار قدم التسخيري نظرته إلى هذا المبدأ حيث يقول: «**الله تعالى هو خالق الكون والإنسان ومالكه الحقيقي فيجب أن يكون سيده تشريعاً أيضاً. فمنه يستمد نظامه الحياتي، ومنه تكتسب السيادة والسلطة التي تقود المجتمع وفق مقرراته تعالى. وعلى هذا، فليس لأي فرد من أفراد المجتمع أن يشرع مطلقاً وإنما هو منفذ لأوامر الله. أما في المجال الثابت من الحياة، فقد شرع الإسلام له نظاماً ثابتاً لا ميل عنه إلا مع طرح عناوين ثانوية... أما بالنسبة للجانب المرن، فقد وضع أيضاً قواعد عامة وطلب من الحاكم الذي منحه السيادة أن يقوم بملء هذا الجانب أيضاً طبق شروط خاصة**»[٨].

وإذا كان الله هو مصدر التشريع والسيادة والسلطة فما هو دور الأمة؟ وهل تتحول الدولة الإسلامية إلى دولة ثيوقراطية تبرر كل استبداد وفساد باسم الله وتحت شعار سلطته المطلقة على مخلوقاته؟

لم تغب هذا المعضلة عن ذهن الشيخ التسخيري كما عن أذهان الكثيرين ممن كتبوا في الدولة الإسلامية وميزوا بين الدولة الدينية والدولة الثيوقراطية؛ فالدولة في الإسلام دولة دينية بمعنى أنها تستند في مفاهيمها ونظمها وتشريعاتها وقيمها إلى الله ولا تستند إليه في التطبيق والتنفيذ:

ولتتضح الصورة لا بدّ من الالتفات إلى أن الدولة الثيوقراطية هي: شكل من أشكال الحكم، ويعرفها بعضهم بأنها هي السلطة النابعة من الدين، ولكن التقديق في المصطلح ربما يكشف لنا عن شيء آخر مختلف، وذلك أن هذا المصطلح مركب من كلمتين **Theo** (الله) و**Cracy** (الحاكمية) وبالتالي إذا أردنا ترجمة هذا المصطلح إلى العربية نجد أن المعادل العربي المقبول هو حاكمية الله. ولا يتحقق هذا المعنى إلا عندما يدعي الحاكم أنه يحكم باسم الله بشكل مباشر، وأن الله هو الذي يقف خلف كل تصرف من تصرفاته وبالتالي يبررها ويضفي عليها الشرعية. وفي مثل هذه الدولة لا يكون للأمة دور سوى الرضا والتسليم بقضاء الله وقدره. ويصور هذه الحالة قول الشاعر في وصف أحد الخلفاء

جاء الخلافة أو كانت له قدراً
كما أتى ربه موسى على قدر

وأما الدولة الدينية، فهي الدولة التي ترتكز في أدائها على مفاهيم الدين ونظمه كما قلنا. والفرق بين الأمرين واضح، ففي الدولة الثيوقراطية يلقي الحاكم بتبعات تصرفاته وقراراته على الله، بينما في الدولة الدينية يدعى الحاكم أنّه يطبق القوانين التي يريدها الله،

ولكنه ربما أخطأ وربما أصاب.

والسؤال المشروع إلى أي حد يمكن وصف الدولة الإسلامية بأنها دولة ثيوقراطية؟

في الجواب عن هذا السؤال يمكن الإشارة إلى حالتين حالة كون الحاكم هو المعصوم نبياً أو إماماً، وحالة كونه غير معصوم ولياً فقيهاً أو خليفة.

### ١ـ حكومة المعصوم

في هذه الحالة أجد أن الإسلام بعيد كل البعد عن اتهامه بالثيوقراطية، فإن النبي ﷺ الذي كان صلة الوصل بين الأرض والسماء ورغم العصمة التي يؤمن بها المسلمون على اختلافهم في فهمها وتشخيصهم لحدودها، إلا أن هذا النبي لم يكن يلقي بتصرفاته على الله ليبررها له هو، ويكفي لتوضيح هذا الأمر الإشارة إلى قوله ﷺ: «**إنما أقضي بينكم بالبينات والايمان، وبعضكم ألحن بحجته من بعض. فأيما رجل قطعت له من مال أخيه شيئاً، فإنما قطعت له به قطعة من النار**»[٩] إذاً رسول الله ﷺ لا يلقي بتصرفاته على الله وإنما يقضي بحسب الموازين والضوابط، فمن شهد زوراً يتحمل مسؤولية شهادته، ومن لم يملك بينة لإثبات حقه لا يمكنه أخذه.

### ٢ـ حكومة غير المعصوم

إذا كانت الأمور تسير في حكومة المعصوم على ما أشرنا إليه، فإن الأمور مع غير المعصوم أوضح بما لا يترك حاجة للتفصيل والاستدلال. وفي هذه الفرضية من الحكومة يبرز دور الأمة بشكل واضح.

### دور الأمة في الحكومة الدينية:

تقوم الأمة في الحكومة الدينية والدولة الإسلامية تحديداً، بدور أساس ومصيري له بعدان:

### ١ـ دور اختيار شخص الحاكم:

حيث بناء على نظرية ولاية الفقيه، لا يدعي أصحاب هذه النظرية أن شخص الولي يصل إلى هذا المنصب بالنص، وكل ما فعله النص الشرعي الذي تستند إليه الولاية هو أنه حدود المواصفات المطلوبة في الحاكم، والبحث عن الشخص الذي تتوفر فيه هذه المواصفات هو تكليف الأمة وواجبها: «إن اتجاه الأكثرية الساحقة نحو فقيه جامع للشرائط بعينه يؤدي بطبيعة الحال إلى أن يكون هو القائد، ويتطلب الأمر من باقي الفقهاء أن لا يخالفوا حكومته... ومن هنا تمتلك الشورى دوراً حتى في تعيين الفقيه من بين الفقهاء»[١٠].

### ٢ـ دور مراقبة الحاكم ونصحه:

بعد أن نختار الأمة فقيهاً وتبايعه، لا يجوز لها أن تنفض يدها من كل مسؤولية مترتبة على ذلك الاختيار، وكذلك لا يجوز للفقيه أن يستبد بالرأي ويتصرف وفق هواه وميوله «فهو مسؤول تمام المسؤولية أمام الله وأمام تعاليمه الواضحة، وبالتالي أمام الأمة التي تراقب توفر الشروط المعلنة بدقة في القائد من جهة، والمكلفة بمجموعها بأن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر من جهة أخرى»[١١].

بعد هذ العرض السريع يبتين لنا أن الدولة الإسلامية بكلا شكليها (حكومة المعصوم وغيره) أبعد ما تكون عن الثيوقراطية والاستبداد.

### ج ـ رأس السلطة وصفاته:

يصنَّف الشيخ التسخيري ضمن المدرسة الفقهية التي تؤمن بولاية الفقيه، ويستعرض بأسلوب مبسط ممتع كثيراً من الأدلة التي تستدل بها هذه المدرسة لإثبات هذه النظريظ بدءاً من الروايات مثل: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي علكيم وأنا حجة الله». و «مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله الأمناء على حلاله وحرامه». ثم يذكر الدليل العقلي فراجعه في محله[١٢].

ولا أدعي أن الشيخ التسخيري أتى بجديد في عرضه لأدلة ولاية الفقيه التي ذكرت في كثير من كتب الفقه المتخصصة، غير أنه صاغ هذه الأدلة وقربها إلى أذهان غير المتخصصين في الدراسات الفقهية. والامتياز الذي يسجل للشيخ التسخيري في هذا المجال هو ما حاوله ـ ربما نتيجة نزعته الوحدوية التي يعترف له بها الكثيرون ـ من تقريب وجهات النظر بين الفقه السني والفقه الإمامي في هذا المجال، فبعد استعراضه لكلام فقهاء أهل السنة عن الحاكم ومواصفاته التي منها العدالة والفقاهة، يستنتج إمكان ادعاء أن الحاكم في الفقه السني عند جمهور أهل السنة لا بدّ أن يكون فقيهاً، وهذا تعبير آخر عن ولاية الفقيه التي يقول بها بعض فقهاء الإمامية.

### د ـ أهداف الدولة الإسلامية وخصائصها:

بالرغم من أنه قد يبدو في الأمر شيئاً من التكرار ولكن لا بدّ من الإشارة ذلى الربط بين المرتكزات العقدية التي تنطلق منه االدولة الإسلامية، فعندما توصف الدولة بأنها إسلامية لا مناص لها من تحويل هذا الشعار إلى واقع محسوس على الصعيدين التشريعي والتطبيقي.

**١ـ الصعيد التشريعي:**

أقرت الجمهورية الإسلامية في إيران منذ الانطلاقة الأولى تدوين دستور يمثل تجربة رائدة في مجال تحويل النظريات الإسلامية العامة إلى قواعد محددة المعالم. وهذا ما يعبر عنه الشيخ التسخيري بنفوذ روح الإسلام في ثنايا الدستور الإسلامي، وفي عدد كبير من مواده؛ ففي المادة الرابعة من الدستور نجد: «**يجب أن تكون كل القوانين والمقررات المدنية، والجزائية، والمالية، والاقتصادية، والإدارية، والثقافية، والعسكرية، والسياسية وغيرها قائمة على أساس الموازين الإسلامية**».

ويقدم الشيخ التسخيري في هذا المجال جواباً عن تساؤل يطرق أذهان الكثيرين وهو: هل هذا الطموح في الاستفادة من الإسلام مبرر منطقياً؟ فيقول: «**... وعلى أي حال فقد استوعب الإسلام كل نواحي الحياة الإنسانية حتى سلم المحققون في الإسلام بقاعدة: «ما من واقعة إلا ولله فيها حكم**» وقد جاءت بعض النصوص الشريفة لتؤكد هذا الجانب بكل وضوح».

نعم يبقى أن هناك الكثير من الوقائع المستجدة في الحياة لا يشك أحد في عدم ورود نص خاص بها، ولكن هذه الخصوصية موجودة في كل القوانين، فلا يوجد قانون يستوفي بالنص الصريح كل وقائع الحياة بكل تفاصيلها، وليس الفقه الإسلامي بدعاً بين المدارس الفقهية والقانونية، وهذه الأمور المستجدة يبحث الفقهاء عن أحكامها على ضوء القواعد العامة للتشريع الإسلامي وأهدافه ومقاصده الكبرى الكلية.

**الدين الرسمي ومسألة الحرية:**

تنص المادة الثانية عشر في الدستور على: «الدين الرسمي لإيران هو الإسلام، والمذهب هو المذهب الإثنى عشري، وهذا الأصل أبدي لا يقبل التغيير، وللمذاهب الإسلامية الأخرى ـ بما فيها الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي والزيدي ـ احترامها التام، وأتباع هذه المذاهب أحرار في القيام بمراسمهم الدينية وفق مقتضيات فقههم، ولهم رسميتهم في التعليم والتربية الدينية والأحوال الشخصية والدعاوى المتعلقة بها في المحاكم، وفي المناطق التي يشكل أتباع أي من هذه المذاهب الأكثرية تكون المقررات المحلية في حدود صلاحيات المجالس المحلية وفقاً لمذهب الأكثرية مع المحافظة على حقوق أتباع سائر المذاهب».

وقد أثارت هذه المادة اعتراض فئتين من الناس بحسب الشيخ التسخيري:

«فريق من المعاندين والذين في قلوبهم مرض... وفريق آخر لم يعترض لهوى في نفسه، وإنما ظن أنه يصلح الأمر باعتباره نقصاً في الدستور الإسلامي، فراح يتمنى لو لم تأت هذه المادة...» [١٣].

ولا يجد الشيخ التسخيري ضرورة للحديث مع الفريق الأوّل، ومن الفريق الثاني يطلب أن يلاحظوا مجموعة من النقاط قبل أن يصدروا حكمهم على الدستور.

ـ إن الدستور الإسلامي دستور لمنطقة معينة محكومة بظروف وشرائط خاصة، ولا يمكن أن يتوقع منه أن يكون دستوراً للعالم الإسلامي كله فضلاً عن كونه دستوراً لبلاد غير إسلامية.

ـ الحاجة إلى منطلق يوحد أنماط السلوك الاجتماعي في البلد الواحد وهذا هو الدافع الذي دعا مدوني الدستور إلى طرح هذه المادة.

ـ ملاحظة الواقع الذي راد تطبيق هذا الدستور عليه، وهو واقع يمثل فيه المسلمون والشيعة الإمامية أكثرية ساحقة[١٤].

## ٢ـ الصعيد التطبيقي:

إن الشعارات مهما كبرت وكانت جميلة ومقدسة لا يكون لها تأثير كبير على الاستقرار الاجتماعي ما لم تكن مقرونة بأمور تلامس حياة الناس اليومية. وقد التفت مدونو الدستور إلى هذه النقاط وظهّرها الشيخ التسخيري ضمن نقاط هي:

١ ـ العدالة التي تمثل أصلاً عقدياً في الإسلام كما تمثل أصلاً مهماً في الحياة الاجتماعية.

٢ ـ مبدأ السيادة للأمة على الأرض الإسلامية والسيادة الإلهية على الأمة والأرض أيضاً.

٣ ـ العائلة، وفي هذه النقطة يعد الدستور الإسلامي مثلاً فريداً حيث قلما بل ربما لا نجد دستوراً ينص على احترام العائلة ويدعو إلى المحافظة عليها.

وفي ختام الحديث عن هذه النقطة لا بدّ من التذكير بأن مبدأ المحاسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحق انتقاد ونصح الحاكم، كل هذه العناوين تمثل ضمانة للالتزام بما أقره الدستور، ومتابعة تطبيق شعاراته وتحويلها إلى واقع ملموس.

## خاتمة:

تمثل فكرة الدولة الإسلامية في شكلها المعاصر تجربة رائدة تحتاج إلى تطوير التنظير لها، وسد الثغرات التي تبدو عند التطبيق، ومن أهم ما يمكن أن يقوم به المنظرون لهذه التجربة الفريدة هو طرحها بشكل يسمح

للآخرين ممن لا يؤمن بمنطلقاتها أن يتقبل شعاراتها العامة التي تمثل أمنية لكل مستضعف في الأرض مهما كانت خلفيته العقدية والفكرية. وهذا الأمر لا يحصل إلا من خلال علماء ومفكرين خاضوا غمار ميدان العلم كما ميدان العمل، ولا شك في أن الشيخ محمد علي التسخيري هو واحد من هؤلاء، وفي الختام أدعو له بطول العمر ودوام العافية، وأدعوه إلى التخفف من أعباء الإدارة ليتسنى له امتشاق القلم فينتج فكراً وشعراً، علماً وأدباً. والحمد لله ربّ العالمين.

**الهوامش:**

[١] علي عبد الرزاق، الإسلام وأصول الحكم، دار المعارف، تونس، ١٩٩٠، ص ٢٥.
[٢] المصدر نفسه.
[٣] المصدر نفسه، ص ٧٧ ـ ٧٨.
[٤] انظر: حميد عنايت، الفكر السياسي في الإسلام المعاصر، ترجمة إلى الفارسية، بهاء الدين خرمشاهي، ط ٣، طهران، خوارزمي، ١٣٧٢ هـ ش، ص ١٣١.
[٥] الشيخ محمد علي التسخيري، الأسس المهمة في النظام الإسلامي، بيروت، دار الحق، ١٩٩٣ م، ص ٨.
[٦] الأسس المهمة، بتصرف، ص ١٢.
[٧] المصدر نفسه، ص ١٤.
[٨] المصدر نفسه، ص ٢٧.
[٩] الحر العاملي، وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت، قم، ج ٢٧، ص ٢٣٢.
[١٠] الشيخ محمد علي التسخيري، المصدر نفسه، ص ٩١.
[١١] المصدر نفسه، ص ٢٧..
[١٢] المصدر نفسه، ص ٥٥.
[١٣] المصدر نفسه، ص ١٤١.
[١٤] المصدر نفسه، ص ١٤١ ـ ١٤٦

# المَرجِعيّة
# رُؤيةٌ لِقيادةٍ مُعاصِرة
## دِراسةٌ في تَصوُّرِ الشَّيخِ النَّسخيريّ
## لِلمَرجِعيَّة ودَورِها

❖ السيد لؤي نور الدين (*)

(*) أستاذ في الحوزة العلمية من لبنان

لا يشك باحث عارف بالفقه الإمامي في أهمية الدور الذي تلعبه المرجعية الشيعية والمقام التي تحتله في المجتمع الإمامي عبر التاريخ؛ بحيث إن الاجتهاد الفقهي هو أحد الوجوه البارزة لدور المرجعية العلمي يضاف إلى دورها الذي تؤديه على الصعيد السياسي، لدى هذه الطائفة من المسلمين. ولا يخفى أن الاجتهاد أسس لحركة فقهية وفتح الباب واسعاً لإعادة فهم النصوص الشرعية الأمر الذي أدى إلى تطور حركة الفقه لينسجم مع تطورات الحياة ما أثر في تشكيل الوضع الحالي لهذه الطائفة في العالم. ولا نقصد من ذلك التخفيف من تأثير العامل السياسي وغيره من العوامل التاريخية على تطور واقع الشيعة الإمامية بل على حركة الاجتهاد نفسها.

**العامل التاريخي:**

يمكن العودة بعلاقة الشيعة بالمرجع إلى علاقتهم بالإمام المعصوم، تلك العلاقة التي تجاوزت التشريع وحده لتدخل إلى تفاصيل الحياة الإنسانية كافة على الصعد الاجتماعية والأخلاقية وغيرها. وأما تأثير التاريخ على تطور الاجتهاد، فيمكن أن يشار إلى أن علاقة الاجتهاد الفقهي بالتاريخ تبدأ من نظرة الشيعة إلى مصدر التشريع، وهذا الأمر بدأ بعد وفاة الرسول الأكرم ﷺ عندما تبنت فئة من المسلمين فكرة إمامة الإمام علي عليه السلام إثر الانقسام حول خلافة رسول الله ﷺ. ومعه بدأت تتشكل حركة فقهية لها مميزاتها الخاصة. وأهم تلك المميزات الاعتقاد بعدم غلق باب التشريع بوفاة النبي؛ حيث يعتقد الشيعة بأن هذا الباب ما زال مفتوحاً طالما كان المعصوم موجودا بين الناس ولو كان هذا المصدر التشريعي غير مستقل بل هو واسطة مأمونة في النقل عن النبي. وفي ظل الحراك السياسي الناشئ عن وفاة النبي الأكرم ﷺ نشأ حراك فقهي، ابتداءً من مسألة تدوين الحديث والمواقف

المتخذة بهذا الصدد. وكان لهذا الموضوع التأثير الكبير على حركة الفقه الشيعي. ينقل الشيخ محمد مهدي الآصفي في مقدمته على الكتاب الفقهي المعروف المسمى بـ: رياض المسائل عن السيوطي قوله: «كان بين السلف من الصحابة والتابعين اختلاف كثير في كتابة العلم، فكرهها كثير منهم، واباحتها طائفة منهم وفعلوها، منهم: علي، وابنه الحسن[1]، فكتب الجامعة وهي من إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط علي عليه السلام وكان يبلغ سبعين ذراعاً...» [2]. وتتجلى أهمية هذا السلوك تجاه الحديث في كونه حدد الوجهة المطلوبة في التعاطي مع السنة الشريفة.

وإن العقيدة الإمامية كما تقدم ربطت المسلمين بالإمام عليه السلام فكانت تصرفات الموالين للإمام مرتبطة بموقفه. ومع توالي الأحداث على الساحة، تجذرت هذه العلاقة بشخص الإمام عليه السلام، وابتدأت بتشكيل وعي عام عند الموالين بالرجوع إلى الإمام عليه السلام في الشأن الخاص وأعني الأمور العبادية، كما في الشأن العام وأعني هنا ما يرتبط بحياة الأمة، من أمور سياسية واجتماعية واقتصادية؛ استمرت هذه العلاقة مع الإمام المعصوم عليه السلام حتى آخر إمام وهو الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، لكن هذه العلاقة أخذت أشكالاً عدة كانت تختلف باختلاف الظروف السياسية والأمنية لحياة الأئمة. وبمرور الزمن وتوالي الأحداث حصل أيضاً نوع آخر من الارتباط بالمعصوم عليه السلام، ولنقل أن الأئمة أوجدوا طرقاً للتواصل خصوصاً في زمن الإمام الخامس والسادس من أئمة أهل البيت، حيث أرجعوا الناس إلى بعض الفقهاء المعروفين، كمحمد بن مسلم وزرارة وغيرهم. وقد ظهر تدبير واضح في زمن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، فكان يرجع الناس في المسائل الفقهية إلى شخص خاص مثل محمد بن مسلم.

وهنا أيضاً لا بدّ من أن نُلفت النظر إلى المناظرات العامة والخاصة التي كانت تحدث في تلك الحقبة من الزمن، حيث طالت جميع العناوين الأساسية من عقيدة، فقه، اجتماع، حتى الصحة... وكان الناس يرجعون في كل ذلك إلى الإمام عليه السلام والفقهاء، حتى في أمورهم الخاصة كما تقدم. وقد كان لهذا الأسلوب الأثر البالغ في الاجتهاد.

هذه الطرق للتواصل أيضاً شكلت مع الأيام أساسا لوعي ضرورة نشوء المرجعية، حيث نقلَ الإمام عليه السلام ارتباط الناس من الارتباط المباشر به إلى الارتباط بحملة الحديث وأهل الفقه في الدين. وعبر هاتين الخصوصيتين من الناحية العلمية كان يشير

الإمام عليه السلام إلى مسألة جد مهمة وأساسية وهي وثاقة الإمام عليه السلام بشخص هذا المكلف للقيام بهذه المهمة. وهذه النقطة مهمة، وتحتاج إلى تحليل أكثر. فهل أن الإمام بهذا الإرجاع قد أوجد مرجعية تحت إشرافه؟ وهل يعتبر هذا من المرجعية أم لا؟ هذا يحتاج إلى بحث مستقل، إلا أنه بالحد الأدنى شكل نواة أساسية في الوعي لدى اتباع أهل البيت إلى من يرجعون في مسائلهم وأمورهم المستجدة خصوصاً في الأماكن التي بعدت عن المعصوم عليه السلام.

بقيت العلاقة على هذا المنوال تقريباً إلى زمن غيبة الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف الصغرى، حيث ترقى الدور الذي يلعبه الفقهاء بواسطة السفراء، بعد أن لم يعد هناك إمكانية لدى عامة الموالين للتواصل المباشر مع المعصوم عليه السلام، وأصبح الاعتماد محصوراً بالسفراء.

وهنا نشير إلى أن هذه العملية الطويلة في تدريب الموالين على كيفية التعاطي مع الشريعة المقدسة وكيفية مواجهة المستجدات والحوادث، تعتبر من خصوصيات التعدد في الأئمة، والسير الزمني لحضور المعصوم عليه السلام؛ ابتدأت بالولاية على الأماكن ومراكز القضاء مع أمير المؤمنين عليه السلام، ثم أضيف إليها عنصر آخر في زمن الصادق عليه السلام بإرجاع الناس كما تقدم إلى بعض الأشخاص ممن يحمل صفات معينة، لتتوج فيما بعد بعلاقة مباشرة مع سفراء الامام عجل الله تعالى فرجه الشريف.

ومن جهة أخرى من المهم أن نشير هنا إلى قضية أعتقد أنها مهمة جداً، وهي أن المرجع الأساس للناس في وعيهم مع طول الزمن وتعدد الأئمة كان واحداً؛ إذ إن إيكال الأئمة عليهم السلام لبعض الناس في تصديهم كما تقدم لم يكن ليلغي دور الإمام عليه السلام بل كان تحت إشرافه عليه السلام، وأهمية هذه النقطة أنها شكلت وعياً داخلياً ظهر فيما بعد في زمن الغيبة الكبرى، أو كان له تأثير كبير بالحد الأدنى في وحدة المرجعية.

## المجامع الروائية:

في ما تقدم ذكرنا أن التدوين عند الشيعة الإمامية بدأ مع المراحل الأولى مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأكملت هذه الحركة مسيرتها مع بقية الأئمة عليهم السلام، وفي أدنى مراجعة سوف نجد أن هناك كماً هائلاً من الكتب الحديثية والفقهية في جميع أبواب الفقه كانت مستمرة حتى زمن الإمام الثاني عشر عجل الله تعالى فرجه الشريف وأعتقد أنه من المهم جداً قراءة الحالة الفقهية وتطورها في بقية المدارس الإسلامية ودراسة العامل التاريخي، الذي ظهر بدخول ثقافات جديدة على الساحة

الإسلامية، وتَفتُّح الأفق المعرفي عند المسلمين من جهة، والاختلاط الاجتماعي بين مجموعة كبير من العادات والتقاليد والأعراف تحضنها الأمم والشعوب التي انفتحت على الإسلام من جهة أخرى.

وفوق ذلك كله هناك العامل السياسي الذي أراد أن يسخر الحديث والفقه بما يتلائم مع السياسات المتبعة من قبل من تصدى وحكم المسلمين. في ظل هذه التطورات كانت الحركة الفقهية تكمل مسيرها في النمو والازدهار، ولا يخفى على قارئ كيف تجلت عملية النمو في زمن الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

هنا لا بدّ من ملاحظة أمر له نوع ارتباط بموضوعنا، وهو أنه مع كثرة الكتب الحديثية والتي كانت تتناول ربما نفس الموضوع نجد أن هناك كتباً اشتهرت وذاع صيتها وكانت محل اهتمام لدى المتشرعة في تلك الأزمنة بخلاف بعض الكتب الأخرى، وواحد من الأسباب المهمة في هذا المجال ناتج عن شخصية الكاتب وقد أشرنا في ما تقدم، إلى مدح الإمام عليه السلام لبعض الأشخاص؛ ونضيف هنا أن الإمام عليه السلام نهى البعض أن يحدثوا في بعض الأبواب وأوكلها إلى آخرين كما في هشام بن الحكم.

مما تقدم نجد أن المرجعية الشيعية لم تصل إلى شكلها الراهن فجأة بل تطورت مع الزمن، ومما لا شك فيه أن الوضع الراهن للاجتماع الإسلامي العام وخصوصيات الراهن الشيعي ما بعد الثورة الإسلامية المباركة في إيران، وطرح نظرية ولي الفقيه من قبل مؤسس الدولة الإسلامية، كل ذلك أعطى المرجعية بعداً آخر وحساسية عالية للموقع والمكانة الذي تشغله المرجعية؛ وبعد سلسلة استحقاقات سواء على مستوى المرجعية بالمعنى الذي كان معمولاً به فيما قبل الدولة، أو ما فرضه رحيل مؤسس الدولة الإسلامية في إيران، أثيرت العديد من الأسئلة حول المرجعية وكيفية تعيين المرجع خصوصاً بعد رحيل الرعيل الأوّل من المراجع أو الطبقة الأولى، كما عبّر الشيخ التسخيري في كتابه «نظرات حول المرجعية»[٣]. ويشار هنا إلى أن رحيل مؤسس الدولة الإسلامية وضع الشيعة وخصوصاً في إيران أمام استحقاق تعيين الولي، ونشّط البحث مجدداً حول المرجعية والولاية؛ لقد كانت المرجعية تتعين عادة وتنبثق من داخل الحوزات العلمية، يعني في الحقل الاختصاص ي الخاص بالحوزة، وهو على علاقة مباشرة عموماً مع المرشح لهذا المنصب. هذا وإن لم يكن على الشكل المتعارف عليه حالياً، إلا أنه لا يخلو من هذا في حقيقته ومضمونه وكيفما كان فإن الواقع

الخارجي فرض نفسه، وكانت الأسئلة نابعة من هذا الواقع المتقدم ذكره.

وهنا يمكن أن نعرض المسألة على الشكل التالي:

هناك العديد ممن له أهلية التصدي لهذا المنصب ولو بنظره هو، وهناك انتشار جغرافي لهم يمتد على جغرافية التواجد الشيعي، إلى جانب ذلك هناك دولة لها شؤونها الخاصة المتعلقة بالإدارة والمؤسسات وما يعنيه مفهوم الدولة، والمرجعية حتى ولو لم تكن تابعة لأصحاب الرأي القائل بولاية الفقيه بالشكل الذي طرحه الإمام الخميني (قده) إلا أنه يبقى لها تأثير بشكل أو بآخر في وضع الدولة وعمل مؤسساتها ولو لجهة الأمور الحسبية. وهذا الأمر أعطى موضوع «المرجع» بعداً مهماً كما تقدم. وهذا ينعكس أيضاً في بعض أعمال المرجعية ووظيفتها التي منها إدارة الحقوق المالية الشرعية خصوصاً الخمس، وهذا الموضوع في زماننا الراهل له أهميته الخاصة من الزاوية الاقتصادية وما يمثله هذا الشأن من قوة داخل المجتمع كما لا يخفى؛ لذلك نجد أن الشيخ التسخيري أفرد له حيزا مستقلاً في كتابه للاستدلال ودعم النظرية القائلة: إن التصرف في الأموال العامة من صلاحيات ولي الأمر؛ مع أن هذا الموضوع في حقيقته ليس إلا حكماً شرعياً كبقية الأحكام الشرعية المطروحة في العبادات، إلا أن النتائج المترتبة على هذا الموضوع تدعو إلى الاهتمام به وايلائه عناية خاصة.

وقد كان شرط الأعلمية هو الفيصل في تحديد المرجع، وكان يتم هذا الأمر داخل الحوزة عن طريقين، الأوّل وهو الذي ساد إلى زمن طويل عبر الحضور المميز لشخص المجتهد، الحضور العلمي، والمسلكي، كما نجد هذا الحضور القوي لدى الشيخ الطوسي ﷺ، ومن بعده الشيخ المفيد ﷺ، والسيد المرتضى ﷺ بعد ذلك، إلى الشيخ الأنصاري ﷺ، وغيرهم. وهنا لا بدّ من أن ننبّه إلى أن هذا لا يعني أن كل الشيعة كانوا يرجعون إلى مرجع واحد في كل الأزمنة، لكن الذي يحصل أن هناك مرجعيات قوية يرجع إليها الأكثر من الشيعة. وأحياناً يحصل تقاسم إذا أردنا أن ننظر إلى الموضوع من الناحية العددية، لكن مع هذا فإن الكل خاضع لنفس الضابطة وهي الأعلمية وكان الاختلاف عادة يحصل في تحديد الأعلم من بين الفقهاء الموجودين في الحوزة العلمية.

وقد أوجد هذا الشرط من الناحية العملية وفي بعض الأزمنة مشكلة في تعيين الأعلم، وقد نتج ذلك عن أحد أمرين، أو عنهما معاً:

**أوّلاً:** ضابطة الأعلمية التي وضعها الفقهاء، ففي نظر البعض أنه لا يوجد ضابطة محددة.

**ثانياً:** التقارب بين المجتهدين؛ بحيث يصعب الجزم بأعلمية أحد الطرفين.

ولحق ذلك اتساع الدائرة، إذ في المراحل التاريخية التي مرت بها الحوزة كان الوضع القائم يسمح بهذا التعيين مع قلة العدد، ووجود أشخاص استطاعوا أن يفرضوا أنفسهم بقدراتهم العلمية والمسلكية.

وأمام هذه المعضلة، ظهرت بعض الطروحات في محاولة منها للإسهام بوضع حل جذري، وهنا لا بدّ من إلفات النظر إلى أن المشهور بين الفقهاء الأخذ بشرط الأعلمية، مع وجود من لم يقبل بهذا الشرط وناقش في الأدلة التي سيقت فقهياً لإثبات كونه شرطاً.

وبناء على عدم اشتراط الأعلمية سوف نجد أن دائرة العدد تتسع أكثر، والأسئلة المطروحة تفرض نفسها أكثر. أمام هذه الصورة، وجد البعض أننا أمام استحقاقات زمنية لا يمكننا مواجهتها بواسطة الضوابط المطروحة، وأن ننفذ منها بما فيه الصالح العام للأمة الإسلامية أفراد ودولة. ولذلك يقول الشيخ محمد علي التسخيري في كتابه في معرض حديثه عن أساليب اختيار المرجع: «فهي اليوم تكاد تنقلب على أهدافها في عصر الطلائعية الشيعية لكل العالم الإسلامي، عصر الكلمة الشيعية الأولى في قبال كل الطواغيت»[٤].

ونتيجة لهذا مع القلق الذي رصده الشيخ التسخيري وغيره بعد رحيل عدد من الشخصيات المرجعية من الشهيد السيد محمد باقر الصدر إلى رحيل الشيخ الأراكي رحمهم الله جميعاً.

يلخص هذا التوتر بالتالي: «هذه الفواجع أحدثت توتراً شديداً وقلقاً مستمراً ناتجاً من تعدد الولاءات وكثرة الادعاءات وغموض الحقيقة، وأثارت الشبهات حول الأساليب التقليدية لانتخاب المرجع»[٥].

وإننا وإن كنا لا نوافقه الرأي في أن رحيل هذا الرعيل الأوّل أو الطبقة الأولى من المراجع بشكل متتالٍ وسريع أثار شبهات وقلقاً، بقدر ما هو تساؤل عمن يقوم بهذه المهمة في ظل الظروف الراهنة التي خلقت مناخاً شبه عام في نفوس مقلديهم عمن يقوم بأعباء المرجعية. على كل حال، هناك شعور متولد بفعل الأحداث والظروف العامة كانت السبب للبحث حول المرجعة من جديد، في محاولة لتلبية الحاجة الزمنية والإجابة عن أسئلة مطروحة، وهواجس عند المخلصين.

وهنا أشير إلى أهمية الوعي الداخلي، أقصد أن هناك صورة مركوزة في الوعي الداخلي الشيعي نتيجة

تجربة زمنية طويلة بالمعصوم عليه السلام وبالإرث السياسي العام للمسلمين الذي ينظر إلى المرجعية موحدة، يضاف إليه القلق العام على أوضاع المسلمين العامة «ولا معنى لتصور قيادتين فعليتين في الأمة الواحدة والطائفة الواحدة»[٦].

فعندما يتعدد المراجع ويتوزع الناس كل على مرجعه، فهذا يوحي بالتشرذم خصوصاً عندما يكون للمرجع رؤياه الخاصة في بعض الأمور السياسية، أو الاقتصادية، أو القوانين المعمول بها داخل الدولة الإسلامية.

وأيضاً هنا انعكاس لتجربة سياسية تاريخية، فإن الأعداء علموا ومارسوا التفرقة على صعيد الأمة جمعاء، وحاولوا جاهدين وما زالت محاولتهم للتفريق بين أصحاب المذهب والطائفة الواحدة.

إذاً هذا التعدد ينعكس تشرذماً الذي ينعكس بدوره ضعفاً ويوفر للأعداء أرضية سهلة للنيل من الدولة الإسلامية، ولذلك يقول الشيخ التسخيري: «إذا لا نستطيع أن نترك الأمور على عواهنها خصوصاً مع ملاحظة العداء الاستكباري المخطط لضرب الثورة الإسلامية، وتركيز الأعداء على المرجعية ومحاولة النفوذ من خلالها»[٧] وقد حاول الشيخ التسخيري في هذا السياق تبديد الخوف والقلق على أساس المؤسسة المرجعية أو ما يسميه هو «دار الإفتاء» وينحصر صدور الفتوى بهذا الدار، وبالتالي النظام المؤسساتي هو الذي يحمي نفسه من الاختراق حسب الفرض، أو لا أقل يمنع حالة التفرد في الفتوى والتي قد تصدر عمن ليس له باع طويل في الحراك السياسي والاجتماعي العام. وربما كان من غير الممكن أن نتصور أن الاجتهاد الفردي المنعزل يستطيع أن يلم بكل القضايا اليوم، فمع وجود «دار الإفتاء» حسب الفرض المتصور يمكن تبديد هذا الخوف، حيث يمكن أن يتم تلافي النقص الحاصل نتيجة لتشعب القضايا، إلا أن هذا يبقى طرحاً عاماً، لا يوضح كيفية وآلية العمل داخل هذه المؤسسة وإن كان المهم بالدرجة الأولى هو قبول هذه الفكرة.

يبقى أن نسأل هل المسؤولية وعمل المجتهد يحتمل هذا الطرح؛ إذ الاجتهاد يقوم على الجهد الشخصي المؤدي إلى الرأي الخاص المتصل بأخذ القرار واستصدار الفتوى؟ وهذا واضح بمراجعة أسس الاجتهاد. نعم قد يكون مريحاً للمقلد أن تتوحد الفتوى أمامه، إلا أنها مفقدة للخيارات أيضاً؛ إلى جانب ذلك نتساءل هل علاقة المقلد بالمرجع هي علاقة فتوى فقط؟! أسئلة تحتاج إلى مزيدٍ من البحث.

**القيادة:**

بديهي أن المستجدات والظروف التي نعيش فيها تحمل من التعقيدات ما يفرض علينا أن يكون «المرجع الولي» له ميّزات خاصة تحاكي الجانب القيادي للأمة. وهذا الأمر كما شرط الأعلمية عند البعض هو في نفسه صحيح. إلا أن هذا لا يسهل عملية الانتخاب والاختيار، إذ كلما ازدادت الشروط كلما ندر الوجود كما يقولون.

لكن المهم في المقام هو أن يكون الولي حاملاً لهذه الصفات. إن المعرفة بالأوضاع السياسية والاجتماعية والتاريخية لحياة المسلمين قد تكون أكثر تعقيداً من الفتوى في الزمن الراهن، وبالتالي الاقتراح المتقدم في المرجعية الفتوائية نجده هنا أكثر إلحاحاً؛ إذ المسؤولية الملقاة على عاتق الولي الفقيه أشد تعقيداً.

نعم بما أن فكرة المؤسسة التي تحكي حقيقة وصميم «دار الإفتاء» هي في نفسها لم تجد بعد طريقاً لها، ونحن أمام استحاقاقات كبيرة لا يمكننا معها الانتظار حتى تتبلور الطروحات، فإننا ومن باب الضرورة يمكننا أن نعمل على أساس توفر الشروط الملائمة في «الولي الفقيه» وأن لا يُغلق الباب أمام البحث في موضوع القيادة. مع التنبيه على التأمل في موضوع القيادة والولاية؛ حيث إن حصر أو تلبيس مفهوم الولاية القيادة لا نوافق عليه...!

هذه الشروط هي التي تؤمن شخصية القيادة هي ظروف عملها، وتغطي مساحة المهام الملقاة عليها، وقد طرحت بعض الشروط الزائدة على شروط المرجع انطلقت من داخل التجربة الحديثة في «الدولة الإسلامية» وبعد تجربة عملية لدور الفقيه الولي والتي فرضت نفسها من خلال التجربة.

وكما انبثقت هذه الشروط من خلال التجربة العملية كما تقدم، فإنها أيضاً كانت هي الباعث للنظر في بعض مختصات المرجعية العامة والقيادة، والتي منها موضوع «الخمس» والحقوق المالية الشرعية.

وقد لخص ذلك سماحة الشيخ التسخيري في النتيجة التي ذكرها بعد إطلاله على الأدلة الشرعية المرتبطة بالخمس، وهذا ما جاء في النتيجة:

«**أوّلاً**: إن الخمس كغيره من الأموال العامة يعود أمرها إلى الولي الحاكم.

**ثانياً**: إن هذا الولي الحاكم هو الفقيه، الجامع للشروط الذي تعيّن بنحوٍ ما أميراً للأمة وإماماً لها.

وبعد هذين الأمرين نصل إلى لزوم دفع الحقوق الشرعية كالخمس إلى الولي الفقيه وأمير الأمة الإسلامية...»[٨].

وبذلك يتم تدعيم أسباب القوة في القيادة من تخصيص القدرة المالية «الاقتصادية» بالولي الفقيه، وغيرها لكن تبقى هذه القراءة فقهية من قراءات تختلف في النتائج عما تقدم، إلى جانب أنها لم تلحظ الأثر الحاصل على المرجعية والذي اقترح أن تكون مجلساً للإفتاء.

هذا إلى جانب إغفالها الدور التاريخي للمرجعية في عملية التصدي لأوضاع المسلمين مباشرة، من سد الحاجات الاقتصادية وغيرها، والتي وطدت العلاقة بين المرجعية والمقلدين، هذا من الناحية النظرية بغض النظر عن النقاش الفقهي الصرف في موضوع الخمس.

على كل حال، هذا الطرح يجب أن يأخذ بجدية واهتمام كما دعى إليه الشيخ التسخيري حديث اعتبر ذلك محاولة منه في الإجابة على الأسئلة المطروحة والتي تناقش موضوع «المرجعية».

**الهوامش:**

[١] هامش ميزان الاعتدال، جزء ٥، ص ٥. نقلاً عن: السيد علي الطباطبائي، رياض المسائل، مقدمة الشيخ محمد مهدي الآصفي، ج ١، ص ١٢.
[٢] رياض المسائل، ج ١، ص ١٢.
[٣] الشيخ محمد علي التسخيري، نظرات حول المرجعية، ص ١٢.
[٤] نظرات حول المرجعية، مصدر سابق، ص ١٤.
[٥] المصدر نفسه، ص ١٣.
[٦] المصدر نفسه، ص ١٥.
[٧] المصدر نفسه، ص ١٤.
[٨] المصدر نفسه، ص ٦٢.

# التَّقْرِيبُ
## بَيْنَ المَذَاهِبِ الإِسْلَامِيَّةِ وَفِقْهِ الائْتِلَافِ
## فِي فِكْرِ الشَّيْخِ النَّسْخِيرِيّ

❖ الدكتور محمد بلبشير(*)

(*) أستاذ جامعة تلمسان ـ الجزائر.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

«**نحن ندعو بجد لإعادة الحالة المذهبية إلى وضعها الطبيعي عبر إشاعة روح الحوار الإسلامي البناء، والتآلف القلبي، والبحث عن المساحات المشتركة، وهو ما نعبر عنه بـ (حركة التقريب بين المذاهب الإسلامية)**».

الشيخ محمد علي التسخيري

لقد بات من الواضح أنّ مسألة التقريب بين المذاهب الإسلامية وتوحيد صفوف الأمة الإسلامية، أمام ما يحدث لها من تحديات ومخاطر وعداء للإسلام، أمل من الآمال الّتي يتطلع إليها كل مصلح غيور على هذه الأمة في العالم الإسلامي.

والحديث عن التقريب بين المذاهب الإسلامية، هو حديث عن صورة من صور العلاقات الفكرية والاجتماعية والإنسانية، ضمن إطار الأمة الواحدة، يتجه بقوة إلى تبيين نوازع الاختلافات المذهبية والطائفية، ليتم الوقوف عليها والعودة إلى مصادرها الصحيحة، تحقيقا للهدف الأسمى المتمثل في إعادة اللحمة بين أبناء الإسلام وتجذ يرها في قلوبهم، وتضييق هامش الفرقة بين أتباع الأمة الإسلامية.

من هذا المنطلق تأتي مداخلتي " التقريب بين المذاهب الإسلامية وفقه الائتلاف في فكر الشيخ التسخيري". واختيار إطلاق " فقه الائتلاف" بدلا من فقه الاختلاف، مع أن غاية التسميتين واحدة، لأنّ في الائتلاف يتضح الهدف الأسمى الذي نرمي إليه، وهو تقريب الفجوة بين عقول وأفكار أبناء الأمة الإسلامية، على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم، وردمها بين القلوب والمشاعر، لأنّ المشكلة ليست في الاختلاف بين المذاهب أو في تعدد مناهجها أو تنوع اجتهاداتها، وإنما المشكلة في طريقة الفهم

والنظر لهذا الاختلاف والتعدد والتنوع.

كما تسعى الدراسة إلى تبلور مفهوم التقريب بين المذاهب الإسلامية لدى الشيخ محمد علي التسخيري حفظه الله ورعاه، وذلك لأنه من أكبر دعاة التقريب بين المذاهب الإسلامية، وأعلم بالأسس والمبادئ التي يعتمدها التقريب، وأكثر أثرا في توحيد الصفوف وتحقيق خصائص الأمة الإسلامية.

ولعل من أوليات مهامنا تجاه العلماء، دراسة مشروعاتهم الفكرية والثقافية، وقراءة تجاربهم الإصلاحية، حتى يتسنى لنا استيعاب العبر، وهضم المحاور الكبرى لتلك التجارب والمحاور.

فما مفهوم التقريب بين المذاهب الإسلامية في فكر الشيخ التسخيري؟

وما القيم والأسس التي ينبغي أن يلتزم بها التقريبيون؟

وما أهمية نشر ثقافة التقريب بين أبناء الأمة الإسلامية؟

وسعيا لتحقيق أسس ومقومات وحدة الأمة الإسلامية، والإحساس بأهمية التقريب بين شعوب الأمّة الإسلامية وفقهاء المذاهب الإسلامية، تأتي هذه المداخلة في عرسكم العلمي الثالث والعشرون للوحدة الإسلامية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية الّتي ما فتئ سمعته تزداد بين الأوساط العلمية الإسلامية والعالمية، خدمة للأمة الإسلامية وجمع شملها.

## أوّلا: حركة التقريب بين المذاهب الإسلامية.

ممّا لا ريب فيه أنّ وحدة الأمّة والتقريب بين وجهات النظر المختلفة للمذاهب سواء أكان فيما يقع للناس في أمور معاشهم وطرائقها، أم كان في نظرتهم – مثلا - لبعض الفروع الفقهية واختلافهم بشأنها من جهة ما يعتريها من أحكام، ونقل صورة مثلى للإسلام يحتاج إلى تعاون بين مختلف العلماء من مختلف المذاهب الإسلامية، وقد بذل بعض القادة والعلماء جهودا مشكورة في هذا السبيل[1].

ففي سنة ١٣٦٤هـ دعا الشيخ محمد تقي الدين القمّي رحمه الله إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية تحت اسم "جماعة التقريب" وسجلت بهذا الاسم وضمّت نخبة من كبار علماء مصر منهم الشيخ محمود شلتوت والشيخ عبد المجيد سليم والشيخ إبراهيم حمروش والشيخ محمد المدني وغيرهم، وكان من نتائج عملها أن درست في كليات الشريعة بالأزهر بعض

المذاهب الشيعية[٢].

كما شهد هذا العصر تلاحقا فكريا واسعا بين العلماء عن التقريب بين المذاهب الإسلامية، فكانت هناك مؤتمرات وندوات علمية مختلفة، مثل مؤتمر التقريب بين المذاهب الإسلامية الذي انعقد في البحرين يوم ٢٠٠٣-٠٩-٢٤م، ومؤتمر المنظمة الإسلامية للعلوم والثقافة (مؤتمر القمة الإسلامية العاشر بماليزيا سنة ٢٠٠٣)، ومؤتمر الدوحة من ٢٠ إلى ٢٢ يناير ٢٠٠٧ الذي كان تحت شعار "دور التقريب في الوحدة العلمية"، وملتقى "التقريب في الفكر والوحدة في العمل" المنعقد بكينيا في مارس ٢٠٠٧، وما يقوم به المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب بطهران من نشاط أحسن دليل على نية العلماء في التقريب بين المذاهب الإسلامية وتوحيد كلمة الأمة ولمّ شملها.

ففكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية تمتلك جذورا تمتدّ إلى أقدم العصور الإسلامية، كما يقول الشيخ آية الله محمد علي التسخيري[٣] لأنّها تستمد أصالتها وحيويتها من أصول الشريعة الغراء، وتتضح ضرورتها كلّما اتسع نطاق مسؤولية هذه الأمة في صنع الحضارة الإنسانية أو الإسهام الفاعل فيها على الأقلّ. ومواجهة التحديات والمخاطر المحدقة بها.

## أ ـ أهمية التقريب بين المذاهب الإسلامية:

تنطلق أهمية التقريب بين المذاهب الإسلامية من مكارم الشريعة الغراء، ومن مدلولات التشريع ومقاصده الرامية إلى توحيد الأمة الإسلامية وفق الأمر الإلهي يقول تعالى:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٣ ـ ١٠٤].

ـ كما تنطلق هذه الأهمية من مقتضيات حال المسلمين وواقعهم – كما أشرنا سابقا– وممّا تحتمه مصلحتهم المشتركة من وجوب التعاون والتآزر والوحدة «فالوحدة الإسلامية هي الوسيلة الوحيدة لمواجهة التحديات الّتي تواجهها الأمة الإسلامية ويتعيّن على جميع المسلمين في الظروف الحساسة الحالية اعتماد الوحدة. وإنّ التقريب بين المذاهب هو السبيل الوحيد للوحدة»[٤].

ـ تضييق رقعة الخلافات المذهبية والحدّ من

انتشار ظاهرة التعصب المفضية إلى التفرقة والفتن، وجسرا متينا لترسيخ قيم الائتلاف والتسامح وإتباع صراط الرشاد الهادي إلى تماسك الأمة وتدعيم عناصر وحدتها[٥].

ـ إنّ التقريب بين المذاهب الإسلامية سيؤدي حتما إلى انبعاث ثقافي للأمّة، إذ ستتضاعف الأعمال المعرفية حين يكسر كل جانب عقدة الوهم من الجانب الآخر، ويلتمس الفائدة الحقيقية من مؤدى اجتهاداته فيما أصاب فيه... كما له أثر على الناحية الاقتصادية والسياسية...[٦].

غير أنّ مفهوم التقريب بين المذاهب الإسلامية لا يعني نبذ المذاهب المختلفة واعتناق مذهب موحد – كما يعتقد البعض - بل هو خطوة نحو جمع المسلمين وإشباعهم روح التفاهم والتعارف والتآلف فيما بينهم، والتقائهم بعد تنافرهم وتباعدهم، وبيان سعة الفقه وقدرته على المواجهة والتصدي لكل التيارات المناوئة للإسلام. فقد قامت ـ تاريخيا ـ عدّة محاولات سياسية لفرض مذهب إسلامي واحد، باستخدام الوسائل العسكرية والإدارية، لعلّ أشهرها محاولة المعتزلة فرض آرائهم الاجتهادية في العصر العباسي، ولكنّها لم تؤد في النهاية إلاّ إلى إضافة الضغائن على الخلافات الفكرية الاجتهادية الّتي كان ينبغي أن تبقى ضمن إطار الفكرة لا تتعدّاه[٧].

فالذي نبحث عنه ليس قرارا سياسيا يتبنّى اتجاها محدّدا في الفقه الإسلامي، ويحظر ما سواه، بل إنّ ذلك سيؤدي إلى نقيض مقاصدنا في تحقيق الوحدة الإسلامية، والتقريب بين المذاهب... فذلك أمر غير وارد، وغير مستساغ، لاستحالة وقوعه وصعوبة التفكير فيه، ويرفضه العقل الإسلامي، ولا يقبله منطق الحكمة، وحول هذا الأمر نستشهد بالموقف الحكيم للإمام مالك بن أنس رضي الله عنه، حين قدّم للعالم الإسلامي كتابه الموطأ: «قال ابن حاتم: قال مالك: ثمّ قال لي جعفر المنصور: قد أردت أن أجعل هذا العلم واحدا، فاكتبه إلى الأمراء وإلى القضاة فيعملون به، فمن خالف ضربت عنقه، فقلت: يا أمير المؤمنين، إنّ النبيّ ﷺ كان في هذه الأمّة، وإنّ اختلاف العلماء رحمة من الله على هذه الأمّة، كل يتّبع ما صحّ عنده وكل على هدى وكل يريد الله»[٨].

فالإمام مالك رحمه الله رسم لنا مذهب الوحدة الإسلامية الذي نبتغي، وهو الذي يضمن التكامل بين حركة الاجتهاد ووحدة الجماعة، أمّا الدمج وتذويب الأفكار الاجتهادية أو تهميش أي مذهب، أمر غير مطلوب.

## ثانيا: قيم التقريب بين المذاهب الإسلامية:

ما القيم الّتي نعتمد عليها لمحاولة التقريب بين المذاهب الإسلامية؟ سعيا لجعل قضية التقريب بين المذاهب الإسلامية وتجميد الخلافات التاريخية والفقهية من بنود مرتكزات الوحدة الفكرية والثقافية بين أبناء أمتنا الإسلامية، يضع الشيخ التسخيري سبعة قيم للتقريب بين المذاهب، أمام كل مسلم منصف ليجد فيها الخير لكل أبناء الإسلام على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم، لأن الإسلام فوق المذاهب كما أنّ الأمة فوق الطوائف، معتبرا هذه القيم خطوطا عامة للسياسات الّتي ينبغي أن يراعيها الخط التقريبي ليحقق أهدافه المرجوة[٩].

### القيمة الأولى: التعاون فيما اتفقنا عليه

يرى الشيخ التسخيري أن المذاهب الإسلامية تتفق في مجالات كثيرة جدًّا، كما لها مساحات مشتركة كثيرة، سواء كانت في الأصول العقائدية أم في المجالات التشريعية (والتي يصل بها بعض العلماء إلى أكثر من ٩٠% من المساحة العامة)، أو في المجالات الأخلاقية، حيث التوافق يكاد يكون كاملاً، وكذلك في مجال المفاهيم والثقافة الإسلامية، وحتى في المسيرة التاريخية والحضارية، طبعًا في مفاصلها الرئيسية، رغم الاختلاف في تقييم المواقف المعينة.

أما المواقف العملية فهم يتفقون جميعًا على لزوم توحيدها عبر التكاتف والتكافل الاجتماعي، وعبر وحدة القرار الاجتماعي الذي تتكفله جهة ولاة الأمور الشرعيين، ولا ريب أن التعاون في المشتركات الفكرية يعني التعاضد في تركيزها في الأذهان وتجنب كل ما يؤدي إلى نقضها، وبالتالي تعميقها في مجمل المسيرة.

أما التعاون في المجالات المرتبطة بالسلوك الفردي والاجتماعي والحضاري؛ فواضح وتنضوي تحته المجالات الحياتية المختلفة من قبيل: تطبيق الشريعة الإسلامية، تعظيم الشعائر الإلهية كالجمعة والحج، وتحقيق خصائص الأمة الإسلامية كالوحدة، وهكذا..

كما يشير إلى أن حركة التقريب يجب أن تبذل قصارى جهدها لاكتشاف المساحات المشتركة هذه وتوعية الجماهير ـ وأحيانًا نضطر إلى توعية النخبة أيضًا ـ بها. كما تعمل على توسعة نطاق هذا الجانب المشترك عبر الإشارة ـ مثلا ـ إلى كون النزاع والخلاف لفظيًّا لا جوهريًّا، أو عبر التوعية بأسلوب ثالث يشترك فيه المختلفان.

### القيمة الثانية: التعذير عند الاختلاف

من الأسس التي ينبغي أن نركز عليها في

التقريب بين المذاهب الإسلامية يركز الشيخ التسخيري أن الإيمان بانفتاح باب الاجتهاد -وهي الحالة الطبيعية التي لا يمكن إغلاقها بقرار ـ وما دامت أسباب اختلاف النتائج الاجتهادية قائمة وطبيعية.. فمعنى ذلك الرضا باختلاف الآراء والفتاوى، و الجدير بالذكر هنا كما يذكر الشيخ: أننا لا نجد نهيًا إسلاميًّا عن الاختلاف في الآراء، وإنما ينصب النهي على التنازع العملي المُذهب للقوة، والتفرق في الدين والتحزب الممزِّق، وأمثال ذلك. وهذا يعبر عن عقلانية الإسلام ومنطقيته.

وعليه يقول الشيخ أنه يجب أن يُوطّن الفرد المسلم -عالمًا أو متعلمًا، مجتهدًا كان أو مقلدًا ـ على تحمل حالة المخالفة في الرأي، وعدم اللجوء إلى أساليب التهويل والتسقيط وأمثالها، وحينئذ يكون الخلاف أخويًّا وديًّا (لا يفسد للود قضية).

كما يشير الشيخ إلى ورود نصوص كثيرة تدعو المؤمن للصبر والمداراة، وسعة الصدر، ويمكن عكسها على واقعنا الحالي. مثل نص الإمام الصادق (رحمه الله)، حيث جرى ذكر قوم فقال الراوي: "إنا لنبرأ منهم لا يقولون ما نقول، فقال الإمام: يتولّوننا، ولا يقولون ما تقولون، تبرؤون منهم؟ قلت: نعم، قال: هو ذا عندنا ما ليس عندكم، فينبغي لنا أن نبرأ منكم". إلى أن قال: "فتولوهم ولا تبرؤوا منهم: إن من المسلمين من له سهم، ومنهم من له سهمان.. فليس ينبغي أن يحمل صاحب السهم على ما عليه صاحب السهمين... ". وتعامُل أئمة المذاهب فيما بينهم مثال رائع على هذه الحقيقة.

## القيمة الثالثة: تجنب التكفير والتفسيق والاتهام بالابتداع

يعتبر الشيخ التسخيري أن مسألة التكفير من المصائب التي ابتلي بها تاريخنا، فرغم النصوص الشريفة التي تحدد المسلم من جهة وتمنع من التكفير للمسلم من جهة أخرى لاحظنا سريان هذه الحالة التي حجرت على العقل أي إبداع أو مخالفة، حتى إننا شاهدنا من يؤلف كتابًا، ويرى أن مخالفة حرف واحد فيه تؤدي إلى الكفر وهذا أمر غريب!

ومن هنا فالشيخ يدعو إلى التحول بالمسألة من (الإيمان والكفر) إلى مرحلة (الصواب والخطأ)، بشرط التحلي في ذلك بروح القرآن التي تدعو إلى الموضوعية، حتى في النقاش مع الكفار الحقيقيين، حينما يُخاطَب الرسول أن يقول لهم: ﴿**وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾ [سبأ: ٢٤].

**القيمة الرابعة: عدم المؤاخذة بلوازم الرأي**

يـذكر الشـيخ محمـد التسـخيري أن الإنسـان يحاسب على رأيه ويناقش بكل دقة وأناة، إلا أننـا اعتـدنا علـى مناقشـات تبتنـي علـى لـوازم الآراء، وبالتـالي يـأتي التكفير والاتهام بالابتداع، في حين أن صاحب الرأي قد لا يقبل تلك الملازمـة، وللتوضـيح يقـدم لنـا مثـالا علـى ذلـك، نجـد الـبعض ممـن يؤمنـون بمسـألة التحسـين والتقبـيح العقليـين يصـفون مـن لا يقبلـون بهمـا بـأنهم يغلقون باب الإيمـان بصـدق النبـي، اسـتنادًا إلـى أن مـا يدفع احتمال كذب النبي الآتي بالمعجزة هو حكم العقل بقبح إجراء المعجزة على يد الكـاذب عقـلاً، فـإذا فرضـنا عدم وجود أي تقبيح عقلي فمعنى ذلك أننـا أغلقنـا بـاب الإيمان بالنبوة، وهكذا يقال بالنسبة لمسـألة طاعـة اللـه تعالى، فإن الملزم لنا بإطاعته تعالى هـو العقـل لا غيـره. وعلـى هـذا الغـرار نجـد الـبعض الآخـر يـتهم القـائلين بالتوسل أو الشفاعة أو القسم بغير الله بالشرك؛ لأنه لازم لهذا القول وهلم جرًّا.

إن المناقشة العلمية الهادئة أمـر مطلـوب، ولسـنا مع إغـلاق بـاب البحـث الكلامـي مطلقًـا، بـل المنطـق يقتضـي فتحـه، ولكننـا نـدعو للمناقشـة المنطقيـة، فـلا ننسب للآخر ما لم يلتزم به، وما دام لا يـؤمن بالملازمـة بين رأيـه والـرأي الآخـر، فإننـا نلـتمس لـه العـذر، وبهـذا نستطيع أن نغلق بابًا واسعًا من الاتهامات الممزِّقة.

**القيمة الخامسة: التعامل باحترام عند الحوار**

تحـت هـذه القيمـة يـذكر الشـيخ التسـخيري أن الحوار هو المنطق الإنساني السليم في نقـل الفكـر إلـى الآخرين، وأن القرآن الكـريم طـرح نظريـة رائعـة للحـوار المطلوب، تناولت مقدمات الحوار وظروفه وأهدافه ولغتـه بشكل لا مثيل لـه، وكـان ممـا تناولـه مسـألة الاسـتماع للآراء وإتباع أحسنها، ومسـألة عـدم التجـريح، حتـى إن الآية الشريفة تقول: ﴿**قُلْ لا تُسْأَلونَ عَمَّـا أَجْرَمْنَـا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ [سبأ: ٢٥]، في مجال توجيه حوار الرسول مع غير المؤمنين بالإسلام، وإبعـاده عـن مسـألة إثارة حزازات الماضي والاتهامات المتبادلة فيه، والتوجـه لمنطقية الحوار نفسه، وهي مع أن السياق اللفظـي كـان يتناسـب معـه، وعليـه يتسـاءل الشـيخ كيـف بنـا ونحـن نتحاور كمسلمين متفقين على مبادئ تقربنا؟

**القيمـة السادسـة: تجنـب الإسـاءة لمقدسـات الآخرين**

يـرى الشـيخ التسـخيري أنّـه ينبغـي التركيـز فـي

التقريب بين المذاهب على الحوار وعلى تجنب الإساءة لمقدسات الآخرين، هذا الأخير حسب رأيه يخلق جوا عاطفيا معاكسا، ويرد نصوصا يستدل بها على هذا مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٨]. بهذه الروح الإنسانية يوجه الله تعالى المؤمنين في تعاملهم بعد أن يوضح لهم وظائفهم الدعوية لا التحميلية، وفرض الرأي على الآخرين حتى لو كانوا مشركين: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: ١٠٧].

والنصوص الإسلامية في النهي عن السب واللعن معروفة، فإذا كان هذا هو الحال أن المفروض هو الحوار بين مسلمين أخوين يعملان لهدف واحدٍ، ويشعر كل منهما بآلام الآخر وآماله، فإن الموقف لا يتحمل مطلقًا احتمال الإهانة، وخصوصًا للأمور التي يؤمن الآخر بقدسيتها لارتباطها مع معتقداته الأصيلة.

## القيمة السابعة: الحرية في اختيار المذهب

يعتبر الشيخ أن المذاهب نتيجة اجتهادات سمح بها الإسلام، علينا أن نعدها سبلا مطروحة للإيصال إلى مرضاة الله تعالى. وحين تختلف فإن من الطبيعي أن يدرس المسلم هذه المذاهب وينتخب الأفضل منها وفق معاييره التي يؤمن بها، والتي يشخص من خلالها أنه أبرأ ذمته أمام الله وأدَّى أمانته وعهده. وحينئذ فليس لأحد أن يلومه على اختياره حتى لو لم يرتح لهذا الاختيار. كما أنه لا معنى لإجبار أحد على اختيار مذهب ما؛ لأن ذلك مما يرتبط بالقناعات الإيمانية، وهي أمر لا يمكن الوصول إليه إلا بالدليل والبرهان.

وهنا يؤكد أن لكل مذهب الحق في توضيح آرائه ودعمها، دونما تعدٍّ على الآخرين أو تهويل أو تجريح، كما أنه لا يدعو إلى إغلاق باب البحث المنطقي السليم، وإنما نرفض محاولات الاستغلال السيئ، والاستضعاف، والجدال العقيم، وفرض الرأي، وأمثال ذلك.

وبعد فهذه القيم السبعة التي رأى فيها الشيخ محمد علي التسخيري أسسا وأصولا للحوار والتقريب بين المذاهب الإسلامية يمكن أن تُستثمر في الحوار والتقريب بين دوائر أخرى قد تكون أكبر من المذاهب الإسلامية مثل الحوار والتقريب بين أهل الأديان والملل والنحل المختلفة.

وقد تكون دوائر أصغر من المذاهب الإسلامية مثل الحوار بين فصائل الصحوة العاملة على الساحة

الإسلامية، وبين الأحزاب السياسية، وبين التكتلات المدنية والاجتماعية والاقتصادية بغية الوصول إلى هدف واحد وتحقيق غاية واحدة يتحقق بها صلاح الدنيا والدين.

## ثالثا: أسس التقريب بين المذاهب الإسلامية:

يكشف الشيخ التسخيري رؤيته لعملية التقريب بين المذاهب الإسلامية، باعتبارها من مرتكزات وحدة الصف الإسلامي بتحديده لست أسس، معتقدا أن الإيمان بمسألة التقريب يتأتى بكل منطقية إذا لاحظنا هذه الأسس، التي يؤمن بها كل المذاهب الإسلامية دون استثناء وهي[١٠]:

**أولا:** الإيمان بأصول الإسلام العقائدية الكبرى، وهي: التوحيد الإلهي (في الذات والصفات والفعل والعبادة)، وبالنبوة الخاتمة لرسول الله ﷺ، والقرآن الكريم الذي جاء به وما فيه، والمعاد يوم القيامة.

**ثانيًا:** الالتزام الكامل بكل ضروريات الإسلام وأركانه من: الصلاة والزكاة والصوم والحج، وغيرها.

**ثالثًا:** الالتزام الكامل بأن الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة هما المصدران الأساسيان لمعرفة رأي الإسلام في شتى الأمور: المفاهيم عن الكون، والحياة، والإنسان: ماضيه وحاضره، ومستقبله في الحياتين. والأحكام والشريعة التي تنظم حياته وسلوكه الفردي والاجتماعي. أما الأصول والمصادر الأخرى كالعقل والقياس والإجماع وأمثالها، فهي لا تملك أي حجية إلا إذا استندت إلى ذلك المصدرين الكريمين، واستمدت مصدريتها منهما.

**رابعًا:** الالتزام بأن الإسلام سمح لعملية الاجتهاد باعتبارها عملية "بذل الوسع لاستنباط الحكم الشرعي من مصادره" أن تكون هي الموصلة لمعرفة الإسلام. كما أنها تلعب دورها في تأكيد مرونة الشريعة وقدرتها على استيعاب التطورات الحياتية طبقًا لمعايير وضوابط معينة، وهذا يعني -بالضرورة ـ إمكان إيجاد الصلة بين مختلف النتائج التي أدى إليها الاجتهاد وبين الإسلام حتى لو كانت مختلفة ومتضادة فيما بينها، وذلك لاختلاف الإفهام وزوايا النظر والقناعات (وهو ما يدرس في العلوم الإسلامية تحت عنوان: أسباب الخلاف).

كما يرى الشيخ التسخيري أن الإسلام إذ سمح بذلك فلأنه دين واقعي فطري، فلا طريق لمعرفة أية شريعة ممتدة على مدى العصور ينقطع وحيها ويموت معصومها إلا طريق الاجتهاد، رغم أن هذا الطريق يبتلى أحيانًا بالذاتية ويفرز آراء متخالفة قد لا يطابق بعضها واقع

المراد الإسلامي في علم الله تعالى.

كما يجد الشيخ أن هذا الأسلوب المنطقي يعم استنباط كل الأمور كالعقائد، والمفاهيم، والأحكام، بل وحتى المواقف الإسلامية من بعض القوانين الطبيعية.

**خامسًا:** أن مبدأ (الوحدة الإسلامية) يعبر عن خصيصة مهمة من خصائص هذه الأمة المباركة، ومن دونها لا يمكن لها أن تدعي اكتمال هويتها.

وقد وضع الإسلام خطة متكاملة لتحقيق هذه الوحدة بانيًا لها على أساس الاعتصام بحبل الله المتين -وهو أي سبيل معصوم يوصل إلى الله - ومؤكدًا على وحدة الأصل والخلق ووحدة الهدف ووحدة الشريعة والمسير، داعيًا إياها للدخول المجموعي في إطار التسليم الكامل لله ونفي خطوات الشيطان، ومذكرًا بآثار الوحدة، وغارسًا الأخلاقية وعناصر التضحية بالمصالح الضيقة في سبيل الهدف العام، حاذفًا كل المعايير الممزقة كاللغة والقومية والوطن والعشيرة واللون، مركزًا على المعايير الإنسانية كالعلم والتقوى والجهاد، ومؤكدًا على لزوم تحري نقاط اللقاء، وداعيًا إلى استخدام المنطق السليم؛ منطق الحوار الهادئ الموضوعي.

سادسًا: مبدأ الأخوة الإسلامية: يأخذ الشيخ التسخيري مبدأ الأخوة الإسلامية على أنّه أهم جزء مشترك بين المذاهب الإسلامية، لأنه ينظم مجمل العلاقات الاجتماعية في الإسلام، كما يعتقد الشيخ أن آثاره لا تقتصر على الجوانب الأخلاقية فحسب، بل تتعداها إلى الجوانب التشريعية وتترك أثرها الكامل على عملية الاجتهاد نفسها، لكي لا نشهد في هذه الساحة أحكامًا تتناقض معه.

هذه الأسس الستة هي أهم ما يمكن أن تبتني عليها حركة التقريب بين المذاهب الإسلامية في فكر الشيخ محمد علي التسخيري، فيكاد التصديق بالأسس كما يقول " يؤدي بشكل منطقي عفوي للإيمان بهذه الحركة"

وعليه فالشيخ التسخيري يعتقد أنّ عملية التقريب بين المذاهب الإسلامية، لا تقتصر على الجوانب الأخلاقية أو الجوانب الشعارية، ولا تتحدد بالجوانب التشريعية أيضا، بل يعبرها إلى مختلف الجوانب الفكرية والحضارية. و ينبغي أن تشترك فيه كل النخب المفكرة الفقهية والفكرية، بل يجب بشكل كامل وربما بشكل أولى أن تعبر النخبة إلى الجماهير، فيبدأ تثقيفها بثقافة التقريب. لأن الإسلام إن كان يسمح بالاختلاف الفكري غير المخرب والطبيعي فإنّه لا يسمح مطلقا بأدنى خلاف في الموقف العملي من القضايا

المصيرية الداخلية والخارجية، ولذلك يعتبر الشيخ أنّ الراد على الحاكم الشرعي (وهو الجهة التي يفترض بها أن تكون الموحدة للموقف العملي للأمة) راداً على الله بعد أن اقترنت طاعته بطاعة الله ورسوله.

فالشيخ بذلك لا يخفي حجم مسؤولية أولي الأمر في الدول الإسلامية والدور الذي يمكن أنّ تلعبه في إحياء تراث التقريب في الأمة الإسلامية وتحقيق التعايش الأخوي وتقويته بين المنتمين إلى المذاهب المختلفة، بعد أن عبثت به نوازع الفرقة.

كما لايخفي دور العلماء والمفكرين ومايقع على عاتقهم في مسألة التقريب، بجعلها من القواعد الفكرية والعلمية والأخلاقية التي يلتزمون بها في مجال كتاباتهم، وتوضيح أهميتها، وتجديد قناعة الأمة بمسألة التقريب وترسيخ هذه القناعة، وتطوير وعي الأمة بهذه المسألة، وجعلها من قضاياها الرئيسة التي تدافع عنها. فلئن كانت القيم والأسس ـ السابقة ـ التي يقدمها الشيخ التسخيري تؤدي بطبعها للتقريب بين المذاهب الإسلامية، فإنها بطبعها تعد عاملاً مهماً في تضييق رقعة الخلافات والحدّ من انتشار ظاهرة التعصب المفضية إلى التفرقة والفتن، وسبل من السبل المتينة للتخلص من ما يسمى الطائفية، وجسراً رصينا لترسيخ قيم الائتلاف من المحبة والأخوة والتسامح، وإتباع صراط الرشاد الهادي إلى تماسك الأمة وتدعيم عناصر وحدتها، وهو ما أكده المنهج الإلهي في قوله تعالى: ﴿**وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصَّاكم به لعلكم تتقون**﴾.

فهذه القيم والأسس ضرورة وركيزة أساسية من مرتكزات وحدة الأمة الإسلامية في أبعادها الحضارية والمذهبية الشاملة، فلابدّ من الإسهام في إعداد جيل يحمل رسالة التقريب المذهبي وحبّه لوحدة أمّته واعتصامها، وتدريبه على نشر هذه الثقافة وفق أسس إسلامية صحيحة وسليمة، فهذه "الثقافة الذاتية هي إكسير الحياة للأمّة والمجدد الدائب لطاقاتها الأدبية والمادية"[11] ثقافة ترفع هذا النزاع فيما بين الطوائف، هذا النزاع الذي لا معنى له ولا حقيقة فيه، وهو باطل ومضر في الوقت نفسه.

وان لم نزل هذا النزاع فان الزندقة الحاكمة الآن حكماً قوياً تستغل أحدنا ضد الآخر وتستعمله أداة لإفناء الآخر، ومن بعد إفنائه تحطّم تلك الأداة أيضا.

فيلزمنا نبذ المسائل الجزئية التي تثير النزاع، لأننا أهل التوحيد بيننا مئات الروابط المقدسة الداعية

إلى الأخوة والاتحاد بين أبناء الأمة، فالتقريب كما يقول الأستاذ زكي الميلاد[١٢].

قد يعالج ظواهر التعصب والتطرف والكراهية والقطعية وعدم التسامح على مستوى النخبة من العلماء والمفكرين والمصلحين، لكن معالجتها على مستوى الأمة بكل شرائحها وفئاتها لا يمكن أن يتحقق إلا عبر نهضة فكرية تطور وعي الأمة بهذه القضية وطريقة التعامل معها.

**الهوامش:**

[١] يراجع: محمد مهدي نجف: مع المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، كتاب على موقع
TAGHRIB. ORG

[٢] يراجع: الموسوعة الإسلامية العامة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، مصر، ١٤٢٢ هـ/٢٠٠١م، ص: ٤٠٨.

[٣] الشيخ محمد علي التسخيري: التقريب أسسه وقيمه ودور العلماء فيه، مقال على موقع ISLAMONLINE. NET

[٤] الشيخ محمد علي التسخيري: www. taghrib. org

[٥] إستراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية، معتمد من: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (مؤتمر القمة الإسلامية العاشر، ماليزيا، ٢٠٠٣، ص: ٥.

[٦] الشيخ أحمد كفتارو: آثار التقريب بين المذاهب على المجتمع والثقافة والاقتصاد والسياسة، مقال بموقع
www. kaftarou. co

[٧] الشيخ أحمد كفتارو: المرجع نفسه.

[٨] الشيخ أبو زهرة: الإمام مالك بن أنس، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م، ص: ١٤.

[٩] الشيخ محمد علي التسخيري: التقريب أسسه وقيمه ودور العلماء فيه، مقال على موقع
ISLAMONLINE. NET

[١٠] الشيخ محمد علي التسخيري: التقريب بين المذاهب الإسلامية، المرجع السابق.

[١١] الشيخ محمد الغزالي: علل وأدوية، دار الشهاب، ط ٢، باتنة، الجزائر، ١٩٨٦، ص: ١٦٨.

[١٢] زكي الميلاد: التقريب بين المذاهب الإسلامية رسالة العقلاء في الأمة، مجلة الكلمة بيروت، الكلمة، السنة الثامنة، العدد ٣٢، صيف ٢٠٠١، ص: ٢٦..

مَلَفُّ العَدَد:

# الغَزْوُ الثَّقَافِيُّ

## أَبْعَادُهُ - وَمَدَيَاتُهُ - وَأَهْدَافُهُ

- نَظَرَاتٌ فِي رُؤْيَةِ القَائِدِ لِلْغَزْوِ الثَّقَافِيِّ
- الغَزْوُ الثَّقَافِيُّ المُعَاصِرُ وَالمَوْقِفُ مِنْهُ
- الغَزْوُ الثَّقَافِيُّ الصِّهْيُونِيّ أَبْعَادُهُ وَسُبُلُ مُوَاجَهَتِهِ
- الغَزْوُ الثَّقَافِيُّ وَمُقَاوَمَتُهُ
- العِرَاقِيُّونَ وَتَحَدِّيَاتُ الغَزْوِ الثَّقَافِيِّ

# نظرات في رؤية القائد للغزو الثقافي
## (قراءة في كتاب الغزو الثقافي)

❖ أ. عباس ناظم البغدادي (*)

(*) أستاذ جامعة بغداد ـ العراق.

مـرت علـى الحيـاة الاسـلامية مرحلـة تاريخيـة مضـيئة مـن الازدهـار والتطـور الثقـافي والعلمـي والحضاري، شملت جميع أبعاد حركـة الأمـة والمجتمـع. وقد كان الغرب خلال تلك المرحلة التـي امتـدت لقـرون طويلة مستغرقاً في حالة نوم عميق خضع خلالها لأجـواء سلبية مظلمة، وسيطرت عليه ثقافة الكسـل والاسـترخاء والتعـب، وعشعشـت فـي داخلـه قـيم التخلـف والجهـل والظـلام. لكـن المشـهد، علـى مـا يبـدو، قـد انعكـس، وتبدلت صوره وتلاوينه المختلفة، فدخل المسـلمون فـي أجـواء التخلـف نفسـها. وقـد كـان ذلـك نتيجـة طبيعيـة لانشغالهم عن فهم حقائق التطور الرباني ونواميسه فـي التواصـل والانفتـاح الـواعي والمـدروس علـى الاخـر، وانهمـاكهم فـي ملـذات الحيـاة الـدنيا، وانسـياقهم وراء ترهات الحياة وأباطيل الوجود. وقـد أدى بهـم ذلـك الـى العودة للوراء، ووقوعهم فريسة سهلة تحت سيطرة الغـزو الثقافي والسياسي والاقتصادي للآخر الذي اسـتمر فـي فرضها عليهم، منذ بدايات الغـزو الصـليبي وحتـى يومنـا الحالي، الذي نشهد فيه طغيان اعلىمراحـل هـذا الغـزو لبلادنا الاسلامية تحت شعارات انسانية وهمية ومزيفة.

وفي هذا المجال، شكلت مقولة «الغـزو الثقـافي» انموذجـاً عمليـاً للجـدل الـذي دار ولا يـزال دائـراً بـين مختلـف القـوى والتيـارات الثقافيـة والسياسـية، العربيـة والاسلامية، على مستوى التحقق من وجـود هـذا النـوع من الغزو حيث لا يزال بعضهم يشكك بوجوده أصلاً ثـم فهم طبيعته، ومرتكزاته العملية، وأساليب مواجهته.

وقد انهمكت دوائر ثقافية أو حتى سياسـية كثيـرة عندنا بتسخين أو تخفيف حدة التعامل مع هـذه المسـالة الهامة، التي تتصل كما قلنا بالتقـدم والتطـور (أو التـأخر) الحضاري الاسلامي ككل، خصوصاً بعد ان عاد الاسلام المحمـدي الاصـيل الـى السـاحة الواسـعة، وتجـذرت امتداداتـه الحيـة فـي صـلب الواقـع، واسـتانف دوره الحضاري الرائد بعد انتصار الثورة الاسلامية المباركة في

ايران عام ١٩٧٩م. بقيادة الامام الخميني الراحل ﷺ.

وبديهي ان ينصب الاهتمام الراهن حول علاقة الاسلام بالثقافات الاخرى ومنها الثقافة الغربية المهيمنة حاليا وتتركز الدراسات الفكرية على ضرورة دراسة مواقع الغزو الثقافي والاعلامي المعاصر واجوائه ورموزه، باعتباره اهم الاسلحة التدميرية التي يعمل الاخر على الاستفادة القصوى من تاثيراتها السلبية على عالمنا الاسلامي، وتحريكها ضده من اجل الابقاء على تخلفه وهامشيته في مواقع الحياة جميعها، والتحذير من المشاركة العملية الفاعلة الى جانب الغرب في بناء الحضارة الانسانية.

ويبدو هذا الامر أكثر وضوحاً أمامنا من خلال فهمنا لطبيعة القاعدة التي بنت (وتبني) الثقافة الغربية عليها وجودها باستمرار، وهي بالدرجة الاولى قاعدة الغزو الثقافي الدائم، والحضور الاعلامي الضاغط والمكثف في جميع الاتجاهات التي نحن على صلة بها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، بما يؤدي في النهاية الى تمييع ثقافة الشباب الملتزم بالاسلام بوصفه نهجاً حضارياً ورسالياً في امتداد الحياة كلها، وهدر طاقاتهم، وتسفيه مواهبهم، وتشويه السلوك الاجتماعي العام للمسلمين، وفرض رؤية وجودية وكونية مادية جديدة عليهم تتناقض جملة وتفصيلا مع معاييرثقافتنا الاسلامية وابعادها ومعطياتها القائمة على قاعدة الوسطية والتوازن الدقيق بين الروح والمادة. وعلى خلفية هذه المواجهة الحضارية الشاملة بيننا وبين الغرب (التي نتمنى ان يكون "الحوار بالتي هي احسن» عنوانها وقاعدتها الاساسية)

ياتي هذا الكتاب: "الغزو الثقافي" الذي يظهر فيه مؤلفه سماحة السيد علي خامنئي متابعاً دقيقاً، وراصداً واعياً لموضوع الغزو الثقافي، وذلك من موقعه الرسمي والشعبي، ومسؤوليته الرسالية العالية. لقد جاءت طروحات هذا الكتاب ومباحثه بمجملها واقعية وصريحة كونها انطلقت من خلال انسان مسؤول عاش شبابه في حركية الثورة الاسلامية، وكان من الاسلاميين الاول الذين انفتحوا على قضايا الاسلام في العصر، فامتلك نتيجة لذلك ذهنية اسلامية مستنيرة وعصرية في فهمها الملتزم لقضايا الاسلام والانسان. اي انه كان يلاحق الامور، ويتابع مجريات الاوضاع على ارض الواقع اليومي بتفاصيله وتشعباته جميعها بعيداً عن حالة المنظر الثقافي العام الذي قد يفكر في الاجواء الثقافية الضبابية التي يمكن ان تكون بعيدة في معظم الاحيان عن حقائق الحياة وتجارب الواقع. وبطبيعة الحال، نحن لا

نستطيع ان نعد هذا الكتاب اكاديمياً بالمعنى الاصطلاحي للكلمة، لانه جاء على شكل منطلقات وبيانات وخطابات ورؤى فكرية ومواقف عملية حيال مسالة الغزو الثقافي، تكونت لدى سماحة السيد الخامنئي خلال مدة من الزمن، حتى تجمعت ونضجت على خلفية هذه المتابعة نصوصاً كثيفة وغنية تمت اعادة تنظيمها وتنسيقها واعدادها من جديد لتخرج بهذه الحلة الفكرية المثمرة. لقد قسمت مباحث الكتاب الى ثلاثة فصول، حمل الاول منها عنوان: «مقدمات تأسيسية في مقولتي: الغزو الثقافي والتبادل الثقافي" (ص: ٣٥ ٨٠).

وفيه تناول المؤلف افكاراً نظرية وتطبيقية تتصل بمفهومي "الغزو" و"التبادل" الثقافي ضمن خمسة عناوين رئيسية:

١ـ مفهوم الغزو الثقافي (ص: ٣٧ ـ ٣٨).

٢ـ اهمية الايمان بوجود الغزو الثقافي وضرورة النهوض لمواجهته (ص: ٣٨ ـ٥٦).

٣ ـ الفوارق بين التفاعل الثقافي والغزو الثقافي (ص: ٥٦ ـ٦٥).

٤ـ الخلفية التاريخية والجذور العلمية والثقافية لايران المسلمة: الصلة التاريخية بين العلم والدين وانفصالهما عن بعضهما ازدهار العلم هدف اساسي للثورة الاسلامية (ص: ٦٥ ٧٤).

٥ ـ مسؤولية الشباب الخطيرة في تحقيق النمو العلمي (ص: ٧٤ـ ٧٧).

اما الفصل الثاني من الكتاب فقد تمحور الحديث فيه حول قضية "العالم الاسلامي والغزو الثقافي" (ص: ٨٣ ـ ١٥٨) حيث تم تقسيمه الى اربعة اقسام هي:

**القسم الاول:** لمحة تاريخية عن خط مواجهة الثقافة الاستكبارية للثقافة الاسلامية (ص: ٨٣ ـ٩٢)

**القسم الثاني:** علل الغزو الثقافي الاستعماري للعالم الاسلامي وجذوره (ص: ٩٥ ـ١٠٠).

**القسم الثالث:** الغزو الثقافي الاستعماري للعالم الاسلامي الوسائل والادوات (ص: ١٠٣ ـ ١٢٠).

**القسم الرابع:**

١ـ نهوض المسلمين لإحياء حاكمية الاسلام.

٢ـ تبيين الحقائق الاسلامية عن طريق الفن والوسائل الادبية.

٣ـ اتفاق المسلمين ووحدة كلمتهم.

٤ ـ تصدير الثورة معناه بث الثقافة الاسلامية الاصيلة (ص: ١٢٣ ـ ١٥٥). نأتي الان الى الفصل الثالث والاخير من هذا الكتاب الذي دار فيه الحديث حول "الثورة الاسلامية والغزو الثقافي" فيثلاثة اقسام:

**القسم الاول:** نبذة عن تاريخ الغزو الثقافي في ايران.

**القسم الثاني:** علل الغزو الثقافي المناهض للثورة الاسلامية وجذوره.

**القسم الثالث:** وسائل العدو في الغزو الثقافي المضاد للثورة الاسلامية وادواته (ص: ١٥٩ ـ ٢٤٩).

خلاصة عامة ومفيدة لمجمل ما جاء في الكتاب نجد ضرورة ملحة في تثبيت أهم أفكار الرؤية المفاهيمية وعناصرهاالتي احتوتها مباحثه.. وهي:

**اولا:** التركيز الدائم على اسلامية الايرانيين، وضرورة تعلمهم من المحيط الحضاري الذي يعيشون فيه، ويتفاعلون معه، اي ان صفة الايرانية أو الاسلامية، أو اية صفة اخرى، يجب الا تمنع الانسان من التعلم والانفتاح على الاخرين في مواقع قوتهم، في افكارهم الجيدة، وطروحاتهم المفيدة للانسانية جمعاء.

**ثانيا:** التفريق بين مقولتي "الغزو" و"التبادل" باعتبار ان الغزو يعني اجتثاث اصول الثقافة الخاصة والقضاء عليها نهائيا، اوعلى الاقل النظر اليها بوصفها ثقافة هامشية (لا مركزية) في مقابل اعتبار الثقافة الغربية هي الثقافة المركزية الوحيدة المؤهلة لقيادة العالم.

بينما تعني مقولة "التبادل" ضرورة الانفتاح الواعي والمدروس على الاخر، ومد جسور التعاون والتواصل الثقافي والحضاري معه من موقع الندية والتكافؤ لا من موقع المحاكاة والتماهي والذوبان في منظومته الروحية والمفاهيمية.

ثالثا: اذا كان الغرب مسؤولاً عن المقدمات الاساسية لآليات هذا الغزو واساليبه، فان المسلمين مسؤولون بشكل اكبرعنه، ويتحملون قسطاً أوفر من مسؤولية هزائمهم وسقوط مشاريعهم التحديثية في هذا المجال. لاننا بوصفنا مسلمين، نهيى له (للغرب) الاساليب والآليات المناسبة التي تمنحه مساحة واسعة من حرية الحركة والامتداد على اراضينا من خلال تضعيفنا لأنفسنا. فلضعفنا، وبضعفنا يحدث الغزو، وينمو، ويكبر، ومن ثم ينتشر.

رابعا: نحن نعترف بوجود الغرب بوصفه قوة حضارية متقدمة علينا في علومها وصناعاتها وتقنياتها، وقد يمتلكاصحابها افكاراً واشياء افضل مما هو موجود في دائرتنا الحضارية الاسلامية، لذلك فالمطلوب هو ان نحث الخطى، ونشمر عن السواعد، ونتغلب على الصعاب، ثم ننطلق باتجاه امتلاك عناصر تقدم تلك الحضارة وتطبيقاتها وادواتها من خلال ارادتنا الواعية

والحرة، ومن دون قسر أو اكراه. مما تقدم يبدو لنا ان عناصر تلك الرؤية الموضوعية المتوازنة لمسالة حساسة وخطيرة كمسالة "الغزو الثقافي والاعلامي" تعبر عن متابعة حركية دؤوبة وحية، ونابضة بالحس الواعي والمسؤول لجميع ملفات الواقع الحضاريالاسلامي والانساني المعاش حاليا واجوائه، في ظل مناخ سياسي واجتماعي واعلامي عالمي يعمل على تأصيل نزعات الدمار والخراب، وقيم الفردية، والتعصب، والدوران حول محور الغرائز والانانيات، ومحاولة تعميق ثقافة الكسل والاسترخاء والجمود بين الشعوب المستضعفة جميعها.

ولهذا وجدنا الكتاب يتعامل مع قضية "الغزو الثقافي" من خلال اعتبارها حقيقة واقعة لا مفر امامنا من ضرورة وعيهاودراستها وتحليلها علميا وموضوعيا، والاسراع الى اتخاذ الاجراءات العملية المناسبة لمواجهتها، والتخلص من آثارها السلبية واجوائها الضاغطة على الفكر والانسان في عالمنا الاسلامي، طبعا ليس بالانغلاق على النفس والتقوقع على الذات، ولكن بتعميق قيم الانفتاح الواعي والتواصل الممنهج والمدروس مع الاخر. وهذه نقطة ايجابية لمصلحة الكتاب الذي قلنا عنه سابقاً بأن مؤلفه يميز تمييزاً واضحاً وذكياً بين مقولتي "التبادل" و"الغزو"، ومقولتي "الانفتاح" و"الانغلاق".

وفي هذا السياق نؤكد على مسالة (نقدية) مهمة جداً، وهي انه يجب علينا جميعاً خصوصا من هم في مواقع المسؤولية والعمل الرسالي الا نستغرق كثيرا في الحديث عن مقولة «الغزو» بحيث تتحول، امام اجيالنا، من كونها مظهراً سلبيا يجب وعي معطياته الداخلية ومحاولة تطويق اسسه ومرتكزاته في مواقعها الاولى الى حالة في النفس تتحرك في الداخل الشعوري والوجداني لتلك الاجيال الصاعدة التي تمتلك طاقات ومواهب هائلة بوصفها عقدة مرضية اوعاهة نفسية مستديمة لا شفاء منها، بحيث تبدو الغاية الاساسية لها في التمويه على الواقع الفاسد والظالم، والاختباءخلف مقولات "المواجهة" و"التحدي" و"الدفاع عن الذات" لتمرير مشاريع وصفقات خاصة مشبوهة يمكن ان تتحرك في داخل اجوائنا الاسلامية لتسقط وعينا الاسلامي الفعال بديننا ومبادئنا ومشروعنا الحضاري الانساني. وهذا امر واقعي وطبيعي يمكن ان تعاني منه اية حضارة أو امة، اذ ان هناك على مستوى امتنا العربية والاسلامية كثيرامن المؤسسات الاشخاص والمواقع الكبيرة ممن ينتمون إسمياً الى تلك الامة، ويمارسون عملهم في مواقع المسؤولية العالية يحاولون التستر خلف تلك الشعارات،

والاختباء وراء تلك المقولات الصحيحة والمحقة بهدف رعاية مصالحهم، وتثبيت اقدامهم وقواعدهم المهتزة هنا وهناك. لذلك وفي مقابل تصحيح رؤية الوضع العام السائد حالياً بخصوص تلك القضايا لابد من مراعاة جانب التفاهم الثقافي والحوار الحضاري مع الاخر في عالم متداخل ومتشعب، فيه الكثير من الثقافات المتنوعة المنتشرة في كل حدب وصوب.

ونحن طبعا نؤكد على اهمية هذه النقطة بالرغم من وجود الكثير من النخب الثقافية والسياسية التي تشكك اصلا بمصداقية هذا التوجه الهادف والمسؤول. وبطبيعة الحال، يجب ان نفهم بان المعنى الحقيقي لمفهوم "التبادل" و"التفاهم" الثقافي والحضاري مع الاخر لا يعني مطلقا ان نقلده، لان تقليده لن يتيح لنا سوى التشويه والانحراف وإلغاء الانا الحضارية والثقافية الخاصة بنا (وهذا مايريده الغرب أساساً)، وكذلك لا يعني ان نقفز فوق منجزات الحضارة الغربية وتطبيقاتها كما ذكرنا سابقاً ولكنه يعني في احد تعبيراته ان نستجيب فعليا للتحديات التي تواجهنا من خلال الخروج من حالة القصور والعجز المطبق، الذي نعايشه، بالتحرر من العادات والقيم والمبادى البالية التي تصادر العقل، وتعطل الفكر، وتوقف مسيرة التقدم والازدهار الحضاري.

الحل هو بالحوار والتفاهم والتصالح (العلمي) مع الغرب، وفك الارتباط العملي القائم بين روحانية هذاالغرب وثقافته من جهة، وعلومه وانجازاته التقنية والتكنولوجية من جهة ثانية، تماما كما قامت اليابان وغيرها من الدول المتقدمة التي رفضت الاندماج والذوبان في الثقافات الاخرى بتحمل مسؤولية بناء ذاتها الحضارية وفق مناهجها وثوابتها التاريخية، وانطلقت لتصنع عالميتها من خلال خصوصيتها الثقافية.

لذلك علينا ان نعمل على تعميق الممارسة الابداعية لثقافتنا الاسلامية وهويتنا الحضارية على نحو فاعل ومنتج وخلاق يفتح أمامنا السبل والمجالات الواسعة من اجل ان نصنع حداثتنا، ونبرز عالميتنا بما يتناسب مع وضعنا وذاتنا ونسيجنا التاريخي والعقائدي الاسلامي. وبالنتيجة، نحن اصحاب ثقافة عالمية وحضارة كونية، رضينا بذلك ام لم نرض. فنحن نشهد احداث العالم، ونتفاعل مع اوضاعه ومجرياته كبيرها وصغيرها، اي اننا نشارك في الحركية العالمية لهذا العصر الكوني بصورة من الصور، كما تشارك سائر الامم والدول فيه، مع فارق اساسي، وهو ان كل مجتمع يمارس عالميته انطلاقا من خصوصيته (رؤيته الكونية) المنتجة والقادرة على المساهمة في عملية التجديد

والابداع الحضاري العالمي. وبديهي جداً ان نؤكد هنا ان عالمية الحضارة وضرورة تفاعلها مع الحضارات الاخرى لا تلغي امكانية وجود اجواءللصراع أو للتنافس (الانتقام) الحضاري بين الامم الحضارية البشرية على امتداد الساحة الكونية الكبرى، وفي هذاالمجال، من الطبيعي ان يكون للغزو الثقافي والاعلامي خصوصا في عصر العولمة، ومجتمعات الثورة المعلوماتية الحالية دور اساسي في هذا الصراع الكوني.

من هنا نؤكد على ضرورة ان تمارس حضارتنا الاسلامية التي ساهمت في عملية النمو والابداع الحضاري العالمي فيما مضى من التاريخ الانساني خصوصيتها الشاملة على نحو فاعل وخلاق يتيح لها ان تواجه بقوة مقولة "الغزو" أوغيرها من مقولات الصراع والتنافس وقضاياهما وتصنع حداثتها الاسلامية، وتبرز عالميتها الانسانية، وتؤكد حضورهاالفعال، وتنشر سلطانها، وتعمم خصائصها. ان مواجهة غزو الاخر المتفوق علميا وصناعيا لا تكون كما اسلفنا بالتقوقع على الذات، والانغلاق على قيمها وتعاليمها الخاصة، أو ممارسة هذه الخصوصية بطريقة تتاكد فيها هامشيتها، ويساء فهمها، كما هو شان مجتمعاتنا وبلداننا الاسلامية التي اذا ارادت ان تصنع حدثاً، فانها تنطلق لابراز قوة الاخر وضخامته بما قد يسقط نفسياً وواقعياً معالم الممانعة الحية لدينا وعناصرها، الامر الذي سرعان ما يرتد علينا وبالاً ونكالاً.

وقد جعل هذا الامر معظم سياساتنا الداخلية والخارجية سلسلة متواصلة من الاخطاء والكوارث والأزمات. اننا نؤكد مع الكتاب ان "الغزو الثقافي" مسالة واقعية، لها جذورها وأجواؤها المسيطرة حالياً، ولا نستطيع ان نهرب من مواجهتها، وفيها يتحرك الغرب مدعوماً باديولوجية شاملة معززة بسلطات معرفية هائلة، وبمختلف ضروب القوة الثقافية والعسكرية والاقتصادية من اجل تنصيب "ايديولوجيته" عن طريق الغزو خياراً وحيداً للبشرية كافة. وبالمقابل نجد ان عالمية حضارتنا وانسانيتها هي مسؤولية خطيرة وجسيمة ملقاة على عاتقنا جميعاً، ولا يمكننا التهرب منها، فأما ان نتحملها، ونحسن أداءها، وممارستها على طريق اسقاط مقولات الصراع ومنها مقولة "الغزوالثقافي" أو ننعزل وننكفى وننحو باللائمة على الغرب وأهله.

من هنا ينبغي علينا ان نعمل في سياق انتاج القوة الفكرية والعلمية للنهوض بواقعنا ومواجهة الاخر انفاذا لقوله تعالى: ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة..**﴾ [الانفال: ٦٠] على اساس ان ننتج حلولاً لقضايا

الانسان المعاصر، حتى نستطيع ان نواجه المشكلة بالحلول الواقعية التي نمتلكها من تراثنا ومن واقعنا الراهن، من اجل صنع عالم اسلامي مثقف بالاسلام في ما يحتاجه الاسلام من الثقافة المعاصرة، لان وجود معرفة وثقافة اسلامية عاشت في ما مضى من الزمان لا يكفي للانتقال الى مرحلة حضارية جديدة، لان المثقفين الاسلاميين في الواقع الثقافي الماضي كانوا يعالجون مشاكل ذلك العصر وتحدياته بما لديهم من ثقافة ومخزون فكري، وقد انتج العصر الحالي مشاكل وقضايا حياتية كثيرة، فلابد لنا من ان نعرف كيف يمكن ان نواجه هذه التحديات العصرية المتنوعة بعقلية اسلامية معاصرة، تعرف كيف تنطلق المشكلة، وما هي اهدافها ودوافعها، وطرق علاجها! وهذا الكلام لا يفترض بنا ان نسقط امام العصر، ونخضع لمقولاته وتعقيداته واجوائه السلبية، بل ان نعرف ماذا في داخله، ليكون لنا حس معاصرته، لاننا اذا عرفنا الداء لابد من ان نعرف الدواء. وهذا امر لن يتم ما لم نعرف لغة هذا العصر، وذهنيته.

وذلك من خلال ان ننزل الى ارض الواقع، ونعايش التجربة الانسانية الحية في مواقع انطلاقتها وامتدادها، لا ان نبقى بعيدين عنه (عن العصر)، ومنغلقين على انفسنا بداعي الحرص الشديد على نقاوتنا وطهارتنا، والحفاظ على أصالتنا وحضارتنا، والخوف الشديد على ذاتنا من غزو الاخر.

ونحن نعتقد استكمالاً للحديث السابق عن اساليب المواجهة ان ممارسة النقد العلمي والموضوعي لأفكارنا وممارساتنا العملية، وذاتنا الحضارية، وتعميق الحس النقدي للانسان المسلم، هي احد أهم تجليات المواجهة الحضارية المبدعة مع الاخر، لأن بناء حضارتنا لا يقوم فقط كما اكد الكتاب على تضخيم ايجابيات الواقع، وغض النظر عن سلبياته الكثيرة، بل يقوم الى جانب تعميق النهج والخطوات الايجابية على قاعدة مواجهة الحياة والواقع بطريقة النقد العقلاني الهادئ والمتوازن الذي يدفع الانسان المسلم الى محاكمة الامور بقوة المنطق والحكمة والتوازن والمسؤولية، لا بمنطق القوة والعاطفة والاتهامات الجاهزة للآخر، ويرشده الى السبل الكفيلة ببناء اسس نقدية واعية تسمح بنمو ثقافة منتجة جديدة، وقادرة على تقديم الحلول العملية للمشاكل المطروحة حاليا، بما فيها الحل الضروري لأزمة انسداد افق التغيير والتحرر، سواء اكان تحرراً عقلياً ام مادياً.

# الغَزْوُ الثَّقَافِيُّ المُعَاصِرُ وَالمُوقِفُ مِنْهُ

## - الأَبْحَاثُ وَالمُؤَلَّفَاتُ أَنْمُوذَجًا -

❖ د. الشـــيخ عبد الهادي الفضـــلي رحمه الله (*)

(*) فقيه وعالم دين وأكاديمي سعودي.

## مدخل البحث

هناك مفاهيم قديمة واخرى حديثة ذات مساس شديد بحياة المسلمين بشكل مباشر وغير مباشر، وذات تاثير فيها على نحو الايجاب او السلب.

وهى، بهذه المواصفة، تفرض نفسها على الفقها المسلمين، وتدخل عالم الفقه الاسلامى، بغية ان يقول كلمته فيها، فيفهم المسلمون كيف يتعاملون معها.

وقد تناولت، فى بحث لى سابق، واحدا من هذه المفاهيم، وهو مفهوم «**التبليغ الاسلامى**»، فاوضحته وبينت مشروعيته، وذلك لاهمية دوره الفاعل فى بنا شخصية الفرد المسلم وشخصية الاسرة المسلمة، ومن ثم تشييد كيان المجتمع المسلم وكيان الدولة المسلمة.

وفى هذا البحث، اخترت مفهوما آخر من هذه المفاهيم، وهو ما يعرف ب «**الغزو الثقافى**»، وذلك لانه ياتى صنو الغزو العسكرى فى اهدافه السياسية وفى اضراره المدمرة للثقافة الاسلامية، بوصفها فكرا دينيا، ومن ثم لحياة المسلمين مجتمعا ودولة.

ويدخل الغزو الثقافى، بوصفه مفهوما -ومن ناحية منهجية ـ ضمن موضوع «الجهاد الاسلامى» الذى هو من جملة موضوعات الفقه الاسلامى، فكما يلزمنا الدفاع لصد الغزو العسكرى، كذلك يلزمنا الدفاع لصدالغزو الثقافى، لوحدة المسوغ الشرعى لذلك الموجود فى كليهما، وهو الاهداف الواحدة والاضرار الواحدة.

لهذا كان على الفقها -لا سيما المعاصرين منهم ـ ان يدرجوه فى قائمة محتويات الجهاد الاسلامى، ولكن هذا لم يحدث، واكثر منه ان موضوع الجهاد حذف من موضوعات الفقه عند متاخرى المتاخرين والمعاصرين، فلم يبحثوا فيه خارجا، ولم يذكروه فى

رسائلهم العملية، بحجة انه -اعنى الجهادليس من المسائل المبتلى بها الان.. فى الوقت الذى لم يكن الغزو ضد الاسلام بوصفه دينا وضد المسلمين بوصفهم امة ودولة ليتوقف، لا سيما الغزو الثقافى منه الذى يستهدف الغزاة منه العقيدة الاسلامية فى الصميم.

وبان لنا بوضوح، بعد قيام الثورة الاسلامية المباركة، فى ايران، هذا الذى المحت اليه، فقد صدر خلال السنوات العشر الاولى من عمر الثورة اكثر من مئتى كتاب ضد الفكر الامامى.

والان، وبعد مرور ما يزيد على عشرين عاما من عمر الثورة الاسلامية، تصدر العشرات من الكتب باللغة العربية وغير العربية، وباقلام عربية وغير عربية، موضوعها كما يعرب عن ذلك جل عناوينها «نقد الفكرالدينى» و- «نقد العقل الاسلامى» و- «نقد النص الدينى» والخ...

وهنا اقول: كما كانت الثورة الاسلامية سببا عند هؤلا للهجوم على الفكر الامامى بخاصة والفكر الاسلامى بعامة، لتكن سبب انفتاح عندنا على هذه المفاهيم، فنقوم بالبحث فيها، ودراستها ونقول كلمة الفقه فيها، فنتوسع فى مجالات الاجتهاد الى ما يشمل هذه المفاهيم وامثالها.

ولنا من موضوع الحكم الاسلامى خير مثال وشاهد لذلك، فانه لم يبحث الا فى مرحلة التمهيد الفكرى للثورة الاسلامية الايرانية، وايام ما بعد الثورة، وهو واحد من هذه المفاهيم المعنية هنا.

وقد تنبه لهذا غير واحد من المفكرين الاخرين، وابانوا عنه ودعوا اليه، منهم محمد اركون فى كتابه «من الاجتهاد الى نقد العقل الاسلامى»، فقد عد الثورة الاسلامية عاملا مهما فى تغير الاجتهاد من طريق التوسع فى مجالاته الحياتية والتوسع فى آفاق نظرة الفقها لواقع الحياة المعاصرة.

وانى لارى فى ما تنشره الان الدوريات الاسلامية، فى ايران وغيرها، من بحوث ترتبط بموضوع تطوير الاجتهاد، تباشير خير لمستقبل زاهر نرجو تحققه قريبا.

## اهداف البحث يهدف البحث الى تحقيق الامور الاتية:

١ ـ بيان حدود ما ينطبق عليه عنوان الغزو الثقافى من هذه الكتابات المعاصرة مما اشرت اليه، لكشف مفارقة الخلط بين ما هو صادر عن شبهة فى

مخالفته واخطائه، وما هو صادر عن تعمد ذلك، وما هو صادر عن حسن نية اراد اصحابه منه الصواب فكان الخطا.

٢ ـ تحديد نقطة الخلاف من خلال التمييز بين الثابت والمتغير فى الفكر الاسلامى، وايهما الذى يدان به صاحبه ان خالف فيه.

٣ ـ محاولة بيان الحكم الشرعى فى الموقف من هذه الثقافة الغازية.

٤ ـ محاولة بيان ما ينبغى ان يتبع عندما نريد مقارعة الفكر بالفكر.

٥ ـ امور اخرى تفهم من خلال قراتنا للبحث.

والان لنكن مع موضوع البحث، وهو «الغزو الثقافى المعاصر فى ما نشر منه، من كتب وبحوث».

التسمية فى الغالب يسمى هذا الزحف الثقافى ويعرف، ايضا، باسم «الامبريالية الثقافية».

وهذه الاسماء جميعها وامثالها تلتقى عند مفهوم واحد هو الاستعمار الثقافى الذى ـ قد يطلق عليه للتغطية عنوان «التطبيع الثقافى»

ولكى نتبينه، بجميع ابعاده، نمهد له ببيان معنى «الاستعمار» وانواعه، لانه ولد فى احضان الجديد منه.

الاستعمار ذژخدچخذردرح الانجليزية، ويردف بينها وبين كلمة «امبريالية» التى هى تعريب على هيئة المصدر الصناعى لكلمة ذژخدچخزرذخ.

وقد اصبح معنى الاستعمار، نتيجة شيوع ابتلاء كثير من الدول الصغيرة به، من المعانى المعروفة.

ومن خلال واقعه المعيش فانه يعنى التسلط القهرى -اى بالقوة ـ من قبل دولة قوية على اخرى ضعيفة، بغية اخضاعها للنفوذ السياسى، او من اجل استغلال ثروات الدولة الضعيفة، وهو ما يسمى بالتسلط الاقتصادى او الاستعمار الاقتصادى.

وقد يكون الاستعمار عسكريا، وقد يكون حضاريا وثقافيا.

وفى الغالب، تنحصر مظاهره فى التسلط الاقتصادى والتسلط الدينى.

كما انه، فى الغالب، يعمل على تغيير الهوية الحضارية للدولة المستعمرة، لترتبط عضويا بالدولة المستعمرة، وياتى هذا من طريق الغزو الثقافى.

وتعرف «موسوعة المورد» الاستعمار ب «نزوع الدولة الكبيرة الى فرض سلطانها على البلدان الاخرى، والاحتفاظ بسيطرتها عليها بمختلف الوسائل السياسية والاقتصادية والعسكرية».

كما تعرف الامبريالية بانها «فرض دولة من الدول سلطانها على بلد آخر بوسائل سياسية او عسكرية او اقتصادية».

وفى «موسوعة الثقافة»: «لا يخرج الاستعمار، فى حقيقته، عن كونه احد مظاهر التسلط السياسى او الاقتصادى او العسكرى او الثقافى او الحضارى الذى تمارسه دولة على غيرها».

وغالبا ما يكون الهدف من هذا التسلط هو الاستغلال الاقتصادى للدولة الخاضعة للسيطرة الاستعمارية، وتسخير امكاناتها الطبيعية ومواردها البشرية، لرفع مستوى الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية للدولة صاحبة النفوذ الاستعمارى».

اقسام الاستعمار بعد ان تبينا معنى الاستعمار نحاول ان نستعرض اهم تقسيماته، الامر الذى يساعد على القا الضوء لكشف معنى الغزو الثقافى بصورة اجلى، وهو تقسيمه الى: قديم وجديد، وذلك لان الكثير من البلدان المستعمرة فى عصرنا هذا تعيش تحت وطاة الاستعمار الجديد المغلف بثوب الاستقلال الموهوم، ولان الغزو الثقافى ولد فى احضان الاستعمار الجديد. الاستعمار القديم.

وهو التسلط المباشر، وقد عرفه العالم القديم زمن قيام الامبراطوريات الكبرى ذات النزعات التوسعية من طريق الغزو العسكرى، كالامبراطورية البابلية والامبراطورية الاشورية والامبراطورية الفارسية والامبراطورية الرومانية.

وقد امتد هذا اللون من الاستعمار الى العالم الحديث، حيث عملت الدول الاوروبية المعاصرة على انشا الامبراطوريات فى مختلف ارجا العالم.

فمنذ منتصف القرن الخامس عشر وحتى اواخر القرن الثامن عشر، استعمرت اسبانيا والبرتغال وفرنسا وانكلترا وهولندا بلدانا متعددة بدوافع اقتصادية او دينية، وقد ادى ذلك الى حروب استعمارية كثيرة، وبخاصة فى القرنين السابع عشر والثامن عشر، ثم ان الموجة الامبريالية انحسرت بعض الشيء فى اوائل القرن التاسع عشر لتعود فى اواخره اشد واقوى مما كانت، وبخاصة فى بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية وفرنسا وبلجيكا والمانيا وايطاليا وروسيا واليابان، التى راحت تتنافس على احتلال المستعمرات فى افريقيا والشرق الاوسط والشرق الاقصى.

وقد ادى هذا التنافس الى نشوب الحرب العالمية الاولى ثم الحرب العالمية الثانية بعد ذلك الاستعمار الجديد ان وضعناه فى مقابل الاستعمار القديم، يمكن

ان نقول: انه التسلط غير المباشر، اى انه مغلف بغلاف الاستقلال الموهوم.

ففى «موسوعة المورد»: «الاستعمار الجديد ذژخدچخذردرح رحذ ضرب مبطن من الاستعمار يتمثل فى محاولة الدول الكبرى الاحتفاظ بسيطرتها العملية على المستعمرات السابقة، وذلك عن طريق بسط نفوذها الاقتصادى او العسكرى او الثقافى عليها».

وفى «موسوعة الثقافة» نقرا: «والاستعمار الجديد ما هو الا احد اشكال السيطرة الاستعمارية التى لا تعتمد على التحكم السياسى المباشر او التواجد العسكرى الواضح، ولكنه يقوم على السيطرة الاقتصادية والاجتماعية».

وفى «معجم المصطلحات السياسية والدولية» نقرا: «الاستعمار الحديث ذرخژچژذردرح رحذ الاجنبية من سياسية واقتصادية على دولة ما، مع الاعتراف باستغلالها وسيادتها دون الاعتماد فى تحقيق ذلك على اساليب الاستعمار التقليدية، واهمها الاحتلال العسكرى، ويعتبر نظام المحميات والدول تحت الوصاية من اشكال الاستعمار الحديث.

كما يطلق على هذا الاسلوب الاستعمارى مصطلح (الامبريالية الجديدة)

ويستخدم الاستعمار الحديث فى تحقيق اغراضه وسائل خاصة لتحاشى المعارضة الشعبية الصريحة او معارضة الراى العام العالمى.

ومن ذلك عقد الاتفاقات الثنائية غير المتكافئة، وتكبيل الدول النامية بشروط تحرمها من حرية التصرف، واقامة القواعد العسكرية والخ«.

ان هذا التمهيد يسلمنا -وبشكل واضح ـ الى ان الغزو الثقافى هو وسيلة من الوسائل التى تستخدمها الدول الكبرى من طريق محو الهوية الثقافية للدول الصغرى من اجل الوصول الى الهدف من الاستعمار، وهوتحقيق النفوذ السياسى والاستغلال الاقتصادى.

الغزو الثقافى الغزو الثقافى مصطلح سياسى حديث ولد فى احضان الاستعمار الحديث بعد الحرب العالمية الثانية.

ويرجع هذا الى ان الاستعمار الجديد يركز، فى اهدافه، على الجانبين المهمين فى حياة ابنا البلدان الخاضعة لنفوذه، وهما: الجانب الاقتصادى والجانب الثقافى، وذلك من طريق استغلال الثروات بمختلف انواعهاالصالحه، ومحو الهوية الثقافية لتحل محلها ثقافته، وفى حدود ما يحقق له هدفه من فصل المواطنين عن ثقافتهم وربطهم بثقافته لتتم له

استمرارية الاخضاع فالنفوذ الشامل.

والغزو، هنا، يعنى زحف الثقافة الاستعمارية على ثقافة ابنا البلد المغزو كما تزحف العساكر الاستعمارية لاحتلال البلد المغزو.

اما الثقافة فيراد بها ما يعطى لابنا المجتمع ولكيانهم السياسى الهوية الخاصة المميزة لهما من سواهما.

ومن هنا يتمثل الهدف الاستعمارى من الغزو الثقافى فى محو الهوية الثقافية لمجتمع البلد المغزو ودولته.

ولا اخال ان فى المسلمين، وهم يتابعون وسائل الاعلام على اختلاف انماطها وجنسياتها، من لا يدرك ان هناك زحفا ثقافيا يستهدف الكيانات المسلمة فى ثقافتها الاسلامية، فى مجالات التعليم والتربية والاعلام وسواها.

وبعد هذا، وقبل البدء بالتركيز على نقطة المركز فى موضوع البحث، علينا ان نفرق بين المفاهيم الاربعة الاتية، لنحدد بالضبط ما نعنيه بالغزو الثقافى، ولنبتعد عما وقع فيه غير واحد من الخلط بينها، وهى:

١ ـ الغزو الثقافى **cultural invasion**

٢- التبادل الثقافى **cultural Accultvation**

٣- التغير الثقافى **cultural change**

٤ ـــ التطبيع الثقافى **cultural harmonization**

ولاننا تعرفنا معنى الغزو الثقافى نقصر تعريفنا، فى ما ياتى، على التبادل والتغير والتطبيع.

فالتبادل الثقافى، ويسمى ايضا التثاقف، اى تبادل الثقافة، يراد به الاخذ والعطا بين الثقافات، ويأتى هذا نتيجة الاتصال بينها، والتفاعل من اجل محاولة استفادة احداها من الاخرى.

وللتبادل الثقافى حدود تفصله عن الغزو الثقافى وتميزه منه، وهى محافظة كل ثقافة على هويتها، واحتفاظها بشخصيتها، فكل ثقافة تاخذ من الاخرى وتتقبل عطاها، ولكن بمستوى لا يصل الى حدود الحمى الذى لا يسمح بتجاوزه.

ويراد بالتغير الثقافى: التبدل الذى يحدث داخل اطار ثقافة ما، لسبب ما، قد يكون داخليا، وقد يكون خارجيا، وقد يكون الى ما هو اعلى او ما هو ادنى، وقد يكون فى الجانب المادى، وقد يكون فى الجانب المعنوى.

ولا ضير فى ذلك كله، فان التبدل (التغير)،

وكذلك التبادل (التثاقف) من الامور الطبيعية.

وانما الضير فى ما اذا كان التغير مسببا عن التاثر بالثقافة الغازية، وهو الحد الفاصل بين التغير الثقافى والغزو الثقافى.

و «مفهوم التغير الثقافى اوسع حدودا ومدلولا، واكثر شمولا وامتدادا من مفهوم التغير الاجتماعى، لان كل تغير ثقافى يتضمن -بالضرورة - تغيرا اجتماعيا».

اما التطبيع الثقافى فهو، كما تعرفه «موسوعة الثقافة»، «محاولة اضفا صبغة طبيعية على ظاهرة لها خصوصيتها وفرادتها بحيث تبدو هذه الظاهرة وكانها تنتمى الى نمط عام متكرر لا تنتمى له فى واقع الامر».

ويعتبر (ابا ايبان) وزير الخارجية الاسرائيلى الاسبق، واحد قادة حزب العمل البارزين اول من اطلق عبارة (التطبيع)، وذلك بعد حرب حزيران يونيو العدوانية التى اشعلها العدو الاسرائيلى عام ١٩٦٧.

ويعنى التطبيع -بحسب مفهوم ابا ايبان - اقامة علاقات طبيعية بعيدة عن اجوا الحرب والقتال، وفى جو من التعاون والسلام».

ولكنه -فى واقعه - يقصد تضليل ابنا الدولة المغزوة ثقافيا بان الغزو الثقافى ليس غزوا وليس استعمارا ثقافيا، وانما هو تطبيع للعلاقات الثقافية.

واوضح مثال يطرح، هنا، ليكشف عن معنى التطبيع وعن مدى خطورته وخطر اضراره، هو التطبيع الذى تنادى به اسرائيل بينها وبين العرب فى مجال الثقافة، والذى يتحرك داخل دائرة القضية الفلسطينية.

وقد تناولته «موسوعة الثقافة» بادق تفاصيله وابعد ابعاده، الامر الذى يدعونا لنقله وبطوله مع التصرف به شيئا ما، لانه يلقى الضوء على مدى ما بين التطبيع الثقافى والغزو الثقافى من علاقة، تقول الموسوعة:

«يطالب العدو الاسرائيلى باستمرار بتطبيع العلاقات مع العرب دون ان يغير من ايديولوجيته الصهيونية واهدافها فى اقامة (اسرائيل العظمى) على حساب الارض والحقوق والثروات العربية، كما يتعامل مع عملية التسوية باستخفاف واستعلا كبيرين، وممارسات ارهابية واستيطانية وعنصرية لا مثيل لها فى العالم على الاطلاق.

وتسخر اسرائيل التطبيع لاعادة تشكيل العقل العربى وحمله على:

**اولا**: القبول بالوجود الاسرائيلى على حساب

الوجود والحق العربى.

**ثانيا**: تبنى الخرافات والاساطير والمزاعم والاكاذيب اليهودية.

**ثالثا**: التخلى عن ثوابت المقاومة العربية والتشكيك بجدوى التمسك بالهوية العربية.

**رابعا**: التخلى عن مقاومة الاحتلال والاستيطان الاسرائيلى ووصف المقاومة المشروعة بالارهاب.

**خامسا**: القبول بالشروط والاملات الاسرائيلية لاقامة اسرائيل العظمى الاقتصادية من الفرات الى النيل.

ان التطبيع الذى يجرى فرضه وتسويقه ليس التطبيع بمعناه السلمى، فالصهاينة خططوا للتطبيع بمعناه الاستعمارى لانها قضية فلسطين بالشروط والاملات الاسرائيلية، وفرض الهيمنة الاسرائيلية على الاقتصاديات العربية، وتعطيل عملية التسوية اذا لم تضمن اسرائيل التفوق والهيمنة.

وتقوم اسرائيل، وبدعم كامل من الولايات المتحدة، باغرا بعض الاطراف العربية على القبول بالتطبيع الكامل لقا اعطائها بعض الادوار فى المنطقة لتقويم الصراع واذكا التنافس على الادوار الاقليمية لتصب كلهافى مصلحة اسرائيل وعلى حساب العروبة والاسلام.

واخذت بعض الدول العربية ترى ان التطبيع مع العدو الصهيونى يشكل حماية لنظامها ويجلب لها رضى الولايات المتحدة الامريكية واليهودية العالمية.

ويمثل التطبيع الثقافى الدعامة الرئيسة للتغلغل الاسرائيلى فى المنطقة، لانه الصق واكثر استقرارا من اى ترتيبات امنية، مثل: المناطق المنزوعة السلاح، ووضع قوات دولية، واجهزة انذار الكترونية، وغيرها من الترتيبات.

فالتطبيع الثقافى يظل العامل الحاسم على المدى البعيد، لان الصراع يترسخ فى وعى الشعوب وثقافاتها، وفى ذاكرتها الجمعية، ووجدانها الشعبى، فتصعب عملية هز القناعات، وتدمير مقومات الذاكرة الوطنية، واختراق الثوابت التاريخية، والمدنية، والحضارية، دون اقامة جسور للتواصل والتطبيع الثقافى.

ومن هنا فقد قامت الاستراتيجية الصهيونية وتجلياتها المعاصرة على محاولة نزع العدا من الوجدان والعقل والذاكرة العربية، استكمالا لنزع الاسلحة المقاومة، وهى المهمة التى تضمنها الاتفاقات السياسية والامنية، وضرورة استراتيجية انعقد

حولها الاجماع الفكرى فى اسرائيل، ويلتف خلفها المخططون والمنفذون، فقامت بتاصيلها والتنظير لها مراكز بحوث علمية وجامعات ومعاهد وهيئات اكاديمية اسرائيلية، كالمركزاليهودى العربى فى جامعة حيفا، ومعهد الدراسات الانسانية فى جامعة حيفا، ومعهد الدراسات العربية، ومركز الدراسات الاستراتيجية فى جامعة تل ابيب باسم (جافى ريافيه) فى ما بعد، والمركز الدولى للسلام فى الشرق الاوسط، والمركز الاكاديمى الاسرائيلى بالقاهرة، وغيرها من المراكز والمؤسسات البحثية المعروفة.

ان اصرار العدو الصهيونى على التطبيع، خصوصا فى الميدان الثقافى، انما ينبع من ادراكه ان هذا الميدان هو المؤهل والقادر على تلويث الفكر العربى والثقافة الشعبية الوطنية، وضخ المفاهيم والتصورات المشوهة لقيمه ومبادئه، والشخصية العربية.

يقول د. خلف محمد الجراد: التطبيع، فى المجال الثقافى، كما تنطوى عليه المخططات الاستراتيجية الصهيونية يستهدف فى التطبيق العملى:

١ ـ اعادة كتابة التاريخ الحضارى لمنطقتنا العربية عبر تزييف العديد من الحقائق والبدهيات التاريخية المتعلقة بالطريقة الاستعمارية الاستيطانية التى اقحمت الكيان الصهيونى فى الوطن العربى، حيث اقامت دولة اسرائيل على الارض العربية فى فلسطين مع تشريد اغلبية شعبها.

٢ـ التوقف عن تدريس الادبيات والوثائق والنصوص المعادية لليهود والصهيونية ودولة اسرائيل، بما فى ذلك الوارد منها فى بعض الكتب المقدسة كالقرآن الكريم تطبيقا للمادة الخامسة من مواد اتفاقيات كمب ديفيد (البند الثالث)، حيث كثفت اسرائيل جهودها العلمية لرصد المفاهيم الاسلامية المؤثرة فى الصراع مع الصهيونية وتسجيلها وتحليلها بوصفها احد ابرز وجود العناصر البنائية للذهنية العربية، ففى اثناء زيارة (بيغن) لمصر، فى ٢٥ آب راغسطس ١٩٨١، اعرب عن استيائه البالغ من استمرار الطلبة فى مصر بدراسة كتب التاريخ التى تتحدث عن اغتصاب اسرائيل لفلسطين، وكتب التربية الاسلامية التى تحتوى على آيات من القرآن الكريم تندد باليهود وتلعنهم كالاية التى تقول: ﴿**لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون**﴾ «المائدة/٧٨» والاية التى تقول: ﴿**لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا**﴾ «المائدة/٨٢».

اما الدكتور «ساسون صوميخ»، استاذ الادب العربى فى جامعة تل ابيب، فقال: «لقد ساءنى جدا خلال زيارتى لجامعة عين شمس ان اجد مكتباتها مملوءة بالكتب التى الفها متعصبون (كما يزعم) ضد اليهود، وهذه الكتب تباع فى المكتبات واكشاك الصحف بحرية تامة، واننى لا اعتب على ادباء مصر الذين يتعاطفون مع اسرائيل كتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ اذا لم يفعلا شيئا لمنع هذه الكتب، ولكننى اعتب على المؤسسات السياسية فى مصر التى تستطيع بجرة قلم ان تمنع كل هذه الكتب المناهضة لاسرائيل من التداول».

٣ ـ ان تصبح جامعات العدو ومراكز ابحاثه ودراساته مرجعية علمية للمنطقة باسرها، بحيث تؤسس للمشروع الصهيونى الموجه لتدمير الثقافة والهوية الحضارية للمنطقة العربية باكملها، بل احداث التفكيك والفوضى فى داخل كل قطر عربى، عبر اذكاء روح التناحر بين المنتمين للاديان والطوائف والمذاهب والجماعات المختلفة من جهة، وعبر محاولة تحقيق السيطرة الثقافية والعلمية والتقنية من جهة اخرى.

وما عبر عنه «بيريز»، فى كتابه «الشرق الاوسط الجديد»، بان «القوة فى العقود القادمة فى الجامعات وليس فى الثكنات»، يعد تلخيصا مكثفا للاستراتيجية الصهيونية فى هذا المجال. وتقوم هذه الاستراتيجية على تجريد الامة من ثقافتها، لكى تصبح شبيهة بثقافة الكيان القائم فى قلبها، اى من دون ثقافة موحدة.

والتطبيع الثقافى يستهدف تدمير المقومات الذاتية للثقافة والحضارة العربيتين، ولهذا فهو، فى نظر خبراء العدو وباحثيه وقادته، العنصر الاهم والاكثر الحاحا فى فرض الهيمنة الصهيونية على العرب، وجعلهم يستسلمون نهائيا، تعبيرا عن الهزيمة الحضارية، وانهيار كيانهم الجماعى.

وبالتالى، فالمفهوم الصهيونى للتطبيع هو المظلة التى يرتكب تحتها كل ما يضمن للصهيونية تحقيق اهدافها التوسعية واهدافها الاستراتيجية فى نهب موارد الوطن العربى، والسيطرة على مقدراته وتفكيكه والغاءالهوية العربية، وتدمير تراثنا وتاريخنا ومستقبلنا. اما الاساليب والوسائل والبرامج الصهيونية المتبعة لتحقيق هذه الاهداف الخطيرة فهى شديدة الاشعاع والتنوع والتداخل والتجدد.

ومن المعروف ان التطبيع ياتى ضمن مخطط دولى تشارك فيه الصهيونية العالمية واسرائيل والولايات المتحدة الاميركية ومؤسسات وهيئات غربية كثيرة،

عبر التركيز الشديد على تقويض حقائق ظلت لعقود متتالية قاعدة للثقافة العربية، ولا يمكن دراسة الظاهرة الطائفية التى تصاعدت فى السنوات الاخيرة فى الوطن العربى بمعزل عن تاثيرات تلك الجهات والدوائر المشبوهة التى نشرت ما يمكن تسميته ب «ثقافة الفتنة» لدرجة انها اسهمت مباشرة فى التمهيد لعدد من عناصر الانهيار والتردى التى تخترق اوصال الامة.

و «ثقافة الفتنة» تقوم على نبش الاحقاد والضغائن وعناصر التوتر فى المجتمع، وبث ثقافة تعميق التضاد والتناحر والاختلاف والتقاتل بين الجماعات المختلفة داخل الامة...

التى يعدها غير كاتب عربى من ابرزالعناصر الميسرة او الخادمة للتطبيع الثقافى، وركنا رئيسا من اركان ثقافة التطبيع، لان التطبيع مع اعداء الامة لا يستقيم الا بالفتنة داخل صفوف الامة نفسها.

وياخذ هذا الاختراق شكل الترويج لقيم وعلاقات تصب مباشرة فى تدمير المناعة الثقافية العربية، مثل مهاجمة «العقل العربى» و «الشخصية العربية» والتشكيك بالامة العربية وهويتها الحضارية، والترويج لمزاعم الصهيونية، والتيارات الشعوبية الحاقدة، التى تصر على مزاعم متجددة كالقول: ان «العرب مجرد نقلة للحضارة» او مترجمين، او لا يتمتعون بعقل علمى تحليلى نقدى، او الترويج لاطروحة الشعوب والاقوام والقبائل الناطقة بالعربية. وان الثقافة العربية الواحدة والامة العربية الواحدة مجرد وهم وخرافة.

فالعقل الصهيونى بات يدرك انه اذا كانت الثقافة العربية الاسلامية صعبة الاختراق لعراقة جذورها ومتانة مقاومتها، لذلك لجا الى وسيلة ايسر واسهل، تتمثل

فى اختراق بعض المثقفين العرب، الذين يمكن استخدامهم ادوات لتفكيك حصن الثقافة العربية، ودك اساسها من الداخل. وياخذ هذا الاختراق اشكالا واساليب متنوعة من التطبيع، وتصفية مصادر العداء فى الفكر السياسى العربى او منابعه، ومحاولة الغاء مايسمى ب «الطابع السلبى« السائد فى الايديولوجية العربية تجاه اسرائيل والصهيونية، وخلق قاعدة فكرية للتواصل والتعامل المباشر مع بعض القوى والهيئات والجماعات والنخب الفكرية والسياسية القائمة.

لذلك لم يكن مستغربا ان يكون العمل الاول الذى قام به اول سفير اسرائيلى فى مصر، عقب تسلم مهام عمله فى ١٧ شباط فبرار ١٩٨٠، ان قدم شيكا لتوفيق الحكيم على انه قيمة حقوقه المادية من ترجمة كتبه وطبعها فى الكيان الصهيونى.

يقول جاد الكريم الجباعي: اذا كان مفهوم النظام العالمى الجديد ملتبسا، فان مفهوم التطبيع اكثر التباسا، وهو ايضا مفهوم مصدر الينا من امريكا واسرائيل، ولم ينجح المثقفون العرب حتى الان فى نقد هذا المفهوم اوتحديد تخومه، والكشف عن مضماراته الا على نحو «سياسوى» عارض، وفى كل الاحوال ينبغى القول ان اسرائيل لا تستطيع بحكم نيتها ووظيفتها -بغض النظر عن موقفنا منها ـ ان تكون دولة طبيعية كسائر الدول المعروفة فى التاريخ قديمة وحديثة، ولا تستطيع بالتالى اقامة علاقات طبيعية مع «دول الجوار» على افتراض انها من دول المنطقة، وهو افتراض الاجابة عنه متروكة للتاريخ اللاحق.

اما مفهوم التطبيع الثقافى فهو من الاوهام التى يحاربها المثقفون العرب والسياسيون الذين اما انهم يفصلون الثقافة عن السياسة وعن الحياة الاجتماعية فصلا ديناميكيا، او يقبلون التبعية الثقافية للسياسة، على الرغم من اعلانهم، ولنقل رغبتهم فى استقلال مجال السياسة عن مجال الثقافة.

نحن من الذين يعتقدون ان الثقافة تؤسس السياسة وتقيمها، واذا كانت كذلك فانها تستطيع ان تقعدها ايضا، وان مهمة الثقافة والمثقف الاولى هى نقد الواقع بشكل عام، والسياسة بشكل خاص، فكيف نتحدث عن مقاومة التطبيع، ولا ننتقد التطبيع الثقافى ولا ننتقد التطبيع السياسى والاقتصادى.

ويمكن تعريف التطبيع ايضا بانه التمدد الاسرائيلى غير الجغرافى: «وثمة مؤسسات وجهات اسرائيلية عديدة بينها لجان اكاديمية مغروزة بعناية... تعكف منذ عدة سنوات على دراسة الكيفية التى يمكن من خلالهاتسريب الثقافة الاسرائيلية، لا بالمعنى الجذرى او الانتربولوجى للثقافة، لان اسرائيل لا تملك ثقافة بهذا المعنى، ولكن من خلال منظومة معارف معاد انتاجها، و «مؤسرلة» بالمعنى الدقيق. وما نشرته اسرائيل حتى الان من احصاءات حول التعاون الاكاديمى والزراعى والتجارى بينها وبين اطراف عربية يدعو الى مزيد من القلق، لانها بذلك لا تسعى، بوصفها دولة تقليدية، الى ممارسة انشطة مع الجيران بقدر ما تسعى الى تصدير تلك المنظومة من المعارف «المؤسرلة»! واسرائيل تعرف ان التطبيع السياحى ليس مجرد دخل اقتصادى، من باب هو الاكثر نعومة فى اشكالية التطبيع، انه مجال ملائم لتصعيد الاهتمام باللغة العبرية وبالتالى انشاء معاهد لتعلمها، وقد تم هذا بالفعل، وان على نطاق عربى محدود.

واللغــة ليــست مجـرد اداة تفـاهم حـول البيـع والشراء او المجاملة السياحية، انها وعاء ثقافة ومفـاهيم، والكيان الذى يطمح الى احياء لغة بائدة ك «اليديشية» اجـدر بـه ان يطمـح الـى تـدويل اللغـة العبريـة الرسـمية وعولمتها، فالتمدد الجغرافى له تـجليات غـير تلـك التـى عرفتها الدول والحضارات القديمة، وقـد تـنجح اسـرائيل فى تحقيق مشروعها التوسعى عمقيا وليس افقيـا، ذلـك حـين تحقـق تمـددها السياسـى ونفوذهـا الاقتصـادى ومركزيتهـا المتماهيـة تاريخيـا عبـر المركزيـة الغربيـة للكـون، والتــطبيع وحــده يــقدم لهـا المجـال الحيـوى بامتياز لهـذا التـمدد، ولهـذا لا تحرص اسرائيل على شى ء ذى علاقة بالعرب قدر حرصـها علـى انجـاح التطبيـع، لانه السبيل الوحيد المتاح الان للحد من تمددها».

وكما راينا، مـن خـلال هـذه المنقولة الطويلـة، ان التطبيع الثقافى الذى تـدعو اليـه اسـرائيل ومــن ورائهــا الولايات المتحدة الامريكية والغرب الاوروبى، هو واجهـة سياسية يتستر بها الغزو الثقافى الاسرائيلى، وهو بجميـع ظواهره التى اشير اليـها فـى المـنقولة اعلاه يهـدف الـى محو الهوية الفلسطينية وسلخ الفلسطينيين من عروبتهم واسـلامهم، وتركيز المشروع الصـهيونى الغربـى وتثبيتـه فى قلب الوطن العربى الاسلامى.

والتطبيع الثقافى هو الواجهة «الممكيجة» بزاهى الالوان التى يـتستر بـها ويـختفى وراءها الغزو الثقافى.

واخال اننا الى هنـا نكـون قـد تبينـا معنـى الغـزو الثـقافى بوضوح، فعلينا ان ننتقل الى معرفة عوامل الغزو الثقافى المعاصـر والمعـيش، والمتمثـل فـى الاصـدارات الثقافية من بـحوث وكـتب اسـتهدفت العقيدة الاسلامية بالذات، لنكون على بينة اجلى فى فهـم آثـار هـذا الغـزو الثـقافى المـشار اليه، وعلى بصيرة اوعـى فـى انطلاقتنـا لمعرفة طريقة صده ونقده.

العوامل الغـزو الثقـافى المـعاصر -ومــن خــلال واقعـه المعـيش ـ حركـة راسـمالية عالميـة، علـى راسـها الولايات المتحدة الاميركية، ومن ورائها الغرب الاوروبـى الراسـمالى، تعاضدها -وبكل قوة ـ الصـهيونية العالميـة، وعلى راسهااسرائيل.

ان هـذه المجموعـة تسـعى دائمـا للحفـاظ عــلى الراســمالية، والاحــتفاظ بروافـدها، وهـى ثـروات العـالم الثالث ومواقعه، العالم الـذى وقـع فريسـة اطمـاع العـالم الثانى الاشـتراكى والعـالم الاول الراسمالى.

فقد كان ايام وجود الاتحاد السوفياتى احد عاملى الحـرب البـاردة بـين المــعسكر الراســمالى والمــعسكر الاشتراكى (الشيوعى) لما فيه من ثـروات وقعـت موضـع

اطماع المعسكرين، والعامل الثانى هو عالمية الشيوعية التى كانت تهدد الراسمالية لانها البديل الطبيعى الذى لا بد منه فى حتمية كارل ماكس التاريخية، كما كان يقول ذلك ويؤمن به هو واتباعه.

وعندما انتهت الحرب الباردة بين المعسكرين بسقوط الاتحاد السوفياتى عام ١٩٩١م، واصبح العالم احادى القطب، تفرغ المعسكر الراسمالى الغربى، بقيادة الولايات المتحدة الامريكية، لشن الحرب ضدالاسلام سياسيا واقتصاديا وثقافيا، ويرجع هذا للاسباب الاتية:

١ ـ ان الاسلام دعوة عالمية ايضا فهو ـ الاخر ـ يهدد وجود الراسمالية والراسماليين فى هذا العالم المعاصر.

٢ ـ قيام الجمهورية الاسلامية فى ايران بوصفها انموذجا لنظام اسلامى ثورى يؤمن بالصمود والثبات فى وجه كل من يقف عائقا امام تقدم الاسلام لتحقيق عالميته، وكل من يحاول سلب المسلمين عزتهم وثروتهم.

٣ ـ توسع الحركات الاسلامية، وهى تدعو الى تطبيق الاسلام فى الحياة.

٤ ـ تنامى وعى المسلمين بضرورة تطبيق النظام الاسلامى فى الحياة للتخلص من نفوذ الامبريالية العالمية وهيمنتها.

ولمواجهة هذه الامور ليس امام العالم الراسمالى الغربى الا نشر قواعده العسكرية فى ربوع العالم الثالث، والقيام بهذا الزحف الثقافى المخطط له، والمنظم، والمكثف. وبعضها ياخذ بعدا خطير الاهمية نظرا لارتباط اصحابه بصناع القراراو بتبوئهم لمراكز حساسة بالمعنى الامنى الاستراتيجى الغربى.

وفى طليعة هؤلاء «ديلى كلابس» سكرتير عام حلف شمال الاطلسى (الناتو) الذى قال وبالحرف الواحد: ان الاصولية الاسلامية لا تقل خطرا على الغرب من الخطر الشيوعى السابق.

ومثله فعل -ايضا ـ الكاتب الامريكى «صمويل هنتينغتون» الذى يحيى بافكاره روح الحرب الباردة، ولكن باختلاف الموقع هذه المرة، حيث اشار الى «ان العدو بات هو الاسلام والعالم الثالث بدل الشيوعية والاتحاد السوفياتى، وغير ذلك كثير».

ظواهر فى نقد الفكر الاسلامى وبعد ان عرفنا جل ما يرتبط بالغزو الثقافى، من حيث المفهوم اللغوى والمدلول السياسى، ننتقل الى الالماح الى ظواهر مهمة فى النقد المشار اليه لنقف عندها ونوضحها، ثم نحاول تسليط الضوء على ما فيها من

مفارقة ابعدتها عن اصابة الواقع والوصول الى الحقيقة، وهي:

١ ـ رايت هؤلاء الناقدين يفرقون بين الفكر الاسلامى المتمثل فى نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف فيعدونه فكرا اسلاميا، وبين الفكر الاسلامى الذى هو نتاج تفكير العلماء المسلمين، وهم يفسرون القرآن ويشرحون الحديث، فلا يعدونه اسلاميا.

ويحاولون ان ينصب نقدهم على الفكر الثانى لانه نتاج بشرى قابل لان يصيب الواقع فيصل الى الحقيقة، وقابل لان يخطى الواقع فلا يصل الى الحقيقة.

ولانه، بوصفه هذا، يصلح لان يكون موضعا للمناقشة والنقد، ولا ضير فى ذلك لانه اجتهاد بشرى يتغير بتاثير مستوى الاجتهاد وظروف المجتهد، وليس هو فكرا اسلاميا ثابتا لا يجوز الاجتهاد فيه.

٢ ـ ورايتهم ياخذون بمناهج العلوم الاجتماعية فى تفسير الظاهرة الدينية، فيفسرونها بظاهرة اخرى قد تكون طبيعية، وقد تكون اجتماعية، وقد تكون غير ذلك مبتعدين تماما عما يعرف فى الاديان الالهية بالغيب.

٣ ـ ورايتهم ينطلقون الى الزام اخذ الاخرين بدعوتهم الى تطبيق العلمانية على المجتمعات الاسلامية من مقارنة وضعنا الراهن بالوضع التاريخى لاوروبا قبل الثورة على الكنيسة الكاثوليكية، معتقدين بان وضعناالقائم لا ينصلح الا بالثورة على الدين (الاسلام).

٤ ـ ورايتهم يركزون على ان التخلف الموجود عند المسلمين جاءهم من تدخل الدين فى كل مفردة من مفردات حياتهم.

اقول:

ان الدعوة الى التفكيك بين الفكر الاسلامى الالهى والفكر الاسلامى البشرى لم تكن مقصورة على ما جاء فى كتابات من اشرت اليهم من العلمانيين هنا، او فى الغرب، فهى فى الوقت نفسه موجودة عندنا، وفى حدود اطلاعى نادى بها فى ايران

الشيخ محمد رضا حكمى، والف فيها ونشر كتابه، وهو باللغة الفارسية، وترجم الى اللغة العربية، ونشر باسم «النظرية التفكيكية».

فالدعوة، كما هى موجودة هناك، هى موجودة هنا ايضا.

وكذلك لا فرق فى طريقة البحث على اساس من هذه النظرية، فالباحثون هناك والباحثون هنا ياخذون بمعطيات الفكر الحديث ومتطلبات الحياة

المعاصرة.

وياتى الفرق بين الباحثين العلمانيين والباحثين المسلمين فى ارضية البحث، فالعلمانيون يتحركون داخل دائرة الايديولوجية العلمانية فى ضوء ما انتهت اليه من شكل فلسفى نظامى منذ منتصف القرن التاسع عشر «وفى راس مسلماتها حرية الفكر وحرية كل امرى فى مناقشة جميع المسائل الجوهرية من مثل وجود اللّه وخلود الروح واسس الالتزام الاخلاقى».

والاسلاميون، او المسلمون، يتحركون داخل دائرة الايديولوجية الاسلامية فى ضوء الحقائق الالهية، فوجود اللّه ـ مثلا ـ حقيقة ثابتة لا مجال فيها للنقاش لانها من البديهيات، ﴿**افى اللّه شك فاطر السموات والارض**﴾ «ابراهيم/١٠»، وكذلك خلود الروح، ﴿**ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون**﴾ «هود/٢٣».

فى كتاب «رياح الشرق»: «عندما كانت فرنسا تقوم بتجاربها النووية فى جزر جنوب المحيط الهادى على مقربة من سواحل استراليا، حملت الصحافة فى حينه نبا يقول: ان نقابة المومسات فى العاصمة الاسترالية كانبيرا، والتى يبلغ عدد افرادها حوالى المئتين، قد قررت مقاطعة البضائع الفرنسية احتجاجا على التجارب النووية الفرنسية فى (نيوكاليدونيا) جنوب المحيط الهادى».

وذكر «ان المومسات الاستراليات سيقاطعن جميع «الماركات» الفرنسية الشهيرة للملابس الداخلية النسائية، وكذلك مستحضرات التجميل والعطور، الى جانب «عدة الشغل» الاخرى التى تصدرها فرنساويداومن على شرائها، وخصوصا ذات الاسماء البراقة.

وصرحت رئيسة نقابة المومسات بان اعضاء النقابة سيمتنعن عن تقديم «خدماتهن» لاعضاء السفارة الفرنسية فى كانبيرا او ضيوفهم من المواطنين الفرنسيين.. الخ».

وقرات، فى احدى الصحف اليومية العربية التى تصدر فى لندن، نبا يقول ان المراة السويدية تقدمت بمذكرة الى الحكومة السويدية تطالبها بسن قانون يبيح للمراة السويدية الزواج باكثر من زوج فى آن ـ واحد.

ان البغاء وكذلك تعدد الازواج للزوجة الواحدة فى وقت واحد قد تبيحهما القوانين فى ظل العلمانية لانها تقر انفلات الالتزام الاخلاقى.

بينما هذه الظواهر الجنسية اللااخلاقية، من بغاء وامثاله، محرمة فى الشريعة الاسلامية حرمة ثابتة

مؤبدة لا تقبل الاباحة بحال من الاحوال.

وهذا يعنى انه لا توجد عند العلمانيين فى مجالات العقيدة والتشريع والاخلاق، ثوابت لا مجال للنقاش فيها.

بينما فى الاسلام هناك قضايا عقدية وتشريعية واخلاقية هى ثوابت فى الفكر الاسلامى، لا مجال للنقاش فيها.

وهذه هى ما يعرف عند المسلمين بالامور الثابتة بالضرورة من الدين.

والنقاش فيها، مع علم الباحث بعدم جواز النقاش فيها من اجل زعزعة ايمان المسلمين بالاسلام، يعد هدما لكيان المجتمع المسلم الذى آمن بها وآمن بان سعادته فى الحياة قائمة على الايمان بها وتطبيقها فى حياته، والتجربة التاريخية التى رادها النبى محمد صلى الله عليه وآله تثبت ذلك.

وقامت عند المسلمين على سلامتها وصحتها بديهيات الوجدان وقواعد البرهان من عقلية ونقلية.

فهذا النقاش المشار اليه لا يعنى غير الغزو الفكرى الذى هو اخطر من الغزو العسكرى.

اما القضايا الاخرى، وهى المتغيرات (اى غير الثوابت) التى هى نتاج اجتهاد المجتهدين، سواء اكان ذلك فى العقيدة ام فى التشريع ام فى الاخلاق، فانها تخضع للنقاش، ويجوز فيها ذلك شريطة الالتزام باصول البحث، وبخاصة موضوعية الباحث وحسن نيته وسلامة هدفه واحترامه لاراء الاخرين واقدارهم.

وبالنسبة الى ظاهرة الاخذ بمناهج العلوم الاجتماعية فى تفسير الظواهر الدينية فاقدر انها ترجع الى ان جل علماء الاجتماع لا يؤمنون بان الدين ظاهرة الهية، اى انهم لا يؤمنون بانه وحى منزل من اللّه تعالى على النبيين لتنظم به علاقات الانسان باللّه خالقه وبالانسان نظيره وبما سواهما مما يتفاعل معه فى هذا الكون.

ومن يؤمن بالدين منهم فى انه من اللّه تعالى يقصره على العبادت وما يعرف بالاحوال الشخصية، او على العبادات فقط.

وطبيعى ان هكذا ايمان ينأى بصاحبه عن ان يتعامل دينيا مع الظواهر الدينية فيفسرها من خلال واقع الدين باعتباره وحيا من اللّه تعالى.

فليس امامه، والحال هذه، الا ان يعدها ظواهر اجتماعية تفسر شانها شان الظواهر الاجتماعية الاخرى.

بينما، نحن المسلمين، نؤمن بان الاديان

السماوية هى من اللّه تعالى، وقد اثبتت هذا مقارنة الظواهر الدينية فى مختلف الاديان بعضها ببعض، ومعجزات الانبياء الدالة على نبواتهم.

كما نؤمن بان الاسلام نظام حياتنا فى هذه الدنيا، ولجميع جوانبها العبادية والسياسية والاجتماعية والمالية والاخلاقية والادارية والخ.

فالعلمانيون، عندما يبحثون الظاهرة الاسلامية، يبحثونها بوصفها ظاهرة اجتماعية، والمسلمون عندما يبحثونها، يبحثونها بوصفها ظاهرة دينية.

ويعود هذا الى الاعتقاد بالغيب ومدى تاثيره فى حياة الناس.

والموقف العلمانى هذا لا بد من ان يمس هذا الاعتقاد، بشكل او ب آخر، وذلك بانكار هذا الغيب، وعلى اساس من هذا ان من يقوم بذلك وهو عالم بما ذكرت، اى ليس فى ذهنه شبهة حوله، يعد منكراللغيب.

ومتى حاول ان يدخل هذا الى ذهنيات المسلمين ليشككهم فى اعتقادهم بالغيب يعد غازيا لمجتمع المسلمين ثقافيا.

وبالنسبة الى الظاهرة الثالثة، وهى مقارنة وضعنا الراهن، المتمثل فى تخلفنا تقنيا، بالوضع الاوروبى ايام سلطة الكنيسة الكاثوليكية عليه، المتمثل فى تخلفه حضاريا ومدنيا، مقايسة مع الفارق، ذلك ان الدين المسيحى يامر بالزهد بالحياة واحتقارها، بينما كتابنا (القرآن الكريم) يقول: ﴿**وابتغ فى ما آتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا**﴾ «القصص/٧٧»، ﴿**قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق**﴾ «الاعراف/٣٢»، ونبينا (محمد) يقول:

«اعمل لاخرتك كانك تموت غدا واعمل لدنياك كانك تعيش ابدا».

فالكنيسة كانت تقف عائقا امام التقدم الاجتماعى لا سيما فى الجانب الاقتصادى.

لنقرا هذا النص المنقول عن «موسوعة المورد» تحت عنوان:

«العلمانية الاهتمام بشؤون الحياة الدنيا، وقد يقصد بالمصطلح احيانا «العلمنة»، اى نزع الصفة الدينية، اوسلطان رجال الدين، عن نشاط من النشاطات او مؤسسة من المؤسسات.

وفى الامكان القول: ان الحركة العلمانية بدات فى اوروبا مع عصر النهضة خلال العصر الوسيط لسلطان الكنيسة الكاثوليكية التى علمت ان جسد الانسان والارض، وهو جزء منها، ماخوذان بخطيئة آدم.

من هنا فهما لا يستحقان من المسيحى الصحيح اكثر من الازدراء. فلما بزغ عصر النهضة وانهمك اهل المدن فى الوان من النشاط تبعث فى ذات نفسها على الابتهاج والفتنة، وتفضى الى مكاسب مادية ضخمة، وجد هؤلاء انفسهم فى وضع يتعارض مع تعاليم الكنيسة تعارضا كاملا: الكنيسة تدعوهم الى احتقار الجسد، وهم يلهثون وراء كل ما يلبى حاجاته ومطالبه، والكنيسة تطالبهم بازدراء الارض والحياة، وهم يجدون فى الارض مصدر الثروة ويعملون لدنياهم فى المقام الاول.

وهكذا بدا الانفصام بين الكنيسة وقطاعات كثيرة من اتباعها، حتى اذا حاولت ان تفرض وجهات نظرها على هذه القطاعات تمرد القوم عليها، ودعوا الى الاخذ بالعلمانية، اى الى تحرير النشاطات والمؤسسات على اختلافها من سلطان الكنيسة ورجالها».

بينما الاسلام يحث على التقدم الاجتماعى بمختلف انماطه:

«طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»، «اطلب العلم من المهد الى اللحد»، «اطلبوا العلم ولو فى الصين»، ﴿**هو انشاكم من الارض واستعمركم فيها**﴾ «هود/٦١»، ﴿**والارض وضعها للانام**﴾ «الرحمن ١٠»، ﴿**هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه**﴾ «الملك/١٥».

وعليه: فسبب التخلف فى اوروبا، آنذاك، يعود الى موقف الكنيسة من التقدم.

اما عند المسلمين الان فليس هو الدين، لان الدين الاسلامى يحث على التقدم الحضارى والتقدم المدنى، كما افادت هذا الكثير من النصوص، وكذلك الواقع الذى مرت به تجربة تطبيق الاسلام فى الحياة.

وانما هو -اعنى سبب تخلف المسلمين - القمع الامبريالى الذى يقف ضد اى عمل من شانه ان يدفع المسلمين الى الامام.

وعليه: فدعوة العلمانيين لنا بان نطبق العلمانية فى حياتنا ونتخلى عن ديننا لكى نتقدم كما تقدمت اوروبا، عندما رفضت الكنيسة وطبقت العلمانية، دعوة فى غير محلها ولا موقع لها.

وذلك يعود الى الفرق بين دين الكنيسة والدين الاسلامى.

ان الاخذ بالعلمانية، حيث يستلزم التخلى عن الدين، امر مرفوض عند كل مسلم يؤمن باسلامه ووجوب التمسك به عقيدة وتشريعا واخلاقا ﴿**ان الدين عند الله الاسلام**﴾ «آل عمران/١٩»، ﴿**ومن يبتغ**

**غير الاسلام دينا فلن يقبل منه﴾** «آل عمران/٨٥

ويترتب على هذا ان الدعوة الى العلمانية، فى بلاد المسلمين، وبين ابناء مجتمعهم، هى غزو للاسلام وحرب عليه.

ومن هنا تكون الدعوة الى الاخذ بالعلمانية من قبل المسلمين الذين يعرفون هذا، وليس عن شبهة علقت فى اذهانهم لسبب او آخر، هى غزو ثقافى صريح.

ومنه نتبين ما يرتبط بالظاهرة الرابعة فى هذا السياق لما يوجد من فرق فى سبب تخلف المسلمين الان وتخلف الاوروبيين قبل الثورة على الكنيسة، ولان فى الاسلام من العدل الاجتماعى ما يغنينا عن العلمانية وغير العلمانية.

الموقف الى هنا تكون قد تحددت عندنا القضية التى يدور حولها البحث، انها الكتب والبحوث التى الفت وكتبت من قبل اناس مسلمين، فى ايامنا هذه، محاولة منهم لنقد الفكر الاسلامى فى مجالات العقيدة والتشريع والاخلاق، فما هو موقفنا منها؟ هل تعد جميع هذه الكتابات غزوا ثقافيا؟ وهل كل ما يعد غزوا ثقافيا يحكم على صاحبه شرعا بالارتداد؟ ثم ما هو موقفنا من هذا الغزو الثقافى فكريا؟ هذا ما سنحاول الاجابة عنه لنتعرف موقفنا منه بوصفنا مسلمين علينا ان نحافظ على ثقافتنا وندافع عنها.

والاجابة عن هذه التساؤلات تتشعب الى ما ياتى:

توضيح بيانات الحكم الشرعى ومستلزماته.

## بيان حكم الرد فكريا ومسؤولية.

وجوابا عن السؤال الاول نقول: لا بد هنا، اولا، من تشخيص الموضوع الذى يراد الحكم عليه من ناحية شرعية. وهو امر طبيعى، لان اصدار الحكم مسؤولية امام اللّه تعالى توجب التاكد والتثبت من ان الموضوع يستحق الحكم الذى سيحكم عليه به. وتشخيص الموضوع، فى مثل هذه القضايا، يتطلب احالة البحث كتابا او غيره الى بينة عادلة خبيرة تحيط بمحتوى البحث، من حيث المعنى والعبارة.

**وثانيا:** على القاضى، او الحاكم، ان يتاكد من ان ما يستوجب الحكم بالكفر لم يات عن شبهة علقت فى ذهن الباحث او الكاتب.

**وثالثا:** ان يتاكد ايضا من ان لا يكون الموضوع من المسائل الاجتهادية التى تقبل التاويل.

فانه -والحالة هذه - يختلف موقف القضاء باختلاف موقف الباحث او الكاتب من التاويل.

**ورابعا:** عند ثبوت الادانة وبكل وضوح، ياتى دور

الولى الفقيه وولى الامر اللذين لهما الكلمة الفصل فى اقرار الحكم ونوعيته ومستواه، وبخاصة اذا كان الموضوع له علاقة بجانب سياسى يقتضى ان يرجع فى تحديد الموقف منه الى الولى الفقيه او ولى الامر.

وفى هدى ما تقدم عرفنا ان تشخيص الموضوع لا بد منه لانه هو الذى يحدد لنا ان هذا الكتاب او البحث هو مما يوجب الحكم على صاحبه بالكفر او لا يوجب ذلك.

وموقف صاحبه من المخالفات الشرعية التى فيه، وشخصيته من حيث الاعتقاد بمضامين هذه المخالفات، هل هى عن شبهة او ليست كذلك، هى التى تحدد لنا ايجاب الحكم عليه او عدمه.

كما يحدد لنا هذا انه اذا كانت الكتابة بدافع سياسى لاجل تشكيك المسلمين بدينهم فيكون غزوا ثقافيا او هو ليس كذلك فلا يعد غزوا ثقافيا.

وهنا اود ان اشير -اغلاقا لباب الفوضى فى الافتاء واصدار الاحكام ـ الى ان اصدار اى حكم، او اية فتوى، فى مثل هذه القضايا، هو من حق الولى الفقيه، او قضاء الدولة بعد مصادقة الولى الفقيه عليه.

وهذا يعنى ان اى فتوى تصدر عن غير الولى الفقيه، فى هذه القضايا وما يماثلها، اذا لم تعتمد من قبله، لا يعتمد عليها.

ويستند هذا الى ان النيابة العامة عن الامام المعصوم عند اختيار الولى الفقيه من قبل المعنيين بذلك تنحصر فيه وتقتصر عليه، وهو امر واضح.

**هذه خلاصة ما يرتبط بشؤون الحكم.**

## اما ما يتعلق بالرد فكريا فنقول:

**اولا:** ان الرد مسؤولية الدولة الاسلامية، لان الغزو الثقافى لا يختلف فى خطورته واضراره عن الغزو العسكرى، فكما ان صد الغزو العسكرى هو مسؤولية الدولة بالدرجة الاولى، كذلك صد الغزو الثقافى هومسؤولية الدولة بالدرجة الاولى، لان الملاك فيهما واحد.

**ثانيا:** وفى حالة عدم وجود دولة اسلامية تنتقل مسؤولية الرد الى المرجع الدينى الاعلى -عندنا معاشر الامامية ـ لانه النائب عن الامام المعصوم الذى يقوم مقامه فى تحمل مسؤولياته التى منها الدفاع عن العقيدة.

وعند الالتزام بمبدا ولاية الفقيه العامة -كما هو الحق ـ يكون المرجع الاعلى هو الولى الفقيه، وتقدم بيان وظيفته فى ذلك.

ومن التجارب التى ينبغى ان تذكر هنا تجربتان رائعتان، هما:

١ـ **موقف الحوزة العلمية**، فى النجف الاشرف، ضد الغزو الثقافى الشيوعى فى اواخر الخمسينات من هذا القرن العشرين الميلادى، بقيادة المرجع الدينى الكبير السيد محسن الحكيم (ت ١٣٩٠ه)، فقد الفت من الكتب فى نقد الفكر الشيوعى والرد على كتابات الشيوعيين ما فيه الكفاية وزيادة بامر منه ﷺ ونشرت بتمويله، واهمها: كتابا «فلسفتنا» و- «اقتصادنا» للشهيد السعيد السيد محمد باقر الصدر. واصدرت عدة مجلات دورية بامره وتمويله (قده)، واهمها «الاضواء»، مجلة جماعة العلماء.

وبامره ورعايته شكلت جماعة العلماء برئاسة الشيخ مرتضى آل ياسين وعضوية السيد محمد تقى بحر العلوم والشيخ حسين الهمدانى فى هيئتها العليا، واصدرت فى مجال صد الغزو الثقافى الشيوعى منشورهاالاسبوعى الذى كان يكتب من قبل السيد محمد باقر الصدر، ويذاع عن طريق الاذاعة العراقية ببغداد، ويوزع عن طريق البريد العراقى على مختلف انحاء العراق، وعلى مختلف العشائر العراقية عن طريق مبعوثى جماعة العلماء.

يضاف الى هذا الاحتفالات الكبرى فى المناسبات الدينية التى كانت تقام فى النجف وكربلاء وبغداد وسواها من المدن العراقية، والتى تعاضد فيها علماء السنة وعلماء الشيعة، اضافة الى فتاوى العلماء من الفريقين ضد الشيوعية، وفى طليعتها فتوى الامام الحكيم.

هذه الاعمال جميعها وامثالها استطاعت ان تصد الغزو الثقافى الشيوعى المشار اليه.

٢ ـ **والتجربة الثانية**: الثورة الشعبية الايرانية بقيادة الامام الخمينى العظيم (ت ١٤٠٩ه) التى اطاحت بامبراطورية الشاه المقبور محمد رضا بهلوى، فانهت بذلك غزو الحضارة العلمانية الغربية والشرقية، وقضت على النفوذ الاستعمارى الامريكى.

وتم ذلك، بالدرجة الاولى، بالثورة الثقافية الاسلامية التى فجرها الامام الخمينى.

ولا تزال هذه الثورة الثقافية الاسلامية حتى اليوم تقوم بدور صد الغزو الثقافى الغربى للعالم الاسلامى.

وقد وسع المرجع القائد السيد الخامنئى من مجالاتها، وامد فى ابعادها، حتى وصلت الى دور اعطاء الصورة المشرقة والمشرفة عن مدى قدرة الاسلام

عـلى تـنظيم الحياة وادارة شؤون الناس.

وفى المرحلة الاخيـرة، يكـون الـرد مـن مسـؤولية ابناء المجتمع الاسلامى من باب الحسبة.

هـذا مـا كنـت اود ان اثيـره حـول مسـالة الغـزو الثقافى العلمانى ليكـون توطئـة لدراسـات فقهيـة اعمـق واوسـع، واللّه تـعالى ولى التوفيق، وهو الغاية.

# الغَزْوُ الثَّقافِيُّ الصُّهيُونِيّ

## أبعَادُهُ وَسُبُلُ مُوَاجَهتِهِ

❖ ماجـد ســـعيد (*)

(*) باحث واكاديمي من العراق.

بعد مضي أكثر من عشرين عاماً على توقيع معاهدة «السلام» بين الكيان الصهيوني ومصر تحت رعاية الولايات المتحدة، إلاّ أن الدوائر الأميركية المتخصصة بشؤون الشرق الأوسط والخبراء المهتمين بهذه الشؤون يعتقدون أن أثر هذه المعاهدة لم ينشر ظلاله على الجانبين، وبقيت العلاقات بين الطرفين غير جادة تماماً، حيث يسودها الفتور الشديد، الذي يحول دون احراز أي تقدم على صعيد التعاون المتبادل.

والسبب يعود في ذلك - كما تراه تلك الدوائر - إلى وجود عقبة «هائلة» تصطدم بها حركة «السلام» دائماً، ولم يمكنها تجاوزها طالما بقيت الأمور على هذا المنوال، ألا وهي الثقافة الإسلاميّة التي يحملها الشعب المصري، التي ترى نفسها في مواجهة مع ثقافة العدو الصهيوني.

وفي إثر ذلك أقام معهد الدراسات الأميركي الخاص بوسائل الاعلام ندوة واسعة تحت عنوان «مقاومة السلام وأسبابه السايكولوجية»، حضرها جماعة من المتخصصين في هذا المجال، من علماء النفس وخبراء استراتجيين وأساتذة العلوم السياسية من أميركا ومصر والكيان الصهيوني. وقد تم بحث أبعاد المقاومة الوطنية لعملية «السلام»، ودراسة أسباب ديمومتها وسبل علاجها، حيث توصلوا إلى نتيجة مفادها: ضرورة توجيه الثقافة العامة، ثم الرأي العام باتجاه، بحيث يخدم عملية «السلام» ويوافق مصالحها الثابتة.

وقد أدرك مستشارو الكيان الصهيوني وخبراؤه العاملون في فلكه هذه الحقيقة جيداً، فشرعوا بتأسيس برنامج عمل دقيق يتم من خلاله نقل الصراع من الجبهات العسكرية والسياسية إلى جبهة أخرى بعيدة عن تلك الجبهتين، ألا وهي الجبهة «الثقافية»، ومحاولة فرض الحصار على الثقافة الإسلامية التي تتمسك بها شعوب المنطقة، واستبدالها بثقافة مستوردة تسمح بإحلال النظام العالمي الجديد في منطقة الشرق

الأوسط الإسلامي.

ومما يساعد على تثبيت أركان هذه العملية وجود عاملين مهمين:

**الأول**: الوجود الأميركي في المنطقة الذي يمكنه ممارسة الضغوط التي تلعب دورها الكبير في إنجاز ما لا يمكن إنجازه في غير هذه الحالة.

**الثاني**: حالة الاستسلام التي يعيشها بعض حكام المسلمين، والتي من شأنها أن تمنح عملية «السلام» ضمانات كافية على طول مسار مراحلها المتعددة.

## الخطة الأميركية - الصهيونية

ويمكن تلخيص هذه الخطة كالتالي:

١ - محاولة السيطرة على وسائل الأعلام في العالم، وبسط النفوذ على وكالات الأنباء العالمية وشبكات التلفزة المشهورة والمحطات الفضائية المعروفة. إذ من خلال السيطرة على هذه الوسائل ستتم الهيمنة على أذهان وأفكار الشعوب، وبالتالي دس ما تريد قوله وحذف ما لا ترغب فيه، وهذا يعني السيطرة الكاملة على الأجواء الثقافية للشعوب، وخاصة شعوب المنطقة المعنية بعملية «السلام».

٢ - إقامة الندوات والمؤتمرات للبحث في هذه القضية، والعمل على تهيئة الدراسات والبحوث المتعلقة في هذا المجال، والمطالبة باقتراحات جديدة من المجتمعين والمؤتمرين، يمكن أن تكون ذات مبنى يتم الاستفادة منه في هذا الخصوص.

٣ - تهيئة ميزانية هائلة تغطي مراحل الخطة، وصرف جزء كبير منها في تأسيس المعاهد والمراكز الفنية والعلمية والأكاديمية النشطة في الشرق الأوسط.

فقد أعلن شمعون بيريز في أحد لقاءاته: أن ٤٠% من ميزانية إسرائيل خصصت للمجال الثقافي والبحث العلمي. وأضاف: وإذا حل زمن «السلام» فيجب مضاعفة هذه النسبة[١].

٤ - توسيع دائرة العلاقات مع الفنانين والمثقفين العرب والمسلمين، وتهيئة الأجواء لعمليات اللقاء، وفتح القنوات معهم، لتنظيم «تجمعات ثقافية» أو «رابطات إقليمية» وما شابه ذلك.

٥ - تنمية السياحة الإسرائيلية، والاهتمام بها بالشكل الذي يتسنى للزائرين والسواح أن يتعرفوا على الثقافة والآداب «الصهيونية»، وبالمقابل تنظيم رحلات «السواح» الصهاينة لاختراق المناطق السياحية العربية الإسلاميّة بعناوين مختلفة.

## تسخير وسائل الإعلام العربية لعملية التطبيع

من الأساليب المهمة التي يتبعها الصهاينة في عملية الاختراق الثقافي هو الاستفادة من وسائل الإعلام العربية والإسلامية، والتي من خلالها يسعى هذا الكيان الغاصب إلى تطبيع العلاقات الثقافية بينه وبين الأطراف العربية الإسلاميّة، والتقليل من شدة العداء والحساسية التي يكنها المسلمون تجاه الصهاينة الغاصبين.

فبعض مدراء وسائل الأعلام العرب «جعلوا من أنفسهم جسوراً لتمرير مخطط التطبيع» وذلك بسبب ارتباطهم المشبوه أو لافتقادهم الرؤية الصحيحة، فكانوا من الممهدين للغزو الثقافي الصهيوني البغيض.

وقد رصدت مشاهدات كثيرة تدل على ما نذهب إليه:

منها: استبدال الخطاب الإعلامي الهادر بالغضب والمشبع بالعداء لهذا الكيان الغاصب بخطاب آخر يحمل بين طياته الود والرغبة في التقارب، كما هو واضح لأدنى تتبع.

ومنها: ما حصل من التغطية الإعلامية الواسعة لوقائع الاتفاق الذي جرى مؤخراً بين الأردن والكيان الصهيوني المحتل من قبل الكثير من شبكات التلفزة العربية والمحطات الإذاعية، والصحف الرئيسية الناطقة بالعربية.

بل أن بعض الشبكات التلفزيونية قامت بإجراء لقاء مع رئيس الوزراء الصهيوني شخصياً، وبثه بصورة مباشرة عبر محطاتها الأثيرية! إضافة إلى بعض الصحف التي تجاوزت بعض الخطوط الحمراء لتنشر لقاء صحفياً ممتعا! مع شخص رئيس الوزراء الإسرائيلي، كالذي أجرته صحيفة «الحياة» اللبنانية، وما أجرته صحيفة «الشرق» الصادرة في قطر مع إسحاق رابين والذي اعتبرت «بادرة طيبة» تستحق الثناء عليها! [٢]

وقد تعدى الأمر إلى أكثر من ذلك، فقد اندفعت «نخبة» من المثقفين العرب إلى إقامة الندوات واللقاءات «الودية»، وتحت عناوين مختلفة مع «المثقفين» الصهاينة للبحث في مسألة «التواصل الثقافي» و «الانفتاح الحضاري» .... وما إلى ذلك.

من قبيل الندوة التي أقيمت في شهر نيسان من عام ١٩٩٦ م، والتي حضرها ثلاثة من الكتاب المصريين وهم: لطفي الخولي، وأحمد عبد الحليم، وتحسين بشير، وأربعة عشر صهيونياً كلهم يشغلون مناصب حساسة في السلك الدبلوماسي الإسرائيلي، حيث دار الحديث بينهم حول الانفتاح والتواصل الثقافي العربي -

الصهيوني[٣].

وما نشرته صحيفة «النهار» من خبر إقامة منظمة اليونسكو بين ١٩ - ٢١ أيلول من عام ١٩٩٤ م مؤتمراً في تونس تحت شعار «دراسة أبعاد الإبداع الشعري والقصصي في العالم العربي في مطلع القرن الواحد والعشرين» وقد حضره الكاتب الصهيوني المعروف سامي ميخائيل الذي يعدّ المنظر الثقافي الأول لعملية التطبيع العربي - الصهيوني، برفقة عدد من الأدباء والكتاب العرب الذين طالما كتبوا عن دور الصهاينة في «نهضة» العالم العربي، أمثال: طاهر بن جلون، وأميل حبيبي الذي حصل على جائزة «السلام الثقافي»، وقد تسلمها من يد رئيس وزراء الكيان الصهيوني شخصياً، والطيب صالح، وصلاح ستيته، وفينوس خوري، وإلياس خوري، وكمال أبو ديب، ومحمد برادة، ومحمد بنيس، وتوفيق بكار، وجمال الغيطاني، وصنع الله إبراهيم، ومالك علوله[٤].

وفي هذا الصدد أيضاً ما أقامه «صحفيون بلا حدود» الندوة المفتوحة بمناسبة مرور عام على التوقيع على معاهدة «السلام» بين منظمة التحرير الفلسطينية والكيان الصهيوني التي عقدت بتاريخ ٢٥ - ٢٧ كانون الثاني / يناير من عام ١٩٩٤ م، تحت شعار «الصحافة والسلام» اشترك فيها صحفيون من مصر والأردن والكيان الصهيوني ولبنان والضفة الغربية وغزة، بالإضافة إلى ممثلين عن الصحف الأوروبية من اليونان والبرتغال، فأنهت أعمالها بإصدار بيان تضمن التأكيد على النقاط التالية:

أ - السلام هو الحل الوحيد لمستقبل الشرق الأوسط!

ب - ضرورة إنفاذ «السلام» إلى صميم المجتمع العربي الإسلامي، وبلورته كضرورة لابد منها.

ج - الدعم الشعبي لمبدأ «السلام».

د - توحيد الجهود في سبيل نبذ الركود والانحسار على هذا الصعيد.

هـ - تأسيس مركز إعلامي في منطقة الشرق الأوسط - بما فيه الكيان الصهيوني - لتبادل الأخبار والمعلومات.

## الاهتمام الصهيوني بالتراث الإسلامي

من الأساليب التي تتبعها الصهيونية والمؤسسات التابعة لها في خطتها المتضمنة غزوها الثقافي: تأبين بعض الوجوه الثقافية البارزة في العالم العربي الإسلامي، لغرض رفع الحواجز والعقبات الثقافية التي تحول دون

تمددها في المنطقة، من خلال التخفيف من شدة الحساسية الموجودة لدى الشارع العام العربي ثم الإسلامي تجاه الوجود الصهيوني السرطاني في قلب منطقة الشرق الإسلامي.

وقد لوحظ - على سبيل المثال - نشاطات العدو الغاصب في هذا المجال:

١ - حفلة التكريم التي أقامتها سفارة إسرائيل لجبران خليل جبران الأديب العربي المعروف، وقد دار حديث «ثقافي» موسع في الحفل حول شخصية هذا الأديب وأشعاره وكتبه ونشاطاته الأدبية[٥].

٢ - القيام برحلات ثقافية وفنية للكتاب والفنانين العرب إلى الكيان الصهيوني، واجراء «برامج عربية» في تلك أبيب، بتنسيق مشترك بين وزارة الإعلام المصرية ووزارة «الثقافة» الإسرائيلية.

٣ - إحداث عدد من المقاهي على الطراز العربي التقليدي، واستقبال الضيوف والزبائن بالأغذية والأطعمة العربية من قبل الصهاينة في مختلف الدول الأوروبية.

## تأسيس المراكز السياسية

إن تأسيس المعاهد والمراكز الثقافية التي تعنى بالشؤون السياسية يعتبر من أهم العوامل فعالية للصهاينة في صراعهم مع الإسلام والأمة الإسلامية، لأنها تلعب دوراً خطيراً في تهيئة المنظومات التي على أساسها تقوم الأعمال الأخرى، وفي وضع المخططات لتغيير التركيبة الثقافية العامة للعالم الإسلامي.

فهذه المراكز بمثابة «العقل» المدبر والمخطط للفعاليات التي يقوم بها العدو الصهيوني البغيض في هذا الصعيد، و «غرف عمليات» لكل النشاطات الموجهة ضد الإسلام وأتباعه.

فقد نشرت مجلة «المجتمع» الكويتية تقريراً خطيراً تضمن إحصائية لعدد المؤسسات والمراكز الفكرية والثقافية التي تزايد عددها في الآونة الأخيرة بشكل يثير الدهشة، التي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بإسرائيل، وأن جميع هذه المراكز والمؤسسات تشترك في هدف واحد هو إقامة علاقات وارتباطات ثقافية بين الصهاينة والعرب المسلمين، وأن أغلب هذه المراكز تم إحداثها بعد معاهدة مدريد عام ١٩٩١ م.

## مؤسسة البادرة من أجل السلام

ويضيف التقرير بأن من أهم هذه المراكز وأخطرها في هذا الصعيد: المؤسسة التي تطلق على نفسها اسم «البادرة من أجل السلام والتعاون في الشرق

الأوسط: البحث عن أرضية مشتركة» التي تضم عدداً كبيراً من رجال السياسة الأميركيين المعروفين أمثال: آلفرد اثرتون الذي يشغل منصب رئيس المؤسسة حالياً، وهارولد ساندرز، وشيستر كروكور، وريتشارد مورفي، ودورف زاخم، الذي كان يشغل منصب نائب وكيل وزارة الدفاع الأميركية سابقاً، بالإضافة إلى ٢٥ شخصاً آخرين من الأميركيين والإسرائيليين والعرب، وينتمي الأعضاء العرب فيها إلى المغرب ومصر والأردن وعمان والكويت ولبنان[٦].

وهذا التقرير يكشف بوضوح - لمن يطالعه - عن الدقة التي يتسم بها المخطط الثقافي الأميركي - الصهيوني المشترك في صعيد الإعداد والبرمجة العالية باتجاه الغزو الثقافي الغربي ضد الإسلام والمشرق الإسلامي.

## المركز الأكاديمي الإسرائيلي

وهناك أيضاً مركز أكاديمي إسرائيلي متخصص في هذا المجال اتخذ من القاهرة مقراً له، تأسس عام ١٩٨٤ م، وبدأ أعماله ونشاطاته في أوائل عام ١٩٨٥ م التي تصب كلها في أغراض تجسسية مشبوهة هدفها «التعرف» على الشبكات والمجاميع الأدبية والفكرية والثقافية والفنية والعلمية الناشطة ضد الصهيونية أو إسرائيل.

كما ويسعى هذا المركز في نشاطاته «الأكاديمية» إلى التركيز على مسائل عديدة محورية ذات العلاقة في هذا المجال، من أهمها:

- التعرف على جذور وخلفيات الفلكلور العربي وبالخصوص المصري واللبناني والأردني، ومحاولة كشف الطرق الصحيحة إلى تغييرها.

- متابعة القضايا ذات العلاقة بالتعليم والتربية الإسلاميّة في البلدان العربية.

- مراقبة الحركة الفنية العربية ومراكزها الرئيسية.

- متابعة المسائل المتعلقة بالشعر والشعراء والكتاب العرب.

- دراسة إمكانية إقامة «وحدة ثقافية وعقائدية بين الإسلام واليهودية».

وما إلى ذلك من القضايا التي تتعلق بالوضع الفكري والحركة الثقافية في البلدان العربية الإسلاميّة، وخاصة تلك التي تحيط بالكيان الغاصب[٧].

## منظمة الحوار اليهودي - العربي

كما ونشرت صحيفة «الحياة» خبر تأسيسي

منظمة تدعى بـ «منظمة الحوار اليهودي - العربي في أوروبا» (G. E. D. E. C) بدعم من الأمم المتحدة عام ١٩٩١ م. واستناداً إلى تصريح السيدة سائدة نسيبة: فإن هذه المنظمة باعتبارها منظمة غير رسمية تهدف إلى إقامة علاقات ثقافية بين اليهود والعرب. ومن ضمن مهامها الأخرى إصدار مجلة كل شهرين تحمل اسم (News G. E. D. E. C.) تعلم فيها اليهود والإسرائيليين «طرق الحياة السليمة»! ويقع مقرها في لندن[٨].

## مركز «غوته» الثقافي

وهذا مركز «غوته» الثقافي الألماني المعروف في مصر الذي يلعب دوراً مهماً في هذا الصعيد، حيث أنّه يعتبر جسر اتصال بين الكيان الصهيوني والعالم العربي الإسلامي.

فقد كشفت الكاتبة المصرية «سلوى بكر» النقاب عن أن هذا المركز يمارس نشاطات بارزة في مجال التطبيع، فهو يقوم باستدعاء الكتاب الإسرائيليين شهرياً لتشكيل مؤتمر في مقره وعلى الأراضي المصرية، ويحاول في الوقت نفسه حمل الكتاب المصريين على الحضور في هذه المؤتمرات وبشتى الأساليب والطرق.

وقد أعلنت هذه الكاتبة عن أنها تلقت أكثر من دعوة من قبل المركز الثقافي الألماني المذكور هذا لإقامة مؤتمر ثقافي في الكيان الصهيوني في خصوص كتاباتها[٩].

## العقبات التي تواجه الغزو الثقافي الصهيوني

بالرغم من كل الإجراءات الهائلة التي اتخذتها الدوائر الغربية - الصهيونية في تنفيذ مخططاتها الرامية إلى غزو الأمة الإسلاميّة على الصعيد الثقافي، ونقل الصراع من الجبهة العسكرية والسياسية إلى ساحة الفكر والثقافة، وما سخرته من أموال طائلة ووسائل ذات صفة تقنية عالية في نشاطاتها وتحركاتها، إلاّ أنها تواجه العديد من العقبات والمشاكل العويصة التي تعترض طريق عملها في هذا المضمار.

ويمكن تلخيص أهم هذه العقبات والمشاكل كالآتي:

١ - مشكلة العقيدة اليهودية والتطلعات الصهيونية التي روجوا لها منذ نشوء هذا الكيان البغيض. فالمعتقدات الصهيونية تقضي بأن اليهود هم شعب الله المختار، وباقي البشر إنّما خلقوا لخدمتهم! لأن الله

تعالى قد أرادهم واختارهم ليحكموا على الآخرين! طبق ما ترويه نوراتهم.

ولذلك فإنه يحق للشعب اليهودي أن يذلل جميع ما يعترض طريقه بكل الوسائل المتاحة، حتّى لو اقتضى ذلك استخدام العنف والوحشية في قتل «الآخرين»، أو نهب ثرواتهم وهدم منازلهم، فالعالم بأسره يجب أن يخضع للحكم اليهودي!!

وأن توراتهم تنص على أن لدولة إسرائيل حدوداً مقدسة قد وضعها الرب لهم منذ نزول الناموس الأعظم على موسى، وهي أرض كنعان التي تبدأ بزعمهم من النيل إلى الفرات! وأنه لابد أن تبقى بأيدي اليهود مهما يبلغ الثمن!!

جاء في سفر التكوين من التوراة: «وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك، كل أرض كنعان»، وجاء أيضاً: «في ذلك اليوم قطع الرب مع إبراهيم قائلاً: لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير»[١٠].

هذا التفكير العنصري الذي يحمله الصهاينة جعلهم يعانون من أزمات حادة تعصف بهم داخلياً وخارجياً تحول دون إمكانهم التعايش السلمي مع «الآخرين».

فأما داخلياً: فإن لهذا التفكير أثراً سلبياً على التعايش السلمي بين اليهود أنفسهم. إذ أن هناك فرقة تدعى بـ «اشكناز» تعود جذورها إلى أوروبا ومنطقة الخزر، وهذه الفرقة ترى نفسها أفضل وأسمى عنصراً من الفرقة اليهودية المسماة بـ «سفارديوم»، التي تنحدر من أصول شرقية، مما أدى إلى بروز صراعات ومشاحنات قومية عنصرية داخل الكيان الصهيوني.

وأما خارجياً: فانهم يعانون من مشكلة التناقض فيما يعتقدونه من عقيدة، كونهم شعب الله المختار، وما يتطلعون إليه من نيل التواصل مع الشعوب والثقافات الأخرى.

فهم يواجهون متاعب نفسية واجتماعية كبيرة تجاه هذه المشكلة، وبالتالي فهم يعيشون أزمات حادة من أجل التعايش السلمي مع الشعوب المجاورة، وخاصة تلك التي تتسم بحضارة عريقة، وتمتلك ثقافة مستنيرة.

ومن هنا فإن «الثقافة» الصهيونية ثقافة متحجرة وساكنة وغير صالحة لأن تعرض على الآخرين أو أن تتنافس مع الثقافات الأخرى.

وعلى الرغم من كل المحاولات والمساعي الحثيثة التي بذلت أبان الحرب للإبقاء على حقيقة هذه الثقافة في طي الكتمان، فان مساعيهم باءت بالفشل

بعدما تكشفت للشعوب والأمم حقيقتها القائمة على العنصرية الممقوتة.

وحينما أرادوا التعامل مع الشعوب الأخرى على مبدأ التعايش السلمي بهذه العقلية الثقافية المتحجرة، والنفسية المضطربة المريضة، واجهوا مشكلة كبيرة ومتفاقمة أمام طريق تواصلهم مع الآخرين.

وإذا أخذنا بنظر الاعتبار المعتقدات الدينية اليهودية المتزمتة القائمة على أسس ملخصها: عدم الاعتراف بالشعوب الأخرى، واعتبار هذه الشعوب مجرد خدم لليهود ليس إلاّ، فيكون من الواضح لكل باحث منصف أن القضايا الإنسانية ليست لها أية قيمة تذكر في القاموس الثقافي الصهيوني.

فمبدأ حقوق الإنسان يتناقض مع الأسس العقيدية لليهود، وهكذا مبدأ حق الشعوب بتقرير مصيرها. وأما ارتكاب المجازر واستخدام لغة القسوة والإرهاب والتهجير فهو جزء لا يتجزأ من ثقافتهم الضيقة.

فالمجازر الوحشية التي قام بها اليهود ضد شعوب المنطقة العربية الإسلاميّة إبان الاحتلال، وسياسة التشريد والتنكيل التي ارتكبوها ضد مسلمي فلسطين ولبنان لم يدع أي مجال لإمكانية إقرار مبادئ التعايش السلمي من قبيل: مراعاة حقوق الإنسان والقوانين الإنسانية المتعارف عليها دولياً[١١].

وليس أدل على الوجه العنصري للكيان الصهيوني من إدانة المجتمع الدولي للصهيونية، وذلك حينما صادقت الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ ١١ / ١١ / ١٩٧٥ م على اعتبار الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية.

إذ تشير الجمعية العامة في قرارها المرقم ١٩٠٤ «د – ١٨» والمؤرخ في العشرين من شهر تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٦٣ م الذي أصدرت فيه إعلان الأمم المتحدة للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري، وتؤكد على: «أن أي مذهب يقوم على التفرقة العنصرية أو التفوق العنصري مذهب خاطئ علمياً، ومشجوب أدبياً وظالم وخطر اجتماعياً».

كما وأدانت الجمعية العامة في قرارها المرقم ٣١٥١ «د – ٢٨» والمؤرخ في ١٤ كانون الأول / ديسمبر عام ١٩٧٣ م جملة أمور منها: «التحالف الآثم بين العنصرية بأفريقيا الجنوبية والصهيونية»[١٢].

وأدانت أيضاً منظمة الوحدة الأفريقية في دورتها العادية الثانية عشرة المعقودة في «كمبالا» في الفترة من تموز / يوليو إلى آب / أغسطس من عام ١٩٧٥م،

والـذي جـاء فيهـا: «أن النظـام العنصـري الحـاكم فـي فلسطين المحتلة والنظامين العنصـريين الحـاكمين فـي زيمبابوي وأفريقيا الجنوبية ترجـع إلـى اصـل اسـتعماري مشترك، وتشكل كياناً كلياً، ولها هيكل عنصـري واحـد، وترتبط ارتباطاً عضـوياً فـي سياسـتها الراميـة إلـى إهـدار كرامة الإنسان وحرمته....».

وفي الإعلان السياسي لمؤتمر وزراء خارجيـة دول عدم الانحياز المنعقد في «ليما» في الفترة مـن ٢٥ إلـى ٣٠ آب / أغسطس من عام ١٩٧٥ أدان أيضاً الصـهيونية بأقصى شدة بوصـفها تهديـداً للسـلم والأمـن العـالميين، وطلـب إلـى جميـع البلـدان المشـاركة مقاومـة هـذه الأيديولوجية العنصرية البغيضة....[١٣].

ومما يجدر ذكـره أن الصـهاينة فـي الوقـت الـذي يمارسـون فيـه سياسـتهم العنصـرية فـانهم يفخـرون بالأسـبقية فـي هـذا الميـدان مـن أئمـة العنصـريين فـي العالم كهتلر وموسوليني وفيرفورد، ومـن قـبلهم: نيتشـه وفيختـة وكويسـتلر الـذي قـال عـن هجـرة اليهـود إلـى فلسطين: سيصبح كومنولث المهاجرين هذا رأس جسـر الديمقراطية الأوروبية!!.

كتـب «آحادهـا عـام» وهـو مـن مفكـري اليهـود الأوائل، ومن مؤسسي المدرسة الروحيـة اليهوديـة يقـول في هذا الصدد: أن اليهودية سبقت النيتشوية بعدة قرون بفكرة الرجل اليهودي المتفوق! الرجـل النقـي الصـديق الذي هو غاية فـي حـدّ ذاتـه... والـذي خُلـق العـالم مـن أجله!! [١٤]

وأعلـن حـاييم وايـزمن القائـد والمنظـر للحركـة الصـهيونية فـي خطابـه الـذي اشـتهر بـه فيمـا بعـد بـ «الاسـتراتيجية الصـهيونية» أنّـه فـي لقائـه مـع اللـورد «بلفور» وزير الخارجية البريطاني - الذي أعطى لليهـود وعداً عام ١٩١٧ م بإنشاء حكومة إسرائيل - قال له: لابد وأن يكون عدد سكان إسرائيل في البداية ٤ - ٥ ملايين نسمة لنتمكن بهذه القوة أن نشيد كياناً اقتصادياً مقتـدراً كمرحلة أولـى، ومـن ثـم نعمـل علـى زيـادة عـدد اليهـود باتبـاع سياسـة «خاصـة» ليتسـنى لنـا اجتيـاح الشـرق الأقصى بعد أن نحكـم سـيطرتنا علـى الشـرق الأوسـط! وأضـاف: لقـد اقنعـت اللـورد بلفـور بـأن الاسـتعمار هـو الصهيونية بنفسها[١٥].

إن الصهيونية البغيضة التي استطاعت أن تسـتدر عطف ومعونـة أوروبـا عـام ١٩٤٨ م فـي خصـوص إقامـة الكيان الغاصب، تحاول اليوم أن تحـتفظ بـذلك النجـاح نفسه، وتستفيد منه أقصى حد ممكن في إجراء سياستها المبنية على أسس توسعية قائمة علـى أركـان ذات صـفة

عنصرية مقيتة.

وهـذه السياسـة كثيـراً مـا سـببت لهـا المشـاكل الجمة، - ولغل أبرزها المشكلة الثقافية - التي نحن فـي صدد الحـديث عنهـا - فـي اتصـال بالحكومـات العربيـة والإسلاميّة، وحالت دون إيجاد الأرضـية المناسـبة التـي يمكـن أن يقـام عليهـا التطبيـع بينهـا وبـين العـرب المسلمين.

وقد أشار قادة العرب ومثقفوهم إلى هذه الحقيقـة أكثر من مرة، وحذروا من الأطماع التوسعية التـي جبـل عليها الكيان الصهيوني الغاصب وأنصـاره المتحمسـون. ولعل أول من أشار إلى هذه المسألة هو الرئيس المصري السابق جمال عبد الناصر حيـث قـال فـي خطابـه الـذي ألقاه بدمشق: رأيت في إحدى المجلات التابعـة لجـيش إسرائيل مقالاً بعنوان «نحو دمشق» جاء فيه: إذا أردنا أن نقضي على العرب فلابد لنا أولاً أن نحتل سورياً! والخطأ القاتل الذي وقع فيه الصليبيون هـو أنهـم عنـدما احتلـوا البلدان العربية لم يحتلوا سوريا بأكملهـا، ممـا أدى ذلـك إلى اتاحة الفرصة للعرب لأن يلملموا شتاتهم مرة أخـرى. يجب أن نزيل العرب من على وجه الكرة الأرضية ليحـل محلهم صهاينة العالم!! [١٦].

٢ - المشكلة الأساسية الثانيـة التـي يعـاني منهـا الكيان المحتل هي: افتقاره للحضارة، وعدم توفره علـى خلفية ثقافية يمكن أن يستند عليها في مباحثاتـه ضـمن مسـيرة التطبيـع والتواصـل مـع الشـعوب الأخـرى التـي تعيش في المنطقة على الخصوص.

حيث إن الكيان ككـل - حكومـة وشـعباً - لازال بأيدي القوى السياسية العالمية بمثابـة الأداة والآلـة فـي تنفيـذ المخططـات التـي تصـنع وتسـتخدم فـي المراكـز الغربية والأميركية ذات العلاقة بأصحاب القـرارات العليـا والصـادرة، لأجـل حمايـة مصـالح تلـك القـوى الحيويـة والإسـتراتيجية، وطالمـا اسـتعانت بـه أوروبـا مـن قبـل والولايات المتحدة اليـوم فـي حـل مشـكلاتها والعقبـات الحادثـة فـي طريـق سياسـتها الاسـتعمارية فـي منطقـة الشرق الأوسط الثري.

فالصهاينة بلا ثقافة ولا حضارة، ولذا فإن إسرائيل تحـاول بغبـاوة أن تقتـبس مـن أوروبـا وأميركـا والبلـدان العربيـة الإسـلاميّة المجـاورة لهـا التركيبـة الثقافيـة لمجتمعهـا، وتكتسـب التشـكيلة الحضـارية لـو ظاهريـاً لكيـانهم ثـم تـدعي الأصـالة فـي حالـة المنافسـة مـع الآخرين.

وبـذلك اسـتطاع منظـرو الكيـان الصـهيوني أن يكونوا له حكومة سياسية «تقتطع» اعترافات الـدول بهـا

اقتطاعاً، وكياناً ثقافياً يدعي المدنية والأصالة بلسان سليط، كل ذلك من خلال الإفادة من المقتبسات المتناثرة هنا وهناك من الثقافات الأخرى.

ومن الطبيعي أن مثل هذه «الثقافة» لا تقوى على القيام بعملية «اختراق» ثقافي أو تحد في هذا المجال لمجتمعات تمتلك حضارة عريقة وتتمتع بثقافة أصيلة ورفيعة، لأنها تفتقد بالمرة إلى المقومات التي من شأنها تثبيت العناصر الثقافية المؤثرة في الواقع الحضاري لكل مجتمع وتمنحه المسحة الحضارية في طول حياته.

٣ - وجود مجاميع يهودية متطرفة في هذا الكيان تضم رجال دين وسياسة وغيرهما، تشكل بمجموعها كأداة ضغط سياسية لتحركات الحكومة ونشاطاتها في صعيد التطبيع والتواصل الثقافي مع الشعوب والأمم الأخرى.

وبذلك أصبحت هذه المجاميع الحاقدة أحد المعرقلات التي تعترض حركة «الحكومة الإسرائيلية» في سبيل إقرار التطبيع مع العرب المسلمين وتكريس حالة التواصل من خلال إيجاد ثوابت مشتركة مع سائر الثقافات الأخرى.

٤ - اختلاف المعتقدات والقيم والآداب والتقاليد في المجتمع اليهودي الإسرائيلي تبعاً لتباين البلدان التي هاجر منها اليهود: من روسيا إلى إثيوبيا، ومن يوغسلافيا إلى تايلند، حالت دون ظهور ثقافة واحدة وتقاليد منسجمة داخل المجتمع الصهيوني.

فالمواطنون «الإسرائيليون» ينحدرون من قوميات مختلفة، وهو ما يستتبع وجود مذاقات وأشربة متعددة بينها تمام الاختلاف.

كتب «اوجين بتلر» أستاذ علم الأجناس في جامعة جنيف يقول: إن جميع اليهود بعيدون عن الانتماء إلى الجنس اليهودي. ويضيف بعد ذلك أن اليهود يؤلفون جماعة دينية اجتماعية من غير شك، لكن العناصر التي تتألف منها متنوعة تنوعاً عظيماً، إذ أن المهم الذي لابد أن نعلمه إن اليهود في ألمانيا والبلاد السلافية هم طوائف من الألمان والسلاف اعتنقوا الدين اليهودي منذ القرن الثالث قبل الميلاد على يد أولئك المبشرين.... فاليهود عبارة عن طائفة دينية اجتماعية انضم إليهم في جميع العصور أشخاص من أجناس شتى، وهؤلاء المتهورون جاؤوا من جميع الآفاق، فمنهم الفلاشا سكان الحبشة، ومنهم الألمان ذوو السحنة الجرمانية، ومنهم التأمل اليهود السود من الهند، ومنهم الخزر، والمفروض أنهم من الجنس

التركي... ثم يستخلص فيقول: إن اليهود هم أعضاء في شعوب كثيرة، ولهم أوطان عديدة وإن اختلفوا في الدين عن سائر السكان فيها، فمن الافتراء أن يقال: أن اليهود شعب لا وطن له[١٧].

فهذا الاختلاف يشكل عقبة صعبة أمام سياسة الحكومة من جهتين:

الأولى: من جهة سياستها الرامية إلى تكوين كيان يتمتع بمحورية قوية حول المعتقد الديني الواحد وذي مشرب واحد على الأمد القريب.

والثانية: من جهة سياستها القائمة على تصدير «الثقافة» الصهيونية إلى الآخرين، طبق مخطط يبتني أساسه على إقرار التطبيع كمرحلة تالية لما بعد «السلام» في المنطقة.

٥ - ما ارتكبه الكيان الصهيوني الغاصب بحق الشعب الفلسطيني المسلم من مجازر وحشية وسياسة قائمة على القهر والتجاوز وانتهاك الحرمات، بدرجة من القسوة والبشاعة بحيث لا يمكن أن تغيب عن ذاكرة المسلمين عموماً والعرب خصوصاً أبداً.

والأهم من ذلك انتهاك الكيان وأتباعه للمقدسات الإسلاميّة والرموز الدينية للمسلمين من قبيل: إحراق المسجد الأقصى، وإطلاق النار على المصلين، وإهانة القرآن الكريم واعتقال علماء الإسلام... وغيرها، كل ذلك حال دون قبول «الثقافة» الصهيونية عند المسلمين، أو التأقلم معها بأي شكل من الأشكال.

٦ - انتشار الفلسطينيين المسلمين المشردين والمتضررين جراء اغتصاب الكيان المحتل أراضيهم ومنازلهم في مختلف بلدان العالم، خاصة إذا علمنا أن كل واحد من هؤلاء يحمل معه مظلوميته التي هي امتداد لمظلومية فلسطين العربية المسلمة، التي شاهدها بنفسه واكتوى بنارها وهذا ما يجعل سجل الجرائم التي قام بتنفيذها الكيان الصهيوني مفتوحاً أمام أنظار العالم الحر، وبالتالي فإن من الصعب أن يبرئ هذا الكيان ساحته أمام الرأي العام العالمي عموماً والإسلامي العربي خصوصاً.

ومنه تبرز مشكلة إقناع هذه الأجيال والشعوب المسلمة على القبول باقتراحات هذا الكيان الغاصب الرامية باتجاه التطبيع أو التعايش السلمي معها.

## عناصر القوة في المجتمع الإسلامي

ومن العقبات الأخرى التي تحول دون إمكان حدوث التطبيع والتواصل السلمي عبر الاختراق الثقافي

الصهيوني للأمة الإسلاميّة هو وجود عناصر قوة في المجتمع المسلم، التي هي بمثابة سدّ هائل أمام العدو الغاصب، ومساعيه الرامية إلى تحطيم الثقافة الإسلاميّة واستبدالها بثقافة تسمح بإحلال «السلام» في المنطقة، وإقرار أسس التعايش المبنية على الاعتراف بالكيان الصهيوني كدولة سياسية ذات شأن كبير.

وهذه العناصر لو تم ترشيدها بالشكل الصحيح فانه يمكن الإفادة منها كعناصر مقاومة لها القدرة الخارقة على سد الثغرات التي يحاول العدو اختراقنا من خلالها.

ولعل من أهم هذه العناصر:

١ - وجود المقاومة الإسلاميّة في أرض الواقع، وهي حقيقة تدعو إلى التفاؤل بمستقبل مشرق للأمة الإسلاميّة جمعاء، فالمقاومة الإسلاميّة هي مصدر قوة واقتدار للمسلمين جميعاً وخاصة للعرب منهم، سواء على الصعيد السياسي أو الثقافي أو العسكري.

فعندما يدرك أفراد المجتمع الإسلامي بأن أبناءه مازالوا هناك صامدين ويشغلون مواقع قتالية متقدمة أمام العدو بكل تجهيزاته، ويسددون الضربات الموجعة بـ «جسم» العدو الغادر، فإن المجتمع ككل سوف لا يجد فكاكاً من الالتزام بقيمه الإسلاميّة، والتمسك بهويته وثقافته الإسلاميّة اكثر فأكثر.

ولعل استمرار المقاومة الإسلاميّة الشعبية في فلسطين، وديمومة ثورة الحجارة، والمقاومة البطولية بكل أشكالها خير شاهد على ما نذهب إليه مما يدلل على عظمة هذا المجتمع المسلم الذي يضم من عناصر القوة مالا يضم غيره منها.

إن للحركات الإسلاميّة الثورية كحركة حزب الله وحركة حماس والجهاد الإسلامي دوراً كبيراً وبارزاً في هدم الأسس الفكرية التي اعتمدها العدو الصهيوني في المواجهة، وإحباط مخططاته الرامية إلى اختراق العالم الإسلامي بمعونة القوى الكبرى.

٢ - وجود دين واحد يحكم المجتمع وهو دين الإسلام مصدر القوة الأساسية الفاعلة التي بإمكانها أن تعبئ مليار مسلم في الجبهة الإسلاميّة للوقوف صفاً واحداً مقابل إسرائيل.

إن وجود مثل هذا القاسم المشترك الثقافي الكبير يعد بلا شك ذخيرة يمكن أن توفر الأرضية المناسبة لتشكيل اضخم تجمع ثقافي، وأكبر وحدة فكرية على وجه الكرة الأرضية، ومن ثم توجه الطاقات الهائلة والقدرات العظيمة باتجاه كسب المعركة لصالحه.

وخاصة لو كانت الجهة المقابلة للمسلمين هم

اليهود الذين ما فتأ القرآن الكريم يذمهم ويحذر بشدة من إقامة أية علاقات معهم، ويصفهم بأهل غدر ومكر واحتيال في ايات مباركة عديدة تكفي لتزريق المجتمع الإسلامي بالمناعة اللازمة أمام محاولات التغلغل والأخلاق التي تقوم بها «الميكروبات» الصهيونية، وتمد النفوس بروح المقاومة والتصدي والعداء تجاه المحتلين.

٣ - العداء المتصاعد للكيان الصهيوني هو من صميم الثقافة العامة في البلدان العربية والإسلاميّة، ويتزايد هذا العداء بصورة مستمرة نظراً للأعلام الموسع والمناهض للصهيونية الذي أفرز أرضية خصبة تعزز من الكراهية والحقد إزاء هذا الكيان الغاصب عند الأجيال المتعاقبة.

أضف إلى ذلك بشاعة الجرائم ووحشيتها التي يمارسها الصهاينة وعملاؤهم المرتزقة ضد العناصر الوطنية والرموز الدينية، مما ساعد على زيادة الكراهية الممزوجة بالحقد الشديد في قلوب جميع المسلمين والأحرار في العالم.

وقد تغلغل هذا الحقد والكراهية في قلوب أفراد المجتمع العربي الإسلامي خاصة، بشكل أصبح من المستحيل استئصاله أو تخفيف حدته وشدته. وهو بذلك يمكن أن يشكل إحدى مصادر القوة «الكامنة» المقاومة للثقافة الإسلاميّة في مواجهتها للغزو الثقافي المقيت.

٤ - وجود المقاومة الوطنية والقومية المناهضة للكيان الصهيوني في البلدان العربية. وقد جاء هذا الوجود كرد فعل طبيعي إزاء ظهور الصهيونية في هذه البقعة من العالم العربي، وما أفرزه هذا الظهور من مآس وأورام في جسم الأمة، إضافة إلى ما أورثها من أحزان مستمرة زادت من تورمها.

ولذا بدأت القومية العربية مشوارها النضالي ضد الصهاينة دفاعاً عن أراضيها وحقوق الشعب العربي المهدورة والمغصوبة من خلال تأسيس منظمات وأحزاب متعددة تحمل الطابع النضالي ضد الصهيونية العالمية.

ولعل أول تنظيم قومي بدأ نشاطه المعادي للصهيونية يعود تاريخه إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر للميلاد. ففي سنة ١٩١٩ م تم تشكيل مؤتمر في دمشق بهدف التصدي لمشروع بلفور السيء الصيت بإقامة دولة إسرائيل.

ثم استمرت سلسلة المؤتمرات داخل فلسطين بالانعقاد بدءاً من المؤتمر العربي سنة ١٩١٩ م الذي انعقد في القدس، ومروراً بمؤتمر «ضرورة الكفاح المسلح» بنابلس سنة ١٩٣١ م، إلى مؤتمر الشباب

العربي الفلسطيني في يافا سنة ١٩٣٢ م، وحتى مؤتمر الثورة الفلسطينية الكبرى في عام ١٩٣٦ م[١٨].

## دور رجال الفكر والثقافة في المواجهة

لعب الكتاب والفنانون والصحفيون ورجال الفكر والثقافة والأدب من العرب والمسلمين دوراً متميزاً في هذا الصعيد. إذ بعد أن يئس العدو الصهيوني - بعد استخدامه كل أساليبه وحيله الماكرة - من علماء المسلمين لجرهم إلى طرفه، وابتدأ بالتعامل معهم وفق سياسة البطش والتبعيد، وجه اهتماماته نحو الطبقة المثقفة من أبناء الأمة العربية الإسلاميّة، وتوجيههم بالاتجاه الذي يرغب فيه. ظناً منه أن الدور وصل إليهم وأنه يرى فيهم ما يحب من الترويج لبضاعته المزجاة في كتاباتهم ونصوصهم الشعرية وأعمالهم الفنية في سوق المسلمين، ويهرجون لعملية «السلام» التي يدعو إليها إضافة إلى أبواق دعاياته في المنطقة.

ولكن الكتاب والمثقفين لم يرتبطوا بعجلة العدو البغيضة، وظلوا متمسكين بأصالتهم وهويتهم الحقيقية، وأوفياء للقيم التي تربوا عليها وترعرعوا فيها.

ذلك لأن قبول الاحتلال والترويج له إنّما هو امتهان للعدالة والإنسانية، وهذا ما لا يرتضيه أي كاتب ومفكر يكافح من أجل هذين المبدأين الأساسيين.

ويمكن أن نعرض بعض الأمثلة والشواهد التي تدلل على تمسك المثقفين والكتاب والصحفيين من أبناء الأمة العربية الإسلاميّة بأصالتهم ومبادئهم التي استقوا منها:

١ - على الرغم من مرور أكثر من عشرين عاماً على إقامة مصر علاقات رسمية مع الكيان الصهيوني الغاصب وحرية السفر بين البلدين مفتوحة أمام المصريين وأفراد الكيان، إلاّ أن كلاً من نقابة الحقوقيين ونقابة الأطباء ونقابة الصحفيين ونقابة الفنانيين حرمت على أعضائها السفر إلى ذلك الكيان، وأبدت هذه النقابات حساسية شديدة إزاء أي انتهاك للقوانين والمقررات التي أصدرتها في هذا الخصوص من قبل أعضائها.

٢ - تشكيل اللجنة الدائمة لمناهضة الغزو الثقافي الصهيوني في لبنان، وانضمام العشرات من الكتاب والأدباء بما فيهم أعضاء رسميون في الحكومة. وكان من أعمال هذه اللجنة الدائمة إبداء ردود فعل شديدة إزاء أي تظاهرة ثقافية يقوم بها أيّ كان تدعو للتطبيع مع العدو الغاصب.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه اللجنة قد أقامت ندوة

موسعة تحت شعار «مناهضة الغزو الثقافي الإسرائيلي» بتاريخ ١١ / ١ / ١٩٩٤ م في مقر مركز نقابة الصحفيين في لبنان وبحضور عشرات الكتاب العرب البارزين ونواب المجلس ووزير الثقافة اللبناني[١٩].

٣ - بعد معاهدات التطبيع بين الكيان الصهيوني والأردن تم تأسيس الأمانة العامة للتصدي وأهم وظائفها المعلنة: [٢٠].

أ - إصدار مجلة ثقافية - سياسية كل شهرين تهدف إلى التنبية إلى خطر الكيان المحتل وفضح ما يقوم به من أعمال في مضمار الغزو الثقافي في البلاد العربية والإسلاميّة.

ب - إقامة الندوات والمؤتمرات وبشعارات تفرضها المرحلة الراهنة.

جـ - توعية الجماهير وبث الثقافة الثورية المناوئة للكيان الصهيوني الغاصب.

د - إصدار البيانات اللازمة لكشف المخططات التي يقوم بها كل من تسول له نفسه بالتعاون مع هذا الكيان المقيت وأذنابه امام الرأي العام العربي والعالمي.

هـ - تأسيس لجان فرعية في المجالات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية بهدف التصدي لكل حدث يدعو إلى التساوم، واستقطاب الجماهير نحو المشاريع التي ترمي إلى مناهضة العدو وعملائه في المنطقة.

٤ - تشكيل اللجنة الدائمة لمقاومة التطبيع الثقافي التابعة للاتحاد العام للكتاب والأدباء العرب التي تحتفظ بموقفها المعادي لكل المحاولات الثقافية الرامية إلى تطبيع العلاقات مع العدو الصهيوني المشؤوم؟

وآخر إنجاز كان لهذه اللجنة ما أصدرته من بيان ينتقد الشاعرة الأردنية زليخا أبو ريشة لحورها مؤتمر «المرأة في الشرق الأوسط» الذي ترأسه وزير الثقافة والاتصالات الإسرائيلي شولاميت آلومي الصهيوني المقيت.

٥ - بعد اتفاق غزة - أريحا وقع العديد من الكتاب والأدباء المصريين على وثيقة تضمنت الإشارة إلى الجهود الحثيثة التي يبذلها الكيان الصهيوني للتقرب من الكتاب والمثقفين المصريين، وأكد الموقعون شجبهم واستنكارهم لأي لون من ألوان التعاون المتبادل مع الصهاينة، معتبرين ذلك خيانة بحق المجتمع الثقافي المصري.

كما وأشارت الوثيقة أيضاً إلى أن الأموال الإسرائيلية التي رصدت لهذا الغرض لا يمكنها أن تضعضع مواقف الكتاب المصريين أو تثنيهم عن

عزائمهم[٢١].

٦ - في المؤتمر الذي إقامة مركز إعلام الوطن العربي بمصر في شهر كانون الثاني / يناير من عام ١٩٩٤ م أعلن الدكتورانينة رشيد رئيس لجنة الدفاع عن الثقافة القومية المصرية رفض أي لون من الغزل الثقافي للكيان الصهيوني، وفيه أيضاً حذر الدكتور رضوي عاشور المجتمع العربي من بعض الأوساط التي تنشط في مجال التطبيع الثقافي مع الكيان الصهيوني في الخفاء.

## سبل تعزيز المقاومة إزاء الغزو الثقافي الصهيوني

بعد أن تعرفنا على أبعاد الخطة الصهيونية في الغزو الثقافي، وعناصر القوة والضعف لدى الكيان الصهيوني يتحتم علينا دراسة سبل تعزيز المقاومة ضد المخططات الرامية في هذا الصعيد.

حيث أن المسلمين وهم يعيشون في ظل الظروف الحساسة الحالية فانه يتحتم عليهم البحث عن الحلول الأنجع للمشاكل المحيطة حولهم ويقفوا منها الموقف المناسب والمطلوب، خاصة وانهم يواجهون أشرس واعتي واخبث عدو عرفته الأمة الإسلاميّة عبر مسيرة حياتها الطويلة.

**ومن أهم سبل تعزيز المقاومة.**

١ - التمسك والاستعانة بالأصول الدينية والعقائدية الإسلاميّة الأصيلة، والعمل على إبقائها حية وفاعلة في نفوس أوساط الناس، من خلال استشعارهم بوجودها بينهم وفي حياتهم اليومية ذلك لأن العدو الصهيوني في غزوه الثقافي ينطلق من منظلقات عقيدته ودينه، لذا فانه ينبغي في المقابل التمسك من جهتنا بديننا وعقيدتنا الأصيلة والعودة إلى الإسلام والأفكار الإسلاميّة وأسلمة الصراع مع الصهيونية البغيضة بدل أن يكون قومياً عربياً ضيقاً هو - في الحقيقة - مصدر قوة واقتدرا أكبر عند المواجهة الحضارية معه.

إذا أن الكفاح والتصدي ضد الغزو الثقافي إن كان ذا طابع إسلامي فإن عالماً يبلغ مليار نسمة بكامله سيكون معنياً في مقاومة الكيان المحتل، وأن كل حركة تحاول نقل ساحة المواجهة من إسلامية إلى عربية محدودة ضد العدو هي في الحقيقة تسدي خدمة كبيرة للمصالح والأهداف الإسرائيلية المقيتة.

٢ - الإفادة من وسائل الأعلام المختلفة من قبيل الصحف والمجلات والأفلام السينمائية والمسرحيات والكتاب والقصة والإذاعة والتلفزيون و... و... في ضخ الفكر المناهض للصهيونية باستمرار خاصة

للأجيال القادمة، والتأكيد على المحاور التالية:

أ – الثقافة الإسلاميّة الأصيلة والحضارة الراقية التي كانت الأمة الإسلاميّة تمتلكها والتي كان لها الدور البارز في بناء الحضارة الغربية المعاصرة.

ب – التذكير بولادة الكيان الصهيوني الغاصب واللقيط، وعرض جرائمه الوحشية التي ارتكبها ويرتكبها، وكل تجاوزاته وانتهاكاته لحقوق الإنسان التي أقرتها الأمم المتحدة على الرأي العام الدولي والمحلي.

ج – نشر أخبار عمليات المقاومة والصمود الذي يبديه رجال المقاومة من أبناء الأمة العربية الإسلاميّة لغرض اطلاع الرأي العام العالمي على وجودها واستمرارها لتبقى القضية حية دائماً في ضمير الإنسانية.

د – عرض فصول تاريخ المعاناة والآلام التي تحملها الشعب الفلسطيني وكذا اللبناني جراء سياسة العدو القائمة على أسس إرهابية من مفرداتها: القتل الجماعي والتشريد بالجملة وذبح الأيامى والأطفال الرضع.

هـ – تخليد ذكرى الشهداء وقادة الصراع ورموز المقاومة والقوى المجاهدة لتظل حية ونامية مع كل الأجيال.

و – فضح وتشهير الخونة الذين خانوا القضية الفلسطينية والجهاد الطويل الذي خاضه ويخوضه الشعب الفلسطيني المسلم.

ز – الكشف عن حقيقة الكيان اللقيط القائم على مرتكزات فكرية عنصرية ممقوتة ومستهجنة دولياً، وغياب الهوية الثقافية لديه.

٣ – العمل على منع انتشار الثقافة الأوروبية والأميركية في البلدان العربية والإسلاميّة، إذ أن وجود هذه الثقافات في المجتمعات العربية والإسلاميّة يجعل العدو الصهيوني أقدر على اختراقها وتعزيز وجوده فيها.

وما تجدر الإشارة إليه أن عملية المنع لا تشمل محطات الإذاعة والتلفزة والصحف المتداولة فحسب، بل تشمل كل ما له صلة وعلاقة بصورة مباشرة أو غير مباشرة بالتربية والتعليم والآداب والأخلاق العامة أي بدءاً بالمناهج الدراسية في المدارس والجامعات، ومروراً بالنصوص العلمية والأدبية، وانتهاء بالمظاهر السلوكية الفردية والجماعية للشباب واليافعين.

٤ – تعزيز الحساسية الثقافية والإعلامية وإبداء ردود الفعل الشديدة والمناسبة إزاء عملية التطبيع بأي شكل كانت في أوساط المثقفين والمفكرين والصحفيين المسلمين. إذ أنّه لو توفر الغطاء الإعلامي المضاد للصهيونية فلن يتمكن هذا الكيان من بسط نفوذه داخل

المجتمع المسلم، واحتوائه العناصر والقوى وكسبها إلى جانبه.

٥ - استمرار النشاط الديني لعلماء الإسلام وطلبة العلوم الدينية الإسلاميّة من مختلف المذاهب، وتأكيد الفتاوى الشرعية التي تحرم أي لون من التعامل أو التنسيق مع الاعداء وعملائه، وبث الوعي الديني بين الناس من خلال فضح حقيقة الصهاينة وعدائهم الدائم والقديم للدين الإسلامي الحنيف.

٦ - بذل الجهد على رفع المستوى العلمي للمجتمع العربي والإسلامي، وإنقاذه من الجهل والأمية اللذين يولدان المناخ المناسب لـ «الاصطياد» الذي ربما يقوم به العدو الغادر.

٧ - صيانة التراث الثقافي الإسلامي في المناطق العربية، وذلك لأن التراث الثقافي يعبر عن تاريخ وحضارة الشعوب، فمن هنا برزت أهميته عند الدول. وتكتسب هذه المسألة طابعاً أكثر جدية إذا لاحظنا أن العدو يفتقد أساساً إلى أي تاريخ يذكر، أو حضارة تعد من ضمن الحضارات الإنسانية، وأما المسلمون فهم صانعو تاريخ آسيا والشرق الأوسط وجزءاً من أوربا، وحتى القارة الأميركية نفسها.

فطبقاً للدراسات التي قام بها كل من: د. ايفان فإن سرتيما، د. ت. ب. ايرفينغ، د. أديب رشاد ثبت أن المسلمين السود قد جاؤوا إلى الأميركيتين قبل مجيء كريستوفر كولومبس مكتشف أميركا بحوالي ١٨٠ عاماً وقد قام المسلمون الأفارقة المستكشفون والتجار بجولات استكشافية تحت رعاية الإمبراطور منسي أبو بكري محمد في أجزاء كثيرة من الأميركيتين، وتشمل المنطقة التي تعرف الآن: الولايات المتحدة. ويؤكد د. رشاد: أن المسلمين الأفارقة تبادلوا التجارة، وأقاموا علاقات اجتماعية وتزاوجوا من أهل البلاد الأميركية، وقاموا بهدايتهم إلى الإسلام ويقدر عدد المسلمين الآن في الولايات المتحدة بستة ملايين مسلم، ويشكل الأميركيون الأفارقة أكبر مجموعة إسلامية في أميركا[٢٢].

٨ - إحداث مراكز تحقيقية وعلمية أكاديمية تعنى بالشؤون السياسية والثقافية والاستراتيجية بهدف إجراء دراسات ومطالعات حول العدو في المجالات السياسية والتاريخية والجغرافية والثقافية والاجتماعية و... و... مدعمة بالأرقام والإحصائيات الدقيقة، وتزويد الأوساط الفكرية والثقافية والعلمية والإسلاميّة وذات العلاقة بالقرارات السياسية بها لغرض إفادتها بالمعلومات الصالحة في هذا الصعيد.

٩ - تصعيد روح المقاومة والرغبة في النضال الشعبي المرير ضد كل التحركات المشبوهة، التي تدور في فلك العمليات الاختراقية الثقافية والاجتماعية والعلمية والتربوية، من خلال تكريس روح الرفض الشعبي العام لكل ما يعرضه العدو الصهيوني وعملاؤه المرتزقة من عروض مغرية أحياناً في هذا الاتجاه، من قبيل ما قامت به القوات العميلة «قوات لحد» بافتتاح مدارس ابتدائية في القرى الواقعة على الشريط الحدودي المحتل في جنوب لبنان، وكانت النتيجة أن أحداً لم يدخلها، فاضطر العدو على اثر ذلك إلى إغلاقها بعد مرور شهرين فقط من بداية العام الدراسي ٩٣ - ١٩٩٤ م.

ولا يخفى أن هذا لم يحدث لو لم يتم التنسيق والتعاون بين العلماء والقوى المحلية في تلك القرى الصامدة.

١٠ - دعم وتقوية الاتحادات والنقابات الثقافية والفنية والصحفية المنتشرة في مختلف ارجاء العالم الإسلامي للتصدي إلى الغزو الثقافي بجميع أبعاده.

١١ - تصعيد التعاون المتبادل بين وسائل الأعلام العربية والإسلاميّة ووكالات أنباء الدول المسلمة لتغطية أخبار المقاومة الإسلاميّة في خطوط المواجهة، وكشف زيف العدو الصهيوني وتعريته من كل ما تحيط به من هالة القدسية والديمقراطية الزائفتين عبر هذه الوسائل والوكالات مباشرة.

١٢ - والأهم من ذلك كله: تعزيز الوحدة العربية والإسلاميّة، التي هي إحدى أهم الضرورات في هذه المرحلة. وما يزيد من أهميتها أن هناك خطة عمل مقابلة للعدو الصهيوني تهدف إلى تصعيد الخلافات والمزيد من التعقيدات في علاقات المسلمين - دولاً وأفراداً - بعضهم بعضاً، وما يبذله من جهد ومال في سبيل إبعاد المواقف المشتركة عن واقعهم السياسي والفكري والاجتماعي والأمني لأجل ضمان المناخ المناسب له لتمرير مخططاته عبره.

فالوحدة بين العرب والمسلمين مدرجة في قائمة الممنوعات السياسية الغربية - الصهيونية منذ امد بعيد، والتقارب بين البلدان العربية والإسلاميّة يمثل خطاً أحمر في السياسة الدولية الأميركية القائمة على معادلات خاصة تؤكد دائماً إسقاط مصالح العرب والمسلمين لحساب مصالح الولايات المتحدة وربيبتها إسرائيل. الأمر الذي يجعل «الوحدة» بين الجماهير الإسلاميّة في مختلف بقاع الأرض وخصوصاً في منطقة الشرق الأوسط عنواناً واسعاً وخطراً في ساحة الصراع مع العدو

على كافة الأصعدة.

ولعل من ابرز عوامل الوحدة بين المسلمين:

أ - إقامة صلاة الجمعة والجماعة وصلاة العيد التي تقام في كل بقعة من بقاع الأرض التي يسكنها المسلمون أو يتواجدون فيها، وإن كان الوسط الجماهيري مسيحي التدين أو يهودي أو غيرهما.

إذ أن اصطفاف المسلمين على كافة مشاربهم وثقافاتهم ومستوياتهم العلمية والاجتماعية يخلق حالة خاصة يمكن أن تقارب من وجهات النظر من خلال تبادل الأحاديث والأخبار الحادثة الراهنة، وهم في وسط طقوسي عبادي روحي يقرب إلى الله زلفى، فيعين على التآلف والتوادد، ويزيل البغضاء إلى أقصى حد ممكن.

ولعل هذا هو الهدف الذي من أجله حث الشارع المقدس على الالتزام بصلاة الجماعة في المساجد، وحض المسلمين على المداومة عليها دون انقطاع في روايات وأخبار كثيرة.

ب - إقامة المؤتمرات المخصصة للبحث والدراسة في المسائل ذات

العلاقة بهذا الاتجاه، لما تلعبه هذه المؤتمرات من دور حيوي على اكثر من صعيد:

* برمجة أسلوب العمل وحيثيات تنظيمه.

* توجيه اهتمام الأمة واستقطابه باتجاه الأزمات الراهنة التي تحيط بها.

* إيجاد التفاعل الحركي وبلورته على أرض الواقع.

* تحديد الأزمات المستجدة، وتشخيص خطوطها العامة لغرض التعرف على عمقها ومقدار خطورتها.

* توجيه الخطاب السياسي والفكري والاجتماعي والثقافي والعلمي وحتى الأمني من خلاله بحيث يمكن إطلاق مفرداته في سبيل «تحريك» العناوين المشتركة بين العرب والمسلمين.

* فتح الحوار السياسي الحيوي الواسع بين الأطراف العربية الإسلاميّة لغرض صبها في خط الصراع الحقيقي والمواجهات المصيرية.

* توجيه كافة الاستعدادات والإمكانيات والقدرات لمواجهة العدو الصهيوني وعملائه في حرب متعددة الأغراض والأهداف.

* دفق القضية بالحيوية والروح النابضة بالحياة لتعيشها الأمة بكل جوارحها وتدرجها ضمن همومها.

فإقامة المؤتمرات الدورية المستمرة، ودعوة الثلة المؤمنة والغيورة من كافة الشرائح الثقافية والفكرية والعلمية المختلفة، إنّما هو تشكيل حيوي يقوم بلا شك

بدوره الفعال ضمن عمليات المواجهة والتصدي لكل المؤامرات التي تحيكها المراكز الغربية الأميركية والدوائر الصهيونية العالمية التابعة لها في دهاليز وكالاتهم الاستخباراتية السيئة الصيت لاحتواء الأمة الإسلاميّة، وامتصاص خيراتها وثرواتها التي من الله تعالى بها عليها.

## الهوامش:

[١] ضمن خطاب لوزير الثقافة اللبناني في مؤتمر «الغزو الصهيوني» الذي انعقد في لبنان بتاريخ ١ / ١ / ١٩٩٤م.

[٢] صحيفة «الشرق» القطرية الصادرة في ٢٩ / ٤ / ١٩٩٤م.

[٣] نشرته صحيفة «الحياة» اللبنانية بتاريخ ٢٠ / ٤ / ١٩٩٦.

[٤] صحيفة «النهار» الصادرة في تاريخ ١ / ١٠ / ١٩٩٤م.

[٥] نشرته صحيفة «نداء الوطن» بتاريخ ٤ / ١٠ / ١٩٩٤.

[٦] مجلة «المجتمع» الكويتية العدد ٩٩ الصادرة بتاريخ ١٠ / ٥ / ١٩٩٤م.

[٧] مجلة «المجتمع» الكويتية التي تقدم ذكرها.

[٨] صحيفة «الحياة» اللبنانية الصادرة بتاريخ ١١ / ٦ / ١٩٩٤م.

[٩] نشرته صحيفة «نداء الوطن» الصادرة في تاريخ ٤ / ١٠ / ١٩٩٤ ضمن سلسلة تقارير «هدى الحجرجاوي» من القاهرة.

[١٠] سفر التكوين: الإصحاح السابع عشر، رقم ٨ و٩.

[١١] «العنصرية الصهيونية وكيفية مواجهتها» خليل حسونة: ٦٥ ط ليبيا.

[١٢] المرجع السابق: ٧١ – ٧٢.

[١٣] المرجع المتقدم: ٧٣ – ٧٤.

[١٤] نقلاً عن «العنصرية الصهيونية»: ٥٢.

[١٥] نقلاً عن «الصراع العربي – الإسرائيلي» إصدارات المؤتمر الدائم لمناهضة الصهيونية: ٢.

[١٦] ضمن الخطاب الذي ألقاه في دمشق بتاريخ ١٤ / ٣ / ١٩٥٩م.

[١٧] نقلاً عن «القضية الفلسطينية» لعز الدين الحافظ وآخرين: ٣١ ط. الخرطوم ١٩٦٨م.

[١٨] «الصراع العربي – الصهيوني» من إصدارات المؤتمر الدائم لمناهضة الصهيونية: ٦ وما بعدها.

[١٩] الخبر نشرته صحيفة «الأهرام» القاهرية الصادرة بتاريخ ٧ / ١٠ / ١٩٩٤م.

[٢٠] ورد نص البيان في الكتاب الأول للمؤتمر الدائم لمناهضة الغزو الثقافي.

[٢١] ضمن سلسلة تقارير «هدى الحجرجاوي» التي تنشرها صحيفة «نداء الوطن».

[٢٢] من مقال نشرته مجلة «العالم» العدد ٦٦٠ بتاريخ ٢٧ / ٢ / ١٩٩٩م.

# الغَزْوُ الثَّقَافِيُّ وَمُقَاوَمَتُهُ

❖ أ. شـــوقي شـاليباف (*)

(*) باحث إسـلامي ـ الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

**مقدمة:**

مع انتهاء عصر الإستعمار أصبح الغرب يبحث عن وسيلة أخرى تحمل شعاراً «صالحاً» لجميع الأغراض في زحمة حركات التحرّر وفوضى النقاشات الأكاديمية من جهة، وتسوّغ له توجيه الضربات إلى الأمم والشعوب النامية من جهة أخرى، وتضمن له النتائج المرجوّة من دون أن تقارع على أنّها «صيغة إستعمارية جديدة ومبتذلة» من جهة ثالثة.

لقد جرّب الغرب الاحتلال العسكري وذاق مرارة ويلاته وتبعاته، وأدرك حجم أضراره، ثم عدل إلى تجربة الإستعمار الإقتصادي ونصب «نماذج» تابعة له في حكومات الدول النامية، فشهد حجم الخسارات التي تلقّاها من جهة هذه النماذج، وأخرى من عوامل الصحوة والنهضة التي سارعت الشعوب إليها، ولمّا عجز عن استيعاب الأحداث ومحاصرة حركة الصحوة، بات من الضروري إيجاد وسيلة ناجعة جديدة تؤمّن متطلبات الصيغة الإستعمارية في ظلّ الوضع الراهن.

لقد أقرّ المنظّرون الأكثر حذلقة بأنّ الوضع الجديد بات يشكّل أكثر خطورة على المصالح الغربية في الشرق الأوسط، لذا فمن الضروري المبادرة إلى «غزو» جديد من شأنه أن يسعى إلى تحطيم مرتكزات الصحوة الجديدة، ويدكّ عواملها دكّاً، مع إيجاد بدائل من «العوامل ﷺ الجديدة وإن لم تكن حقيقية، من شأنها سلب المحتوى الأصيل واستبداله بمحتوىً ثانٍ هجين ومزيّف.

وليس هو إلاّ الغزو الثقافي باستخدام أحدث وأرقى التقنيات التكنولوجية المعاصرة، وبادارة كادر مدرّب على فنون الغزو واقتحام البيوت الآمنة!

ما الذي ينطوي عليه هذا الغزو الجديد؟

وهل ثمة خطورة تُذكر على مستقبل الأمة

وأجيالها المتعاقبة؟

**بدايات هذا الغزو:**

لمّا أوشكت الحرب الباردة على نهايتها بانهيار المعسكر الإشتراكي أواخر ثمانينيات القرن الماضي، سارع الغرب إلى إعلان «نهاية التاريخ» فمن الآن وصاعداً لن تعود هناك أيّة نزاعات دولية، ولن تكون ثمة حروب عالمية، ففي ظلّ النظام العالمي الجديد بقيادة الغرب ستُقدم البلدان على التعاون سلمياً بوصفها أطراف مشاركة في سوق عالمية واحدة، تسعى إلى تحقيق مصالحها مع تقاسم الالتزامات بالقيم الإنسانية الأساسية، من احترام حقوق الإنسان وإشاعة الديمقراطية، وتساهم في رعاية القيم والقوانين الدولية المشتركة، وترسيخها في جميع الميادين.

إلاّ أنّه مع انتهاء القرن الماضي اصطدم العالم برمّته بخبر ظهور لون جديد من الحرب، لاتستخدم فيها الأسلحة التقليدية، وإنّما تستخدم أسلحة جديدة وبتقنيات حديثة، في غزو جديد سمّي بالغزو الثقافي!

ومع حلول القرن الحادي والعشرين أصبحت «العولمة» شعاراً صالحاً للغزاة لجميع الأغراض في زحمة الجدل القائم بين الأكاديميين وأصحاب القرارات السياسية من جهة،

ورجال الأعمال ومنظّري الاقتصاديات من جهة أخرى، وامتدّ إلى حدود أوسع ليشمل الجدل بين الشعوب وحكّامها، الدول وجيرانها، الغرب والشرق، الشمال والجنوب، الدول الكبرى والدول الصغرى، البلدان الصناعية والنامية... وانقلبت «العولمة» و «العلمنة» بمعونة التقنية الحديثة إلى طوفان اجتاح بلاد الإسلام، استطاع من خلاله الأعداء تمرير مؤامراتهم واحتلالهم لبقاع من هذه البلاد ولو عسكرياً بعدما كانت إلى وقت قريب تحتفل بمناسبة استقلالها السنوية!

**السؤال المطروح هنا:** ما الذي ينطوي عليه هذا الطوفان الهائل الذي اجتاح بلداننا الإسلامية؟

بعد انتهاء الحرب الباردة بين المعسكرين العملاقين شهدت البنية التحتية للاتصالات والمواصلات تطوراً تقنياً مثيراً، وتحسّناً نوعياً على مستوىً عالمي، ساهما بشكل مفرط في تهيئة المناخات لإيجاد المبادرات اللاسلمية، وجرّ الساحة الدولية إلى المزيد من التصعيد «الحربي» لكن على الصعيد الثقافي، ساعدت هذه المناخات على تفريغ الشعوب الضعيفة والنامية من ثقافاتها الدينية والمحلية، وإلغاء صيغتها الوطنية والقومية، وإقحامها في النظام الرأسمالي العالمي الجديد،

في ظلّ شعارات رنّانة وطنّانة!

ثم السؤال هنا: ما المسؤولية الشرعية تجاه هذا الطوفان الذي يجتاحنا؟

وهل ثمة ما يشير إلى وجوب مقاومته؟

لا ترمي هذه المقالة إلى تسليط الأضواء على مدى تعقيد ظاهرة العولمة، وأسبابها، وإشكالياتها المثيرة للجدل، بقدر ما ترمي إلى ضرورة مقاومتها ومنع الطوفان من اجتياح المزيد من البقاع الإسلامية، وبيان الأدلّة الشرعية على وجوب المقاومة، فانّ الهاجس الطاغي في عصرنا لا يصبّ في تعريف الغزو الثقافي وطرقه وأساليبه، بل هو يرتكز في ضرورة مقاومته، وهل ثمة أدلّة شرعية على هذا الصعيد؟

## الحرب ظاهرة اجتماعية وسياسية:

بالرغم من أنّ الحرب مذمومة بسبب ما يقارنها من دمار وخراب، وازهاق في

الأرواح البريئة، إلاّ أن ثمة من يراها سنّةً من السنن الاجتماعية لما تعكسه من ظاهرة «تنازع البقاء الذي هو وصف طبيعي ملازم لجميع الكائنات الحيّة، لا ينفكّ عنها»[١]

يقول ابن خلدون:

«إنّ الحرب وأنواع المقاتلة لم تزل واقعة في الخليقة منذ برأها الله، وأصلها: إرادة الانتقام لبعض البشر من بعض، ويتعصّب لكلٍّ منهم أهل العصبية، فاذا تذامروا لذلك وتوافقت الطائفتان: إحداهما تطلب الانتقام والأخرى تدافع، كانت الحرب. وهو أمر طبيعي في البشر، لا تخلو عنه أمة ولا جيل، وسبب هذا الانتقام في الأكثر: إمّا غيرة ومنافسة، وإمّا عدوان، وإمّا غضب لله ولدينه، وإمّا غضب للملك وسعي في تمهيده.[٢]

إذ يعزو هذا السلوك إلى وجود غريزة الغضب والرغبة في الانتقام في النفس الإنسانية، فتؤثّر على سلوك الإنسان الاجتماعية، فعندئذٍ تكون الحرب والقتال.

وهل يعني هذا أنّه أمر طبيعي وفطري للانسان؟

كتب الدكتور الزحيلي يقول:

«إنّ الحرب وإن كانت ملازمة للبشرية، ولا تخلو عنه أمة من الأمم، ولا جيل من الأجيال، وأنّه قد يحتاج إليها دفاعاً عن حقوق الأمة، أو عن حقّه، أو عن مساعدة لحليف أو جار، أو عدواناً على الآخرين، أو غضباً لاعتقاد ونحوها، إلاّ أنّه لا يعني أنّ الحرب أمر طبيعي وفطري للبشر، بحيث لا تنفك عنها حياتهم الاجتماعية، فلابدّ من وقوعها، وإلاّ لما أفلحت الرسالات السماوية في مقاصدها من غرس بذور الخير،

واقتلاع جذور الشرّ من نفوس الآدميين»[٣]

فالحرب ظاهرة اجتماعية لا تنفكّ عن واقع حياة الانسانية، إضافة إلى أنّها أسلوب من أساليب سياسة الدول والحكومات في تعيين علاقاتها مع الآخرين، والتوسّل بها في نيل مطالبها وبلوغ أهدافها.

ولعلّ إلى هذا يشير القرآن الكريم في جملة من الآيات الكريمة:

قال تعالى: ﴿**فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**﴾[٤]

وقال: ﴿**فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاء وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّه ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾[٥]

## المقاومة حقّ فطري:

ثمة حقوق طبيعية للانسان بما هو إنسان، فلا تقتصر على قوم دون قوم، ولا تختصّ بدين دون آخر، يمكن أن نسمّيها الحقوق الفطرية، من قبيل حقّ التصرّف بماله بما ينتفع به في حياته لحفظ وجوده وبقائه، وحقّ الحرية الذي في ظلّه يستمر بقاؤه، ولا يحقّ لأحدٍ إلغاء هذه الحقوق ومصادرتها، ومن يفعل ذلك عُدَّ مجرماً بحقّ الإنسانية، ووجب على المسلوب حقّه مقاومة المعتدي وردع المتجاوز ليسترد حقّه المنهوب أو يصونه من أيادي المجرمين.

ومن هذا المنطلق أصبحت المقاومة ـ بما هي ردع لأشكال التجاوز، وإعادة للحقوق المسلوبة ـ حقّاً فطرياً وإنسانياً.

كتب العلاّمة الطباطبائي يقول:

«كلّ موجود يريد الوصول إلى حقوقه ولو بالتدخل في حقوق الآخرين، فهناك تنازع وتصارع دائمي لا يخلو منه أيّ مجال من مجالات الحياة، والانسان يرى لنفسه ـ بحكم فطرته ـ الدفاع عن حقوقه، والمقاومة ضد الجماعات والأشخاص الذين يمثّلون خطّ الانحراف والزيغ عن خطّ الفطرة الإنسانية، بل إنّ الدفاع خصيصة فطرية نشاهدها في أنواع الحيوان أيضاً، من أنّها تتوسّل عند التنازع بأدواتها البدنية كالقرون والأنياب والأظلاف والمنقار وغير ذلك، لتدافع عن حريمها، وتقاوم ضدّ العدوّ المهاجم[٦].

والإنسان استخدم أكثر من أداة في تعاطيه مع حقوق الآخرين، وأكثر من وسيلة في تنفيذ تجاوزاته، سواء على المستوى العسكري أو المدني، ممّا يعني أنّ

هنالك أكثر من

وسيلة واحدة للردع ومنع هذا التجاوز، يمكن أن نطلق عليها اسم المقاومة.

## مفهوم «المقاومة» لغةً واصطلاحاً

المقاومة ـ لغةً ـ من قاوم الشيء يقاومه قواماً ومقاومةً: إذا قام له وضادّه، يقال: قاومه في المصارعة إذا قام للخصم ينازله[٧] ومنه قول الدارمي:

ومخاصم قاومت في كبدٍ مثل الدهان فكان لي العذر

أي: قاومت خصماً جاهداً في مكان مزلّ ينزلق فيه من قام، كأنّه الدهان الذي يزلق من قام به، فتثبتَّ وزلق خصمي ولم يثبت[٨].

كما وأنّ المقاومة تعني القيام مع الشيء، يقال: قام فلان في حاجة أي: قام فيه، وقاومته قِواماً ـ بالكسر ـ إذا قمت معه، جاء في الخبر: من جالسه أو قاومه في حاجةٍ صابره، يعني: إذا قام معه ليقضي حاجته صبر عليه إلى أن يقضيها.

إذن المقاومة في اللغة تعني القيام للشيء لمضادّته ومنازلته ببذل الجهد، ومنه: المجاهدة، أو القيام مع الشيء لقضاء حاجةٍ بالصبر عليه، ومنه: المصابرة.

وأمّا اصطلاحاً فلم نقف على هذه اللفظة تحديداً على لسان الفقهاء المتقدمين وإن كانت هي شائعة في عصرنا الحالي، وإنّما كان الشائع على ألسنتهم لفظة «الجهاد» التي وردت في لسان الشارع، من خلال النصوص الدينية التي وصلت إلينا.

فالجهاد ـ لغةً ـ من الجَهد (بفتح الجيم) أي: التعب والمشقّة، أو من الجُهد (بضم الجيم) أي: الوسع والطاقة، بمعنى بذل الوسع والطاقة، وإتعاب النفس في العمل. قال ابن منظور: هو المبالغة في استفراغ ما في الوسع والطاقة من قولٍ أو فعلٍ من الحرب وغيرها[٩].

وأمّا شرعاً فقد عرّفه الفقهاء بتعاريف بما لا يخرج عن إطار اللغة.

قال صاحب الجواهر بصدد تعريف الجهاد:

«هو بذل النفس وما يتوقف عليه من المال في محاربة المشركين أو الباغين على وجه مخصوص، أو بذل النفس والمال والوسع في إعلاء كلمة الإسلام وإقامة شعائر الإيمان[١٠]

وقال الكاساني الحنفي في تعريفه:

«هو بذل الوسع والطاقة بالقتال في سبيل الله عزوجل بالنفس والمال واللسان، أو غير ذلك، أو المبالغة في ذلك[١١]

وقال ابن رشد القرطبي المالكي:

«هو المبالغة في إتعاب النفس في ذات الله عزوجل وإعلاء كلمته التي جعلها الله طريقاً إلى الجنّة وسبيلاً إليها[١٢]

وقد وردت نصوص كثيرة في بيان مكانة الجهاد في الإسلام:

قال تعالى: ﴿**لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾[١٣]

وقال: ﴿**الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾[١٤]

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من لقي الله بغير أثر من جهاد لقي الله وفيه ثلمة[١٥].

وقال صلى الله عليه وآله: «عليكم بالجهاد في سبيل الله فإنّه باب من أبواب الجنّة[١٦]

وقال أيضاً: «إنّ سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله[١٧]

وعن علي عليه السلام في النهج: «الجهاد لباس التقوى ودرع الله الحصينة وحصنه الوثيق، فمن تركه رغبةً عنه ألبسه الله ثوب المذلّة وشملة البلاء، وفارق الرخاء، وضرب على قلبه بالأشياء...» [١٨]

وعن الباقر عليه السلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «أفضل ما توسّل به المتوسلون: الايمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيل الله فإنّه ذروة الإسلام»[١٩]

بل ثمة نصوص كثيرة في هذا الباب تصف الجهاد بكونه:

١. سياحة المسلمين[٢٠]

٢. رهبانية المسلمين[٢١]

٣. كفّارة للذنوب[٢٢]

هذا إضافة إلى النصوص التي تؤكّد على منزلة المجاهد، من كونه:

أ. أقرب الناس إلى درجة الأنبياء والمرسلين[٢٣]

ب. يباهي به الله سبحانه[٢٤]

كما أنّ القرآن الكريم زاخر بالآيات التي تشير إلى مكانة الجهاد عند الله سبحانه، وفضل المجاهد في سبيله، وبيان مكانته في الجنّة وعلوّ مقامه من بين الخلق:

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ**

﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢٥]

وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٢٦]

## أنواع المقاومة:

أكّدت النصوص الشرعية على أنّ للمقاومة نوعين رئيسين:

**الأول**: جهاد النفس (مقاومة مدنية)

**والثاني**: جهاد المعتدي (مقاومة عسكرية)

وحقيقة النوع الأول هو خوف الله تعالى، ونهي النفس عن ارتكاب المحارم، والسيطرة على الرغبات والميول النفسية وتوجيهها نحو الصواب، وهو ما يمكن أن يصطلح عليها بالمقاومة المدنية، أي مقاومة شيء بالتصدي له بالوسائل غير العسكرية.

## والأخبار في هذا المطاف كثيرة:

قال رسول الله ﷺ: «المجاهد من جاهد نفسه بنفسه»[٢٧]

وعنه ﷺ أنّه بعث سريةً إلى الجهاد، فلمّا رجعوا قال: «مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر» فقيل له: وما الجهاد الأكبر؟ قال: «جهاد النفس»[٢٨]

وقال ﷺ أيضاً: «أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه»[٢٩]

وإنّما صار الأكبر لمشاقّه، وكثرة آلامه، وطول مدّته ودوامه، ولذا أضحى هذا اللون من الجهاد هو الأشدّ، ورعايته أولى، لأنّ الطاعة يقدر عليها كل أحد، أمّا ترك المعاصي لا يقدر عليه إلاّ الصديقون ومنه قوله ﷺ: «المهاجر من هجر السوء، والمجاهد من جاهد هواه»[٣٠]

وأمّا حقيقة النوع الثاني فهو عبارة عن بذل الوسع والطاقة، في النفس والمال، لمواجهة المعتدين، وصدّ هجماتهم، ومنع تجاوزهم باستخدام الوسائل والآلات العسكرية، قد ذكر الفقهاء موارده:

### ١. جهاد المشركين والكفّار والمرتدين

قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ

﴿وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[٣١]

### ٢. جهاد الكافرين من أهل الكتاب

قال تعالى: ﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[٣٢]

### ٣. جهاد البغاة

ويتصوّر هؤلاء على أنحاء ثلاثة:

**أولها**: الخارجون على القانون والنظام الإسلامي العادل من أجل الإطاحة به وتغييره إلى نظام جائر منحرف.

**وثانيها**: الحاكم الباغي الذي يستخدم ما لديه من وسائل وأدوات لفرض رأيه وإطاعة أمره.

عن الباقر عليه السلام قال: «بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله بخمسة أسياف ثلاثة منها شاهرة... (إلى أن قال: فأمّا السيوف الشاهرة: فسيف على مشركي العرب... والسيف الثاني على أهل الذمة... والسيف الثالث سيف على مشركي العجم (إلى أن قال:) فسيف على أهل البغي والتأويل[٣٣]

**وثالثها**: بغي جماعة على جماعة أخرى

قال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[٣٤].

فلسفة تشريع مطلق المقاومة

تتلخّص فلسفة تشريع المقاومة مطلقاً بعدّة نقاط استيقناها من النصوص الشرعية التي بيّنت ذلك نذكر منها ما يلي:

### ١. لدفع الفساد في الأرض

قال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاء وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[٣٥]

فالمقاومة وسيلة لقمع عوامل الفساد في الأرض، ومنع نموّها وانتشارها في المجتمع الإسلامي فإنّ ظهور الفساد إنّما نتيجة لأعمال بعض الناس المنحرفين عن خطّ الرسالة والعقيدة الصحيحة، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ

﴿يَرْجِعُونَ﴾[٣٦]

ومجاهدة عوامل الفساد لا تعني بالضرورة العمل العسكري والجهاد المسلّح، بل المجاهدة باللسان والحوار أيضاً، كما تنصّ عليه الروايات التي تفيد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنع الفاحشة من أن تشيع في الناس.

### ٢. لحفظ الشريعة الإسلامية وأتباعها

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٣٧]

فالإسلام ندب إلى الجهاد والمقاومة لحفظ الشريعة من أن تنالها أيدي المبطلين والعابثين، ولصيانة كرامة المسلمين من أن تمسّها أيدي المستكبرين والمعتدين.

### ٣. لاستئصال رؤوس الفتن وقطع دابرها:

قال تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾[٣٨]

وقال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[٣٩]

فالمقاومة وسيلة لاستئصال الظلم والعدوان الذي يشنّه أئمة الكفر والانحراف، وقطع دابر الظالمين، كي يكون الدين كلّه لله وحده.

### ٤. لردع الاعتداءات:

إنّ الاعتداء لا ينشأ إلاّ عن ظلم وفساد، والعقل يقبّح ذلك، ويحكم بوجوب منعهما والتصدّي لهما بكل الوسائل المتاحة، ومن أبرز هذه الوسائل وأعظمها أثراً هو مقاومتهما بالصورة التي يتمّ من خلالها استئصال عوامل الظلم والفساد، وقطع مادتهما لإحراز الردع المطلوب، وإذا تمّ ذلك الإحراز انقطعت المقاومة حينئذٍ، وإلاّ انقلبت «المقاومة» إلى عدوان وظلم آخر.

قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[٤٠]

ومن هنا أضحت المقاومة وسيلة لردع الاعتداء، وإزالة شوكة المعتدين، وآلة لمنع كلّ تجاوز على حريم الآخرين، لا أنّها صورة أخرى للاعتداء والتجاوز على

حـقوق النـاس، فـعندئذٍ سـتنقلب إلـى إعانـة للظـالم، ومزيد من الظلم على المـظلوم.

وقـد قام على ذلك إجماع فقهاء المسلمين:

قال صاحب الجواهر:

«لـو أراد الكفّـار محـو الإسـلام، ودرس شـعائره وعدم ذكر محمد ﷺ وشريعته، فلا إشكال فـي وجـوب الجـهاد حينئذٍ ولـو مـع الجـائر! لكـن بقصـد الـدفع عـن ذلـك، لا إعانـة سـلطان الجـور، بـل الاجمـاع بقسـميه عليه[٤١]

وقال البكري الدمياطي:

«الجهاد (المقاومة) فرض كفاية، أمّا كونـه فرضـاً فبالاجماع[٤٢]

ويؤيـد ذلـك سـيرة النبـي الأكـرم ﷺ وأصـحابه وأهـل بـيته عليهم السلام، فـمن يراجـع تـاريخ الإسـلام يجـد أنّ النبي ﷺ كانت سيرته الحثّ على الجـهاد فـي سـبيل اللـه ودفـع العـدوان الصـادر مـن اليهـود أو المشـركين، ومقاومة كلّ تجاوز يقوم به أحـد، سـواء كانـت باسـتخدام الأسـلحة والأدواتـ الحـربية أم غيرهـا مـن الأسـلحة والآلات الفكرية والثقافية المعروفة في كلّ عصر.

لكن السؤال هنا: هل ثـمة أدلّة شـرعية مـعتبرة على استخدام مثل هذه الأسلحة غير التقليدية؟

## الأدلّة الشرعية على المقاومة مطلقاً:

### ١. كتاب الله عزوجل:

فقد وردت آيات عـديدة تـدلّ بـظهورها أو عمومها أو إطلاقها على وجوب المقاومة ولو غير الحربيـة، ودفـع المعتدي بكلّ أشكاله وألوانه وبأنواع الأسـلحة:

### (أ) ثـمة باقة من الآيات الكريمة تدلّ بإطلاقها على وجوب مقاومة المعتدي بشتّى الوسائل:

قـال: ﴿**الشَّـهْرُ الْحَـرَامُ بِـالشَّهْرِ الْحَـرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْـلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**﴾[٤٣]

فاطلاق الآية يشير إلى وجـوب مقاومـة المعتـدي على المسلمين، ويبغي تـجاوز حـريمهم ومـمتلكاتهم. ولا شك أنّ الأمر بالردّ والدفاع ظاهر في الوجوب الملزم.

وهكذا في قولـه تعـالى: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِيـنَ يُقَـاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**﴾[٤٤]

يقـول السرخسـي الحنفـي: «أي أذن لهـم فـي الدفـع». ومـثله قال صاحب فقه السنّة[٤٥]

ويقول الشيخ مكارم الشيرازي: «الـذين أذن لهـم

بالدفاع عن أنفسهم».[٤٦]

وإطلاق الآية يشير إلى وجوب استخدام كلّ ما من شأنه الدفاع عن النفس، وهو شامل الآلات والأدوات غير التقليدية أيضاً.

وكذا في قوله تعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[٤٧]

فقد استدلّ فقهاء المسلمين بهذه الآية على أنّ الجهاد والدفاع عن الإسلام ركن من أركان الإسلام، وكُتب عليكم يعني: فرض عليكم وهو شاقّ عليكم[٤٨]. ولو لم يكن دفاعاً ومقاومةً لما ألحق بها جملة ﴿**وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ**﴾ كما هو واضح.

وقال تعالى: ﴿**فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا**﴾[٤٩]

ولا يخفى أنّ عدم الطاعة يعني عدم الإستسلام للغازي وللمعتدي وإن لم يكن اعتداؤه بالسلاح والقتال، والأمر بالجهاد لا شك يعني فرض المقاومة والدفع بكلّ الوسائل المعروفة وغير المعروفة، وهو ما يستفاد من الإطلاق.

### (ب) ثمة آيات أخرى تدلّ بعمومها على وجوب القتال والمقاومة:

قال تعالى: ﴿**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**﴾[٥٠]

إذ إنّ مفردة ﴿**كَافَّةً**﴾ من أدوات العموم، فيكون معنى الآية الكريمة: قاتلوا المشركين

كلّهم، سواء كانوا في موقع هجوم أو في معرض التجهيز ودعم المعتدين، وسواء كان القتال بالاسلحة المعتادة أم بغيرها من الأسلحة الفكرية والثقافية.

يقول صاحب فتح القدير:

«فأفادت أنّ قتالنا المأمور به جزاءً لقتالهم واعتدائهم، ومسبّب عنه وبكلّ وسائل القتال[٥١]

### ٢. السنّة الشريفة

ثمة روايات مروية عن النبي الأكرم ﷺ وأهل بيته تشير إلى وجوب المقاومة والقتال:

ما رواه المجلسي عن رسول الله ﷺ أنّه قال:

«جاهدوا الكفّار بأيديكم وألسنتكم»[٥٢]

وروى أبو داود عن أنس بن مالك: أنّ رسول الله ﷺ قال لمن حوله وقد سأله سائل عن مقاتلة المشركين إذا خرجوا على المسلمين، قال: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»[٥٣]

قال المنذري:

«يحتمل أن يريد بقوله: «وألسنتكم» الهجاء. ويؤيده قوله: فلهو أسرع فيهم من نضح النبل».

والروايتان ظاهرتان في وجوب مقاومة المعتدين بشتّى الأسلحة، وبجميع صنوف المقاومة، يعطي انطباعاً بكون المقاومة لا تقتصر على الدفاع والتصدّي بالاسلحة التقليدية العسكرية المعروفة فحسب، بل باستخدام كافة الاسلحة ولو الفكرية والثقافية التي تدلّ عليها لفظة (بألسنتكم). وصيغة الأمر في الروايتين تدلّ على الوجوب كما لا يخفى.

### ٣. قاعدة نفي السبيل:

وتعني نفي سلطة الكافر على المسلم، وعليه كلّ عمل وسلوك من المعاملات بين

المسلمين والكافرين إذا كان يؤدي إلى تسلّط الكفّار على المسلمين فإنّه لا يجوز شرعاً، سواء للأفراد أم للجماعات؛ انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللهِ قَالُواْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُواْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً**﴾[٥٤] وقوله ﷺ: «الإسلام يعلو ولا يعلى عليه»[٥٥]

ومن هنا يمكن أن تكون المقاومة مصداقاً لهذه القاعدة، لأنّها تعني منع كلّ إشكال التسلّط الأجنبي الكافر على المسلمين، سواء كان التسلّط بشكل هجمات وغزوات عسكرية أو ثقافية، أو تجاوز للحدود بآلات حربية أو بأدوات فكرية تقنية حديثة، أو هتك للحرمات والمقدسات عن طريق الاحتلال أو نشر الأفكار المعادية: فيصبّ جميعها في مجال قهر المسلمين وإذلالهم، وبمقتضى هذه القاعدة يجب على المسلمين مقاومة هذه المحاولات الرامية إلى التسلّط على رقاب المسلمين، وإخضاعهم وإذلالهم، سواء بالأيدي أو بالألسن، من دون فرق يُذكر.

### ٤. حكم العقل بوجوب دفع الضرر:

إنّ الضرر الذي يلحق بالأمة جراء الهجمات

الثقافية والفكرية كبير إلى حدّ يؤثّر على البنى التحتية الفكرية والثقافية للمجتمعات الإسلامية، ولذا بحكم العقل يجب دفع هذا الضرر بكلّ الإمكانات المتاحة عند الأمة، عن طريق المقاومة والدفاع ثقافياً وفكرياً.

ويبدو من هذه القاعدة أنّ من يخالف ويرضى بالواقع الهزيل من دون مقاومة ولا دفاع، فإنّه يرتكب ذنباً كبيراً يستوجب العقاب عليه، باعتباره فراراً من الزحف، ومساهمةً في سلوك طريق الهلاك، وإيقاع الأمة في براثن المعتدين.

كما أنّ ترك المقاومة والسماح لعوامل العبث والانحراف بانتهاك حرماتنا، وتحطيم ثقافتنا، وتجويعنا ثقافياً، يعني الرضا بوقوع الفتنة التي أمر الله سبحانه بكتابه باستئصال شأفتها.

قال تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾[٥٦]

كما ولا شكّ أنّ عدم المقاومة يعني تعريض الدين وتعاليمه للخطر، وهو ما يوجبه العقل بضرورة الدفاع عنه، وحمايته بكلّ الوسائل المتوفّرة، سواء بالأيدي أو بالألسن.

### ٥. مقاصد الشريعة:

إذ تحكم بضرورة حفظ المسلمين لكلّ ما أمر الشارع المقدّس بحفظه وصيانته من كلّ عوامل التغيير والتحريف، والاهتمام بذلك بقدر ما أكّد عليه الشارع الإسلامي، وتتلخّص بالدين والنفس والمال والنسل والعقل.

والغزو الثقافي يعدّ أضرّ وسيلة في تحطيم البنية التحتية للفكر الإسلامي، وأشدّ فتكاً بثقافته وتعاليمه، لذا فهو عامل مضرّ يجب على المسلمين الاهتمام به، ومعالجته بكلّ الوسائل المتاحة على جميع المستويات الثقافية والعلمية والفكرية والأخلاقية والتربوية و...

ولو توانى المسلمون عن التصدّي لهذه الهجمات، وضعفوا عن مقاومتها ومنعها، فإنّهم لم يقوموا بما أمروا به من وجوب حفظ مصالح المسلمين الأساسية، ووفّروا للأعداء فرصة الانقضاض على الدين وهتك حرماته، وبالتالي قد سمحوا له بالقضاء عليه!

وعلى ضوء ذلك فمقاومة الهجمات الثقافية والفكرية والأخلاقية والتربوية و... تعني حفظ الوجود الإسلامي وكيان المسلمين ومصالحهم، وهو واجب على الجميع بحكم مقاصد الشريعة.

**أدلّة وجوب المقاومة على الجميع:**

ثمة أدلّة شرعية وعقلية تشير إلى كون المقاومة تكليفاً عاماً يشمل جميع المسلمين، وليست مقتصرة على فئة دون أخرى، أو طائفة دون طائفة، نذكرها اختصاراً:

**١. النصوص القرآنية التي تدلّ بعمومها على وجوب مقاومة المعتدين والمتجاوزين على جميع المسلمين، ولا تختصّ بفئة دون أخرى، إلاّ أولي العذر الذين حدّدهم الشارع بشروط خاصة.**

قال تعالى: ﴿**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**﴾[٥٧]

ولفظة (كَافَّةً) تعني: جميعاً، كما عليه المفسّرون[٥٨].

جاء في رواية أبي الجارود عن الباقر عليه السلام في تفسير الآية، قال: «يعني: قاتلوهم جميعاً كما يقاتلونكم جميعاً»[٥٩]

**٢. الروايات والأخبار**

فعن حفص بن غياث قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام (الصادق) عن الجهاد، أسنّة هو أم فريضة؟ فقال في جوابه: «... فإنّ مجاهدة العدوّ فرض على جميع الأمة»[٦٠]

وعن علي عليه السلام قال: «الجهاد فرض على جميع المسلمين»[٦١]

وعن أنس قال: إنّ أبا طلحة قرأ ﴿**انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[٦٢] فقال: أرى أن تنفروا شيوخاً وشبّاناً[٦٣] أي: جميعاً بلا استثناء.

**٣. حكم العقل بوجوب مقاومة الجميع للمعتدي:**

إنّ الصراع الدائر ما بين الإسلام وأعدائه ليس صراعاً تاريخياً فحسب، بل هو حرب تدمير للبنية التحتية، ومحو وجود هذا الدين، واستئصال شأفته على جميع الأصعدة، يشترك فيه كلّ الأعداء والمخالفين، لذا فهو محاط من كلّ جانب.

ففي الوقت أنّ العمليات جارية لضرب المسلمين في فلسطين ومحاولات كسر شوكتهم في لبنان والعراق، ما تزال عمليات الغزو الثقافي جارية أيضاً في سائر بقاع المسلمين بهدف القضاء على الإسلام، اسمه ورسمه، وهو واضح من تصريحات زعماء الغرب وتهديداتهم اليومية!

ولعلّ هذا ما أشار إليه القرآن بقوله: ﴿**يَسْأَلُونَكَ**

﴿عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٦٤]

وقوله: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾[٦٥]

فإذا كان هذا هدف الأعداء جميعاً، ويصبّ في إبادة المسلمين ومحو دينهم وعقيدتهم، فالمقاومة أيضاً ـ كما يحكم به العقل والوجدان ـ يجب أن تكون على هذا المستوى من المسؤولية والشمولية، بأن ينهض المسلمون جميعاً لمقاومة المعتدين، وليس طائفة دون أخرى، أو مذهب دون آخر، إذ أنّ المسؤولية تقع على عاتق الجميع.

## الهوامش:

[١] محمدرضا رشيد، تفسير المنار، ج ١٠، ص ٨٥ و ٣١٠.
[٢] عبدالرحمن ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٧٠.
[٣] د. وهبة الزحيلي، آثار الحرب في الفقه الإسلامي، ص ٥٧.
[٤] سورة البقرة، الآية: ٣٦.
[٥] سورة البقرة، الآية: ٢٥١.
[٦] العلامة الطباطبائي، تفسير الميزان، ج ٢، ص ٦٩.
[٧] المعجم الوسيط، ج ١ ـ ٢، ص ٧٦٧.
[٨] ابن منظور، لسان العرب، ج ١٣، ص ١٦٠، الزبيدي، تاج العروس، ج ١، ص ٨٠٣٨.
[٩] الزبيدي، تاج العروس، ج ١، ص ٧٨٦٨.
[١٠] لسان العرب، ج ٣، ص ١٣٤.
[١١] محمدحسن النجفي، جواهر الكلام، ج ٢١، ص ٣.
[١٢] بدائع الصنائع، ج ٧، ص ٩٧.
[١٣] المقدمات الممهدات، ج ١، ص ٢٥٩.
[١٤] سورة النساء، الآية: ٩٥.
[١٥] سورة التوبة، الآية: ٢٠.
[١٦] سنن الترمذي، ج ٣، ص ١٠٧، ح ١٧١٧.
[١٧] المستدرك، ج ٢، ص ٧٤.
[١٨] السنن الكبرى للبيهقي، ج ٩، ص ١٦١.
[١٩] نهج البلاغة، الخطبة رقم ٢٧.
[٢٠] الشيخ الطوسي، الأمالي، ص ٢١٦، ح ٣٨٠.
[٢١] انظر: تهذيب الأحكام للطوسي، ج ٦، ص ١٢٢، ح ٢١٠، السنن الكبرى للبيهقي، ج ٩، ص ١٦١، سنن أبي داود، ج ١، ص ٥٥٧، ح ٢٤٨٦.
[٢٢] انظر: أمالي الطوسي، ص ٥٣٩، ح ١١٦٣، مسند أحمد، ج ٣، ص ٨٢، مسند الشهاب، ج ١، ص ٤٣١، ح ٧٤٠.
[٢٣] انظر: الكافي، ج ٥، ص ٥٤، ح ٦ وص ٩٤، ح ٦، مسند أحمد، ج ٤، ص ٢٠٠، الجامع الصغير، ج ٢، ص ٢٦٢، ح

٦١٧٦.

[٢٤] كنز العمال، ج ٤، ص ٣١٠، ح ١٠٦٤٧.

[٢٥] المصدر السابق، ص ٣٣٨، ح ١٠٧٨٧.

[٢٦] سورة الصف، الآية: ١٠ و ١١.

[٢٧] سورة التوبة، الآية: ١١١.

[٢٨] عبدالله بن المبارك، الجهاد، ص ١٦٢، ح ١٧٥.

[٢٩] الكافي، ج ٥، ص ١٢، ح ٣، الصدوق، الأمالي، المجلس ٧١.

[٣٠] الصدوق، معاني الأخبار، ص ١٦٠ معنى الجهاد الأكبر.

[٣١] انظر: المجازات النبوية، ص ٢١٠.

[٣٢] سورة التوبة، الآية: ٣٦.

[٣٣] سورة التوبة، الآية: ٢٩.

[٣٤] الكافي، ج ٥، ص ١١، ح ٢، الصدوق، الخصال، ص ٢٧٥.

[٣٥] سورة الحجرات، الآية: ٩.

[٣٦] سورة البقرة، الآية: ٢٥١.

[٣٧] سورة الروم، الآية: ٤١.

[٣٨] سورة الحج، الآية: ٤٠.

[٣٩] سورة التوبة، الآية: ١٢.

[٤٠] سورة البقرة، الآية: ١٩٣.

[٤١] سورة البقرة، الآية: ١٩٣.

[٤٢] الشيخ محمدحسن الجواهري، جواهر الكلام، ج ٢١، ص ٤٧.

[٤٣] البكري الدمياطي الشافعي، إعانة الطالبين، ج ٤، ص ٢٠٦.

[٤٤] سورة البقرة، الآية: ١٩٤.

[٤٥] سورة الحج، الآية: ٣٩.

[٤٦] المبسوط، ج ١٠، ص ٢.

[٤٧] السيد سابق، فقه السنّة، ج ٢، ص ٦٢٠.

[٤٨] الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١٠، ص ٣٥٧.

[٤٩] سورة البقرة، الآية: ٢١٦.

[٥٠] الشوكاني، فتح القدير، ج ١٢، ص ٣٨١، أسنى المطالب، ج ٢٠، ص ٢٤٨.

[٥١] سورة الفرقان، الآية: ٥٢.

[٥٢] سورة التوبة، الآية: ٣٦.

[٥٣] الشوكاني، فتح القدير، ج ١٢، ص ٣٨١، وانظر أسنى المطالب، ج ٢٠، ص ٢٤٨.

[٥٤] المجلسي، بحارالأنوار، ج ٦٥، ص ٣٧٠.

[٥٥] سنن أبي داود، ج ١، ص ٥٦٢، ح ٢٥٠٤.

[٥٦] سورة النساء، الآية: ١٤١.

[٥٧] الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص باب ميراث أهل الملل، ح.

[٥٨] سورة البقرة، الآية: ١٩٣.

[٥٩] سورة التوبة، الآية: ٣٦.

[٦٠] ابن جرير الطبري، جامع البيان، ج ١٠، ص ١٦٦، ابن أبي حاتم، التفسير، ج ٦، ص ١٧٩٣، ح ١٠٠١٢، الرازي، التفسير الكبير، ج ١٦، ص ٥٤، الطبرسي، مجمع البيان، ج ٥، ص ٥١.

[٦١] الحويزي، تفسير نور الثقلين، ج ٢، ص ٢١٦.

[٦٢] الشيخ الطوسي، تهذيب الأحكام، ج ٦، ص ١٢٤، ح ٢١٧.

[٦٣] الكوفي، مناقب أميرالمؤمنين عليه السلام، ج ١، ص ١٥٤، ح ٨٨.

[٦٤] سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

[٦٥] سورة البقرة، الآية: ١٢٠.

# العراقيون وتحديات الغزو الثقافي

❖ أ. محمد العبادي (*)

(*) باحث وأكاديمي من العراق.

## تمهيد

تعد قضية الثقافة من المسائل المحورية في التأريخ الإنساني، ولا تخلو أمة من ثقافة تؤسس لحياتها المستقبلية، والثقافة تحتل مكاناً مركزياً مرموقاً في الفكر العالمي المعاصر، فهي اليوم مسألة المسائل، بل هي المحرّك الأهم للتاريخ وتنطوي تحت لوائها الجوانب الأخرى، كالسياسة والاقتصاد وغيرها، ويذهب بعضهم إلى أن الثقافة هي أم القضايا في حركة التأريخ والمستقبل دون باقي الجوانب[١].

وبما أن للثقافة هذا المجد التليد في أوساط الأمم ومنها الأمة الإسلامية فقد استهدفت الأمة في عقر دارها ثقافياً بجميع مواقفها، وإبعادها عن مقدساتها.

لقد كانت عبارة «الغزو الثقافي» هي «الفزاعة» التي استخدمها «الغرب» في الستينات والسبعينات من القرن الماضي لتخويفنا وتخويف شبابنا من الفكر الماركسي الزاحف إلينا من الشرق، ولكنها أصبحت اليوم في نظر «المستغربين» وسيلة ارتدادية «تحجبنا عن أشعة المعرفة التقنية الحديثة وتمنعنا من الإسهام والمشاركة في صياغة الحضارة الإنسانية المعاصرة...!!»[٢].

أليس من المفارقة أن نرفع شعار «الغزو الثقافي» ضد فكر معين، وبعد أفوله نسلك نفس السبيل الذي سلكه ونستخدم أدواته ونسميه تفاعلاً ثقافياً أو صياغة حضارية للمجتمع؟!! هذا هو تلون ومنطق الثقافية المستغربة التي طلع نجمها مترافقاً مع الهجمة الثقافية الغربية.

إن الغزو الثقافي ينتشر بهدوء، ويمشي وئيداً داخل العراق وغيره نافثاً سمومه في كل مناحي الحياة؛ لينال من أبنائنا الذين شغلهم الاحتلال العسكري عن

هذا الهم الكبير.

وقد نبّه سماحة العلامة الآصفي إلى هذا الخطر الداهم بقوله: ودخل الغرب بهذه العملية الاقتحامية عقر دورنا، ومخادع نوم أبنائنا وبناتنا، ومن دون أي حاجز يُذكر، كما لو كان السدّ يتهاوى أمام تدفق السيول المخربة، فتدخل السيول بقدرة تخريبية عالية دور الناس وممتلكاتهم، ثم محلّاتهم، وتسلب منهم كل قدرة على حجز هذا التدفق المخرب ومنعه. إن الذي يجري اليوم في الأوساط الثقافية في العالم الإسلامي ـ وفي العراق تحديداً ـ هو الكارثة الثقافية بعينها لو لم يتداركها المسلمون بوعي لعمق الكارثة، وتخطيط دقيق للحدّ من خسائرها، وبالتالي السيطرة عليها[٣].

ومن هنا سوف نتناول أدوات الغزو الثقافي وأساليبه، وأهدافه، وآثاره السلبية علينا، وسبل مواجهته أو التحصين منه، وقبل الدخول في لجنة تفاصيل الموضوع آثرنا إيضاح معنى كل من الثقافة، والغزو الثقافي» من أجل الابتعاد عن عجمة الاصطلاحات، والتوائها عن الفهم.

## معنى الثقافة والغزو الثقافي

وضع أهل الاصطلاح تعاريف عديدة للثقافة لكننا نكتفي بذكر بعض منها:

١ ـ **الثقافة**: بمعنى الفكر الإسلامي، العقيدة الإسلامية والمعارف الإسلامية[٤].

٢ ـ **الثقافة**: أنواع المعرفة التي أنشأها المسلمون إنشاءاً أو أدخلوها من الحضارات السابقة[٥].

٣ ـ **الثقافة**: تعني مجموعة العادات، والمعلومات، وأساليب المعيشة[٦].

وهناك من يقول بأنها كل ما يتصل بالمعنويات، وهي المحيط الذي يعكس حضارة معينة[٧]، ولعل التعريف الأخير هو أقرب إلى ما نقصده من الثقافة رغم تقديرنا واحترامنا للتعاريف السابقة، لأنّه يشمل الآداب والعلوم والمعارف الإسلامية والعادات الاجتماعية وغيرها التي تعكس الوجه الحضاري للإسلام.

أما الغزو الثقافي فقد وردت فيه معاني كثيرة منها:

١ ـ **الغزو الثقافي**: هو أن تقوم مجموعة سياسية أو اقتصادية بالهجوم على الأسس والمقومات الثقافية لأمة من الأمم، بقصد تحقيق مآربها، ووضع تلك الأمة في إسار تبعيتها. وفي سياق هذا الغزو تعمد المجموعة الغازية إلى أن تحل في ذلك البلد وبالقسر، معتقدات وثقافة جديدة، مكان الثقافة والمعتقدات الوطنية لتلك الأمة[٨].

٢ ـ **الغـزو الثقـافي**: هـو الغـزو الـذي يسـتهدف اختـراق الهويـة الحضـارية للأمـم والشـعوب مـن خـلال اختراق المنظومات المكونة لثقافتها، منظومات التفكيـر والتمـثلات، ومنظومـات القـيم، ومنظومـات التعبيـر، ومنظومات السلوك[٩].

٣ ـ **الغزو الثقافي**: هو تعرضنا الغزو من قبل نمط من الثقافة غريب عنا، ويتكون من مضامين متنوعة[١٠].

٤ ـ **الغزو الثقافي**: هو إزاحة قيمة معينة، وحلـول قيمة بديلاً عنها، قد يكون بشـكل قصـدي، وقـد يكـون بشكل عفوي[١١].

ورغم أهميـة التعـاريف آنفـة الـذكر إلا أننـا نتبنـى التعريف الأوّل لجامعيته، ومطابقته لحالة الغـزو الثقـافي الذي يشهده العراق اليوم.

## أدوات الغزو الثقافي

تعرض العراق بكافة أطيافه وطوائفـه إلـى هجمـة ثقافية كبيرة، وخصوصاً بعـد عـام ٢٠٠٣ م، حيـث كـان الاحتلال العسـكري غطـاءاً لاحـتلال أخطـر منـه، وهـو الغزو الثقافي الذي دخـل بقـوة كبيـرة إلـى كافـة مرافـق الحياة، سيما وأنه جاء بعد الانغلاق الثقافي الذي فرضـه النظام البعثي السابق، وقد اسـتخدم العـدو لتنفيـذ غـزوه الثقـافي أدوات لا تحصـى ومتداخلـة مـع بعضـها، نـذكر منهـا: الإعـلام الـذي تحملـه الفضـائيات إلـى مجتمعنـا بكثافة مخيفة، فالعراق يقـع تحـت طائلـة ٦٠ قمـراً، وإن هذه الأقمار تنقل نحو ٣٤٠٠ قناة تلفزيونيـة، منهـا ٨٨٧ قنـاة مفتوحـة، ومـن ضـمنها ١١٦ قنـاة عربيـة أو أكثـر، بالإضافة إلى القنوات المشفرة[١٢].

وعرضوا لنا من خلال إعلامهـم الموجـه مختلـف العروض التلفزيونية؛ كالغناء والرقص الذي تبثه مختلـف قنواتهم على الهواء مباشرة، وما يتخلله من حركات مثيرة تقـدمها مـدارس الغـرب الفنيـة، والأفـلام الأميركيـة، ومسلسلاتهم التلفزيونية، مثل مسلسـل «سـكس أنـد ذا سـيني» «الجـنس والمدينـة»، ومسلسـل: بـاي وونـش (مراقبة البلاج) وغيرها مـن المسلسـلات الهابطـة التـي يكـون الجـنس فيهـا محـوراً مـن أجـل تمييـع أخـلاق المجتمعـات الشـرقية وخصوصـاً فـي بـلاد المسـلمين، وهنـاك آلاف المسلسـلات التلفزيونيـة الأخـرى والتـي تكرس فكرة تخلـف المسـلمين، فهنـاك عـروض خبيثـة تصور الغربي علـى حالـة مـن الرفاهيـة والحريـة والرخـاء بينمـا المسـلم مكبـوت مضـطهد لا يسـتطيع أن ينـبس ببنت شفة، أو أن الغربي يعيش حالـة الاسـتقرار والحيـاة الطيبة، بينما المسلم يعيش حالة الخشونة ويـدفع حياتـه

للإرهابيين الذين تحتضنهم البيئة الشرقية.

واستخدموا المرأة كأداة للجنس ووعاء للمتعة، وقدموا الحرية لها على أنها سفور فاحش، ومكياج صارخ، تمشي به في أندية الرجال، ناهيك عن الأشرطة المختلفة «CD» والتي تحمل ما تحمل من الويلات للناس.

وأصدروا المجلات والصحف الملونة ذات الصور الإباحية، وقدموا في أعمدتها مقالات تمجد بالفن والموضة الغربية، وتقدم تعريفاً للآخرين عبر الأقلام التي ابتلي بها أبناء جلدتنا في هذا العصر. وأشاعوا الملصقات التي تحمل صوراً مبتلذة لأبطال السينما الهدنية والأميركية والتركية و...، وطبع العلامات التجارية، أو الملصقات على الملابس والسيارات) التي تحمل دلالات نفي الهوية، والأشكال التي ترمز إلى ثقافة الأجنبي[١٣].

وقامت الإدارة الأمريكية بتجنيد المثقفين والكتاب في حملة ثقافيظ تستهدف صيانة المصالح الأمريكية المتضررة بعد الحادي عشر من سبتمبر[١٤]. وهذا التجنيد يشمل حتى الأحزاب والفئات ذات التوجهات العلمانية والتي تتلقى الدعم الأمريكي المباشر.

وحملت صفحات الأنترنيت مئات المواقع التي تستهدف التأثير على مجتمعاتنا الإسلامية ومنها العراق الذي لا تخضع فيه المواقع إلى الرقابة أو التوجيه البناء.

حتى الهواتف الخلوية بأنواعها المختلفة رغم أنها تقدم لنا خدمة كبيرة لكن الشركات المشرفة على انتاجها وتصميمها قدمت معها أحدث صيحات الموسيقى ونغماتها الناعسة، كما أنها لا تخلو من الصور التي لا تنسجم وطبيعة أعرافنا، وقدموا فيها إشارة واضحة لإغراء من يهمه الأمر، ودفعه إلى هذا الاتجاه.

ولا يخفى على القارئ الكريم أن البعث قد استخدمها استخداماً سيئاً في محادثات ومراسلات هاتفية داعرة محرضة للشهوة و... و... الخ.

وحتى الأسواق الاقتصادية تشاهد فيها لمسات الغزو الثقافي، فالألبسة المصدرة إلينا تجد فيها تصاميم عروض الأزياء الغربية وموضاتها المزعجة والتي تظهر خصوصيات الجسد بشكل واضح وملفت. أما البضائع الأخرى فلصقوا فيها الإعلانات الكثيرة والمثيرة وفقاً لسكلوجية الإعلان التي تتبنى التأثير على المستهلك بتحريك غرائزه.

أما في مؤسساتنا التعليمية والتربوية فما زال التعليم فيها لا يناسب هويتنا الدينية والوطنية، وحملوا

علينا في أسلوب حياتنا، وركزوا على الجانب الدنيوي المفرط في المعاش، وجر المجتمع للروح الاستهلاكية[١٥]، وهكذا يشاهد الغزو الثقافي وتمدده إلى نواحي أخرى كثيرة أيضاً.

## أهداف الغزو الثقافي

بفضل التقدم الهائل في وسائل الاتصال أصبح الهجوم الثقافي يحمل خطاباً متعدد الأوجه والجوانب، فأصبحت للسياسة نشراتها الإخبارية وتقاريرها اليومية، وللاقتصاد مؤسساته وشركاته وإعلاناته التجارية، وكذا أصبح للشؤون الفنية والإعلامية عروضها الزاخرة بأنواع المؤثرات الصوتية والبصرية والسمعية وهكذا بالنسبة للجوانب الاجتماعية والتربوية وغيرها.

وفي عملية الغزو الثقافي يقوم العدو بدفع ذلك الجزء من ثقافته الذي يرغب هو بدفعه، إلى البلد الذي يروم غزوه، ويغذي الأمة التي يستهدفها بما يريد، ومعلوم ما يريد العدو وما الذي يرغب فيه.

إن الغزو الثقافي يريد إحلال ثقافة محل ثقافة، وخلخلة القيم الأخلاقية؛ ليتسنى له سلخ الهوية الدينية والوطنية التي لدى أبناء بلدنا بهوية أخرى.

وباختصار، يحمل تعبير الغزو الثقافي معنى الانقطاع بين عاملين: معط وآخذ، مبتدع وتابع، مرسل ومتعلق، فاعل ومفعول، في كل ذلك: الفعل يأتي من جانب واحد، وله اتجاه واحد، وهدفه غزو العقل، وتكييف المنطق، وتوجيه الخيال، وصنع الأذواق، وقولبة السلوك، وترسيخ نوع معين من القيم، أي اختراق الهوية وتغريبها[١٦].

إن الغزو الثقافي يمهد السبيل لإيجاد الغزو الشامل، وقد شاهد العالم كيف أن الاستعمار في بعض البلدان المستعمرة ذهب، لكنه بقيت ثقافته ولغته سائدة في منهاج التعليم، وكيف عمل على صياغة نخب ثقافية تدين له بالولاء، وعمل على ربط سياسات تلك البلاد بسياسته واقتصاده وصاغ لها قوانين تجعلها إلى الأبد في تبعية سياسية واقتصادية للمستعمر، وقد وصل الحال بتلك البلاد أنها كلما طفحت عندها إلى السطح مشكلة سياسية ذهبت إلى صديقها المستعمر القديم «الحليف» تبتغي عنده الحل لما أعضل وأشكل!!

وهكذا تتضح خطورة أهداف الغزو الثقافي، والتي ينبغي على الجميع تداركها.

## الآثار السلبية للغزو الثقافي

إن تدفق المعلومات المستمر من جانب واحد له

تأثير بليغ في ساحة المجتمعات الإسلامية.

إن الإعلام الغربي وأساليبه حقيقة ضخمة كبيرة في حياتنا الاجتماعية والسياسية والثقافية، ولن تنفع محاولات التقليل من شأنه وقدرته على الإساءة إلينا.

وفي دراسة علمية موسومة بـ «الغزو الإعلامي والانحراف الاجتماعي» أعدها الدكتور ياس خضير البياتي الأستاذ في كلية المعلومات والإعلام بجامعة عمان، حذر من ظاهرة الغزو الثقافي في وسائل الإعلام العربية وقال: إن وسائل الإعلام العربية شاركت بدور أساسي في تعميق الغزو الإعلامي الأجنبي، من خلال مدة ساعات البث للمواد الأجنبية، وبروز ظاهرة البرامج الواقعية أو ما يسمى (تلفزيون الواقع في بعض الفضائيات العربية من دون أن تأخذ بنظر الاعتبار قيم المجتمع العربي وتقاليده وأنماطه الاجتماعية. ولاحظت الدراسة من خلال الإحصائية العلمية الجديدة، بأن القاسم المشترك لبرامج القنوات الفضائية العربية هو المادة الترفيهية وأفلام الجريمة والعنف والرعب والجنس، أي أن ثقافة الصورة تطغى عليها أكثر من ظاهرة سلبية تتمثل بالاغتراب، القلق، إثارة الغريزة، الفردية، العدوانية، دافعية الانحراف، سلطة المال والنساء، حب الاستهلاك، الأنانية، والتمرد وكلها مفردات حياتية تتأسس في إدراك الشباب وسلوكهم ومعارفهم بحيث تتحول من صورة ذهنية إلى نشاط عملي عن طريق المحاكاة والتقليد وعمليات التطبيع الاجتماعي.

وتوقعت الدراسة أن تنشأ مشكلات اجتماعية بفعل هذه الثقافة الإعلامية، يتأثر فيها الأطفال والمراهقون والشباب بنتائجها السلبية، فمن المحتل أن تخلق برامج الفضائيات العربية الاضطراب الاجتماعي، وعدم الاستقرار في العلاقات العامة الاجتماعية، وتنمية الفردية والروح الاستهلاكية، والهروب من التصدي لواقع الحياة، والاستسلام له، وتوطين العجز في النفوس، وإضعاف الروابط الأسرية وقيمها، وتعميق المشاعر الذاتية أكثر من الالتزام الجماعي، والانبهار بالموديل الأجنبي على حساب الهوية الثقافية، وكذلك تراجع الانتماء وازدياد اليأس والإحباط.

ووجدت الدراسة أن القنوات الفضائية العربية، وبالذات الخاصة، بدأت تتسابق على إرضاء الجمهور العربي، وخاصة الشباب، واجتذابه لهم بأي صورة من خلال المواد الترفيهية التي تتعارض مع التنشئة الاجتماعية العربية ومقوماتها، خاصة في إشاعة النماذج الغربية من البرامج المستنسخة التي تحفل بأنواع فنون الإثارة الجسدية والغريزية وبمواصفات قد لا نجدها حتى

في القنوات الفضائية الأجنبية[١٧].

لقد عمل الغزو الثقافي في سبيل تحقيق بعض الآثار التخريبية السلبية؛ فقدّم الفن الهابط، والاهتمام بتأريخ أمم ما قبل الإسلام والفولكور الشعبي، وقد ظهرت آثاره السلبية في تحويل الإسلام من مفهومه الحضاري العظيم إلى جدل وخلاف بين جماعات عديدة متناحرة أبعد ما تكون عن روح الجماعة الإسلامية الواحدة، وظهرت آثاره السلبية في انتشار روح البلادة واللامبالاة في المجتمعات العربية، والاهتمام بالناحية الاستهلاكية، والمظهر الترفي الاستهلاكي[١٨].

وقد قرأنا لبعض رجال الإنجليز الحكام في البلاد التي استعمروها تعبيرات تفصح عن أن أثرهم لن يزول عن تلك البلاد، مثل قولهم عن مصر والهند: لو خرجنا عن مصر أو الهند فسوف يظل لنا جنود يلبسون الطربوش أو جنود يلبسون الزي الهندي يمثلون فكر الإنجليز، وهكذا عملت فرنسا في بلاد المغرب العربي وصرحت بذلك في غير مبالاة[١٩].

وظهرت دلائل الطمس الثقافي بتباهي عدد من الناس في بلادنا بأنهم يتقنون اللغة الإنجليزية أو الفرنسية[٢٠] وكأنها علامة على رقيهم الثقافة والاجتماعي.

ومكمن الخطورة الحقيقي هو في أزمة الثقافة المحلية التي أصبحت تنهل وتستقي معرفتها من المعلومات المستوردة، عندما يقول البعض: إن العالم على حق في أن يفزع من الإسلام بسبب أحداث القتل والدمار والتفجيرات التي يقوم بها عراقيون، هذا الرأي يعبر عن ثقافة أجنبية، لأن هذه الأحداث لا دخل للإسلام بها، وإنما سببها هو الاحتلال الأمريكي[٢١]. فهذا مثال على طبيعة التلقي غير الواعي للمفاهيم التي يتم تسويقها وتكريسها من قبل الغرب لبلادنا، وقس على ذلك ما هو خلاف الواقع من التحليلات التي تصور مجتمعنا عبارة عن تقاطعات دائمة بسبب ثقافتنا الاجتماعية والدينية، وتقدم الغرب كنموذج مثالي لنا.

## التحصين من الغزو الثقافي

إن الغرب لم يحترم بمادئ عقد التنمية الثقافية الذي أقرته الأمم المتحدة عام ١٩٨٩ م، وهي مراعاة البعد الثقافي للتنمية، وتأكيد الهوية الثقافية وإثرائها، وتعزيز التعاون الثقافي الدولي[٢٢]، وقد أخذ العالم الغربي على عاتقه تأكيد هويته الثقافية على حساب هوية الدول الأخرى في استهداف معتمد لاختراق حدود مجتمعاتنا، ومنها العراق عن طريق تكنولوجيا الفضاء.

ولذا فعلى أية أمة تحترم مقوماتها، وتطلب الخير لأبنائها، وتدعي أنها صاحبة حضارة وقيم مثلى، أن تبذل كثيراً من الجهد في سبيل ترسيخ الوعي وتنمية لدى أفرادها وشعوبها، في إطار من التنظيم الكامل والناضح وصيانة أساسيات الأمة من التآكل في جميع الظروف، بما يحفظ للأمة ميزاتها وقواعها التي عرفت بها على مر الزمان.

إذ إن ذلك يستدعي الاحترام بين الأمم الأخرى، طالما أننا حترمنا جذور هويتنا الحضارية الخاصة بنا، دون أن يعني ذلك الانغلاق والاختناق في إرثنا الديني والوطني؛ بل أن يترافق خط مسيرنا المتوازن والمتماسك مع استيعاب حركة التغيير الواسعة في كافة الأبعاد والاتجاهات وفق مقتضيات ودواعي الحاجة للتطوير على أن يكون ذلك ضمن أطر وحدود بعيدة عن حالات الانغماس والذوبان التي تضيع فيها مشخصات الأمة ورموزها وعناوينها الأصلية الثابتظ، وبعبارة أخرى على الأمة أن تمارس حق الانفتاح الإيجابي بعد أخذ الجرعات الكافية لتحصين ذاتها، بما يحول دون انصهارها المطلق وإضاعة ماهيتها عبر التلبس بماهيات أخرى، أو التلون بألوان حضارية جديدة إلى حد الجزف بالجوهر والأصول والأساسيات... إذ لا يمكن للانفتاح السلبي إلا أن يؤدي إلى ذوبان وانصهار مطلق في آلة المعلومات الغربية، كما أن القطيعة الكاملة لا تعني إلا تجاوزاً لكثير من المقتضيات والدواعي التعليمية والنفسية والاجتماعية، وقد يكون أفضل الحلول هو المواجهة الإيجابية التي ترتكز على الانفتاح المبني على التحصين الذاتي والاستعداد الذاتي والمناعة الداخلية، وهي عملية صعبة تحتاج إلى كثير من الوعي والتنظيم والعمل الجاد[٢٣].

وقد حذر العلامة الآصفي من مغبة التراخي في معالجة هذا الاجتياح الثقافي الذي يشهده العراق وغيره، وأبرق إلى المعنيين بضرورة تحصين الأمة عبر التخطيط السليم في زرع التقوى والتربية للوقاية من سوءات الاكتساح الثقافي؛ فقال: «وليست أمامنا خيارات كثيرة في هذا الاجتياح الثقافي والحضاري الواسع، وليس بوسعنا أن نمنع الأثير من أن ينقل إلينا ذبذبات الصوت والصورة، وليس بوسعنا أن نغلق أبواب دورنا وغرف أبنائنا وبناتنا عن هذا الاجتياح الثقافي الواسع.. والشيء الوحيد الذي نملكه، ويجب أن نخطط له، وهو التربية بالتقوى، وبناء الجيل الجديد على أساس قوي. فإن التقوى عازل تربوي قوي، ولباسٍ واقٍ يحفظ الجيل الصاعد من «حرائق» التحلّل والابتذال الخلقي

القادمة إلينا من ناحية الغرب، يقول تعالى: ﴿**ولباس التّقوى ذلك خير**﴾ [سورة الأعراف: الآية ٢٦]»[٢٤].

وأخيراً ندعو مجلس الوزراء العراقي ممثلاً بالوزارات «الثقافة والإعلام ـ والتعليم العالي ـ والتربية والتعليم ـ والرياضة والشباب» إلى إيلاء هذا الموضوع أهمية في سلسلة أولوياتهم، وتشكيل مجلس ثقافي للتنسيق فيما بينهم، ويأخذ على عاتقه القضايا الثقافية الكبرى في المرحلة الحالية والمستقبلية.

كما ندعو العلماء والأحزاب والمنظمات والهيئات والنقابات أن توحد جهودها وجبهتها، في التخطيط لمشاريع تربوية وتصحيحية لمواجهة الأخطبوط الثقافي الغربي الذي يريد اجتثاث هويتنا الدينية والوطنية.

## الهوامش:

[١] انظر: موقع سماحة الإمام موسى الصدر. نص كلمة: الأب، يوسف مونس التي تحمل عنوان «الثقافة بين الغزو والانفتاح» في ٤ نيسان / ٢٠٠٨ م الموافق ٢٧ ربيع الأوّل / ١٤٢٩ هـ.

[٢] صحيفة ٢٦ سبتمبر العدد ١٠٣٤، مقالة تحت عنوان: الغزو الثقافي بيت القصيد: عبد الكريم الخميسي.

[٣] التحديات المعاصرة ومشروع المواجهة الإسلامية: محمد مهدي الآصفي: ص ٧٠ ـ ٧١.

[٤] حوار الثقافة والحضارات: محمد علي مهيمن، ص ٤٤.

[٥] تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى: الدكتور عبد المنعم ماجد، ص ١٤٦.

[٦] المدخل إلى تاريخ الحضارة: الدكتور جورج حداد، ص ١٧.

[٧] مقومات الحضارة الإنسانية في الإسلام، حسن رمضان فحلة، ص ١٥.

[٨] كلمة للسيد الخامنئي في العاملين بالحقل الإعلامي والمسؤولين عن دوائر التربية والتعليم ٢١/ ٥/ ١٣٧١ هـ ش.

[٩] مجلة دراسات عربية: العدد ٥ ـ ٦ في ١٩٩٥ م: مقالة بعنوان: «إلى أين يقودنا تجار الشنطة الثقافية» ـ خلف الجراد.

[١٠] محاضرة في السيوداء / سوريا ألقاها سماحة العلامة الراحل محمد مهدي شمس الدين بتاريخ ٨/ ١١/ ١٩٩٨ م.

[١١] موقع الجزيرة نت: حلقة بعنوان: «الغزو الثقافي الغربي» بتاريخ ٢٦/ ٢/ ٢٠٠٢ م.

[١٢] انظر: موقع شبكة المشكاة الإسلامية، مقالة بعنوان: «الإعلانات... قناة للغزو الثقافي» كتبها الصحفي السوداني أحمد إسماعيل.

[١٣] مقدمة كتاب «الغزو الثقافي»: السيد الخامنئي، والتي كتبها المترجم: جواد علي كسار.

[١٤] ذكرت ذلك صحيفة نيويورك تايمز في عددها الصادر يوم ٧/ ١٢/ ٢٠٠٢ م.

[١٥] الغزو الثقافي: السيد الخامنئي، مقدمة جواد علي كسار.

[١٦] موقع الإمام السيد موسى صدر. كلمة بعنوان «الثقافة بين الغزو والانفتاح للأب يوسف مونس.

[١٧] انظر: موقع: www. balagh. com.

[١٨] انظر: مقالة: دور المرأة في الغزو الثقافي
www. alharamain. com .

[١٩] انظر: مقالة نشرت على سطح الانترنيت تحت عنوان الغزو الثقافي... والاستغراء.

[٢٠] انظر: مقالة على سطح الانترنيت تحت عنوان: الغزو الثقافي وثقافة الخضوع، موقع دير النقب.

[٢١] انظر: موقع جريدة الوفد عدد ٣١ أكتوبر سنة ٢٠٠٦ م.

[٢٢] انظر: مجلة النبأ: العدد ٦٣ في شعبان ١٤٢٢ هـ/٢٠٠١م.

[٢٣] مجلة النبأ: العدد ٥٦ في محرم ١٤٢٢ هـ/٢٠٠١م مقالة تحت عنوان: «إرهاصات الغزو الثقافي وضرورة تأصيل الذات» كتبها أحمد البغدادي.

[٢٤] التحديات المعاصرة ومشروع المواجهة الإسلامية: ص ٧٢ ـ ٧٣.

# الدِّراساتُ الفِكريَّةُ

- مَنظُومَةُ القُرآنِ الكَرِيمِ فِي عِلاجِ المَفاسِدِ الإجتِماعِيَّةِ
- نَظَرِيَّاتُ الدَّلالَةِ عِندَ الأُصُولِيِّينَ رُؤيَةٌ مُقارَنَةٌ مَعَ أَبحاثِ عِلمِ اللُّغَةِ (اللِسانِيَّات)
- الإمامُ المَهدِيّ عليه السلام ومَدعُوالمَهدَوِيَّةِ ضَوابِطُ لِمَعرِفَةِ المِصداقِ الحَقِيقِيِّ لِلمَهدِيّ عليه السلام

# مَنْظُومَةُ القُرآنِ الكَرِيمِ فِي عِلاجِ المَفَاسِدِ الإِجْتِمَاعِيَّةِ

❖ د. السيد محمد الغريفي(*)

(*) باحث واكاديمي في الحوزة العلمية في النجف الاشرف .

## المقدمة

إن الحديث عن الفساد لا يخصُّ مجتمعاً بعينه أو دولة بذاتها، وإنما هو ظاهرة عالمية تشكو منها كلُّ المجتمعات، لما له من خطر على الأمن الاجتماعي والنمو الاقتصادي والأداء الإداري، ومن هنا حازت هذه الظاهرة على اهتمام كلّ المجتمعات وكلّ الدُّول وتعالت النداءات إلى إدانتها، والحدّ من انتشارها، ووضع الصيغ الملائمة لذلك.

(المفاسد) هط من الظواهر الاجتماعية التي لا يكاد يخلو مجتمع منها بما فيها المجتمع الإسلامي على الرغم من الطهر والعفاف والنقاد الذي ميّز الفكر الإسلامي على مرِّ العصور والأزمنة.

وكان الأنبياء والرسل والكتب السماوية أول من وقف بوجه المفاسد الاجتماعية ووضع العلاجات المناسبة لحلّها، وكان خاتمها القرآن الكريم المنزل على الرسول الأمي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله.

السؤال المهم الذي يطرح نفسه: ما هو علاج المفاسد الاجتماعيظ الذي طرحه القرآن الكريم؟

وقبل الجواب عن هذا السؤال يلزم أن نبحث في الأمور التالية:

١ ـ ما هو المراد من المفاسد الاجتماعية في اللغة والاصطلاح وأنواعها؟

٢ ـ وما هي أسباب المفاسد الاجتماعية من وجهة نظر القرآن الكريم؟ وبعد الإجابة عن هذين السؤالين يمكننا الشروع بعد ذلك في بيان أطروحة القرآن الكريم لعلاج المفاسد الاجتماعية بتفاصيلها وتوضيحاتها، ونسأل من الله التوفيق والسداد.

## المفاسد في اللغة والاصطلاح

### المفاسد في اللغة:

جمع (مفسدة)، وهو بمعنى: «نقيض الصلاح»[١]، ومصدره «المفسدة» بمعنى: «خلاف المصلحة»[٢]، ومشتق من الفعل الثلاثي (فسد) الذي هو: «ضد صلح»[٣]، وقولنا: «فسد الشيء» بمعنى: بطل، أو أضمحل أو تغيّر[٤].

وأما المفاسد في الاصطلاح، فهو مشابه لمعناها اللغوي من الإبطال والتخريب والاضمحلال وما شابه ذلك من المعاني التي بمعنى التغيير في طبيعة الأمور لا على وجه الإصلاح. ومصاديق هذه الأمور تختلف باختلاف الأشياء، مثلاً قوله تعالى: (ظهر الفسادُ في البرّ والبحر)[٥]، فسّر الفساد بالقحط وقلة الرّيع في الزراعات والبيوع ومحق البركات من كلِّ شيء[٦].

### المفاسد الاجتماعية في الاصطلاح:

البحث عن المفاسد التي يوجدها الإنسان يمكن تعريفها بما يلي: هي الممارسات والتصرفات والعادات السيئة التي تنشأ في بعض المجتمعات من الانحراف في طبيعة العلاقات الاجتماعية، وتؤثر سلباً على مسيرة المجتمع وحركته نحو الأهداف السامية، كانتشار ظاهرة القتل، أو السرقة، أو شرب الخمور، أو الزنا، أو غير ذلك من الظواهر السيئة المنتشرة.

وحقيقة المفاسد الاجتماعية هي أمراض سلوكية معدية تسري بين أفراد المجتمع وتسبّب لهم حالة من الإدمان النفسي، وتوجد عادات وأخلاق اجتماعية خاطئة تهدّد إهلاك النسل والحرث، وفقدان الأمن في هذه المجتمعات، وهي لا تقلّ خطورة عن الأمراض الجسدية والفيروسية، كالطاعون والإيدز وما شابههما.

### أنواع المفاسد الاجتماعية:

المفاسد الاجتماعية لها أنواع عديدة، ويمكن تقسيمها إلى سبعة أقسام أساسية، وهي كالتالي:

١ ـ **المفاسد الإجرامية**: وهي الاعتداء على الناس جسدياً بالضرب، وإزهاق الأرواح، وسفك الدِّماء بغير الحق، كما في قوله تعالى: (وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثمّ أقررتم وأنتم تشهدون)[٧].

٢ ـ **المفاسد الاقتصادية**: وهي التصرّف في الأموال بالباطل والاعتداء على أموال الناس بغير رضا أصحابها، كما في قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلّا أن تكون تجارةً**

**عن تراض منكم﴾**[٨].

٣ ـ **المفاسد الجنسية**: وهي الاعتداء على الأعراض، وإشاعة الفحشاء والمنكرات، كما في قوله تعالى: ﴿**وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إنّ الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون**﴾[٩].

٤ ـ **المفاسد المعنويّة**: وهي الاعتداء على كرامة الآخرين وحريتهم، وسلب خصوصياتهم الشخصية، كما في قوله تعالى: ﴿**ولا تقعدوا بكلّ صراط توعدون وتصدّون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجاً واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثّركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين**﴾[١٠].

وذلك بأن يصدَّ عن سبيل الله تعالى عن طريق التهديد بالقتل، أو نهب الأموال، فيقومون بشتّى أنواع الضغوط المادية والمعنوية لصدِّ الناس والإفساد في الأرض.

٥ ـ **المفاسد الفكريّة**: وهي الاعتداء على العقول بإلقاء الشبهات وأفكار الضلال والأكاذيب. كما في قوله تعالى: ﴿**هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب وأُخر متشابهات فأمّا الذين فى قلوبهم زيغٌ فيتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله...**﴾[١١].

وقوله: (أنّه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنّما قتل النّاس جميعاً)[١٢]، قال الإمام الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية: «من أخرجها من ضلال إلى هدى، فكأنما أحياها، ومن أخرجها من هدى إلى ضلال، فقد قتلها»[١٣].

٦ ـ **المفاسد السياسيّة**: وهي غصب حق الأولياء الشرعيين، والخروج عليهم، وإثارة الفتن والخلافات والصراعات بين الناس، كما في قوله تعالى: ﴿**وإذا تولّى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنّسل والله لا يحبّ الفساد**﴾[١٤].

٧ ـ **المفاسد الشرعيّة**: وهي فعل المحرّمات وترك الواجبات التي أمرنا الله بها، كما في قوله تعالى: ﴿**الّذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك هم الخاسرون**﴾[١٥].

## أسباب المفاسد الاجتماعيّة

من أجل إيجاد العلاج المناسب للمفاسد الاجتماعية لا بدّ من معرفة أسبابها الرئيسة، ومن دون معرفة الأسباب لا يمكن علاج الأمراض والمفاسد

الاجتماعية. وقد ذكر القرآن الكريم سببين رئيسين للمفاسد الاجتماعية، وهي كالآتي:

## السبب الأوّل: طبيعة خلق الإنسان

إن الطبيعة التي خلق الله تعالى الإنسان عليها فيها قابلية الفساد في الأرض، كما فيها قابلية التقوى وخلافة الله في الأرض، قال تعالى: ﴿**فألهمها فجورها وتقواها**﴾[١٦]، وقال تعالى: ﴿**إنّ الإنسان ليطغى * أن رّءاه استغنى**﴾[١٧].

**وأسباب الفساد في طبيعة الإنسان عديدة، نذكر منها الأسباب التالية من وجهة نظر القرآن الكريم:**

١ ـ **حبُّ الإنسان للشهوات:** قال الله تعالى: ﴿**زيّن للناس حبّ الشّهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذّهب والفضّة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدّنيا والله عنده حسن المآب**﴾[١٨].

خلق الله تعالى الإنسان من عقل وشهوة، بينما خلق الملائكة من عقل دون شهوة، وخلق الحيوان من شهوة دون عقل. والإنسان إذا غلب عقله شهوته كان أفضل من الملائكة، وإذا غلبت شهوته عقله كان أضل من الحيوان، وهذه الشهوات الموجودة عند الإنسان هي التي تدفعه لمخالفة العقل وعصيان الله تعالى والفساد في الأرض.

٢ ـ **النفس الأمّارة بالسوء:** قال تعالى: ﴿**وما أبرّئُ نفسي إنّ النّفس لأمّارة بالسّوء إلّا ما رحم ربي**﴾[١٩]، فهذه النفس هي التي تأمر الإنسان بالفساد والظلم.

٣ ـ **الأمراض الروحيّة:** قال تعالى: ﴿**في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون**﴾[٢٠].

فمن يقوم بالمفاسد الاجتماعية هم أصحاب القلوب المريضة.

٤ ـ **وجود العداوة بين أبناء آدم:** قال الله تعالى: ﴿**وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ ولكم في الأرض مستقرّ ومتاعٌ إلى حين**﴾[٢١].

هذه العداوة هي التي تؤدي إلى سفك الدّماء والقتل.

٥ ـ **الجهل بحقائق الأمور:** قال تعالى: ﴿**وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنّما نحن مصلحون * ألا إنّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون**﴾[٢٢].

وهناك أسباب أخرى كثيرة أمثال: ضعف

الإيمان، وعدم اطلاع الإنسان على الملكوت وما وراء الغيب، وطول الأمل، ونسيان الموت، وتأثير المادة والحواس على فكر الإنسان،... الخ.

لذلك نجد أن الملائكة قد تبادر لهم الاستغراب حينما خلق الله تعالى آدم عليه السلام، وأخبرهم: ﴿**إني جاعلٌ في الأرض خليفة**﴾[٢٣] كان استفهاماً استغرابياً عن إنشاء هذا المخلوق الجديد، وذلك بقولهم: ﴿**أتعجل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدّماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك**﴾[٢٤].

والظاهر من النص أن الأرض كانت مكاناً يسوده الاطمئنان والسلام والهدوء لا فساد فيها ولا خراب ولا تجاوز ولا تعدّ حتى كان هذا المخلوق الذي هو مبدأ الفساد وسفك الدماء، وكان الردّ الرباني على هذا الاستغراب الملائكي: ﴿**إني أعلم ما لا تعلمون**﴾[٢٥]، إشارة إلى سرّ في هذا المخلوق وحكمة في وجوده على الأرض وطبيعته ومسيرته وتكامله فيها.

## السبب الثاني: وسوسة الشيطان:

عندما خلق الله تعالى آدم عليه السلام أمر الملائكة بالسجود له، فسجد الملائكة جميعهم لآدم عليه السلام إلا إبليس الذي كان من الجن منعه الحسد والتكبّر من السجود والطاعة لأمر الله تعالى، فطرده الله من ملكوت السماء وأهبطه إلى الأرض، ولكن إبليس الرجيم ازداد حقداً على آدم عليه السلام وذريته وأراد الإنتقام منهم، فطلب من الله تعالى أن يمهله ليوم القيامة لإغواء بني آدم وإيقاعهم في المفاسد والمعاصي، فأستجاب له ليكون اختباراً وفتنةً لبني آدم. وقد نقل لنا القرآن الكريم هذا الحوار في آيات متعددة من القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿**يا إبيلس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدىّ أستكبرت أم كنت من العالين**﴾[٢٦].

قال إبليس: ﴿**أنا خيرٌ منه خلقتنى من نار وخلقته من طين**﴾[٢٧].

قال الله تعالى: ﴿**فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبّر فيها فاخرج إنّك من الصّاغرين**﴾[٢٨].

قال إبليس: ﴿**أرأيتك هذا الذى كرّمت علىّ لئن أخّرتن إلى يوم القيامة لأحتنكنّ ذرّيته إلّا قليلا**﴾[٢٩].

قال الله تعالى: ﴿**فإنّك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم**﴾[٣٠].

قال إبليس: ﴿**فبعزّتك لأغويّنهم أجمعين**﴾[٣١]. ﴿**فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم**﴾[٣٢]. ﴿**ثمّ لآتيّنهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين**﴾[٣٣]. ﴿**إلّا**

**عبادك منهم المخلصين﴾**[٣٤].

قال الله تعالى: ﴿**اذهب فمن تبعك منهم فإنّ جهنّم جزاؤكم جزاءً موفورا﴾**[٣٥]. ﴿**واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الأموال والأولاد﴾**[٣٦]. ﴿**لأملأنّ جهنّم منك وممّن تبعك منهم أجمعين﴾**[٣٧]. ﴿**إنّ عبادى ليس لك عليهم سلطان﴾**[٣٨].

وفي النتيجة: إن الشيطان الرجيم بسبب عدائه لآدم عليه السلام أخذ على عاتقه أن يوسوس لأبناء آدم ليبعدهم عن طريق الهداية والصراط المستقيم عبر وساوسه التي يزرعها في قلوبهم، حيث إنّ الوسوسة الشيطانية من أهم مناشئ الفساد وفعل المعاصي، فتزيّن للإنسان الانحرافات وتجعله عبدَ الشهوة واللّذة والرذيلة.

وقد تعدّدت أساليب الشيطان وحيله في استدراج بني آدم وإغوائهم لإيقاعهم في الرذائل والمفاسد الاجتماعية بشتّى أشكالها، قال تعالى ﴿**لئاتينّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾**[٣٩]، ومن أساليب الشيطان الرجيم التي ذكرها القرآن الكريم في الوسوسة لبني آدم ما يلي:

١ ـ **التدريج في إيقاع فرائسه بالمعاصي:** قال تعالى: ﴿**يا أيّها الّذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبّع خطوات الشيطان فإنّه يأمر بالفحشاء والمنكر﴾**[٤٠].

٢ ـ **أمره بالسوء والفحشاء:** قال تعالى: ﴿**إنّما يأمركم بالسّوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾**[٤١].

٣ ـ **الوعود والأماني الكاذبة:** كما في قوله تعالى: ﴿**يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلّا غرورا﴾**[٤٢].

٤ ـ **امتلاكه وتجنيده للجنود:** قال تعالى: ﴿**وجنود إبليس أجمعون﴾**[٤٣]، وهم من الانس والجن، كما ف قوله تعالى: ﴿**وكذلك جعلنا لكلّ نبىء عدوّاً شياطين الإنس والجنّ﴾**[٤٤].

٥ ـ **امتلاك قابلية الإيحاء والوسوسة:** قال تعالى: ﴿**الذى يوسوس فى صدور الناس﴾**[٤٥] وقال تعالى: ﴿**شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾**[٤٦].

٦ ـ **مجادلة أهل الحق:** قال تعالى: ﴿**وإنّ الشّياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنّكم لمشركون﴾**[٤٧].

٧ ـ **صدّ المؤمنين عن طريق الحق:** قال الله

تعالى: ﴿**قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم**﴾[٤٨].

٨ ـ **التحريض على شرب الخمر، ولعب القمار، واتخاذ الأصنام آلهة:** قال تعالى: ﴿**يا أيّها الذين آمنوا إنّما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلّكم تفلحون * إنّما يريد الشّيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدّكم عن ذكر الله وعن الصّلاة فهل أنتم منتهون**﴾[٤٩].

وهناك أساليب أخرى كثيرة نعرض عن ذكرها مراعاة للإختصار.

## علاج القرآن الكريم للمفاسد الاجتماعيّة

بحث كثير من الباحثين موضوع (علاج المفاسد الاجتماعيّة) على أساس المباني الماديّة، أو على أساس مباني الأديان السابقة للإسلام، وهذه المحاولات جميعها لم تنتج؛ لإنها استندت على مباني محرّفة أو خاطئة في تشخيصها للرؤية الكونية، أو لطبيعة خلق الإنسان، أو لحقيقة المفاسد، أو غير ذلك.

بينما القرآن الكريم يقول: ﴿**وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتّبعوه واتّقوا لعلّكم ترحمون**﴾[٥٠].

فهو يأمر باتباعه لإيجاد الحلول الملائمة لأزمات الحياة، إذ يشتمل القرآن الكريم على منظومة عملية متكاملة لعلاج المفاسد الاجتماعية، تبدأ من الإيمان بالله تعالى، والمبدأ، والميعاد، والرسل، وإقامة الشرائع السماوية، ومحاربة الكفر والظلم والفساد من على وجه الأرض، قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز:

١ ـ قال تعالى: ﴿**فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين**﴾.[٥١]

٢ ـ قال تعالى: ﴿**ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها**﴾[٥٢].

٣ ـ قال تعالى: ﴿**ويسعون فى الأرض فساداً والله لا يحبّ المفسدين**﴾[٥٣].

٤ ـ قال تعالى: ﴿**ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربّك أعلم بالمفسدين**﴾[٥٤].

## أنواع علاج المفاسد الاجتماعيّة:

يمكن تقسيم علاج المفاسد الاجتماعية في المنظومة القرآنية إلى نوعين:

**الأوّل:** العلاج الإيماني العقائدي: يعتمد هذا العلاج على الأُسلوب الإيماني والفكري للإنسان، وللإيمان بالغيب دورٌ كبيرٌ في منع الإنسان عن فعل

الفساد والظلم في المجتمع، أي: من خلال الإيمان بأن الله تعالى لا يخفى عليه شيء وأنه يعاقب المفسدين في يوم الحساب، ولديه كتاب لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها، وأن من يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرةٍ شرّاً يره.

**الثاني**: العلاج التشريعي القانوني: يعتمد على تشريع القوانين والأحكام لتنظيم حياة المجتمع ومنع الفساد والظلم، ومجازات المخالفين والمقصّرين.

وكلّ واحد من هذين النوعين ينقسم إلى صنفين:

**الأوّل**: العلاج السلبي: الذي يعتمد على أدوات الردع ووسائل العقاب القضائية التي يُلجأ إليها عادة لمعاقبة المجرمين والمفسدين، وللحيلولة دون انتشار المفاسد في المجتمع.

**الثاني**: العلاج الإيجابي: الذي يعتمد على الأساليب التربويّة التي تكسب الإنسان منعة ذاتية وارتداعاً إرادياً، حتى لا تصل النوبة إلى العقوبات القضائية المعتمدة في الشريعة الإسلامية.

وفي عالم التربية يُقدَّم هذا النوع من العلاجات على النوع الأوّل في الأهميّة، ورغم ذلك يسرع المربّون عادة إلى استخدام النوع الأوّل لأنه أسهل تناولاً، ولأن أساليبه تحدث ردعاً فورياً ممّا يوهم أنها أوصلت إلى الهدف بيسرٍ وفعاليّة، لكنّ الدقّة والتأمّل يكشفان أن الارتداع الآتي نتيجة الخوف من العقاب سرعان ما يرتفع عند ارتفاع أسبابه، فيستمر الارتداع باستمرار الرادع وعند بقاء الخوف، فإذا غاب الرادع وزال الخوف، أو ضعف تأثيره، أو تمكن المستهدَف من التهرّب منه والتمرّد عليه عاد من حيث بدأ، على خلاف الوسائل الإيجابية التي تستهدف إكساب الإنسان ملكة الصلاح والفضيلة، والامتناع عن المفاسد الاجتماعية ذاتياً حتى في غياب الرقيب والأمن من العقاب.

لذا نجد الإسلام يعمل في تشريعاته على النوعين معاً ويولي الوسائل التربوية الإيجابية الاهتمام الأكبر، ويقنّن في الوقت ذاته الحدود والتعزيرات لردع الحالات التي لا تستجيب للعلاجات الإيجابية.

وعليه، فالعلاجات في القرآن الكريم للمفاسد الاجتماعية بمجموع أنواعها تكون أربعة أنواع:

**الأول**: العلاج الإيماني الإيجابي.

**الثاني**: العلاج الإيماني السلبي.

**الثالث**: العلاج التشريعي الايجابي.

**الرابع**: العلاج التشريعي السلبي.

وتفصيل الكلام في هذه الأنواع كالآتي:

**الأوّل: العلاج الإيماني الإيجابي.**

العلاج الذي يعتمد في تربية الإنسان على تقوية الإيمان بالله تعالى وبالمبدأ والميعاد؛ لأن تقوية الإيمان والمعرفة بصفات الله تعالى وقدرته تكسب الإنسان الرؤية الكونية الصحيحة، والهدف من الخلقة، وتلهمه روح شكر المنعم، وتجنّبه الضلال والضياع والتيه، وتعطيه منعة ذاتية وارتداعاً إرادياً من إرتكاب المفاسد والمعاصي التي تغضب ربّ الجلالة.

فلا بدّ من بناء القاعدة الفكرية والعقائدية للمجتمع، وربط الحية الدنيوية التي يعيشها الإنسان بالمبدأ من جهة، والمعاد من جهة أخرى، لربط الماديات بالقضايا الروحية والمعنوية، وعندئذٍ يجد العاقل أنه لا محيص من التعاطي مع تفاصيل الحياة الدنيا وما فيها من مُتع، وشهواتٍ، ونعمٍ، وملذّاتٍ وما يشوبها من بلاءاتٍ، ومصائبٍ، وغمومٍ، ومصاعب، باعتبارها حالة برزخيّة مؤقتة ومرحلة عابرة تؤسّس لما بعدها، مما يفرض عدم الاستغراق في لذّاتها بما يضرّ حياته الأخروية، وعدم الجزع لهمومها وبلاءاتها، بل يأخذ منها بالقدر الذي لا يتعارض مع الركون إليها ونسيان الآخرة.

هذا المحور هو الأساس في العلاج الإيجابي للمفاسد من وجهة نظر الدّين الإسلامي، وهو أساس التغيير الجذري، وفي ضوئه يتمايز الناس في أدائهم وسلوكهم، فأهل الدنيا يعملون من أجلها ويحرصون على استنفاد كلّ ما بوسعهم للفوز بلذّاتها ولا يحسبون لآخرتهم حساباً، بينما في المقابل أهل الإيمان بالآخرة يتعاملون معها بطريقة أخرى.

الآيات القرآنية التي في هذا المحور كثيرة جداً، نذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

١ ـ **الإيمان بأن الله ولي الذين آمنوا:** كما في قوله تعالى: ﴿**الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظّلمات إلى النّور والذين كفروا أولياؤهم الطّاغوت يخرجونهم من النّور إلى الظّلمات**﴾[٥٥]. وأيّ معنى للولاية فهي تحقق المطلوب بأن الإيمان يبعد من ولاية الشيطان وفعل المفاسد والمعاصي.

٢ ـ **الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر يلازم التبرّي من أعداء الله:** قال تعالى: ﴿**لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله**﴾[٥٦].

٣ ـ **الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر مصاحب للأمر بالمعروف ومحاربة الفساد:** قال تعالى: ﴿**يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من**

**الصالحين﴾**[٥٧].

٤ ـ **الإيمان برسالة الأنبياء ودورهم في التزكية والتعليم وإيصال الرسالة:** قال تعالى: ﴿**لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة﴾**[٥٨].

٥ ـ **الإيمان والعمل الصالح ثوابه الجنة:** قال تعالى: ﴿**وبشّر الذين آمنوا وعملوا الصّالحات أنّ لهم جنّات تجرى من تحتها الأنهار كلّما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطّهرة وهم فيها خالدون﴾**[٥٩].

## الثاني: العلاج الإيماني السلبي

العلاج الذي يعتمد في تربية الإنسان على الخوف من الله تعالى والوعيد الإلهي بالعقاب والعذاب بنار جهنم في الآخرة، أو بتعجيل العذاب على الكافرين في الدنيا لينتج من ذلك حالة التقوى التي تجنّب الإنسان من فعل المعاصي واقتراف المفاسد الاجتماعية.

وفي هذا المحور يوجد المئات من آيات الذكر الحكيم، نذكر على سبيل المثال ما يأتي:

١ ـ **الاعتقاد بأن الله شديد العقاب:** قال تعالى: ﴿**الذين ظلموا إذ يرون العذاب أنّ القوّة لله جميعاً وأنّ الله شديد العذاب﴾**[٦٠].

٢ ـ **الاعتقاد بإحباط أعمال المفسدين:** قال تعالى: ﴿**إنّ الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من النّاس فبشّرهم بعذاب أليم * أولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدّنيا والآخرة وما لهم من ناصرين﴾**[٦١].

٣ ـ **الاعتقاد بأن لا خشية إلا من الله:** قال تعالى: ﴿**الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشونى ولأتمّ نعمتى عليكم ولعلّكم تهتدون﴾**[٦٢].

٤ ـ **الاعتقاد بتعجيل العقاب في الدُّنيا:** قال تعالى: ﴿**قل سيروا فى الأرض ثمّ انظروا كيف كان عاقبة المكذّبين﴾**[٦٣].

٥ ـ **الاعتقاد بالبلاء الدُّنيوي للمجرمين:** قال تعالى: ﴿**فأرسلنا عليهم الطّوفان والجراد والقمّل والضّفادع والدّم آيات مفصّلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين﴾**[٦٤].

٦ ـ **لزوم الحذر من مكر الله تعالى:** قال تعالى: ﴿**وما مكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾**[٦٥].

٧ ـ **لزوم التقوى والخشية من الله تعالى:** قال

تعالى: ﴿**واتّقوا يوماً لا تجزى نفسٌ عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدلٌ ولا هم ينصرون**﴾[٦٦].

## الثالث: العلاج التشريعي الإيجابي:

العلاج الذي يعتمد في التربية على أسلوب تشريع القوانين والأحكام التي تكسب الإنسان منعة ذاتية وارتداعاً إرادياً من فعل الفساد والظلم والمعاصي.

وأغلب التشريعات الإسلامية تقع في هذا المحور، مثل: التشريعات العبادية، والعائلية، والمالية، والسياسية، والتربوية، و... الخ. وحاصل الكلام فيها كالتالي:

### أ ـ التشريعات العبادية:

وهي التشريعات التي شرّعها الله تعالى لعبادته، كالصلاة، والصيام، والحج، فإنها خير رادع إيجابي عن المفاسد الاجتماعية، لما فيها من تهذيب للنفوس، وتقوية الإرتباط مع الله تعالى.

والآيات التي تذكر العبادات كثيرة جداً اخترنا منها ما يلي:

١ ـ **العبادة هي غاية الخلق**: قال الله تعالى: ﴿**وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون**﴾[٦٧]، غاية الخلق هي العبادة لله تعالى بمعناها الواسع، وهي على نقيض مع معصية الله تعالى والفساد الاجتماعي.

٢ ـ **لزوم العبادة المخلصة لله تعالى**: قال تعالى: ﴿**وما أُمروا إلّا ليعبدوا الله مخلصين له الدّين حنفاء ويقيموا الصّلاة ويؤتوا الزّكاة وذلك دين القيّمة**﴾[٦٨]، الإخلاص في الدّين يتناقض مع المعصية والفساد والظلم، إذ الإخلاص يعني الانقياد المطلق لله تعالى بحيث لا يشوبه رياء، أو إرضاء للناس، أو للهوى.

٣ ـ **الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**: قال تعالى: ﴿**وأقم الصّلاة إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**﴾[٦٩].

٤ ـ **الصيام طريق إلى التقوى**: قال تعالى: ﴿**يا أيّها الذين آمنوا كتب عليكم الصّيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلّكم تتقون**﴾[٧٠]، فالصيام هو عبادة لتربية الإنسان على التقوى، وإبعاده عن المعاصي والمفاسد، وطريق لقتل السلبيات في النفس، وأسلوب لترويض النفس الصبر عن المعصية وعلى الطاعة.

٥ ـ **الحج هو لزيادة التقوى**: قال تعالى: ﴿**الحجّ أشهر معلومات فمن فرض فيهنّ الحجّ فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله**

**وتـزودّوا فـإنّ خـير الـزّاد التّقـوى واتّقـون يـا أولى الألباب﴾**[٧١]، فالحج هو عبادة للاستزادة من التقوى، وترويض النفس على ترك المحلّل فضلاً عن ترك المعاصي والمفاسد.

## ب ـ التشريعات العائلية / الأسريّة:

وهي التشريعات التي شرّعها الله تعالى لصيانة كيان الأسرة، وحفظ الأنساب، والسيطرة على الغريزة الجنسية، مثل: تحليل الزواج، وتحريم السفاح، واللواط، والفواحش.

يعتمد الإسلام على بعض الإجراءات الوقائيّة، التي تحول دون حصول المشكلة، وهي إجراءات تنطلق من الوقاية خير من العلاج، ودفع المخاطر المحتملة، من قبيل: الحدّ من الاختلاط، والفصل بين الأطفال في المضاجع في عمر العشر سنوات فصاعداً، وإزالة عوامل الإثارة الجنسية، واعتماد وسائل أمينة للحيولة دون قيام من تسوّل له نفسه بما يريد من تعدّي على الحقوق، كما في الحث على كتابة العقود، والدّيون، والإشهاد، وأخذ الرّهان، وغير ذلك من إجراءات تقلّل من فرص التجاوز.

وفي القرآن الكريم كثير من الآيات التي ترتبط بالأحكام العائلية، نذكر على سبيل المثال ما يلي:

١ ـ **إباحة الزواج:** قال تعالى: ﴿**وأنكحوا الأيامى منكم والصّالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم﴾**[٧٢].

٢ ـ **إباحة تعدّد الزوجات:** قال تعالى: ﴿**فانكحوا ما طاب لكم من النّساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألّا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألّا تعولوا﴾**[٧٣].

٣ ـ **إباحة الزواج المؤقت:** قال تعالى: ﴿**فما استمتعتم به منهن فآتوهنّ أجورهنّ فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة إنّ الله كان عليماً حكيماً﴾**[٧٤].

٤ ـ **تحريم الزواج من المحارم:** قال تعالى: ﴿**ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلّا ما قد سلف إنّه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلا * حرّمت عليكم أمّهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعمّاتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمّهاتكم اللّاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمّهات نسائكم وربائبكم اللّاتى فى حجوركم من نسائكم اللّاتى دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهنّ فلا**

جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلّا ما قد سلف إنّ الله كان غفوراً رحيماً﴾[٧٥].

٥ ـ **تحريم الزنا**: قال تعالى: ﴿ولا تقربوا الزّنى إنّه كان فاحشةً وساء سبيلا﴾[٧٦].

٦ ـ **تحريم اللواط**: قال تعالى: ﴿ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين * إنّكم لتأتون الرجال شهوة من دون النّساء بل أنتم قومٌ مسرفون﴾[٧٧].

٧ ـ **وجوب الحجاب على المرأة**: قال تعالى: ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهنّ ويحفظن فروجهنّ ولا يبدين زينتهنّ إلّا ما ظهر منها وليضربن بخمرهنّ على جيوبهنّ ولا يبدين زينتهنّ إلّا لبعولتهنّ أو آبائهنّ أو آباء بعولتهنّ أو أبنائهنّ أو أبناء بعلوتهنّ أو إخوانهنّ أو بنى إخوانهنّ أو بنى أخواتهنّ أو نسائهنّ أو ما ملكت أيمانهنّ والتّابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهنّ ليعلم ما يخفين من زينتهنّ وتوبوا إلى الله جميعاً أيّها المؤمنون لعلّكم تفلحون﴾[٧٨].

٨ ـ **حرمة اتهام الآخرين بالفاحشة**: قال تعالى: ﴿إنّ الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدّنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم﴾[٧٩].

٩ ـ **حرمة النظر بشهوة لغير ما أحلّه الله**: قال تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إنّ الله خبير بما يصنعون﴾[٨٠].

١٠ ـ **وجوب العفّة على العزّاب**: قال تعالى: ﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتّى يغنيهم الله من فضله﴾[٨١].

١١ ـ **إدارة الأسرة بيد الزوج**: قال تعالى: ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصّالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللّاتى تخافون نشوزهنّ فعظوهنّ واهجروهنّ فى المضاجع واضربوهنّ فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهنّ سبيلا إنّ الله كان عليّاً كبيرا﴾[٨٢].

### ت ـ التشريعات السياسيّة:

وهي التشريعات التي شرّعها الله تعالى لإدارة شؤون الأمة الداخلية وعلاقاتها الخارجية، ولها دور كبير في محاربة المفاسد الاجتماعية، والإشراف على تطبيق التشريعات السماوية جميعها، من خلال الرجوع إلى أولياء الأمور، ولذلك أيّ انحراف أو خطأ في تطبيق

التشريعات السياسية سوف يؤثر على المنظومة القرآنية في محاربة الفساد الاجتماعي.

وهذا الخلل هو الذي حصل بالفعل بعد رحلة الرسول الأكرم ﷺ واغتصاب الخلافة من ولاة الأمر الشرعيين وعدم تطبيق القرآن الكريم بشكله الصحيح.

والآيات القرآنية في هذا المجال كثيرة جداً نذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

١ ـ **وجوب إقامة الدِّين (الحكومة الإسلامية)**: قال تعالى: ﴿**أقيموا الدّين ولا تتفرّقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه**﴾[٨٣].

٢ ـ **مشروعيّة الحكم لله تعالى**: قال تعالى: ﴿**إن الحكم إلّا لله أمر ألّآ تعبدوا إلّا إيّاه ذلك الدّين القيّم ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون**﴾[٨٤]، بمعنى: أن لله تعالى ولاية الحكم أولاً وبالذات، ثمّ يمنحها ثانياً وبالعرض لمن يشاء.

٣ ـ **مشروعيّة حكومة الأنبياء والأوصياء والفقهاء**: قال تعالى: ﴿**إنّا أنزلنا التّوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيّون الذين أسلموا للذين هادوا والرّبّانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء**﴾[٨٥]، بمعنى: الذي يحكم بالكتب السماوية ثلاثة أصناف: (النّبيّون)، وهم: الأنبياء، (الرّبانيّون)، وهم: الأوصياء، و (الأحبار)، هم: علماء الشريعة.

٤ ـ **تنصيب الأنبياء للحكم**: قال تعالى: ﴿**يا داود إنّا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين النّاس بالحقّ**﴾[٨٦].

٥ ـ **وجوب الطاعة لأولي الأمر**: قال تعالى: ﴿**يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردّه إلى الله والرّسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر**﴾[٨٧]، و «المراد من أولي الأمر هم مراجع الأمة في شؤونها الإدارة والاجتماعية من أجل إحلال العدل والتكامل الإنساني، ولا ينحصرون بالأئمة المعصومين عليهم السلام في عصر حضورهم، بل لا بدّ من وجود أشخاص في زمن الغيبة الكبرى يقومون مقامهم في أداء وظائفهم، ولا نجد أولي الأمر شرعيين غير صنف الفقهاء الأكفاء العدول»[٨٨].

٦ ـ **وجوب الحكم بما أنزل الله**: كما في الآيات الشريفة: ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**﴾[٨٩]. ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظّالمون**﴾[٩٠]. ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون**﴾[٩١].

**ث ـ التشريعات الاقتصاديّة:**

وهي التشريعات التي شرّعها الله تعالى لتنظيم التعاملات الماليّة في المجتمع، وتحقيق العدالة الاجتماعية، ومنع الظلم والتعدّي على حقوق الآخرين، والإسراف، وأكل المال بالباطل، وفي هذا المجال ذكر القرآن الكريم تشريعات كثيرة جداً، نذكر على سبيل المثال الآيات التالية:

١ ـ **إباحة التجارة وتحريم أكل الأموال بالباطل:** قال تعالى: ﴿**يا أيّها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلّا أن تكون تجارةً عن تراضٍ منكم**﴾[٩٢].

٢ ـ **وجوب الوفاء بالعقود:** قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود**﴾[٩٣].

٣ ـ **حرمة الرّبا:** قال تعالى: ﴿**أيّها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة واتّقوا الله لعلكم تفلحون**﴾[٩٤].

٤ ـ **حرمة الإسراف والتبذير:** قال تعالى: ﴿**وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنّه لا يحبّ المسرفين**﴾[٩٥].

٥ ـ **حرمة أكل مال اليتيم:** قال تعالى: ﴿**ولا تقربوا مال اليتيم إلّا بالّتي هي أحسن حتّى يبلغ أشدّه**﴾[٩٦].

٦ ـ **حرمة أكل مال الحرام:** قال تعالى: ﴿**وترى كثيراً منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السُّحت لبئس ما كانوا يعملون * لولا ينهاهم الربّانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السُّحت لبئس ما كانوا يصنعون**﴾[٩٧]، والسحت هو أشد أنواع مال الحرام.

**ج ـ التشريعات الاجتماعية والتربويّة:**

وهي التشريعات التي شرّعها الله تعالى من أجل زرع القيم الأخلاقية وتجذيرها في المجتمع والأمر بها، مثل: وجوب حسن الأخلاق، والعدالة، والعفّة، والقناعة، وحسن الجوار... الخ.

كذلك شرّع الله تعالى تحريم المفاسد الاجتماعية والأخلاقية أمثال: تحريم الخمر، والقمار، وإشاعة الفاحشة، والجهر بالمعاصي، وإن ترسيخ القيم في النفوس تحدث منعة ذاتية في مواجهة المفاسد، فعندما تهفو النفس لممارسة رذيلة أو الحصول على لذّة رخيصة، تعمل قيم الفضيلة على ردع النفس وتمسك بزمامها، وعندما يهمّ الإنسان بتجاوز حدود الآخرين والتعدّي على حقوقهم، تتحرّك قيمة العدالة في النفس إذا كانت قوية لتقف في وجهه وتحول دونه وما يريد.

وما ينبغي تأكيده أن عملية التغيير تبدأ بالفرد.

وعليه، فليس مبرّراً على الإطلاق أن ينتظر الشخص غيره، فلو توقّف الإصلاح والتغيير على توفّر جماعة تلتزم بذلك لما أمكن الانطلاق به على الإطلاق، لكن إذا بادر بعضهم أمكن توفير الجماعة وازداد بهم التأثير وتسارعت وتيرة الإصلاح والتغيير.

وآيات القرآن الكريم التي تتحدّث عن التشريعات الاجتماعيّة التربويّة كثيرة جداً، نذكر على سبيل المثال ما يأتي:

١ ـ **وجوب حسن الأخلاق:** قال تعالى: ﴿**وبالوالدين إحساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصّاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إنّ الله لا يحبّ من كان مختالاً فخورا**﴾[٩٨].

٢ ـ **العدل والإحسان:** قال تعالى: ﴿**إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظم لكلكم تذكرون**﴾[٩٩].

٣ ـ **مساعدة الأغنياء للفقراء:** قال تعالى: ﴿**ولا يأتل أُولوا الفضل منكم والسّعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله**﴾[١٠٠].

٤ ـ **لزوم التحلّي بالعفو والصفح:** قال تعالى: ﴿**وليعفوا وليصفحوا ألا تحبّون أن يغفر الله لكم**﴾[١٠١].

٥ ـ **حرمة الجهر بالمعاصي:** قال تعالى: ﴿**لا يحبّ الله الجهر بالسّوء من القول إلّا من ظلم وكان الله سميعاً عليما**﴾[١٠٢].

٦ ـ **حرمة إشاعة الفاحشة:** قال تعالى: ﴿**إنّ الذين يحبّون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذابٌ أليمٌ فى الدُّنيا والآخرة**﴾[١٠٣].

٧ ـ **حرمة دخول بيوت الآخرين من دون استئذان:** قال تعالى: ﴿**يا أيّها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتّى تستأنسوا وتسلّموا على أهلها ذلكم خيرٌ لكم لعلّكم تذكرون**﴾[١٠٤].

٨ ـ **حرمة فعل المعاصي والمفاسد والظلم:** قال تعالى: ﴿**قل إنّما حرّم ربّى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحقّ وأن تشركوا بالله ما لم ينزّل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون**﴾[١٠٥].

٩ ـ **حرمة الخمر والقمار:** كما في قوله تعالى: ﴿**يا أيّها الذين آمنوا إنّما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشّيطان فاجتنبوه لعلّكم تفلحون * إنّما يريد الشّيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدّكم عن ذكر الله وعن الصّلاة فهل أنتم منتهون**﴾[١٠٦].

**الرابع: العلاج التشريعيّ السلبيّ:**

العلاج الذي يعتمد على تشريع القوانين والأحكام ذات أدوات الرّدع ووسائل العقاب التي يُلجأ إليها عادة لمعاقبة المجرمين والمفسدين وللحيولة دون انتشار المفاسد في المجتمع. وهذه التشريعات السلبية في الشريعة الإسلامية على ثلاثة أنواع: تشريعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتشريعات القضائية، والتشريعات العسكريّة، أي: إن كلّ فساد اجتماعي يتناسب مع نوعٍ من هذه الأنواع لعلاجه، وحاصل الكلام في كل واحدة كالتالي:

**أ ـ تشريعات الأمر بالمعروف النهي عن المنكر:**

وهي من التشريعات السلبية الاجتماعية التي شرّعها الله تعالى لحفظ المجتمع من انتشار المنكر أو من ترك المعروف، وجعل المؤمنين كلهم مسؤولين عن مجتمعهم وحفظه من الفساد والرذيلة والفواحش. ولا يحتاج هذا العلاج إلى تدخّل السلطة الحكومية، أو السلطة القضائية، أو السلطة التنفيذية. وقد ذكر القرآن الكريم أنها وظيفة الأمة ووصفها بذلك في آيات عدة، منها:

١ ـ **أنهم خير أمة أخرجت للناس:** قال تعالى: ﴿**كنتم خير أمّة أُخرجت للنّاس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾[١٠٧].

٢ ـ **أنهم المفلحون:** قال تعالى: ﴿**ولتكم منكم أمّة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**﴾[١٠٨].

٣ ـ **أنهم الصالحون:** قال تعالى: ﴿**يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصّالحين**﴾[١٠٩].

٤ ـ **أنهم المرحومون:** قال تعالى: ﴿**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصّلاة ويؤتون الزّكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إنّ الله عزيز حكيم**﴾[١١٠].

**ب ـ التشريعات القضائية:**

وهي من التشريعات الاجتماعية التي شرّعها الله تعالى لمعالجة المفاسد والتجاوز على حقوق الآخرين وحلّ الاختلافات، وقد منح الله تعالى هذه السلطة الأنبياء، والأوصياء، والفقهاء العدول، لإقامة الحدود، والتعزيرات، والقصاص، وفصل الخصومات.

لذلك توضع عادة أنظمة العقوبات، إلا أنه من

الضروري اعتماد وسائل العلاج الجذري الإيجابي للظواهر السلبية، وذلك عبر دراسة الأسباب والدوافع ومعالجتها، وعدم الاتكال على أجهزة القضاء والرقابة.

فالقضاة عندما يعالجون أيّ مشكلة فهم يتناولونها من الزاوية الجزائية بقطع النظر عن الآثار الاجتماعية والأبعاد الإنسانية التي ترافق الأحكام، وهو أمر على أهميته لا يكفي لمن يريد أن يعالج المفاسد ويجتثّها من جذورها، مما يفرض على التربويين والمعالجين الاجتماعيين والمبلّغين أن يضعوا برامج خاصة لكل حالات التورّط لإنقاذها والحيلولة دون انتشار العدوى إلى عناصر المجتمع.

وقد ذكر القرآن الكريم كثير من الآيات المرتبطة في التشريعات القضائية نذكر على سبيل المثال ما يلي:

١ ـ **وجوب التحاكم عند رسول الله** ﷺ: قال تعالى: ﴿**فلا وربّك لا يؤمنون حتّى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً ممّا قضيت ويسلموا تسليماً**﴾[١١١].

٢ ـ **وجوب الحكم بالعدل**: قال تعالى: ﴿**إن الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين النّاس أن تحكموا بالعدل**﴾[١١٢].

٣ ـ **تشريع القصاص**: قال تعالى: ﴿**يا أيّها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحرّ بالحرّ والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفى له من أخيه شيءٌ فاتّباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيفٌ من ربّكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم * ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون**﴾[١١٣]، وكذلك قوله تعالى: ﴿**وكتبنا عليهم فيها أنّ النّفس بالنّفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأُذن بالأُذن والسنَّ بالسن والجروح قصاص فمن تصدّق به فهو كفّارةٌ له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظّالمون**﴾[١١٤].

٤ ـ **تشريع أحكام الحدود ومقدار الجلد**: قال تعالى: ﴿**والزّانية والزّانى فاجلدوا كلّ واحد منهما مئة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين**﴾[١١٥].

٥ ـ **تشريع حكم قطع يد السارق**: قال تعالى: ﴿**والسّارق والسّارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم**﴾[١١٦].

٦ ـ **تشريع حكم البغاة والذين يسعون في الأرض فساداً**: قال تعالى: ﴿**إنّما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو**

**يصلّبوا أو تقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزيٌ في الدّنيا ولهم في الآخرة عذابٌ عظيم﴾**[117].

٧ ـ **تشريع حكم القتل:** قال تعالى: ﴿**وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلّا خطئاً ومن قتل مؤمناً خطئاً فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلّمة إلى أهله * ومن يقتل مؤمنا متعمّداً فجزآؤه جهنّم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذاباً عظيماً﴾**[118].

## ت ـ التشريعات العسكريّة:

وهي من التشريعات الاجتماعية التي شرّعها الله تعالى لصدّ العدو الخارجي، أو لإنهاء الفتن الداخلية التي يثيرها البغاة، من خلال إعداد جيش قوي تحت قيادة ولي أمر المسلمين.

وقد ذكر القرآن الكريم كثيراً من الآيات التي تشرع أحكام هذا العلاج، نذكر على سبيل المثال ما يلي:

١ ـ **وجوب الجهاد الدفاعي وحرمة الاعتداء:** قال تعالى: ﴿**وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إنّ الله لا يحبّ المعتدين﴾**[119].

٢ ـ **وجوب الجهاد من أجل الوطن:** قال تعالى: ﴿**واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشدّ من القتل﴾**[120].

٣ ـ **وجوب جهاد الظالمين وإخماد الفتنة:** قال تعالى: ﴿**وقاتلوهم حتّى لا تكون فتنة ويكون الدّين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلّا على الظالمين﴾**[121].

٤ ـ **وجوب جهاد الطائفة الباغية من المسلمين:** قال تعالى: ﴿**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا الّتي تبغي حتّى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إنّ الله يحبّ المقسطين﴾**[122].

٥ ـ **وجوب التهيّئ القوي والاستعداد الدائم للجهاد:** قال تعالى: ﴿**وأعدّوا ما استطعتم من قوّة ومن رّباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوّك وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيءٍ في سبيل الله يوفّ إليكم وأنتم لا تظلمون﴾**[123].

## الخاتمة

المفاسد الاجتماعيّة: هي أمراض سلوكيّة معدية تسري بين أفراد المجتمع وتسبّب لهم حالة من الإدمان النفسي، وتوجد عادات وأخلاق اجتماعية خاطئة تهدّد بإهلاك النسل والحرث، وفقدان الأمن في هذه

المجتمعات. وهي لا تقل خطورة عن الأمراض الجسدية والفيروسية كالطاعون والإيدز وما شابههما.

ويشتمل القرآن الكريم على منظومة عملية متكاملة لعلاج المفاسد الاجتماعية تبدأ من الإيمان بالله تعالى، والمبدأ، والميعاد، والرّسل، وإقامة الشرائع السماوية، ومحاربة الكفر والظلم والفساد من على وجه الأرض.

**وتنقسم هذه المنظومة إلى أربعة محاور من العلاجات للمفاسد الاجتماعية:**

**الأوّل**: العلاج الإيماني الإيجابي: هو العلاج الذي يعتمد في تربية الإنسان على تقوية الإيمان بالله تعالى وبالمبدأ والميعاد؛ لأن تقوية الإيمان والمعرفة بصفات الله تعالى تجنبه الضلال والضياع والتيه، وتعطيه منعة ذاتية وارتداعاً إرادياً من إرتكاب المفاسد والمعاصي التي تغضب الله تعالى.

**الثاني**: العلاج الإيماني السلبي: العلاج الذي يعتمد في تربية الإنسان على الخوف من الله تعالى والوعيد الإلهي بالعقاب والعذاب بنار جهنم في الآخرة، أو بتعجيل العذاب على الكافرين في الدّنيا لينتج من ذلك حالة التقوى التي تجنّب الإنسان من فعل المعاصي واقتراف المفاسد.

**الثالث**: العلاج التشريعي الإيجابي: العلاج الذي يعتمد في التربية على أسلوب تشريع القوانين والأحكام التي تكسب الإنسان منعة ذاتية وارتداعاً إرادياً من فعل الفساد والظلم والمعاصي، حتى لا تصل النوبة معها إلى وسائل العقاب القضائية المعتمدة في الشريعة الإسلامية.

**الرابع**: العلاج التشريعي السلبي: العلاج الذي يعتمد على تشريع القوانين والأحكام ذات أدوات الردع ووسائل العقاب التي يُلجأ إليها عادة لمعاقبة المجرمين والمفسدين ولليحلولة دون انتشار المفاسد في المجتمع.

وهذه التشريعات السلبية في الشريعة الإسلامية على ثلاثة أنواع: (تشريعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتشريعات القائية، والتشريعات العسكريّة)، أي: أنّ كلّ فسادٍ اجتماعيٍ يتناسب لعلاجه نوع من هذه الأنواع.

وهذه المنظومة لا تعطي نتائجها المثمرة ما لم تُطبّق بكاملها.

## المصادر والمراجع


* القرآن الكريم.

١ ـ الفراهيدي، الخليل أحمد، كتاب العين، دار الكتاب، بيروت، ١٤٢٢ هـ.

٢ ـ الجوهري مختار الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار ـ الطبعة: الرابعة ـ سنة الطبع: ١٤٠٧ ـ ١٩٨٧ م ـ الناشر: دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان.

٣ ـ للزبيدي تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري ـ سنة الطبع: ١٤١٤ ـ ١٩٩٤ م ـ المطبعة: دار الفكر ـ بيروت، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت.

٤ ـ الشيخ الكليني الكافي، تحقيق: على أكبر الغفاري الطبعة: الخامسة، سنة الطبع: ١٣٦٣ هـ ش، المطبعة: دار الكتب الإسلامية ـ طهران.

٥ ـ الطريحي، فخر الدّين، مجمع البحرين، الناشر: مرتضوي، المطبعة: طراوت، ١٣٦٢ ش.

٦ ـ معرفة، محمد هادي، ولاية الفقيه أبعادها وحدودها.


## الهوامش:

[١] انظر: كتاب العين، الخليل الفراهيدي: ج ٧، ص ٢٣١.

[٢] الصحاح، الجوهري: ج ٢، ص ٥١٩.

[٣] تاج العروس، الزبيدي: ج ٥، ص ١٦٤.

[٤] المصدر السابق.

[٥] سورة الروم: ٤١.

[٦] مجتمع البحرين، الشيخ الطريحي: ج ٣، ص ٤٠٠.

[٧] سورة البقرة: ٨٤.

[٨] سورة النساء: ٢٩.

[٩] سورة الأعراف: ٢٨.

[١٠] سورة الأعراف: ٨٦.

[١١] سورة آل عمران: ٧.

[١٢] سورة المائدة: ٣٢.

[١٣] الكافي، الكليني: ج ٢، ص ٢١٠.

[١٤] سورة البقرة: ٢٠٥.

[١٥] سورة البقرة: ٢٧.

[١٦] سورة الشمس: ٨.

[١٧] سورة العلق: ٦ ـ ٧.

[١٨] سورة آل عمران: ١٤.

[١٩] سورة يوسف: ٥٣.

[٢٠] سورة البقرة: ١٠.

[٢١] سورة البقرة: ٣٦، الأعراف: ٢٤.

[٢٢] سورة البقرة: ١٢.

[٢٣] سورة البقرة: ٣٠.

[٢٤] سورة البقرة: ٣٠.

[٢٥] سورة البقرة: ٣٠.

[٢٦] سورة ص: ٧٥.

[٢٧] سورة ص: ٧٦.

[٢٨] سورة الأعراف: ١٣.

[٢٩] سورة الإسراء: ٦٢.

[٣٠] سورة ص: ٨٠ ـ ٨١.

[٣١] سورة ص: ٨٢.

[٣٢] سورة الأعراف: ١٦.

[٣٣] سورة الأعراف: ١٧.
[٣٤] سورة ص: ٨٣.
[٣٥] سورة الإسراء: ٦٣.
[٣٦] سورة الإسراء: ٦٤.
[٣٧] سورة ص: ٨٥.
[٣٨] سورة الإسراء: ٦٥.
[٣٩] سورة الأعراف: ١٧.
[٤٠] سورة النور: ٢١.
[٤١] سورة البقرة: ١٦٩.
[٤٢] سورة النساء: ١٢٠.
[٤٣] سورة الشعراء: ٩٥.
[٤٤] سورة الأنعام: ١١٢.
[٤٥] سورة الناس: ٥.
[٤٦] سورة الأنعام: ١١٢.
[٤٧] سورة الأنعام: ١١٢.
[٤٨] سورة الأعراف: ١٦.
[٤٩] سورة المائدة: ٩٠ ـ ٩١.
[٥٠] سورة الأنعام: ١٥٥.
[٥١] سورة الأعراف: ٧٤.
[٥٢] سورة الأعراف: ٥٦.
[٥٣] سورة المائدة: ٦٤.
[٥٤] سورة يونس: ٤٠.
[٥٥] سورة البقرة: ٢٥٧.
[٥٦] سورة المجادلة: ٢٢.
[٥٧] سورة آل عمران: ١١٤.
[٥٨] سورة آل عمران: ١٦٤.
[٥٩] سورة البقرة: ٢٥.
[٦٠] سورة البقرة: ١٦٥.
[٦١] سورة آل عمران: ٢٢.
[٦٢] سورة البقرة: ١٥٠.
[٦٣] سورة الأنعام: ١١.
[٦٤] سورة الأعراف: ١٣٣.
[٦٥] سورة آل عمران: ٥٤.
[٦٦] سورة البقرة: ٤٨.
[٦٧] سورة الذاريات: ٥٦.
[٦٨] سورة البينة: ٥.
[٦٩] سورة العنكبوت: ٤٥.
[٧٠] سورة البقرة: ١٨٣.
[٧١] سورة البقرة: ١٩٧.
[٧٢] سورة النور: ٣٢.
[٧٣] سورة النساء: ٣.
[٧٤] سورة النساء: ٢٤.
[٧٥] سورة النساء: ٢٢ ـ ٢٣.
[٧٦] سورة الإسراء: ٣٢.
[٧٧] سورة الأعراف: ٨٠ ـ ٨١.
[٧٨] سورة النور: ٣١.
[٧٩] سورة النور: ٢٣.
[٨٠] سورة النور: ٣٠.
[٨١] سورة النور: ٣٣.
[٨٢] سورة النساء: ٣٤.
[٨٣] سورة الشورى: ١٣.
[٨٤] سورة يوسف: ٤٠.
[٨٥] سورة المائدة: ٤٤.
[٨٦] سورة ص: ٢٦.

[٨٧] سورة النساء: ٥٩.
[٨٨] ولاية الفقيه أبعادها وحدودها، الشيخ محمد هادي معرفة: ص ٣٥.
[٨٩] سورة المائدة: ٤٤.
[٩٠] سورة المائدة: ٤٥.
[٩١] سورة المائدة: ٤٧.
[٩٢] سورة النساء: ٢٩.
[٩٣] سورة المائدة: ١.
[٩٤] سورة آل عمران: ١٣٠.
[٩٥] سورة الأعراف: ٣١.
[٩٦] سورة الأنعام: ١٥٢.
[٩٧] سورة المائدة: ٦٢ ـ ٦٣.
[٩٨] سورة النساء: ٣٦.
[٩٩] سورة النحل: ٩٠.
[١٠٠] سورة النور: ٢٢.
[١٠١] سورة النور: ٢٢.
[١٠٢] سورة النسا: ١٤٨.
[١٠٣] سورة النور: ١٩.
[١٠٤] سورة النور: ٢٧.
[١٠٥] سورة الأعراف: ٣٣.
[١٠٦] سورة المائدة: ٩٠ ـ ٩١.
[١٠٧] سورة آل عمران: ١١٠.
[١٠٨] سورة آل عمران: ١٠٤.
[١٠٩] سورة آل عمران: ١١٤.
[١١٠] سورة التوبة: ٧١.
[١١١] سورة النساء: ٦٥.
[١١٢] سورة النسا: ٥٨.
[١١٣] سورة البقرة: ١٧٨ ـ ١٧٩.
[١١٤] سورة المائدة: ٤٥.
[١١٥] سورة النور: ٢.
[١١٦] سورة المائدة: ٣٨.
[١١٧] سورة المائدة: ٣٣.
[١١٨] سورة النساء: ٩٢ ـ ٩٣.
[١١٩] سورة البقرة: ١٩٠.
[١٢٠] سورة البقرة: ١٩١.
[١٢١] سورة البقرة: ١٩٣.
[١٢٢] سورة الحجرات: ٩.
[١٢٣] سورة الأنفال: ٦٠.

# نَظَرِيَّاتُ الدِّلَالَةِ عِنْدَ الأُصُولِيِّينَ

## رُؤْيَةٌ مُقَارَنَةٌ مَعَ أَبْحَاثِ عِلْمِ اللُّغَةِ (اللِّسَانِيَّات)

❖ صلاح عبد الأمير الموسوي(*)

(*) باحث في الحوزة العلمية ـ العراق.

الدلالة: نقطة التقاء لأنواع من التفكير والمناهج مثل: المنطق والفلسفة، وعلم النفس، والانثروبولوجيا، والنحو، والبلاغة، وأصول الفقه، واللسانيات، وإن اختلفت الاهتمامات بها لاختلاف نقطة البداية.

وربما يعود هذا الاهتمام الى ارتباط الدلالة بالمعنى وتغيّره مما جعلها نقطة جذب لتلك العلوم.

وهنا سنسلط الضوء على نظرية الدلالة عند الاصوليين مع رؤية مقارنة بأبحاث علم اللغة اللسانيات، نستهدف من ورائها إظهار الجانب المشترك بينهما في معالجة هذه الموضوعة ـ وصولا لحوار متبادل بينهما مستقبلا ـ وضمن الفقرات التالية:

## مفهوم الدلالة

أ ـ الدلالة لغة: تعني الإرشاد، فدله على الطريق، والى الطريق، أرشده إليه. جاء في كتاب لسان العرب: «الدليل: ما يستدل به. والدليل: الدال، وقد دله على الطريق يدله دَلالة ودلالة ودولة..»، «الدُل الغنج... ودلت المرأة تدلّ»[1] وكذلك في معجم مقاييس اللغة، وغيرها من معاجمنا اللغوية القديمة[2]، والتي لا نجد فيها أي ذكر للدلالة وذلك لأنها وضعت في الأصل لمعنى مادي وهو العلامة أو السمة، ثم امتدت من المادي إلى المعنوي لوجه شبه بينهما[3].

الدلالة اصطلاحاً: ان اقدم حقل معرفي تناول الدلالة بالبحث والتعريف بوصفها مصطلحا علميا هو المنطق الصوري، وبه تأثر علماء الأصول وكذلك علماء اللسانيات.

فهي عند المناطقة: «كون الشيء بحالة يلزم من العلم بشيء آخر والشيء الأوّل هو الدال والثاني هو المدلول»، اذن هي إدراك شيء بسبب شيء ملازم له، والعلاقة بين الدال والمدلول سببية ذهنية، أي أن الذهن ينتقل من العلم بالدال الى المدلول باحد الأسباب التالية: العقل، الطبع، الوضع، وعلى هذا التصور السببي

قسمت الدلالة إلى عقلية وطبيعية، ووضعية.

فالعقلية: هي العلاقة التي يدرك العقل وجودها بين الدال والمدلول اللذين بينهما ملازمة ذاتية في وجودهما الخارجي كالعلاقة بين العلة والمعلول، والأثر والمؤثر، وسميت عقلية لأن العقل هو الذي يستكشف الملازمة الذاتية بين الدال والمدلول، ويرى البعض أن تسمى بالدلالة الذاتية لا العقلية لأن العقل كما يكون طريقا لاستكشاف العلاقة بين الدال والمدلول في الدلالة العقلية كذلك يدرك الملازمة في الدلالة الطبيعية والوضعية[٤].

والطبيعية: هي تلك العلاقة التي تقوم بين الدال والمدلول بسبب اقتضاء طبعهما لها، كدلالة حمرة الوجه على الخجل.

أما الوضعية: هي العلاقة القائمة بين الدال والمدلول بسبب التواضع والاصطلاح. وتنقسم إلى لفظية وغير لفظية، واللفظية إذا كان دال الموضوع لفظا وغير اللفظية اذا كان الدال الموضوع غير لفظ، كالاشارة وعلامات المرور ونحوها.

وتنقسم اللفظية إلى ثلاثة أقسام: مطابقة، تضمن، التزام.

المطابقة: هي دلالة اللفظ على تمام ما وضع له كدلالة لفظ البيت على معنى البيت بجميع أجزائه.

والتضمن: دلالة اللفظ على جزء ما وضع له، مثل: دلالة الكتاب على غلافه والشجرة على ثمرتها.

والالتزام: دلالة اللفظ على المعنى الخارج عن الموضوع له، مثل: قولنا زيد حاتم فهنا دلالة على كرم زيد، لوجود الملازمة بين الكرم وحاتم، ويشترط في هذه الدلالة كون المتلقي عالما بالملازمة بين حاتم والكرم[٥]، [٦].

ويرى مؤسس منطق العلامات الفيلسوف بيرس (**Peirce**) ان الدلالة أو العلامة عبارة (عن شيء ما، يمثل بالنسبة لشخص معين شيئاً آخر من بعض الوجوه أو من حيث الامكان أو الاستطاعة... أي شيء يحدد شيئاً آخر)[٧]، وجعل المنطق كله عبارة عن علم القوانين العامة للعلامات أو مجرد اسم آخر لعلم العلامات. ويقسم الدلالة الى ثلاثة أقسام أيضاً هي: الرمز، الشاهد، والصورة. ومن خلال (الأمثلة التي يختارها بيرس نجد ان دلالة الرمز تقابل الدلالة الوضعية،... بينما دلالة الشاهد تقابل الدلالة العقلية، أما دلالة الصورة فتقترب من الدلالة فتقترب من الدلالة الطبيعية)[٨].

أما عند علماء الاصول فالدلالة تحتفظ بتعريفها المنطقي[٩]، الا ان بعض المعاصرين ينتقد ذلك التعريف

بعدم دقته في شمول الدلالة اللفظية الوضعية، ليصل إلى نتيجة مفادها ان معنى الدلالة من المفاهيم التي يتعامل معها الانسان بشكل لا يجد من التعريفات أجلى وأوضح منها ليستخدمه في تبينها وتوضيحها.

وعلماء اللسانيات (**Linguistics**) أيضاً تأثروا بالمنطق وتناولة الدلالة بالبحث من خلال التمييز بين: (**Semiotics**) و (**Semantics**) فالسيموتيك أو السيميولوجيا (**Semiology**)، هو علم العلامات أو علم الدلالة الذي يعني بالدراسة العلمية للعلامات (الرموز) اللغوية وغير اللغوية، ويرى موريس (**Morris**)، وكارناب (**Carnap**) ان علم السيميولوجيا يضم الاهتمامات التالية[١٠]:

١ ـ دراسة كيفية تركيب العلامات والرموز وفي اللغة هي علاقة اللغة باللغة، أي دراسة التركيب اللغوي والمنطقي للغة وهو السنتاكس (**Syntax**).

٢ ـ دراسة العلاقة بين العلامة وتدل عليه وفي اللغة علاقة اللغة بالواقع أو دراسة المعاني، وهو السيمانتيك (**Semantics**).

٣ ـ دراسة العلامة من حيث علاقتها بمستعمليها، وهي البراجماطيقية أو التداولية (**Pragmatics**) والتداولية اشهر انتشارا كمصطلح وأكثر استقرارا.

أما (**Semantics**) فكانت تعني حتى القرن السابع عشر العرافة أو النبوءة وبعد ذلك جاء اللغوي بريل ليظهر هذا المصطلح في دراسة كتبها بالفرنسية عنوانها القوانين الفكرية للكلام ـ مقاطع من علم الدلالة، موضحا ان تلك المفردة مشتقة من الكلمة اليونانية (**Sema**) التي تعني الرمز أو العلامة[١١]، لتتوارد بعده الدراسات في هذا المجال حتى عدت الدلالة دراسة المعنى.

ومن خلال ما سبق يمكن القول ان الاصوليين واللسانيين يدخلان في نطاق دراستهم العلمية الدلالة العقلية، الطبيعية وكذلك الدلالة الوضعية لفظية أو غير لفظية.

والذي يهمنا هنا دراسة الدلالة اللفظية الوضعية، أو دلالة الالفاظ وغرض الاصوليين من دراستها هي استفادة الاحكام الشرعية من خلال النص القرآني أو الحديثي ومقصودهم الالفاظ من حيث انها تدل على المعاني، ولا يختلف علماء اللسانيات في ذلك فهم ينظرون من خلالها الى المعنى وتطوره وتغيره وفهمه أو إدراكه.

## الدلالة بين فرضيتين:

قمة فرضيتان تتنازعان قضية الدلالة من حيث

الاصل والولادة:

الفرضية الأولى، ترى ان اللغة حدث دلالي.

الفرضية الثانية، ترى ان الدلالة حدث لغوي

الفرضية الأولى تعطي للدلالة دور الفاعل، وتكون اللغة حدثا تقف الدلالة باعثة له، ويمثل هذا الاتجاه اللغوي سوسير (**Saussure**)، الذي يعتبر الدلالة وحدة ثنائية المبنى مكونة من الدال والمدلول، واللغة هي فرع من علم العلامات (الدلالة) لذلك يقول: (اللغة نظام من الاشارات (العلامات) التي يمكن أن تعبر عن الأفكار، ويمكن تشبيه هذا النظام بنظام الكتابة، أو الالف باء المستخدمة عند فاقدي السمع والنطق، أو الطقوس الرمزية أو الصيغ المهذبة أو العلامات العسكرية أو غيرها من الأنظمة، ولكنه أهمها جميعا)[١٢].

ويقترب من هذا التصور اغلب علماء الاصول في نظرتهم لدلالة اللغوية التي تبحث عندهم تحت مفهوم الدلالة عموما وتحليل عملية المواضعة في ضوء المفهوم العام للدلالة، ويرى السيد محمّد باقر الصدر، ان اللغة من حيث دلالتها على المعنى ترجع إلى نظرية الدلالة أي الانتقال من ادراك شيء بسبب شيء آخر راجعة إلى قانون تكوني هو الاستجابة الشرطية (وحاول الانسان الاستفادة من هذا القانون في استخدام اللغة لنقل مقصوده إلى الآخرين)[١٣].

أما الفرضية الثانية تعطي للغة دور الفاعل، وتكون الدلالة حدثا تقف اللغة باعثة له ومنظمة له لحدوثه ويمثل هذه الفرضية اللغوي الفرنسي بارت (**Barth**) الذي امن بثنائية المبنى بالنسبة للدلالة بحسب تصور سوسير الا انه انتقد سوسير في رؤيته للغة كجزء من علم الدلالة بقوله: (يجب منذ الآن، تقبل قلب الاقتراح السوسيري ليست اللسانيات جزءاً، ولو منفصلاً، من علم العلامة العام، ولكن الجزء هو علم العلامة باعتباره فرعاً من اللسانيات)[١٤].

ويمكن ان نستنتج من بعض آراء علماء الاصول الأقدمين الذين ينظرون للغة بكونها توقيفا وليست اصطلاحا أو مواضعة ـ بغض النظر عن الدلالة الاعتبارية أو الذاتية هنا ـ اقترابا من رأي بارت وكما يأتي: لما كانت اللغة ليست اصطلاحاً أو مواضعة فستكون الدلالة غير سابقة لها وانما تأتي بعدها نتيجة لفعل اللغة.

## تقسيم الدلالة اللفظية:

قد مر بنا سابقاً التقسيم المنطقي للدلالة اللفظية إلى المطابقة، والتضمن، والالتزام، وهذا التقسيم قد تبناه علماء الاصول واستخدمه الفقهاء في استدلالاتهم

ومثال ذلك ما جاء في كتاب مستمسك العروة الوثقى للسيد محسن الحكيم في أن الشياع المفيد للعلم وسيلة من وسائل معرفة اجتهاد المجتهد فقال: (الفرق بينه وبين الأوّل (يعني العلم الوجداني) من حيث السبب لا غير، والا فهما مشتركان في كون العلم هو الحجة،... هذا وربما يقال بثبوته بخبر الثقة، لعموم ما دل على حجيته في الاحكام الكلية، اذ المراد منه ما يؤدي الى الحكم الكلي، سواء كان بمدلوله المطابقي أم الالتزامي، والمقام من الثاني، فان مدلول الخبر المطابق هو وجود الاجتهاد وهو من هذه الجهة يكون اخباراً عن الموضوع، لكن مدلوله الالتزامي هو ثبوت الحكم الواقعي الكلي الذي يردي إليه نظر المجتهد[١٥].

وكذلك نجد هذا التقسيم أيضاً عند اللسانيين[١٦].

يمكن التساؤل هنا عن وجود اضافات من قبل الاصوليين واللسانيين في هذا المجال؟ وفي الواقع ان الاصوليين واللسانيين قد قدما اضافات جديدة إلى تقسيمات الدلالة اللفظية بما يرتبط وطبيعة البحث اللغوي عندهما، وسنشير إلى ذلك ضمن ما يأتي[١٧]:

١ ـ **الدلالة الصوتية**: وهي تلك التي ترتبط بطريقة اداء الصوت أو الحرف كالهمز والتسهيل، والتفخيم والترقيق، والاظهار والادغام... الخ. هذه عند اللسانيين اما عند الاصوليين فلا نجد ذكرا للدلالة الصوتية الا من حيث اشارة الصوت الى اللفظ فقط.

٢ ـ **الدلالة الصرفية**: وتستفاد من هيئة وبنية الكلمة كهيئة اسم الفاعل وبنية الفعل المضارع.. الخ. هذه عند اللسانيين اما عند الاصوليين فهي دلالة الهيئات المفردة التي درس علماء الاصول في اطارها دلالة المشتق في مختلف هيئاته، كالفعل واسم الفاعل واسم المفعول... الخ.

٣ ـ **الدلالة المعجمية**: وتتمثل في الكلم المفردات، تستفيدها من استعمالات ابناء المجتمع وهي التي يدونها المعجميون في معاجمهم، وهذه عند اللسانيين، وعند الاصوليين بحثت تحت علامات الحقيقة والمجاز أو حجية قول اللغوي.

٤ ـ **الدلالة النحوية**: وهي التي تستفاد موقع ووظيفة الكلمة في الجملة، وعند الاصوليين تقع كفرع من دلالة الهيئات المركبة.

٥ ـ **دلالة الجملة**: وتستفاد من التركيب نفسه... مثلاً عندما يقال (كمال شجاع) فلكل مفردة من المفردتين دلالتها المعجمية وللجملة دلالتها التركيبية افادها نظام التركيب، وهي اتصاف كمال بالشجاعة وعند الاصوليين هي أيضاً فرع من دلالة الهيئات المركبة

وتسمى دلالة الجملة وبحثوا فيها دلالات الجمل الانشائية والخبرية.

٦ ـ **دلالة الاسلوب:** وهي ما يفيده سياق الكلام بما يضيفه من معنى عام ينشأ من ارتباط الجمل بعضها ببعض وعند الاصوليين هي فرع من دلالة الهيئات المركبة وتسمى دلالة الاسلوب أيضاً، وبحثوا فيها دلالة الكلام المؤلف من جملتين فأكثر.

٧ ـ دلالة المفردات: تناول الاصوليون في هذا الحقل استعمال اللفظ في المعنى الموضوع له فقط، ويضم التباين، الترادف، الاشتراك، التضاد. واستعمال اللفظ في المعنى الموضوع له، وفي غيره للمناسبة وبحث تحت عنوان الحقيقة والمجاز وهذه الموضوعات كلها واردة عند اللسانيين.

وبعد هذا الاستعراض لتقسيمات الدلالة نلاحظ ان اللسانيين والاصوليين متفقون في فهم تلك الصيغ الدلالية من حيث اهتمامهم بالتركيب وعلاقته بالدلالة وهذا يدلل على اهتمام الاصوليين بعلم المبنى أو النحو أو علم التراكيب (السينتاكس) وليس كما ادعاه البعض من أن الاصوليين لم يهتموا بهذا الجانب ويمكن للباحث المدقق مراجعة الكتاب القيم البحث النحوي عند الاصوليين للمؤلف الدكتور مصطفى جمال الدين.

وبقي ان نشير إلى ان هناك أقسام أخرى للدلالة عند الاصوليين وكذلك عند اللسانيين، كالدلالة التصورية والدلالة التصديقية والدلالة الاستعمالية أو الدلالة التداولية.

## العلاقة بين اللفظ والمعنى:

ان العلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة سببية بين وجودين ذهنيين الوجود الذهني للمعنى، والوجود الذهني للفظ، أي أن الوجود الذهني للفظ سبباً للوجود الذهني للمعنى وهذه العلاقة السببية لا يمكن أن تحصل بدون مبرر وعليه لا بدّ من تبرير هذه السببية.

وتبرير هذه السببية من القضايا التي تناولها بالبحث الفلاسفة الأقدمون وعلماء اللغة والبلاغة عند العرب وكذلك علماء اللسانيات المحدثون، وعلماء الاصول قديماً وحديثا.

ولغرض بيان هذه العلاقة بشكل مقارن بين الاصوليين واللسانيين سنستعرض آراء علماء الاصول في هذه المسألة وما يتناسب معهم من آراء اللسانيين في ذلك.

وبحثت هذه الموضوعة عند الاصوليين من عدة جهات: الأولى، في علاقة اللفظ بالمعنى وتفسيرها هل

هي علاقة ذاتية بينهما أو انها علاقة اعتبارية وضعية جعلية. الثانية، في تعيين الواضع، وانه الله تعالى أو غيره. الثالثة، في أنواع الوضع امكاناً ووقوعاً.

وفي الجهة الأولى يوجد اتجاهان في تفسير العلاقة بين اللفظ والمعنى، الأوّل: اتجاه ذاتي يرى ان العلاقة في دلالة اللفظ على المعنى واستتباع تصوره مستندة الى العلاقة الذاتية بينهما كالعلاقة بين النار والحرارة، والثاني: اتجاه موضوعي يرى ان العلاقة تحصل نتيجة لعامل خارجي وبجعل جاعل المعبر عنه بالوضع وليست نابعة من طبيعة اللفظ والمعنى ويشير الفخر الرازي إلى ذلك بقوله: (كون اللفظ مفيداً للمعنى: أم ان يكون لذاته، أو بالوضع، سواء كان الوضع من الله تعالى أو من الناس، أو بعضه من الله تعالى أو من الناس، فهذه احتمالات أربعة: فالأوّل مذهب عباد ابن سليمان الصميري، والثاني: وهو القول بالتوقيف: مذهب الاشعري وبن فورك، والثالث: وهو القول بالاصطلاح: مذهب ابي هاشم واتباعه، والرابع: هو القول بأن بعضه توقيفي وبعضه اصطلاحي، وفيه قولان: منهم من قال ابتداء اللغات يقع بالاصطلاح والباقي لا يمتنع ان يحصل بالتوقيف، ومنهم من عكس الأمر وقال القدر الضروري الذي يقع به الاصطلاح توقيفي، والباقي اصطلاحي، وهو قول الاستاذ أبي اسحاق الاسفرايني. وأما جمهور المحققين فقد اعترفوا بجواز هذه الأقسام وتوقفوا عن الجزم)[١٨]. هذه خلاصة المذاهب في ذلك الا ان علماء الأصول المعاصرين رفضوا العلاقة الذاتية بين اللفظ والمعنى فيرى السيد الخوئي أن الدلالة الذاتية بمعنى الارتباط الذاتي والمناسبة الذاتية بين اللفظ والمعنى بحد يوجب ان سماع اللفظ علة تامة لانتقال الذهن الى معناه فبطلانه أمر واضح لا يقبل النزاع فان لازم ذلك أي فرض تحقق العلاقة الذاتية تمكن كل شخص من الاحاطة بتمام اللغات وهذا يوجب انتقال ذهن السامع من أي لفظ سواء كان عربيا أو غير عربي فيدرك المعنى وهذا غير واقعي لأن الكثير يعجز عن فهم اللغات الاخرى[١٩] وعلى ذلك سار علماء الاصول من بعده في رفضهم للعلاقة الذاتية واتجهوا نحو العلاقة الجعلية أو الوضعية ضمن نظريات متعددة منها:

١ ـ **نظرية التعهد**: وهي للملا على النهاوندي صاحب تشريح الأصول قال في تعريف الوضع انه: (عبارة عن تعهد الواضع والتزامه بارادة المعنى من اللفظ في استعمالاته للفظ بلا قرينة)[٢٠] وتبعه على ذلك السيد الخوئي كما في المحاضرات.

٢ ـ **نظرية الاختصاص**: وهي للملا محمد كاظم الخرساني في كتابه كفاية الأصول فهي نحو اختصاص اللفظ بالمعنى وارتباط خاص بينهما، ناشئ من تخصيصه به تارة، ومن كثرة استعماله فيه أخرى[٢١].

٣ ـ **نظرية العلامة**: وتعني ان اللفظ علامة ترمز للمعنى وهي للشيخ محمد حسين الاصفهاني فقال في تعريف الوضع هو جعل اللفظ علامة على ارادة المعنى.

٤ ــ **نظرية الاعتبار**: أو الامر الواقعي: وهي للشيخ الأصولي الكبير الاغا ضياء الدين العراقي الذي يرى ان الوضع أمر اعتباري الا انه يختلف عن الأمور الاعتبارية الأخرى بانما يتعلق به الاعتبار يتحقق له واقع ويتقرر له ثبوت واقعي كسائر الأمور الواقعية فيه يختلف عن الامور الواقعية من جهة أنه عبارة عن جعل العلاقة واعتبارها، ويختلف عن الامور الاعتبارية بان ما يتعلق به الاعتبار لا ينحصر وجوده بعالم الاعتبار، بل يثبت له واقع في الخراج[٢٢].

٥ ـ **نظرية الهو هوية**: وتدل على هذه النظرية على ان العلاقة بين اللفظ والمعنى عبارة عن الهو هوية والاتحاد بين اللفظ والمعنى في عالم الاعتبار ومثل هذه الهو هوية والاتحاد الاعتباري يمكن أن يوجد في عالم الاعتبار بالجعل والانشاء وبكثرة الاستعمال اخرى، وهي للسيد البجنوردي وتبعه في ذلك السيد علي الحسيني السيستاني فيقول: ان حقيقة الوضع في نظرنا هي الهو هوية بين تصور اللفظ وتصور المعنى الحاصلة من مقدمات ثلاث.

أ ـ مرحلة الانتخاب التي تعني جعل اللفظ بازاء المعنى.

ب ـ مرحلة الاشارة وهي الاشارة باللفظ لعوامل كمية أو كيفية تساعد على ذلك.

ت ـ مرحلة التلازم والسببية الذهنية: وهي كون اللفظ سبباً لتصور المعنى.

لتأتي بعد ذلك مرحلة الهوهوية وهي اندماج لتصور المعنى في تصور اللفظ، ويعطي خمسة شواهد لاثبات هذه النظرية نختار منها الشاهد الخامس وهو سراية الحسن والقبح من المعنى الى اللفظ فمما لا ريب فيه وجدانا الشعور بكراهة بعض الالفاظ كهتلر لقبح معانيها واستحسان بعض الالفاظ الأخرى كلفظ الوردة مثلاً، فلو لا علاقة الاندماج بين اللفظ والمعنى واتحاد صورتيهما لما سرى الحسن والقبح من المعنى إلى اللفظ[٢٣].

٦ ـ **نظرية القرن الاكيد وهي للسيد محمد باقر الصدر** كما في تقريرات دروسه ونختار منها مباحث

الدليل اللفظي[٢٤] (وتحقيق الكلام في تشخيص حقيقة الوضع ان يقال: بأن الله سبحانه وتعالى قد جعل من الاحساس بالشيء سبباً في انتقال الذهن الى صورته فالانتقال الذهني الى الشيء استجابة طبيعية للاحساس به وهذا قانون تكويني ويوجد قانونان تكوينيان ثانويان يوسعان من دائرة تلك الاستجابة الذهنية احدهما قانون انتقال صورة الشيء إلى الذهن عن طريق ادراك مشابهة، كانتقال صورة الحيوان المفترس الى الذهن بسبب رؤية رسم مشابه على الورق.

ثانيهما قانون انتقال صورة الشيء الى الذهن لما وجده مشروطاً ومقترناً بذلك الشيء على نحو اكيد بليغ فيصبح هذا القرين في حكم قرينة من حيث ايجاد نفس الأثر والاستجابة الذهنيظ التي كان يحدثها على الذهن عند الاحساس به وهذا ما يسمى في المصطلح الحديث بالمنبه الشرطي والاستجابة الحاصلة منه بالاستجابة الشرطية وهذا الاقتران والاشتراط يوجب الاستجابة المذكورة لا بدّ وان يكون على وجه مخصوص، أي لا يكفي فيه مطلق الاقتران بل لا بدّ وان يكون اقتراناً مركزاً مترسخاً في الذهن اما نتيجة كثرة تكرر الاقتران خارجاً امام احساس الذهن، وهذا هو العامل الكمي لتركيز الاقتران، أو نتيجة ملابسات اكتنفت الاقتران ولو دفعة واحدة جعلته لا ينمحي عن الذهن، وهذا هو العامل الكيفي.

والانسان تحدث استجاباته الذهنية وفق هذه القوانين الثلاثة، فاذا اطلق شخص مثلاً صوتاً مشابها لزئير الاسد انتقل الى الذهن تصور ذلك الصوت نتيجة الاحساس السمعي به وهو تطبيق للقانون الأوّل، ثم ينتقل الذهن من ذلك الى تصور الزئير نتيجة المشابهة بينهما وهذا تطبيق للقانون الثانوي الأوّل، ثم ينتقل من ذلك الى صورة الاسد نفسه الملازم خارجاً مع صوته وهذا تطبيق للقانون الثانوي الثاني.

وقد حاول الانسان ان يستفيد من القانونين التكوينين الثانويين في مقام التعبير عن مقصوده ونقله الى ذهن مخاطبه، فاعتمد على القانون الثانوي الأوّل في استخدام الاشارت التعبيرية والتصويرية التي تنقل المعاني إلى الذهن على أساس التشابه، ولما كان قد اعتاد ان ينتقل من الاصوات إلى أسبابها واشكال مناشئها على أساس الاقتران الخارجي فقد اتجه الى توسيع نطاق الاستفادة من الاصوات واستخدامها في مجال تفهيم الآخرين أيضاً باستخدام القانون الثانوي الثاني عن طريق جعل لفظ أو صوت مخصوص مقترناً ومشروطاً بمعنى مخصوص اقتراناً اكيداً ناشئاً من

التكرار أو نتيجة عامل كيفي معين وبذلك نشأت العلقة الوضعية، أي السببية والاستتباع بين ذلك الصوت المخصوص والمعنى المخصوص. وهكذا تولدت ظاهرة اللغة في حياة الانسان وبدأت تتكامل وتتوسع من صيغ بدائية محدودة الى صيغ متكاملة اكثر شمولاً واستيعاباً للالفاظ والمعاني هذا هو حقيقة الوضع، فالواضع بحسب الحقيقة يمارس عملية الاقران بين اللفظ والمعنى بشكل أكيد بالغ، وهذا الاقتران البالغ اذا كان على أساس العامل الكمي ـ كثرة التكرار ـ سمي بالوضع التعيني واذا كان على أساس العامل الكيفي سمي بالوضع التعييني)[٢٥].

هذه النظريات في الجهة الاولى من دراسة الدلالة عند الاصوليين اما الجهات الأخرى فيمكن مراجعتها من مظانها.

وعند اللسانيين نجد ان العلاقة السببية بين الدال والمدلول قائمة على الاعتبار أو الاعتباط كما هي عند سوسير رافضة التقليد الافلاطوني القديم الذي يشير إلى العلاقة الذاتية وهذا ما يجعل علماء الأصول المعاصرين وسوسير وغيره يتفقون على الاعتباط أو العلاقة الجعلية مع وجود من سبقهم الى ذلك في علم البلاغة في نظريته الاعتباطية وهو عبد القاهر الجرجاني.

أما على مستوى النظريات التي تفسير العلاقة الجعلية الوضعية فنجد ان نظرية الشيخ الاصفهاني تتفق وآراء بيرس وسوسير من جعل اللفظ علامة للمعنى وكذل كنجد نظرية الهوهوية المتمثلة برأي السيد السيستاني تقترب من الدرس اللساني المعاصر وخصوصاً في مقدماتها الثلاث فهم اللسانيين يميزون بين ثلاثة مراحل أيضاً هي الرمز والاشارة والعلاقة وأخيراً نجد نظرية القرن الاكيد تقترب من أبحاث علم النفس اللغوي فتشير الدكتورة نوال عطية في كتابها علم النفس اللغوي إلى نظرية الاقتران الشرطي وعلاقتها بالمعنى واللفظ فتقول: (ان الاسس التي قامت عليها عملية تعلم معنى اللفظ، قد ظهرت في الاشتراط الكلاسيكي من حيث الاقتران التكراري بين مثيرين، لصدور استجابة ما. وقد اوضح اوزجود (**Osgood**) حدوث مثل هذه العلمية في التعلم اللغوي وهي: ان معنى اللفظ ينشأ من عملية اقتران بين اللفظ والمثير الشيء الدال على هذا اللفظ بمعنى ان المثيرات اللفظية أصوات كلامية تقترن مع مثيرات شيئية اقتراناً منتظما متكررا[٢٦].

وفي الختام ان هذه الرؤية المقارنة قد اعتمدت في صياغتها على المنهج الوصفي وكذلك المنهج

المقارن وصولا الى المشتركات عسى ان تفتح هذه الرؤية مجالاً لرؤية أوسع تتناول نظرية الدلالة وعلم اللغة النصي وكذلك التداولية وغيرها، بين الاصوليين واللسانيين مستقبلاً ان شاء الله تعالى.

## الهوامش:

[١] ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ٢٤٧ ـ ٢٥٠.
[٢] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٢، ص ٢٥٩.
[٣] الفضلي، د عبد الهادي، دروس في علم الاصول، ج ١، ص ٤١٥.
[٤] كاشف الغطاء، شيخ علي، نقد الآراء المنطقية، ص ١٢٦.
[٥] المظفر، الشيخ محمد رضا، المنطق ومعه المقرر للسيد رائد الحيدري، ج ١، ص ٤٧.
[٦] هنالك اختلاف في نظرة المناطقة لأقسام الدلالة، ولتوضيح ذلك، انظر: المصدر السابق، ص ٤٧ وحتى ص ٥٣.
[٧] اسلام، د. عزمي، دراسات في علم المنطق، ص ١٦٣.
[٨] فاخروي، د. عادل، منطق العرب، ص ١١.
[٩] صنقور، الشيخ محمد، المعجم الأصولي، ج ٢، ص ١١٠.
[١٠] الفضلي، مصدر سابق، ص ٤١٧.
[١١] خليل، د. ياسين منطق اللغة، ص ٢، وكذلك: عمر، د. احمد مختار، علم الدلالة، ص ١٤ ـ ١٥.
[١٢] بالمر، علم الدلالة، ترجمة، د. مجيد الماشطة، ص ٣.
[١٣] سوسير، علم اللغة العام، ترجمة، يوئيل يوسيف عزيز، ص ٣٤.
[١٤] الهاشمي، السيد محمود، مباحث الدليل اللفظي، تقريرا لبحث استاذه السيد محمّد باقر الصدر، ج ١، ص ٨٢.
[١٥] بارت، مبادئ علم الادلة، ترجمة محمد البكري، ص ٤٦.
[١٦] الحكيم، السيد محسن، مستمسك العروة الوثقى، ج ١، ص ٤٩.
[١٧] انظر: ارمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة، د. سعيد علوش، ص ٥٢، ٥٥.
[١٨] انظر في هذا التقسيم: انيس، د. ابراهيم، دلالة الألفاظ، ص ٤٤، ٥٥ وكذلك: الفضلي، مصدر سابق، ص ٤١٥.
[١٩] الفخر الرازي، المحصول، ج ١، ص ١٨١ ـ ١٨٢.
[٢٠] الفياض، الشيخ محمد اسحاق، محاضرات في أصول الفقه، تقريرا لبحث استاذه السيد الخوئي، ج ١، ص ٣٥.
[٢١] انظر: منتهى الاصول، ج ١، ص ١٤.
[٢٢] كلانتر، السيد محمد، دراسات في علم الاصول، ج ١، ص ٢١.
[٢٣] الفياض، الشيخ محمد اسحاق، المباحث الاصولية، ج ١، ص ١١٣.
[٢٤] القطيفي، السيد منير، الرافد في علم الاصول، تقريراً لبحث استاذه السيد السيستاني، ص ١٥٧، ١٦٨، ١٦٢.
[٢٥] الهاشمي، مصدر سابق، ص ٨١ ـ ٨٢.
[٢٦] عطية، د. نوال، علم النفس اللغوي، ص ٥٣.

# الإمام المهدي عليه السلام ومدعو المهدوية

## ضوابط لمعرفة المصداق الحقيقي للمهدي عليه السلام

❖ السيد محمد الشوكي(*)

(*) أستاذ في الحوزة العلمية ـ العراق.

## المقدمة

الحقيقة إن هذا الموضوع من المواضيع المهمة والساخنة في العصر الراهن، ويحتاج إلى بحث ضاف وواف يتناوله من جميع الزوايا والجهات، وتركيز الحديث على جهة مهمة فيه، وهي كيفية تفنيد أدعياء المهدوية الزائفين.

لا يخفى على المؤمنين أن هناك مجموعة أبحاث مهمة ترتبط بهذا الموضوع، منها على سبيل المثال: تاريخ إدعاء المهدوية، فلا بدّ أن نعرف بدايات هذه الدعاوى، والأدوار التاريخية التي مرت بها، وتاريخ أدعياء المهدوية على امتداد الزمان.

ومنها أيضاً الظروف والخلفيات التي تؤدي إلى نشوء مثل هذه الحركات، والأسباب التي تدعو البعض لأن يدعي مثل هذه الدعاوى.

وكذلك من الأبحاث المهمة أيضاً في هذا المضمار معرفة الأساليب التي يستخدمها مدّعو المهدوية في استقطاب الناس والتأثير بهم.

هذه مجموعة جهات مهمة لا بدّ من التطرق إليها ودراستها بصورة علمية، ولكن ما نريد التركيز عليه في المقام هو كيفية التشخيص، وفرز المصداق الحقيقي من المصاديق الزائفة للمهدي الموعود، وهذا كما أعتقد يحظى بأهمية أكبر من بقية المواضيع.

وأهم خطوة في هذا الطريق هي معرفة الضوابط التي يتم من خلالها فرز المصداق الحقيقي للمهدي الموعود عن المصاديق الزائفة، أو قل المشخصات والمحددات التي تحدد المصداق الحقيقي للمهدي الموعود من غيره. فهل توجد مثل هذه المشخصات والمحددات؟ وإذا وجدت فما هي بالتفصيل؟

في جواب السؤال امتقدم نجيب بالإثبات، فهناك

مجموعة من المحددات والمشخّصات التي تشخّص المهدي الحقيقي من غيره.

فعقيدة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف ليست عقيدة هامشية صغيرة، وإنما هي تمثل قضية دينية كبرى؛ وذلك لارتباطها بالهدف والمشروع الإلهي في خلق البشر، ولهذا فإن النبي صلى الله عليه وآله، وأهل البيت عليهم السلام، لم يتركوا القضية مهملة حتى يمكن لكل أحد أن يدعيها ويتلبس بها، وإنما سوّروا هذه العقيدة بمجموعة من الأسوار التي تمنع المغرضين من استغلالها، وسوف نتعرض لهذه الأسوار والأسوجة المتينة، التي تمثل محدّدات ومشخّصات لهويّة المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف.

وقبل البدء بذكر هذه المحدّدات لا بدّ من التذكير بثلاثة أمور مهمة:

**الأوّل**: إن هذه المحدّدات تمارس دورين رئيسيين، دور النفي ودور الإثبات معاً، فهي كما تثبت وتعيّن المصداق الحقيقي للإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، فهي كذلك في نفس الوقت تنفي المصاديق الزائفة.

**الثاني**: إن هذه المحدّدات تختلف فيما بينها في مستوى الأهمية، فهي ليست على مستوى واحد من الأهمية، وإنما بعضها أهم من بعض، وبعضها أقوى تشخيصاً من بعض.

**الثالث**: وهو المهم: إنّ هذه المحدّدات ينبغي أن لا تؤخذ مجتزئة وكلاً على حدة، وإنما ينبغي أن ينظر إليها كتلة واحدة مجتمعة، فكل واحدة منها تشكل قرينة على الإثبات، وكلما ضممنا بعضها إلى بعض فسوف يقوى عامل التحديد والتشخيص، وسوف تتضح الصورة أكثر فأكثر؛ فكل شخص يدعي هذا المنصب علينا أن نطبق عليه هذه المحدّدات جميعها وفي وقت واحد.

وبعد ذكر هذه الملاحظات الثلاث، فسنتعرف الآن على أهم المشخّصات التي تشخص المصداق الحقيقي للإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف وتنفي المصاديق الزائفة، وتبين بطلانها وكذبها. وهذه المشخّصات والمحددات هي:

## أوّلاً: التحديد النَسَبي

وهذا التحديد أكده أهل البيت عليهم السلام في أحاديثهم، فهم قد ذكروا كل ما يتصل باسمه ونسبه وكنيته وألقابه، حتّى لا يختلط بغيره ممن يدعون هذا المنصب الشريف؛ روى المفضل عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في حديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة قال: (على أنا نصصنا ودلّلنا عليه نسبناه وسميناه وكنيناه ـ أي الإمام المنتظر عجل الله فرجه الشريف ـ لئلا يقل الناس ما

عرفنا اسمه ولا كناه ولا نسبه)[١].

فهو أوّلاً: رجل عربي، وهذا أمر قطعي في الروايات الشريفة في كتب الفريقين، وبالتالي فإنّه لا تقبل دعوى مدعي المهدوية إذا كان أعجمياً، هندياً أو أوربياً، أو أفريقياً، أو غير ذلك.

وهو رجل قرشي، وهذا أمر أيضاً قطعي في الروايات، فلا تقبل دعوى المهدوية من رجل أزدي، أو خزاعي، أو ثقفي، أو تميمي، أو قيسي، أو غير ذلك.

وهو رجل هاشمي، وهذا أمر قطعي في الروايات الشريفة أيضاً، فلا يقبل دعوى المخزومي، أو الزهري، أو الأموي، أو التيمي، أو العدوي، أو الجمحي، أو غير ذلك.

ونقرأ هنا رواية ـ لمجرد الاستشهاد ـ من طرق السُنة، رواها المقدسي الشافعي وغيره، عن سعيد بن المسيب، قال: قلت لسعيد بن المسيب: المهدي حق؟ قال: حق، قلت: ممن؟ قال: من كنانة، قلت: ثم ممن؟ قال: من قريش، قلت: ثم ممن؟ قال: من بني هاشم[٢].

وهو رجل من بني عبد المطلب، فلا يقبل من ينتسب إلى غير عبد المطلب وإن كان من بني هاشم. روى ابن ماجة وغيره بالإسناد عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (نحن ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة: أنا وحمزة وعلي وجعفر والحسن والحسين والمهدي)[٣].

ولما كان ولد عبد المطلب كثيرين جاءت الروايات لتحدد أنه من ولد أبي طالب. ولما كان أبناء أبي طالب أربعة، جاءت الروايات لتحدد أنه علوي من ولد علي عليه السلام، ولما كان ولد علي كثيرين جاءت الروايات لتحدد أنه من ولد فاطمة عليها السلام، روى الشيخ الطوسي بسنده عن أم سلمة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (المهدي من عترتي من ولد فاطمة)[٤]. ورواه ابن ماجة وابن أبي داود والطبراني والحاكم وغيره.

ولمّا كان لفاطمة عليها السلام ولدان الحسين الحسين عليهما السلام جاءت الروايات لتؤكد أنه من ولد الحسين عليه السلام، فلا تقبل دعاوى الحسنيين في هذا الاتجاه.

روى الدارقطني، والسمعاني، والكنجي، وابن الصباغ المالكي، أن النبي صلى الله عليه وآله ضرب على منكب الحسين عليه السلام وقال: (من هذا مهدي الأمة)؛ وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة.

ثم تستمر السلسلة إلى أن تصل إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام الذي اتفق الشيعة الإمامية على

أن المهدي عجل الله فرجه من صلبه، ووافقهم في ذلك الكثير من علماء السنة.

والنتيجة أن من يدعي أن المهدي عجل الله فرجه خارج هذا النسب الشريف فلا تقبل دعواه، ويكون ذلك إمارة على كذبه.

## ثانياً: التحديد الشَخصي

من خلال الصفات الشخصية التي وردت في الروايات الشريفة والتي تذكر لنا تفاصيل جسده وصورته. فعن طريق السنة روى ابن حنبل بسنده عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: (لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي أجلى أقنى، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت قبله ظلماً)[٥]. ومعنى أجلى الجبين انحسار الشعر عن جبهته ويخف عن جانبيها، ومعنى أقنى أنه طويل الأنف مع دقة أرنبته، واحد يداب في وسطه.

وروي عن حذيفة، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: (المهدي رجل من ولدي، وجهه كالقمر الدرّي، اللون لون عربي، والجسم إسرائيلي)[٦].

وعن طريقنا روى الصدوق في كمال الدين بسند عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**يخرج رجل من ولدي في آخر الزمان أبيض اللون مشرب بحمرة، مبرح البطن، عريض الفخذين، عظيم مشاش المنكبين، بظهره شامتان، شامة على لون جلده، وشامة على شبه شامة النبي** صلى الله عليه وآله»[٧]. وورد عن الإمام الصادق عليه السلام أن الشامة تحت كتفه الأيسر على شكل ورقة الآس.

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام في وصفه: «ذاك المشرب حمرة، الغائر العينين، المشرف الحاجبين، العريض ما بين المنكبين، برأسه حزاز، وبوجهه أثر»[٨]. وغير ذلك من التحديدات الجسدية.

وعليه فمن يدعي المهدوية علينا أن نطبق عليه الصفات التي وردت للمهدي في الأخبار الصحيحة الثابتة، فإن لم تنطبق عليه تكون قرينة على كذبه.

## ثالثاً: التحديد العمري

ولا نقصد مقدار عمره لأننا لا نعلم متى سيظهر، ولكن مقصودنا هو عمره عند ظهوره، أو المرحلة والصورة العمرية له إبّان ظهوره.

وقد أشار الأئمة إلى هذا التحديد، فقد سأل الحكم بن أبي نعيم الإمام الباقر عليه السلام قائلاً: أنت المهدي؟ قال: كلنا يهدي إلى الله.

قال: أنت الذي تقتل أعداء الله؟.

قال: يا حكم كيف أكون أنا وقد بلغت خمساً

وأربعين سنة؟ وإن صاحب هذا الأمر أقرب عهداً باللبن مني، وأخف على ظهر الدابة[٩].

ومن هنا رد أنه يخرج شاباً كما ورد في حديث النبي صلى الله عليه وآله. جاء عن طرق العامظ، كما روى الداني في سننه عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (يقوم آخر الزمان رجل من عترتي شاب حسن الوجه أجلى الجبين، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً)[١٠].

وروى الشيخ الطوسي في الغيبة عن الإمام الباقر عليه السلام قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن المهدي فقال: «**شاب مربوع حسن الوجه يسيل شعره على منكبيه يعلو نور وجهه سواد شعره ولحيته ورأسه**»[١١].

وروى المقدسي الشافعي عن الإمام الحسين عليه السلام قوله: (لو قام المهدي لأنكره الناس لأنه يرجع إليهم شاباً موفقاً. ومن أعظم البلية أن يخرج إليهم صاحبهم شاباً وهم يحسبونه شيخاً كبيراً)[١٢]. وروي مثله عن الصادق عليه السلام.

ولدينا روايات كثيرة في ذلك، وفي بعضها أنه يظهر في صورة شاب في العقد الثالث من العمر.

وعلى هذا فلا تقبل دعوى من يدعي هذا الأمر إذا كان حدثاً جداً، أو شيخاً مسناً، ويكون ذلك قرينة على تكذيبه.

## رابعاً: التحديد الزمني

ولا نقصد به تحديد زمن خروجه، فإنه لا يعلمه إلا الله تعالى، وكل من يحدد زمناً له فهو متخرص يقول بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير. ولكننا نقصد بذلك التحديد العام لزمن خروجه، ككونه يخرج في وِتر من السنين مثلاً، روى الشيخ المفيد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «لا يخرج القائم إلا في وِتر من السنين: سنة إحدى، أو ثلاث، أو خمس، أو سبع، أو تسع»[١٣]؛ ورواه الفتال النيسابوري عن أبي جعفر الباقر عليه السلام.

وأنه يظهر في شهر محرم الحرام، وأنه يظهر في اليوم العاشر منه، وأنه يظهر في يوم السبت. جاء في الرواية عن أبي عبدالله عليه السلام: «ينادي باسم القائم عجل الله فرجه الشريف في ليلة ثلاث وعشرين، ويقوم في يوم عاشوراء، وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين بن علي عليه السلام، لكأني به في يوم السبت العاشر من المحرم قائماً بين الركن والمقام، جبرئيل على يده اليمنى ينادي: البيعة لله، فتصير إليه شيعته من أطراف الأرض، تطوى لهم طياً حتى يبايعوه، فيملأ الله به الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[١٤].

## خامساً: التحديد المكاني

وذلك من خلال تحديد مكان خروجه وظهوره،

وهو مكة المكرمة، حيث سيظهر هناك، ويأتي إليه خواص أصحابه، ويبايعونه بين الركن والمقام، ثم ينطلق إلى العراق. وهذا من المقطوع به في الروايات الشريفة. وعلى سبيل المثال روى النعماني في الغيبة بسنده عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «إن القائم يهبط من ثنية ذي طوى في عدة أهل بدر، ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، حتى يسند ظهره إلى الحجر الأسود ويهز الراية الغالبة»[١٥] وروى الفتال النيسابوري عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «لكأني به في يوم السبت العاشر من المحرم قائماً بين الركن والمقام، جبرئيل بين يديه ينادي البيعة لله»[١٦].

وإن أصحابه سيوافونه إلى هناك أي إلى مكة. جاء في الرواية عن أبي عبد الله عليه السلام: «بينا شباب الشيعة على ظهور سطوحهم نيام إذا توافوا إلى صاحبهم في ليلة واحدة على غير ميعاد، فيصبحون بمكة»[١٧].

والروايات كثيرة في ذلك، وعليه فلا تقبل دعوى من يدعي هذا الأمر إذا ظهر في المغرب، أو في السودان، أو في الهند، أو في شيراز، أو في النجف، أو في البصرة.

## سادساً: التحدي بعلامات الظهور

وهو من أهم المحدِّدات والمشخصات للإمام المهدي عليه السلام، وقد أشار إليه الأئمة عليهم السلام. فعن الإمام الرضا عليه السلام بعد أن ادعى أحدهم أنه القائم قال: «قبل هذا الأمر السفياني، واليماني، والمرواني، وشعيب بن صالح، فكيف يقول هذا هذا؟»[١٨]. أي كيف يدعي هذا الخارج أنه المهدي، ولم يخرج السفياني واليماني بعد؟

وعن عبد الملك بن أعين قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فجرى ذكر القائم عليه السلام فقلت: أرجو أن يكون عاجلاً ـ يعني قيام القائم ـ ولا يكون سفياني. فقال: «لا والله إنه لمن المحتوم الذي لا بدّ من»[١٩]؛ أي لا بدّ أن يسبق ظهور الإمام عليه السلام ظهور السفياني، وأن ذلك من المحتوم.

وقد روي عن الصادق عليه السلام قوله: «اعرف العلامة فإذا عرفته لم يضرك تقدم هذا الأمر أم تأخر)[٢٠].

وعلى أي حال فإن هناك مجموعة من العلامات التي سوف تسبق ظهور الإمام المهدي عليه السلام، فمنها علامات كونية، ومنها علامات بشرية، فكل من خرج وادعاها قبل تحقق تلك العلامات فهو مدع كذاب.

فاليوم إذا خرج شخص وادعى أنه هو المهدي المنتظر، فعلينا أن نسأله: كيف تكون المهدي ولم يناد باسمك نداء يسمعه جميع الخلق في رمضان؟ كيف تكون المهدي ولم يخرج قبلك السفياني؟ كيف تكون

المهدي ولم يتحقق الخسف؟ وهكذا سائر العلامات الأخرى.

فعلامات الظهور مهمة جداً في التشخيص والفرز، وهي تحتاج إلى دراسة جادة لها، تبين أنواعها وأقسامها، القريب منها والبعيد، المحتوم منها والمشروط، الضعيف منها والموضوع، وفي نيتنا إن شاء الله تعالى أن نقوم بمثل هذه الدراسة المهمة، لأننا نلاحظ اليوم تخبطاً في تطبيق العلامات، وهذا التخبط ناتج عن عدم التحقيق في تلك العلامات، وعدم معرفة الضوابط العامة في التعامل معها.

## سابعاً: التحديد الإعجازي

وهو من المحددات المهمة إن لم يكن أهمها.

نحن أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام نعتقد بأن منصب الإمامة ليس منصباً عادياً، وأن الإمام ليس شخصاً عادياً، وإنما يمثل الولي الأعظم الذي يتمتع بصفات وقدرات لا يتوفر عليها غيره، وأنه يملك من العلم ما لا يملكه غيره، وأن الله تعالى يجري على يديه خوارق العادات. وخصوصاً الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف فإن الله تعالى سوف يؤيده بمعاجز كثيرة جداً. يقول الإمام الصادق عليه السلام: «ما من معجزة من معجزات الأنبياء والأوصياء إلا ويظهر الله تبارك وتعالى مثلها على يد قائمنا، لإتمام الحجة على الأعداء»[٢١].

وباتالي فإن من يدعي أنه الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف بإمكاننا أن نجري له اختباراً لنتبين من صدقه، من خلال طرح المسائل العلمية المعقدة عليه، أو من خلال مطالبته بإبراز بعض الكرامات الخارقة التي لا يمكن أن يأتي بها غيره.

وهذا ما أكد عليه أهل البيت عليهم السلام. جاء في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «لصاحب هذا الأمر غيبتان: إحداهما يرجع منها إلى أهله، والأخرى يقال: هلك، في أي واد سلك، قلت: كيف نصنع إذا كان كذلك؟ قال: إذا ادعاها مدع فاسألوه عن أشياء يجيب فيها مثله»[٢٢]. وفي رواية النعماني في الغيبة «فاسألوه عن تلك العظائم التي يجيب فيها مثله»[٢٣].

وهذه علامة يعرف بها الإمام بصورة عامة، سواء كان الإمام المهدي عليه السلام أو غيره من الأئمة المعصومين عليهم السلام.

روى النعماني في الغيبة عن أبي الجارود أنه قال للإمام الباقر عليه السلام: إذا مضى الإمام القائم من أهل البيت، فبأي شيء يعرف من يجيء بعده؟

قال عليه السلام: «بالهدي والإطراق، وإقرار آل محمد

لـه بالفضـل، ولا يسـأل عـن شـيء بـين صـدفيها إلا أجاب»[٢٤]. وقوله بالهدي والإيراق، أي بالسكينة والوقـار التـي عليـه، والتـي تأخـذ النفـوس وتهـيمن عليهـا، والشاخص المهم هو ما ذكره أخيراً من أنه لا يسأل عـن شيء إلا أجاب عنه.

وقد كان دأب الشيعة ذلك، حيث يمثل هـذا أحـد الطرق في التحقق من إمام الحق لديهم.

وأذكر نموذجاً واحداً على ذلك، وهـو مـا روي عـن وفد القميين الذين جاؤوا إلى سامراء بأموال الشيعة، فلما وصـلوا سـامراء سـمعوا بوفـاة الإمـام الحسـن العسكري عليه السلام، فسألوا عمن قام مقامه، فقيل لهم أخـوه جعفر، فجاؤوا إليه بالأموال، فقـال لهـم أنـا أقـوم مقامـه فاحملوا المال لي.

فقالوا: إن بيننا وبينه علامة، وهي أنه كان يخبرنا بمقدار الأموال وبمرسليها.

فقال: كذبتهم على أخي، فلا يعلم الغيب إلا الله.

فقـالوا لـه: نحـن وكـلاء مسـتأجرون مـن قبـل أصحاب الأموال ولا نسلمها إلا بالعلامة التي ذكرت لنـا. فشـكاهم إلـى الخليفـة العباسـي ولكنـه لـم يحكـم لـه، فرجعـوا حـزينين علـى عـدم وصـولهم لإمـام الحـق بعـد العسكري عليه السلام.

ولما خرجـوا مـن المدينـة فـإذا هـم بشـاب حسـن يصيح بأسمائهم واحداً واحداً قائلاً لهم: أجيبوا مولاكم.

فقـالوا: أنـت مولانـا؟. فقـال: معـاذ اللـه أنـا عبـد مولاكم فسيروا إليه، فسـرّوا بـذلك وجـاؤوا معـه، ودخلـوا عليـه، فـأخبرهم بكميـة المـال، وبأسـماء المرسـلين، وعرفهم برجالهم وما كان معهم مـن الـدواب، وأخبـرهم بتفاصيل دقيقة أخرى، فخروا للـه سـاجدين لمـا عـرفهم من الحق، ثم أمرهم أن لا يحملوا شيئاً من الأموال إلـى سامراء، وأنه سينصب لهم وكيلاً ببغـداد يحملـون المـال إليه، كما دفع إلى أبي العبـاس محمـد بـن جعفـر القمـي الحميري شيئاً من الحنوط والكفن، وقال له: عظم اللـه أجرك في نفسك، وخرج الوفد، ولما بلغـوا عقبـة همـدان توفي أبو العباس[٢٥].

وهذا ما سيحدث في المستقبل أيضاً كمـا تخبرنـا الروايات أن بعض النـاس عنـدما يظهـر يطالبونـه بأمثـال هذه الخوارق. فقد ورد في الأخبار أن بعـض كبـار القـادة الشـيعة وهـو الحسـني، ومـن أجـل أن يبـين الحـق لأصحابه، يطلب منه أن يغرس هرواته فـي حجـر صـلد، فيغرسها عليه السلام في حجر صلد فتورق.

وقـد تحـدثت الروايـات عـن كثيـر مـن الكرامـات والخـوارق التـي سـوف تحـدث علـى يـدي الإمـام

المهدي عجل الله فرجه عند ظهوره، فليأت هؤلاء المدعون ببعض منها. فمثلاً ورد في الروايات أنه إذا هز رايته أضاء لها ما بين المشرق والمغرب[٢٦].

وورد أيضاً أنه عليه السلام إذا سار سارت فوقه غمامة تظله، وفيها منادي ينادي هذا المهدي خليفة الله فاتبعوه[٢٧]، وأنه يضرب الحجر بعصاه فينفجر ماء وغذاء[٢٨] وأنه يشير إلى الجبل بسيفه فينفلق ويندك، وغير ذلك من الكرامات التي تحدثت عنها الروايات الشريفة. فمن ادعاها لنفسه فليأتنا بشيء من ذلك، ولن يستطيع.

وهذا الأسلوب (المطالبة بالمعجزات والخوارق للعادات) استخدمه العلماء حتى مع الذين يدعون السفارة والبابية، فقد رووا أن الحلّاج وهو من مدعي السفارة، كتب إلى أبي سهل إسماعيل بن علي النوبختي ـ وهو من علماء الشيعة ووجوههم ـ يستميله إليه، وأنه إذا آمن به حقق له ما يريد، وكان يظن أنه إذا استماله سوف يستميل الكثير من الناس لمكانته في الشيعة. فكتب إليه النوبختي إني رجل مولع بالجواري، ولكن الشيب يبعدني عنهن، وأنا مضطر للخضاب في كل جمعة حتى لا يفتضح أمري عندهن، فأسألك أن تجعل لحيتي سوداء حتى لا أضطر إلى الخضاب كل أسبوع، وأنا سأكون طوع يديك، فعرف أنه لا يقوى عليه، وصار أضحوكة للناس.

هذه بعض المشخصات التي جمعناها على عجالة، والتي يمكننا من خلالها أن نعرف المهدي الحقيقي من غيره، وهي كما ذكرنا لا تؤخذ متجزئة وإنما تطبق جميعها على من يدعي هذا الأمر، كما أنها ليست بدرجة واحدة من الأهمية، فبعضها أهم في التشخيص من بعض، وأهم ما فيها هما المشخصان الأخيران.

على أن الله تعالى حينما يأذن بظهوره عجل الله فرجه الشريف فسوف يجعل معه من البراهين والحجج ما يزيل اللبس عن قلوب المؤمنين، وليس المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف شخصاً عادياً يمكن أن يلتبس به غيره بهذه البساطة. وكما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام إن أمره أبين من الشمس.

عن المفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إياكم والتنويه، أما والله ليغيبن إمامكم سنيناً من دهركم، ولتمحصن حتى يقال: مات، قتل، هلك، بأي واد سلك؟ ولتدمعن عليه عيون المؤمنين، ولتكفأن كما تكفأ السفن في أمواج البحر، فلا ينجو إلا من أخذ الله ميثاقه، وكتب في قلبه الإيمان، وأيده بروح منه. لترفعن إثنتا عشرة راية

مشتبهة، لا يدري أي من أي.

قال: فبكيت ثم قلت: فكيف نصنع؟

قال: فنظر إلى شمس داخلة في الصُّفَّة فقال: يا عبدالله ترى هذه الشمس؟

قلت: نعم.

قال: والله لأمرنا أبين من هذه الشمس[٢٩].

ولنعلم أخيراً أن من يدعي هذا المنصب كذباً وزوراً، ويحاول أن يخدع الناس ويضحك على ذقونهم، فسوف يفضحه الله تعالى، ويبين زيفه ودجله للعيان، وسوف يقصم الله ظهره، ويبتر عمره. روى القمي في الإمامة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن هذا الأمر لا يدعيه غير صاحبه إلا بتر الله عمره»[٣٠].

## الهوامش:

[١] البحار: ٥٣: ١.
[٢] عقد الدرر، المقدسي الشافعي: ٢٢.
[٣] سنن ابن ماجة: ٢/ ١٣٦٨.
[٤] الغيبة: ١٨٥.
[٥] مسند أحمد: ٣/ ١٧.
[٦] معجم أحاديث الإمام المهدي عجل الله فرجه: ١/ ١٣٠.
[٧] كمال الدين: ٦٥٣.
[٨] الغيبة، النعماني: ٢٢٤.
[٩] الكافي: ١/ ٥٣٦.
[١٠] سنن الداني: ٩٤.
[١١] الغيبة: ٤٧٠.
[١٢] عقد الدرر: ٤١.
[١٣] الإرشاد: ٢/ ٣٧٨.
[١٤] ن. م.
[١٥] الغيبة: ٣٢٩.
[١٦] روضة الواعظين، النيسابوري: ٢٦٣.
[١٧] نفس المصدر.
[١٨] الغيبة، النعماني: ٢٦٢.
[١٩] نفس المصدر.
[٢٠] الكافي: ١/ ٣٧٣.
[٢١] إثبات الهداة: ٣/ ٧٠٠.
[٢٢] الكافي: ١/ ٣٤٠.
[٢٣] الغيبة: ١٧٨.
[٢٤] الغيبة: ٢٥٠.
[٢٥] راجع منتخب الأثر: ٣٧٠.
[٢٦] كمال الدين: ٦٥٣.
[٢٧] عقد الدرر: ١٣٥.
[٢٨] الغيبة، النعماني: ٢٤٤.
[٢٩] الكافي: ١/ ٣٣٧.
[٣٠] الإمامة والتبصرة: ١٣٦.

# فِي ضِيَافِ أَهْلِ البَيْتِ

- الدُّرُوسُ التَّرْبَوِيَّةُ مِنْ حَيَاةِ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءِ عليها السلام
- السَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءِ عليها السلام المَقَامَاتُ وَالقُدْوَةُ

# الدَّورُ السِّياسِيّ والاِجتِماعِيّ للإمامِ الحَسَنِ عليه السلام للتَهيئَةِ لِثَورةِ الإمامِ الحُسَينِ عليه السلام

❖ د. أحمد عبد الأمير الأنباري(*)

(*) جامعة بغداد ـ مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية.

## المقدمة

بعد استشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، تمت البيعة للإمام الحسن ابن علي بن أبي طالب عليهما السّلام. ففي صبيحة يوم الحادي والعشرين من رمضان سنة أربعين من الهجرة بايع الناس الإمام الحسن عليه السلام.

غير ان معاوية بن أبي سفيان كانت له مطامعه في الحكم، ولهذا عمل ومن معه بأساليبهم الوضيعة والدنيئة للتمكن من الوصل إلى الحكم. وهو ما تطلب من الإمام الحسن عليه السلام التصدي له، وافشال مخططاته التي أراد بها أبعاد الناس عن مبادئ الدين وارجاعهم الى جاهليتهم التي كانوا فيها قبل الإسلام.

ولهذا واجه الامام الحسن عليه السلام تحديات عدة منذ الأيام الأولى لإمامته، مما تطلب منه التعامل معها وفقاً للظروف التي كانت سائدة حينها، وبما يضمن العمل بتكليفه كإمام للامة، ويجنبها التعرض للأذى. وبذلك فان الاشكالية التي يتعامل معها البحث يمكن صياغتها بالآتي: ما هي التحديات التي حالت دون قيام الإمام الحسن عليه السلام بحرب معاوية؟ ما طبيعة الدور السياسي والاجتماعي الكبير الذي قام به الإمام الحسن عليه السلام في التهيئة لثورة الإمام الحسين عليه السلام؟ كيف تمكن الإمام الحسن عليه السلام من تحويل التحديات والظروف القاهرة التي واجهته إلى عوامل مساعدة لزيادة زخم وحركة الإمام الحسين عليه السلام في ثورته ضد الظلم الأموي؟

يتبنى البحث تأكيد حقيقة دور الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام وإسهامه الكبير في التهيئة لثورة الإمام الحسين عليه السلام، التي جاءت من أجل الحفاظ على الدين الإسلامي، ورفع الظلم الذي لحق بالناس من الحكم الأموي.

فعندما وجد الإمام الحسن عليه السلام أن الناس من الممكن أن يعودوا إلى جاهليتهم وأسوأ من ذلك، بسبب جهود الأمويين وحرصهم على تحريف قواعد ومبادئ الدين الإسلامي الذي جاء به جده رسول الله صلى الله عليه وآله، وإن التصدي لهذا الأمر لا يتم إلا بالتضحية، قدم عليه السلام الغالي في سبيل هذا الدين، وانقاذ الناس من الهلاك الذي أراده لهم الأمويون. ولهذا عمل عليه السلام طيلة المدة من خلافته وحتى استشهاده من أجل التهيئة لثورة الإمام الحسين عليه السلام.

## أوّلاً ـ أهمية بيانه حقه بالخلافة ومبايعة الناس له:

بعد استشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام خطب الإمام الحسن عليه السلام في الناس مبيناً أحقيته في الخلافة. وهو أمر في غاية الأهمية لإسقاط ادعاءات المدعين، وكشف بطلان مطالبهم.

ففي صبيحة يوم الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة خطب الإمام الحسن عليه السلام في الناس. وبعد أن حمد الله واثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وآله، ذكر بعض فضائل أمير المؤمنين، ودفاعه عن الإسلام، وزهده في الحياة، وتأييد الله تبارك وتعالى له، وثقة رسول الله صلى الله عليه وآله به. بعدها خطب قائلاً «أيها الناس، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي، وأنا ابن الوصي، وأنا ابن البشير، وأنا ابن النذير، وأنا ابن الداعي إلى الله بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا من أهل البيت الذين كان جبرائيل ينزل إلينا، ويصعد من عندنا، وأنا من أهل البيت الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، أنا من أهل بيت فرض الله مودتهم على كل مسلم». وتلى عليه السلام الآية الكريمة: ﴿**قل لا أسألكم عليه أجرا إلّا المودّة فى القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا**﴾[1]. فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت». وبعد كلامه هذا قام عبيد الله بن العباس قائلاً: «معاشر الناس، هذا ابن نبيكم، ووصي إمامكم فبايعوه»[2].

وقد تمت البيعة للإمام الحسن عليه السلام من مختلف بلاد العالم الإسلامي على السمع والطاعة والانقياد لحكم الإمام والامتثال لأوامره. فبايع اثنان وأربعون ألفاً من أهل الكوفة، وبايع أهل البصرة، وأهل المدائن، وجميع أهل العراق، كما بايعه أهل بلاد فارس، وأهل الحجاز، وأهل اليمن، وجميع البلاد الإسلامية باستثناء معاوية ومن معه[3].

وباشر الإمام أمور الخلافة واصلاح البلاد

وصيانتها، إذ رتب العمال، ووظف المنكين والأشراف من عدول المسلمين، وأعطى الأوامر إلى الأمراء، وزاد في عطاء الجيش. وحث الناس على وجوب طاعته والانقياد لحكمه والامتثال لأوامره، محذراً إياهم من عواقب اتباع معاوية والتأثر بأكاذيبه وبهتانه. كما أمر الناس بوجوب التكاتف والوحدة للتصدي للعدوان الأموي ورده، كونه خطراً يهدد الامة والدين[٤].

كما بَيّن الإمام الحسن عليه السلام للناس مكانة أهل البيت عليهم السبلا»، والدور المعول تأديتهم له في سبيل الإسلام. إذ قال عليه السلام: «نحن حزب الله الغالبون، وعترة رسوله الأقربون، وأهل بيته الطيبون الطاهرون، وأحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله صلى الله عليه وآله في أمته والتالي كتاب الله فيه تفصيل كل شيء لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فالمعول علينا في تفسيره لا نتظنى تأويله بل نتيقن حقائقه». كما بين عليه السلام للناس حقه في الخلافة، وضرورة إطاعته بنص القرآن الكريم، إذ أشار إلى قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شيء فردّوه إلى الله والرّسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خيرٌ وأحسن تأويلا**﴾[٥]. وحذر عليه السلام الناس في ذات الخطبة من عواقب اتباع الشيطان فيكونوا من الخاسرين[٦].

وعند سماع معاوية خبر مبايعة الناس للإمام الحسن، والأحاديث التي شاعت عن عظيم شأنه بين الناس وفضله، استولت عليه الهموم والحيرة والذهول. فمعاوية يعلم جيداً ما للإمام الحسن من مكانة وشأن عظيمين عند المسلمين. ولهذا اضطرب معاوية اضطراباً شديداً لعلمه بأن الإمام الحسن سوف يعمل بشريعة جده صلى الله عليه وآله، وسيرة أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، والتي تقضي بوجوب التصدي للانحراف الذي حصل بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، ومحاربة الباغين، وفي مقدمتهم معاوية، والقضاء عليهم[٧].

فالأئمة عليهم السلام مكلفون بالقضاء على الانحراف الذي يتعرض له المجتمع الإسلامي، وارجاعها الى وضعها الطبيعي، وذلك عبر تهيئة الظروف الكفيلة بتحقيق هذا الهدف. ولهذا متى تحققت الظروف المناسبة كان الأئمة عليهم السلام في تمام الاستعداد للقيام بدورهم في ارجاع التجربة إلى وضعها الطبيعي. وقد تحمل الأئمة عليهم السلام مسؤوليتهم في الحفاظ على التجربة الإسلامية، وحفظها من الانحراف عن مبادئها[٨].

تعد الإمامة من ضروريات الحياة الأساسية، والتي لا يمكن الاستغناء عنها. والحاجة لها وأهميتها وما

يوجب على الأمة اتباع الإمام والانقياد له وامتثال أوامره تأتي من كونها (الإمامة) تعمل على[٩]:

١ ـ تقويم ما اعوج من نظام الدين والدنيا.

٢ ـ تحقيق العدالة الكبرى التي ينشدها الله في أرضه.

٣ ـ تحقيق الأمن العام.

٤ ـ تحقيق السلام بين الناس.

٥ ـ تمنع حدوث الفوضى.

٦ ـ ضمان عدم تحكم القوي بالضعيف.

٧ ـ ايصال الناس الى عبادة الله.

٨ ـ نشر أحكام وتعاليم الله تبارك وتعالى.

٩ ـ تغذية المجتمع بروح الايمان والتقوى ليبتعد الانسان بفضلها عن الشر، ويتجه إلى الخير.

كما ان واجبه عليه السلام أن ينص على الإمام من بعده، ولهذا كان آخر كلام له قبل وفاته طلب من الإمام الحسين عليه السلام أن يحضر له أولاده وأهله، فنظر إليهم الإمام الحسن عليه السلام قائلاً: «ايها الحاضرون اسمعوا وانصتوا ما أقول لكم الآن هذا الحسين أخي إمام بعدي فلا إمام غيره الا فليبلَغ الحاضر الغائب والوالد الولد والحرّ والعبد والذّكر والانثى وهو خليفتي عليكم لا أحد يخالفه منكم فمن خالفه كفر وادخله الله النّار وبئس القرار ونحن ريحانتا رسول الله وسيدا شباب أهل الجنة فلعن الله من يتقدّم أو يُقدّم علينا أحداً فيعذّبه الله عذاباً أليما وانّي ناص عليه كما نصّ رسول الله صلى الله عليه وآله على أمير المؤمنين وكما نصّ أبي عليّ وهو الخليفة بعدي من الله ومن رسوله»[١٠].

## ثانياً ـ معرفته بأحوال الناس وانعدام همتهم للقتال:

بعد استشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام جاء الناس إلى الإمام الحسن عليه السلام وأعلنوا طاعتهم له، واستعدادهم لتنفيذ أمره متى شاء. إذ قالوا: «أنت خليفة أبيك، ووصيّه، ونحن السامعون المطيعون لك فمرنا بأمرك». إلا أنه عليه السلام أخبرهم بعدم تصديقه لقولهم، مبيناً لهم ذلك بقوله: «كذبتم، والله ما وفيتم لمن كان خيراً مني، فكيف تفون لي؟ وكيف أطمئن إليكم ولا أثق بكم؟». وليؤكد لهم بأنهم كما وصف طلب منهم موافاته إلى معسكر المدائن، إذ قال لهم: «... إن كنتم صادقين فموعد ما بيني وبينكم معسكر المدائن، فوافوا إلى هناك». ثم ذهب عليه السلام ومن معه إلى الموعد، وقد تخلف عنه الكثير[١١].

وفي خطبة له عليه السلام، لما بلغه خبر خروج معاوية

لقتاله، حث الناس على القتال قائلاً: «أما بعد: فإن الله كتب الجهاد على خلقه وسماه كرهاً، ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين: (واصبروا إنّ الله مع الصّابرين)[١٢] ، فلستم أيها الناس نائلين ما تحبون إلّا بالصبر على ما تكرهون». ثم أخبرهم بقدوم معاوية للقتال قائلاً: «إنه بلغني أن معاوية بلغه أنا كنا أزمعنا على المسير إليه فتحرك لذلك، فاخرجوا ـ رحمكم الله ـ إلى معسكركم بالنخيلة حتى ننظر وتنظروا ونرى وتروا». وبعد انتهاءه من الخطبة لم يجبه أحد من الحاضرين، إلا عدي بن حاتم الذي استغري موقف الحاضرين من الناس، مخاطباً إياهم قائلاً: «أنا ابن حاتم، سبحان الله، ما أقبح هذا المقام؟ ألا تجيبون إمامكم، وابن بنت نبيكم، أين خطباء مضر؟ أين المسلمون؟ أين الخواضون من أهل المصر الذين ألسنتهم كالمخاريق في الدعة، فإذا جد الجد فراغون كالثعلب، أما تخافون مقت الله، ولا عيبها وعارها». وكان عدي أول من عسكر من الناس[١٣].

وقد تبين بشكل واضح للناس حُسن تقدير الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السّلام للأمر ومرعرفته بالناس ومدى ايفائهم لعهودهم، وعدم استعدادهم للقتال والتضحية. فعندما وجه قائداً من كندة ومعه أربعة آلاف مقاتل ليعسكر في الأنبار، وينتظر أوامر الإمام عليه السلام، قلب الكندي ومعه نفر على الإمام الحسن عليه السلام طمعاً بما عرضه عليه معاوية من أموال ومنصب في الشام. وكذلك تكرر الأمر مع المرادي الذي وجّه ومعه أربعة آلاف مقاتل إلى الأنبار، أيضاً قلب على الإمام عليه السلام واختار معسكر معاوية طمعاً بالمال والمنصب الذي عرضه عليه معاوية. وقد أخبر عليه السلام الناس أن المرادي سيغدر به وبهم، رغم أن المرادي أقسم بأنه لن يفعل ذلك، وقد فعل[١٤]. وبهذا أراد الإمام الحسن عليه السلام أن يبين للناس بأنه أعرف بأحوالهم منهم.

واستخدم معاوية أساليب عدة لزعزعة ثقة جيش الإمام الحسن عليه السلام، لا سيّما ذلك الجيش بقيادة عبيد الله بن العباس وتعداده اثنى عشر الف مقاتل، الذي تمكن معاوية من اغرائه بالمال، ووعده بالمنصب، وهو ما جعل عبيد الله بن العباس يذهب إلى معسكر معاوية مع ثمانية آلاف مقاتل. وهو ما كان له الأثر الكبير في زعزعة جيش الإمام الحسن عليه السلام بسبب[١٥]:

١ ـ صلة الرحم الذي تربطه مع الإمام.

٢ ـ نوعية المقاتلين فهم خيرة جيش الإمام. إذ وصفهم الإمام بأنّهم: «... من فرسان العرب وقراء مصر، الرجل: منهم يزن كتيبة... بقية ثقة أمير المؤمنين

صلوات الله عليه»[١٦].

٣ ـ استخدم معاوية بث الأكاذيب والأضاليل.

٤ ـ إذاعة الذعر والخوف في نفوس الجيش.

ومما زاد في ضعف الموقف العسكري للإمام الحسن عليه السلام عدة أمور، منها وأهمها[١٧]:

١ ـ الانباء التي تم تداولها عن الخيانات الكثيرة في مسكن.

٢ ـ الشائعات التي بثها اتباع معاوية في جند الإمام عن مقتل قيس بن سعد، والطلب الى الناس أن ينفروا. وأهمية هذه الشائعة أن قيس بن سعد يعد القائد الثاني على جيش مسكن.

٣ ـ الفتنة التي أشاعها وفد الشام الذي عرض على الإمام كتب الخونة من أصحابه[١٨]. وبعد خروج الوفد أعلن ان الإمام الحسن قبل الصلح.

وعلى أثر تلك الأحداث التي خرجت عن السيطرة وعدم تمكن المخلصين من احتواء فتنها وانتشارها بسرعة كبيرة، جمع الإمام الناس وخطب فيهم طالباً منهم سلامة النية والتحلي بالصبر. وقد أراد الإمام في خطبته تلك أن يجعل الناس على بينة مما يحصل، ويستوضح رغبتهم بالخيار الذي يريدون، وبالتالي إقرارهم برغبتهم الحقيقية. إذ جاء في الخطبة قوله للناس «**ألا وأن معاوية دعانا لأمر ليس فيه عزّ ولا نصفة، فإن أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله عزّ وجلّ بظبا السيوف، وإن أردتم الحياة قبلناه منه وأخذنا لكم الرضا؟**». **فكان جواب الناس: البقية البقية وأمض الصلح**»[١٩].

ويؤشر تأييد الناس هنا للصلح ورفضهم للحرب، ورفض آخرين للصلح وإنكارهم إقدام الإمام عليه ورغبتهم في القتال، حدة الانقسام والفوضى، والتي استغلها أصحاب الفتن، وأصحاب المطامع والغنائم، ممن يحرصون على تحصيل منافع الدنيا وتأمين مصالحهم. وتشير السرعة التي انتشرت بها الشائعات والفوضى في جيش الإمام عليه السلام إلى انه عملاً مدبراً من قبل أصحاب الفتن، وهم كثر في جيش الإمام[٢٠]. ومما لا يُختلف فيه ان مثل تلك الظروف لا يمكن معها تبني خيار القتال، لانعدام فرص التفوق لا سيما في ظل التحديات الكبيرة التي واجهها الإمام.

والأمر الذي ساعد على انتشار الفتنة والانقسام، هي ان جيش الإمام يضم عدة فئات ذات اتجاهاتمتضادة فيما بينها، وهي[٢١]:

١ ـ الفئة الأولى، وهي فئة الخوارج وهم الذين خرجوا عن طاعة الإمام علي عليه السلام، وحاربوه ونصبوا له

العداوة. انضموا الى جيش الإمام الحسن عليه السلام، بعده حلاً وسطاً، لقتال معاوية. وهم ممن تستثيرهم أدنى الشبهات العارضة، ويستعجلون إصدار الأحكام عليها.

٢ ـ الفئة الثانية، وهم على نوعين: الأول هم ممن لم يجدوا في خلافة الكوفة ما يشبع طمعهم، فاضمروا ولائهم لمعاوية، بانتظار الفرصة لينقضوا على الحكم ويسلوه لمعاوية. أما النوع الثاني من هذه الفئة فهم من الحاقدين على خلافة الكوفة لضغائن في نفوسهم، أو حسابات شخصية.

٣ ـ الفئة الثالثة، وهي فئة غير مستقرة على رأي أو وجهة بعينها، فهي متأرجحة تتخذ جانب الطرف الذي يميل ميزان القوة لصالحه وينعقد له النصر. وهي تستهدف بذلك ضمان السلامة، والطمع بالمكاسب.

٤ ـ الفئة الرابعة، الفئة التي تستثيرها بعض العصبيات القبلية.

٥ ـ الفئة الخامسة، وهي فئة الغوغاء وهم الذين ليس لديهم توجه معين، بل هم اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح.

٦ ـ الفئة السادسة، وهم الفئة المؤمنة المخلصة الخيرة، إلا ان تأثيرها يكاد ينعدم مع وجود تأثير الفئات الأخرى.

وبعد كل ما حصل من أحداث وفتن ومحاولة اغتيال الامام عليه السلام ثلاث مرات، أصبح واضحاً لدى الإمام عليه السلام ان الأمور تسير من سيء إلى أسوء، وقد ينتهي به الأمر بتسليمه أسيراً إلى معاوية وهو ما لا يقبل به الإمام، أو يقتل، وبذلك تذهب تضحيته دون أن تستفاد منها الأمة[٢٢]، ذلك ان التجربة الإسلامية كان يقتضى عليها بشكل كامل[٢٣].

وهو ما يعني تأكيد حقيقة ان الإمام الحسن عليه السلام لو وجد في خيار التضحية بنفسه ما يحقق نصرة الدين والخير للأمة، لكان خيار الشهادة والتضحية بالنفس هو خياره الأول.

بهذا المعنى، كتب الكثير من أهل الكوفة إلى معاوية بالوقوف معه وتأييده، واستعدادهم، إن أراد ذلك، أن يبعثوا إليه الإمام الحسن عليه السلام أسيراً، إذ جاء في كتبهم إلى معاوية «فانّا معك، وإن شئت أخذنا الحسن وبعثناه إليك». وبعدها أغاروا على فسطاط الإمام، وضربوه بحربة في محاولة لاغتياله[٢٤].

وفي رده على كتاب لمعاوية قال الإمام الحسن عليه السلام: «إنما هذا الأمر لي والخلافة لي ولأهل بيتي وانها لمحرمة عليك وعلى أهل بيتك، سمعته من رسول الله صلّى الله عليه وآهل، والله لو وجدت صابرين

عارفين بحقي غير منكرين ما سلمت لك ولا أعطيك ما تريد»[٢٥].

## ثالثاً ـ تحذيره الناس من عواقب ترك الحق واتباع الباطل:

رأى الإمام الحسن عليه السلام ان من الضروري تنبيه الناس الى الويلات التي ستلحق بهم ومن بعدهم إذا تخلوا عن طاعته ولم يمتثلوا لأوامره، وصار الأمر لمن هو ليس أهلاً له كمعاوية، وهو ما فعله عليه السلام. وذلك التنبيه، بحسب ما نراه، اقتضته عدة ضرورات، منها:

١ ـ رأى الإمام عليه السلام أن تكليفه الشرعي[٢٦] نصح الناس وتنبيههم الى المهالك التي سيقعون بها لعدم مناصرتهم له، وتخليهم عن الايفاء بوعودهم له، والركون لمن هو مستهتر بالدين وبحياة الناس ومصائرهم.

٢ ـ تضمن التنبيه دروساً نافعة للأجيال اللاحقة والى يومنا هذا، فعندما يقرأون التاريخ سيجدون ان ما لحق بالأمة الإسلامية من ويلات ومحن، وما أصابها من ذل وخضوع، انما بدء من تمكن معاوية من الحكم وتوريثه لابنه يزيد.

بهذا المعنى، خطب الإمام الحسن عليه السلام قائلاً[٢٧]:

«أيها الناس إن معاوية زعم أني رأيته للخلافة أهلاً، ولم أرى نفسي لها أهلاً، وكذب معاوية أنا أولى الناس بالناس، في كتاب الله، وعلى لسان نبي الله، فأُقسم بالله لو أن الناس بايعوني وأطاعوني ونصروني لأعطتهم السماء قطرها، والأرض بركتها، ولم طمعت فيها يا معاوية، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: وما ولّت أمة أمرها رجلاً قط وفيهم من هو أعلم منه إلّا لم يزل أمرهم يذهب سفالاً، حتى يرجعوا إلى ملة عبدة العجل. وقد ترك بنو إسرائيل هارون، واعتكفوا على العجل، وهم يعلمون أنّ هارون خليفة موسى، وقد تركت الأمة علياً عليه السلام وقد سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي عليه السلام: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير النبوة فلا نبي بعدي» وقد هرب رسول الله صلى الله عليه وآله من قومه، وهو يدعوهم إلى الله، حتى فرّ إلى الغار، ولو وجد عليهم أعواناً ما هرب منهم، ولو وجدت أعواناً ما بايعتك يا معاوية... أيها الناس إنكم لو التمستم فيما بين المشرق والمغرب لم تجدوا رجلاً من ولد نبي غيري وغير أخي».

وعندما تختلف الكثير من الناس عن الحاق بالإمام الحسن عليه السلام في معسكر النخيلة، خطب في من حضر منهم قائلاً: «... **ولو سلمت له الأمر فأيم الله لا ترون فرجاً أبداً مع بني أُميّة، والله ليسومونكم سوء**

**العذاب حتى تتمنوا أنّ عليكم جيشاً جيشاً ولو وجدت أعواناً ما سلمت له الأمر، لأنه محرم على بني أُميّة**»[٢٨]. وهو ما تحقق إذ سلط معاوية زياداً على الكوفة والبصرة، وفعل بأهلها ما فعل فرعون في بني إسرائيل. فبعث الخوف في المسلمين، وافتقدوا الأمان، وقتل فيهم الكثير. وكانت نتيجة حكم الباغي ان ضاق الناس بما وقع عليهم من الظلم، وصاروا يحنون إلى حكم آل محمد صلى الله عليه وآله. وما كان من الناس إلا أن طلبوا من الإمام الحسن عليه السلام نقض الصلح، وبعد وفاته كاتبوا الإمام الحسين عليه السلام[٢٩].

وقد وصف الإمام الحسن عليه السلام بشكل واضح ودقيق حقيقة معاوية بقوله لمعاوية «أنت ببيعة الرضوان كافر، وببيعة الفتح ناكث، وانك يا معاوية وأباك من المؤلفة قلوبهم تسرّون الكفر وتظهرون الإسلام وتستمالون بالأموال»[٣٠]. وقريب من هذا المعنى جاء بكتاب من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى معاوية، جاء فيه: «أما بعد، فإنا كنا نحن وأنتم على ما ذكرت من الالفة والجماعة، ففرق بيننا وبينكم أمس أنا آمنا وكفرتم، واليوم أنا استقمنا وفتنتم، وما أسلم مسلمكم إلّا كرهاً». كما حذّر أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له من فتنة بني أمية، إذ قال: «ألا وإن أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أُ» ية، فإنها فتنة عمياء مظلمة: عمت خطتها، وخصت بليتها، وأصاب البلاء من أبصر فيها، وأخطأ البلاء من عمي عنها. وايم الله لتجدن بني أُمية لكم أرباب سوء بعدي... ترد عليكم فتنتهم شوهاء مخشية، وقطعا جاهلية، ليس فيها منار هُدى، ولا عَلَمٌ يُرى»[٣١].

ومن الجدير ذكره هنا، إن معاوية عمل طوال عهده على تبني حملات كبيرة وواسعة لتحطيم مبادئ وجوهر الإسلام، وذلك باستهدافه المبادئ العلوية المتمثلة بدعوة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأولاده عليهم السلام، والتي تمثل مبادئ الإسلام وجوهره[٣٢]. بهذا المعنى، استهدف معاوية بحملاته تلك تحقيق أربعة أهداف، هي[٣٣]:

١ ـ العمل على شل الكتلة الشيعية، ومحاولة القضاء عليها بشكل تدريجي.

فالكتلة الشيعية تمثل الجماعة المرتبطة بالأئمة عليهم السلام، وهي التي عُول على تمتعها بالوعي، وما يمكن أن تشكله من جيش عقائدي يرتقي لمستوى ما يحتاجه الإسلام[٣٤]. وبذلك أدرك معاوية أنها تشكل خطراً كبيراً عليه وعلى مشروعه في الحكم، الأمر الذي جعل القضاء عليها في مقدمة أولوياته.

٢ ـ العمل على خلق الاضطرابات في المناطق المعروفة بتشيعها والمنتمية لأهل البيت عليهم السلام، واتخاذ تلك الاضطرابات كحجة لاتهامهم بالتسبب في إحداث الشغب، لإيقاع الأذى بهم والتضييق عليهم.

٣ ـ العمل بجميع الوسائل لعزل أهل البيت عليهم السلام عن العالم الإسلامي، وحرمانهم من النفوذ، وفرض نسيانهم على المسلمين إلا بالذكر السيء، «ثمّ العمل على إبادتهم من طريق الغيلة».

فمعاوية عمل جاهداً من أجل الاساءة لأهل البيت عليهم السلام، ومحو ذكرهم، وبشكل خاص لأمير المؤمنين، والأمثلة في ذلك كثيرة. ومما يوضح هذا المسعى لدى معاوية، جوابه لقوم من بني أمية سألوه الكف عن لعن أمير المؤمنين، فكان جواب معاوية «لا والله حتّى يربو عليها الصغير ويهرم عليها الكبير ولا يذكر له ذاكراً فضلاً»[٣٥].

## رابعاً: دوره في التهيئة لثورة الإمام الحسين عليه السلام:

هناك جملة من الدوافع التي جعلت الإمام الحسن عليه السلام يتخلى عن خيار قتال معاوية، ويذهب باتجاه تبني خيار تهيئة الظروف لثورة الإمام الحسين عليه السلام. فأية ثورة لا بدّ لها من ظروف سياسية واجتماعية مؤاتية لنجاحها. ومن تلك الدوافع التي رجحت خيار الإمام بالتخلي عن القتال:

١ ـ عدم ايفاء الناس بعهودهم وعدم نصرتهم للإمام الحسن عليه السلام.

٢ ـ عدم رغبة الناس في القتال والتضحية.

٣ ـ ركون الناس الى الراحة وابتعادهم عن أجواء الحروب.

٤ ـ طمع البعض بالأموال والمناصب التي كان يعدهم بها معاوية.

٥ ـ انتشار الفتن في جيش الإمام التي أججها معاوية وأعوانه، وبسرعة لم يُتمكن من السيطرة عليها.

٦ ـ الفئات العديدة التي يتكون منها جيش الإمام، وعدم الانسجام بينها، وتضارب مصالحها، واختلاف أهدافها وتوجهاتها.

ولما كان الإمام الحسن عليه السلام على معرفة ودراية بأحوال الناس وميولهم، واختباره لهم في أكثر من اختبار، فما كان منه إلا العمل على تهيئة الأمر للإمام الحسين عليه السلام للقيام بالثورة. ولعلمه عليه السلام أن الدين الإسلامي دين مجده محمد بن عبد الله عليه السلام بحاجة إلى التضحية للحفاظ عليه وعلى مبادئه، بعدما عمل الطلقاء

وابنائهم ومن على شاكلتهم على تحريف الدين الإسلامي وأخذه بعيداً عن المبادئ التي جاء بها، فما كان منه عليه السلام إلا أن يعمل من أجل كشف حقيقة معاوية للناس. وهو ما تحقق في المدة بين الصلح، الذي عقده عليه السلام مع معاوية، واستشهاده.

وطالما أن الإمام الحسن عليه السلام لم يكن متاحاً له خيار القتال للأسباب التي ذكرناها، ولم يكن متاحاً له الحفاظ على الحكم، لهذا اضطر الإمام لعقد الصلح، بعده الخيار الأقل ضرراً. وقرر الإمام أن يضمنه شروطاً[٣٦] تكون كفيلة بتحقيق أهداف عدة، ومنها ما يتعلق بالتهيئة لثورة الإمام الحسين عليه السلام. فالإمام الحسن عليه السلام ما كان ينتظر من معاوية أن يفي بوعد أو يلتزم بشرط. فكان من حنكة الإمام أن يضمّن الصلح شروطاً تخدم ثورة الإمام الحسين عليه السلام. ولهذا كانت الشروط فيها جوانب دينية، اقتصادية، استراتيجية[٣٧].

فبعد أن تم الصلح خطب معاوية قائلاً: «إني والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا، ولا لتحجوا ولا لتزكوا، إنكم لتفعلون ذلك، ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك أنتم كارهون. ألا إني كنت منيت الحسن عليه السلام وأعطيته أشياءَ وجميعها تحت قدمي هاتين لا أفي بشيء منها له»[٣٨].

وتصريح معاوية هذا إنما يكشف عن نواياه وأهدافه الحقيقية، وهو بذلك يحتمل أحد أمرين[٣٩]:

١ ـ يحتمل أن معاوية كشف ما بداخله من نيته الغدر، وعدم ايفائه بالعهود التي التزم بها تجاه الإمام الحسن عليه السلام.

٢ ـ يحتمل أن معاوية بعد أن رأى واقع الناس في الكوفة قد أسف على عقده الصلح، وأراد إثارة الإمام الحسن عليه السلام في محاولة لحمل الإمام للتراجع عن الصلح.

وتلك الخطبة لمعاوية كشفت حقيقته للناس، وحقيقة سعيه للحكم، وهو ما أراده الإمام الحسن عليه السلام. إذ أراد الإمام الحسن عليه السلام من الصلح مع معاوية أن يكون الأداة الفاضحة لنواياه وأهدافه الحقيقية، التي عمل على اخفائها عن الناس لمدة طويلة في الزمن قبل عقد الصلح.

ففي الشرط الأمني، اشترط الإمام الحسن عليه السلام على معاوية أن يكون الناس آمنون حيث كانوا، سواء في العراق أم في الحجاز أم في الشام أم في اليمن، وأن لا يتتبع أحداً بما مضى. وكذلك اشترط على معاوية آمن أصحاب أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام حيث كانوا. ويعلم الإمام، وفقاً لمعرفته بمعاوية، أن معاوية لن

يفي بوعده هذا، إذ أن معاوية سيسعى للثأر منهم، ولن يكونوا بأمان عه. فمعاوية لا ينسى مواقف أصحاب أمير المؤمنين في صفين. وبذلك سيدرك كل من ركن الى معاوية طلباً للراحة والأمان لا راحة لا أمان مع معاوية. وسيكونوا غير آمنين لا على أنفسهم ولا أعراضهم ولا أموالهم، ورأى الإمام الحسن عليه السلام ان ذلك سيؤدي إلى تفهمهم لحقيقة وهي ان لا أمان ولا راحة مع حكم الباغي الغادر، وان تحقيق الأمن والسلامة لا يتم إلا بالوقوف ضد الباغي وعدم تمكينه من الحكم، وارجاع الحق الى أهله[٤٠].

أما بخصوص الشرط المتعلق بعودة الأمر بعد موت معاوية إلى الإمام الحسن وأخيه الإمام الحسين عليهما السّلام، فقد أراد به الإمام الحسن تحقيق أهداف عدة لها أهمية كبيرة من جهة ارتباطها بثورة الإمام الحسين، والتهيئة لها. ومن تلك الأهداف[٤١]:

١ ـ تقييد الصلح بحياة معاوية، وبعد موته فان الخليفة هو الإمام الحسن إن كان حياً، وإلا فالخليفة الإمام الحسين. وكل من الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السّلام بعد موت معاوية غير ملزمين بأي عهد ترتب على الصلح.

٢ ـ ان خلافة الامامين الحسن والحسين لا تقتصر على الكوفة، بل تشمل كافة البلاد الإسلامية حتى تلك التي تحت سيطرة معاوية.

٣ ـ إن رجوع الأمر إلى الإمام الحسن لا يحتاج إلى بيعة، إنما يستند إلى حقه في الخلافة السابقة على الصلح. وهو ما يوجب طاعة الناس للإمامين الحسن والحسين، وعدم جواز الخروج عن طاعتهما.

٤ ـ إن الإمامين الحسن والحسين غير ملزمين بأية بيعة أو عهد يعهد به معاوية لأحد من بعده، وللحسن والحسين التصدي لأمور الخلافة بعد موت معاوية.

٥ ـ موعد الحركة بين المجتمع والإمام عليه السلام عند موت معاوية.

وكذلك الحال مع شروط الصلح الأخرى التي علم الإمام ان معاوية لن يلتزم بها، وهو الأمر الذي أراد به الإمام توعية الناس إلى عواقب الأمر الذي ذهبوا إليه، وهو تركهم نصرة الحق واتباعهم الباطل. أملاً في أن يصحوا مما هم فيه، ويعملوا على نصرة الحق المتمثل في آل محمد صلى الله عليه وآله، وهو ما يكفل لهم أمنهم وسلامتهم، وعيشهم بكرامة.

وفقاً لذلك، يكون الإمام الحسن عليه السلام في استجابته لطلب معاوية الصلح أراده أن يكون دليلاً واضحاً للناس من أن معاوية لا عهد له ولا أمان ولا

وفاء، وانه لن يلتزم بأي شرط من شروط الصلح. ومن ثم لا يكون أمام الناس إن فعل ذلك «إلّا أن يجاهروه السخط والإنكار، فإذا بالصلح نواة السخط الممتد مع الأجيال، وإذا بهذا السخط نواة الثورات التي تعاونت على تصفية السيطرة الاغتصابية في التاريخ»[٤٢].

بهذا المعنى، قد وفرت جهود الإمام الحسن عليه السلام وبشكل خاص صلحه مع معاوية فرصاً كبيرة في التهيئة لثورة الإمام الحسين عليه السلام. وهو ما أفاد منه الإمام الحسن عليه السلام الشيء الكثير، إذ زادت من زخم وقوة حركته الثورية ضد الأمويين. ومن أوجه تلك الافادة هي[٤٣]:

١ ـ أفاد الإمام الحسين عليه السلام من أخطاء معاوية في غاراته على بلاد الله الأمنة.

٢ ـ عدم التزام معاوية بشروط الصلح الذي عقده مع الإمام الحسن عليه السلام.

٣ ـ توريث الحكم لابنه يزيد.

ومن الآثار المهمة للصلح في قضية ثورة الإمام الحسين عليه السلام، هي[٤٤]:

١ ـ لا يحق لمعاوية إلزام الإمام الحسن عليه السلام بمبايعة من بعده.

٢ ـ المسلمون غير ملزمين بأية بيعة يعقدها معاوية لأحد بعده غير الإمام الحسن عليه السلام إن كان حياً أو لأخيه الإمام الحسين عليه السلام.

٣ ـ على المسلمين بعد موت معاوية مبايعة الإمام الحسن عليه السلام إن كان حياً أو الإمام الحسين عليه السلام.

٤ ـ هذه الشروط ملزمة لجميع المسلمين حتى لأهل الشام الذين هم تحت سيطرة معاوية.

وفقاً لما تقدم، لا تقل جهود الإمام الحسن عليه السلام وجهاده ضد الأمويين وكشف حقيقتهم للناس، عن جهود وجهاد الإمام الحسين عليه السلام. إذ أن الصلح وما تضمنه من شروط كان السبب الرئيس في جميع النكبات التي تعرض لها الأمويين، فخطط الإمام الحسن عليه السلام وتوجيهاته كان لها أثرها البالغ في تداعي الأمويين، وبهذا تكون «التضحيتان: تضحية الحسين بالنفس، وتضحية الحسن بالسلطات، هما قصارى ما يسموا إليه الزعماء المبدئيون في مواقفهم الإنسانية المجاهدة». واختلف نوع التضحية لكل منهما عليهما السّلام كان بسبب اختلاف الظروف التي كانت سائدة في زمانهما، من جهة الأنصار والأعداء لكل منهما، مما أدى إلى اختلاف نوع جهادهما[٤٥].

ولهذا، كان للظروف التي رافقت إمامة الإمام الحسن عليه السلام تأثيرها البالغ الأهمية في ذهابه باتجاه

الصلح، بل ان خيار القتال والتضحية بالنفس لم تكن لتعود بالخير للأمة والدين، على عكس ظروف الإمام الحسين عليه السلام، كان في خيار القتال والتضحية بالنفس كل الخير للأمة والدين. فالإمام الحسين عليه السلام خرج على الحاكم الباغي، ولهذا كانت تضحيته لها آثار ومنافع كبيرة وبالغة الأهمية للدين. بينما في حالة الإمام الحسن عليه السلام الأمر يختلف من جهة كونه كان الخليفة وخرج عليه معاوية الباغي، ولهذا فلم يكن من الصحيح تبني خيار القتال والتضحية بالنفس، لأنه لم يكن سيجلب النفع للأمة والدين، بل كان سيضر بهما أبلغ الضرر[٤٦].

وكان حُسن تقدير الإمام الحسن عليه السلام لعواقب القتال في تلك الظروف التي رافقت إمامته، أثرها البالغ الأهمية في تجنب كارثة كان يمكن أن تحل بالأمة في حينها، وتستمر تداعياتها للأجيال اللاحقة. إذ أن تبني خيار قتال معاوية دون توافره على فرص النجاح كان سيعرض الأمة إلى كارثة كبيرة، ويقضي على المؤمنين من أتباع أهل البيت عليهم السلام.

وبذلك يكون لجوء الإمام الحسن عليه السلام إلى الصلح كان بسبب انعدام الخيارات الأخرى. أما ما يتعلق باستبعاد خيار القتال فلأنه، وفقاً للظروف التي أحاطت بالإمام والتحديات التي واجهها، كان سيلحق الضرر الكبير بالإمام والأمة والإسلام، فضلاً عن الثورة الحسينية. وقد بين الإمام جزء من هذا المعنى ذلك بقوله: «... والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سلماً. فو الله لأن اسالمه وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسيره أو يمنّ عليّ فتكون سبّة على بني هاشم إلى آخر الدهر، ومعاوية لا يزال يمنّ بها وعقبه على الحي منّا والميّت»[٤٧].

بهذا المعنى، فان تسليم الإمام الحسن عليه السلام أسيراً إلى معاوية لهو أمرٌ عظيم، إذ ان الخيارات في هذا الأمر أما قتل الإمام من قبل معاوية، وأما «إطلاقه، فيكون طليقاً للطلقاء وابناء الطلقاء...». وهي الذلة بعينها والتي لا يمكن للإمام القبول بها. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن أمر الإمام كان يدور بين خيارين وكلاهما محذورين. فأما الصلح مع معاوية، أو أن يُسلم له، وهنا كان الصلح هو أهون الضررين. ولم يكن أمر الإمام دائراً بين مصلحة ومحذور، بل كان دائراً بين الصلح مع معاوية، وبين العار. والعقل يحكم بتقديم أقلهما ضرراً، وهو الصلح. وهو ما أقدم عليه الإمام بتقديمه الصلح مع معاوية. وهنا يتضح وجه الشبه بين موقف الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السّلام،

فالإمام الحسن اختار الصلح حتى لا يؤخذ أسيراً إلى معاوية فيقتله أو يطلقه، والإمام الحسين اختار الشهادة حتى لا يؤخذ أسيراً إلى يزيد فيقتله أو يطلقه. فمدار الأمر للإمامين الحسن والحسين عليهما السّلام لم يكن حفظ النفس، ولهذا من غير الصحيح القول ان الإمام الحسن قدم حفظ نفسه على الشهادة، وان الإمام الحسين قدم الشهادة على حفظ نفسه، إنما مدار الأمر كان تجنب العار. فقدم الإمام الحسن الصلح كونه أهون الضررين، وقدم الإمام الحسين نفسه الزكية. وهو ما يؤكد بشكل واضح «إن حركة الإمامية الحسنين عليهما السّلام في كلا القضيتين كانت على أساس مبدأ واحد، بل قضيتهما واحدة، واختيارهما واحد... فأمرهما دائر بين محذورين العار أو الصلح في قضية الإمام الحسن عليه السلام، والعار أو الشهادة في قضية الإمام الحسين عليه السلام، وترك كل منهما عين ما تركه الآخر وهو العار، واختار كل منهما عين ما اختاره الآخر وهو أهون الضررين»[٤٨].

ووجد الإمام الحسن عليه السلام «لزاماً أن يطور طريقة جهاده، وأن يفتح ميدانه من طريق الصلح. وما كانت الألغام التي وضعها الحسن في الشروط التي أخذها على معاوية إلا وسائله الدقيقة التي حكمت على معاوية وحزبه بالفضل الذريع في التاريخ»[٤٩].

وبذلك، بفضل الحكمة والدور المميز للإمام الحسن عليه السلام، كشف معاوية عن مقاصده الدنيئة، وعدم التزامه بالوعود، وانكشف للناس وضاعته. وهو ما كان له الأثر الكبير في كشفه أمام من لم يعرف حقيقة معاوية والتبس عليه الأمر. وبذلك عمل هذا الأمر على تهيئة الناس لتقبل فكرة الثورة، مما عزز كثيراً موقف الإمام الحسين عليه السلام.

وقد ادرك الناس، لا سيما في الكوفة، أهمية النصح الذي قدمه لهم الإمام الحسن عليه السلام في خطبه منذ الأيام الأولى لإمامته، وتحذيره الناس من العواقب الكارثية التي ستحل بهم إن هم تركوا نصرة الحق، واتبعوا الباطل. ومن تلك النصائح عندما تخلف الكثير من الناس عنه في معسكر النخيلة، إذ أخبرهم بما سيلاقونه من العذاب، وصعوبة العيش مع بني أمية. كما أدركوا تذكيره لهم بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله الذي وصف فيه العواقب التي تحل بالأمة التي تولي أمرها إلى رجل وفي الأمة من هو أعلم منه، ومذكراً إياهم بما حل ببني إسرائيل عند تركهم هارون واعتكفوا على العجل وهم يعلمون انه خليفة موسى عليه السلام، وما حل بالأمة عند تركهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهم

سمعوا رسول الله ﷺ وهو يقول له: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير النبوة فلا نبي بعدي».

**الخاتمة:**

واجه الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السّلام منذ الأيام الأولى لإمامته تحديات كبيرة وعديدة، منها وفي مقدمتها طمع معاوية بالخلافة، وسعيه للحصول عليها بمختلف الوسائل غير الشرعية، فضلاً عن سعيه ومعه الأمويين لإعادة المسلمين إلى جاهليتهم التي كانوا عليها قبل الإسلام.

ولهذا كان لزاماً على الإمام الحسن، بحسب تكليفه الشرعي، التصدي لمعاوية. وبسبب عدم توافر المقومات الرئيسة لقتال معاوية، وضع الإمام استراتيجية تقوم على تمكين الناس من معرفة حقيقة الأمويين، وكشف نواياهم وأهدافهم الحقيقة، التي طالما حاولوا اخفائها عن الناس، وبذات الوقت تشكل محور جهوده في التهيئة لثورة الإمام الحسين عليه السلام.

فالإمام الحسن عليه السلام أدرك أن خيار القتال لن يحقق الأهداف التي يرجوها، والمتمثلة بـ:

١ ـ بتصحيح الانحراف الذي حصل في المجتمع الإسلامي بسبب وجود الأمويين في الحكم.

٢ ـ حفظ مبادئ الدين، وحياة المسلمين.

لهذا، فقد رأى الإمام الحسن عليه السلام ان ثمة وسيلة أخرى لتحقيق ذلك، وهي الصلح، الذي مثل الخيار الأقل ضرراً، وليس الخيار الذي كان يأمله الإمام، إنما اضطر إليه اضطراراً، بسبب عدم وجود الناصر له.

بهذا المعنى، كان لشروط الصلح التي اشترطها الإمام الحسن عليه السلام على معاوية، والتي تنوعت في ابعادها الأمنية، الاقتصادية، الاستراتيجية وغيرها، الوسيلة الرئيسة في تحقيق ما أراده الإمام. ولذلك حرص الإمام على توظيف شروط الصلح لخدمة هدف إصلاح الأمة، وهو الهدف الذي تحقق بثورة الإمام الحسين عليه السلام، التي أعد لها الإمام الحسن العدة الكفيلة لنجاحها.

وبذلك، يمكن القول أن تضحية الإمام الحسن وتضحية الإمام الحسين إنما استهدفتا تحقيق هدف حفظ الدين، وحفظ أرواح الناس وسلامتهم، وتأمين عيشهم بما يحفظ كرامتهم.

## الهوامش:

[١] سورة الشورى، الآية: ٢٣.

[٢] باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السّلام دراسة وتحليل، الجزء الثاني، مهر دلدار، ٢٠٠٨، ص ٣٢ ـ ٣٨.

[٣] الشيخ راضي آل ياسين، صلح الحسن عليه السلام، مؤسسة الرافد للمطبوعات، بغداد، ٢٠٠٩، ص ٣٧ ـ ٣٨.

[٤] باقر شريف القرشي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٨.

[٥] سورة النساء، الآية: ٥٩.

[٦] الشيخ عبد الله البحراني الاصفهاني، عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال الإمام الحسن عليه السلام، الجزء ١٦، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة، ص ١٣٨.

[٧] باقر شريف القرشي، مصدر سبق ذكره، ص ٤٥.

[٨] السيد محمد باقر الصدر، أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ص ٥٧ وص ١٣١.

[٩] باقر شريف القرشي، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٤.

[١٠] الشيخ محمد مهدي الحائري، معالي السبطين في أحوال الحسن والحسين عليهما السّلام، الجزء الأوّل، منشورات الشريف الرضي، ص ٥٨.

[١١] الشيخ محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدُرر أخبار الأئمة الأطهار، الجزء ٤٤، ط ٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص ٤٣.

[١٢] سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

[١٣] أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص ٢٨ ـ ٢٩.

[١٤] باقر شريف القرشي، مصدر سبق ذكره، ص ٤٣ ـ ٤٤.

[١٥] المصدر نفسه، ص ٩٥ ـ ١٠٣.

[١٦] أبو الفرج الأصفهاني، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩.

[١٧] الشيخ راضي آل ياسين، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦.

[١٨] أرسل معاوية وفداً للتفاوض مع الإمام الحسن عليه السلام بخصوص الصلح، يتألف الوافد من المغيرة بن شعبة وعبدالله بن عامر وعبد الرحمن بن الحكم. وعند خروجهم بثوا دعاية غايتها إثارة الفتن، إذ قالوا «إن الله حقن الدماء بابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد أجابنا إلى الصلح». أما مضمون الكتب فقد تركز حول أمرين هما: الأوّل: تسليم الإمام الحسن إلى معاوية سراً أو جهراً، والثاني: اغتياله متى أراد ذلك معاوية. ينظر: باقر شريف القرشي، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٣ ـ ١٠٥.

[١٩] الشيخ راضي آل ياسين، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٦ ـ ٢٣٨.

[٢٠] المصدر نفسه، ص ٢٣٧.

[٢١] محمد جواد فضل الله، صلح الإمام الحسن عليه السلام، دار المثقف المسلم، قم، أسبابه نتائجه، ص ٨٤ ـ ٨٥.

[٢٢] باقر شريف القرشي، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٨.

[٢٣] السيد محمد باقر الصدر، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٨.

[٢٤] الشيخ محمد مهدي الحائري، مصدر سبق ذكره، ص ٤٧ ـ ٤٨.

[٢٥] الشيخ عبد الله البحراني الاصفهاني، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٣.

[٢٦] من واجبات الإمام حفظ الدين، وحراسة الإسلام، وصيانته من المستهترين بالقيم والأخلاق، للتفصيل ينظر: باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السّلام دراسة وتحليل، الجزء الأوّل، مهر دلدار، ٢٠٠٨، ص ١٠٤ ـ ١٠٥. كذلك ينظر: السيد سامي البدري، الحسين عليه السلام في مواجهة الضلال الأموي واحياء سيرة النبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام، ط ٢، دار الفقه للطباعة والنشر، بغداد، ٢٠٠٩، ص ٢٧.

[٢٧] الشيخ محمد باقر المجلسي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢ ـ ٢٣.

[٢٨] الشيخ محمد باقر المجلسي، الجزء الثاني، مصدر سبق ذكره، ص

٤٤ ـ ٤٥.

[٢٩] الشيخ عبد العزيز ابن الحاج سعيد المصلي، اتفاق الحسن وكربلاء الحسين عليه السلام، مؤسسة العروة الوثقى للطباعة، ٢٠٠٧، ص ٤٦ وص ٢٦٠ ـ ٢٧٠.

[٣٠] د. نجاح الطائي، الشائعات المشهورة ضد الإمام الحسن عليه السلام، دار الهدى لإحياء التراث، بيروت، ٢٠١٠، ص ٩٧.

[٣١] نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، جمعه الشريف الرضي، تقديم وشرح الشيخ محمد عبده، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٤٤٥ وص ١٤٧ ـ ١٤٨.

[٣٢] يصف أمير المؤمنين عليه السلام أهل البيت عليهم السلام بأنّهم «... هم أساس الدين، وعماد اليقين، إليهم يفيء الغالي، وبهم يلحق التالي، ولهم خصائص حق الولاية...». ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٩.

[٣٣] الشيخ راضي آل ياسين، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥

[٣٤] السيد محمد باقر الصدر، مصدر سبق ذكره، ص ٦٤.

[٣٥] لتفصيل أكثر ينظر: العلامة المصطفوي، الإمام المجتبى عليه السلام، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، طهران، ٢٠٠٣، ١٣٩ ـ ١٤٣.

[٣٦] للتفصيل عن شروط الصلح التي اشترطها الامام الحسن عليه السلام على معاوية، ينظر: علم الهدى محمد ابن الفيض الكاشاني، معادن الحكمة في مكاتيب الأئمة عليهم السلام، الجزء الثاني، ط ٣، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٣١ هـ ص ١١ ـ ٢٩.

[٣٧] للتفصيل ينظر: الشيخ عبد العزيز ابن الحاج سعيد المُصلي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٤ ـ ٢٥٩.

[٣٨] الشيخ محمد باقر المجلسي، مصدر سبق ذكره، ص ٥٣.

[٣٩] الشيخ عبد العزيز ابن الحاج سعيد المُصلي، مصدر سبق ذكره، ص ٤٥.

[٤٠] الشيخ عبد العزيز ابن الحاج سعيد المُصلي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٨.

[٤١] المصدر نفسه، ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣.

[٤٢] الشيخ راضي آل ياسين، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٥.

[٤٣] المصدر نفسه، ص ٣٩٥.

[٤٤] الشيخ عبد العزيز ابن الحاج سعيد المُصلي، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠.

[٤٥] الشيخ راضي آل ياسين، مصدر سبق ذكره، ص ٣٩٢ ـ ٣٩٦.

[٤٦] مرتضى مطهري، حياة الأئمة الأطهار، الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٢، ص ٦٩ ـ ٧٥.

[٤٧] الشيخ محمد باقر المجلسي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠.

[٤٨] الشيخ عبد العزيز ابن الحاج سعيد المُصلي، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٨ ـ ٢١٩.

[٤٩] الشيخ راضي آل ياسين، مصدر سبق ذكره، ص ٣٩٥.

# منهج الإمام الحسين عليه السلام في صياغة الإنسان وتربيته

❖ السيد نعمة جابر آل نور(*)

(*) باحث إسلامي ـ العراق.

لكلّ دين من الأديان ـ التي نزلت من قِبل السماء، والتي أخبرنا بنزولها القرآن الكريم، أو أخبرنا بها التاريخ على مرّ العصور من خلال كتاباته، أو من خلال معتنقي هذه الأديان، الذين لا زالوا يمارسون طقوس تلك الديانات ـ ميزات اختصّ بها عن الأديان الأُخرى، كاختصاص بعضها برقعة جغرافية محدودة، أو نزولها إلى مجموعة من البشر محدودة العدد ﴿**وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ**﴾[1]، أو متّحدة الثقافة والتوجّه، كما في قوم لوط. وغيرها من الميزات التي اختصّت بها بعض هذه الديانات.

وأهمّ ما يميّز الدين الإسلامي عن غيره من القوانين هي شموليته لواقع الحياة على كلّ المستويات، فهو لا يعالج المشكلة القائمة على فسحة الواقع من زاوية واحدة، أو ينظر إليها بعين حولاء لا ترى ما يواجهها، إلّا من الزاوية التي تستطيع الإبصار فيها، وهذا اللون من النظر تتفرّد به الرؤى الوضعية (النظريات الوضعية)، التي تتفجّر من بحبوحة الأرض بين الحين والآخر، ثمّ يظهر العجز عليها؛ لعدم استنادها إلى ما يؤيّدها من قيم عناصر الارتباط بالسماء، وهذا الأمر له أدلّته الكثيرة التي ذُكرت في محلّها، والتي لم نُشر إليها رعايةً للاختصار.

إنّ هذه الشمولية لهذا الدين واستيعابه للواقع بكلّ أصعدته؛ ينتج عنها الخلود لهذا الدين وصلاحية منهجه لكلّ زمانٍ ومكان، ولكن بعد أن يتوفّر الشرط الأساس له، وهو توفّر المساحة التطبيقية، والنموذج الصالح، الذي سيمارس عملية التطبيق في الخارج (على أرض الواقع)، وبهذا الشرط المذكور يمكن لهذه الشريعة أن تُفرغ نظرياتها المتعدّدة على مساحة التطبيق، والارتقاء بالمجتمع إلى أقصى غاياته التكاملية.

وهذا الشرط نفسه متوقف في تحققه على عدم توفّر النقيض الذي يقف أمام وقوعه في الخارج؛ لأنّ النقيض سيكون المانع من استمرار التطبيق المذكور،

ومقيّداً لأيدي النموذج الصالح، ومعرقلاً ثقيلاً في وجه الحركة التكاملية المطلوبة، والتي بها يتمّ اختصار الزمان وتوفير الملائمة للمكان.

والنقيض المذكور هو ابتلاء الشريعة بالنموذج الكَلّ على عاتقها، بممارساته الاستبدادية والنفعية، التي تؤول بها أوضاع الأمّة إلى التصحّر والجمود والتشويه، والذي يزيد من حجم التخريب في مساحاتها؛ ممّا يشوّه صورتها في نظر القاصي فضلاً عن الداني الذي دبّ اليأس في بقعة نفسه، وأوجد للشريعة فيها صورة ناقصة الملامح مشوّهة المعالم، يجعلها في مصافّ الأديان والأُطروحات الوضعية السائدة في العالم.

من هنا؛ برزت الحاجة إلى تأسيس منهجية فكرية صحيحة، لتحصين الواقع الفكري للأُمّة والذود عنه بكل ما أُوتينا من قوّة، ولا بدّ من دراسة التاريخ دراسة موضوعية؛ لإبراز الصورة اللامعة له، والأهمّ من ذلك كله هو إيجاد نماذج نقيّة تُبرز للعالم صورة الدين الحيّة القابلة إلى تصدير رؤاه الفكرية، والقابلة للثبات والصمود في وجه الثقافات والنُّظم التي تعتمد في واقعها على سياسة (ثقافة) الإلغاء والتهميش، وإرساء المرموزات الدينية العظيمة للأجيال القادمة؛ لأنّها تشكّل مصدراً من مصادر القوة والانتماء في حاضر الأُمّة ومستقبلها.

إنّ ازدياد رقعة التخريب في مساحة الأُمّة جعل من يطلب الإصلاح في ذلك يواجه أمراً في غاية الصعوبة؛ بحيث يتطلّب اهتزازات قويّة جداً في تلك المساحات المخرَّبة في واقع الأُمّة؛ لتعيد للشريعة حيويتها وتصحّح مسار التطبيق في مكوناتها، كما يتطلّب أيضاً إحداث نوع من عمليات العصف اللازمة في الأذهان؛ تجعلها قادرة على العطاء من أجل الأُمّة؛ وبالتالي تساهم في إكمال مسيرة التكامل الذي لا يحصل إلّا بتطبيق قيم السماء كمنهجية صالحة للامتداد، ولكن بواسطة المناخات الملائمة التي يجب أن تتوفّر لكي يتحقّق الإبداع المنشود، ويكتمل الوعي لدى الأُمّة.

فكانت النهضة الحسينية ـ بما اشتملت عليه من عناصر حيوية، أكسبتها القدرة على الإبداع والتأثير ـ هي القوّة الصالحة والمؤثرة لإيجاد الاهتزازات، وعمليات العصف اللازمة لإعادة الأُمّة إلى وعيها، وبثّ الثقة في نفوس أبنائها، وإصلاح ما يمكن إصلاحه من أمر الأُمّة؛ لتكون النواة التي تعتمد عليها عملية الإصلاح المستقبلية، طبقاً لثوابت الشريعة ذات القيم المستمدة من السماء، ومن هذه العناصر:

## النهضة الحسينية وامتدادية النموذج النقي

كنّا قد أشرنا إلى صلاحية الدين الإسلامي للامتداد والشمول، وهنا نحاول الربط بين الاستمرارية المذكورة وبين النموذج النقي من زاوية نسأل من خلالها: هل يشترط أن يتكون لدينا مجتمع يحتوي على نموذج نقي مستمر؛ لكي يتلاءم مع استمرارية المنهج وشموليته، أم تكفي صلاحية المنهج للاستمرار فقط دون نموذجه؟

فلو قلنا بعدم الملازمة؛ فهذا القول يستلزم عدم التوازن في الكفّة؛ إذ كيف يتلاءم المنهج القابل للاستمرار في استمراريته بدون النموذج النقي.

إذاً؛ فلا بدّ من القول بالملازمة وعدم الانفكاك بين الطرفين؛ لكي نضمن الاستمرارية بكلّ أبعادها؛ ولكي نتقصّى من حالة الشكّ في استمرارية المنهج، ورفع النقض الوارد في المقام.

وبناءً على هذا؛ فلا بدّ من امتدادية النموذج النقي، وهو هنا ـ وعلى نظرية المذهب الإمامي ـ ممتدّ بوجود المعصوم الذي نصبه الله عز وجل لهداية البشر وحفظ شريعته بعد النبي عليها السلام، وكما قال الإمام الحسين عليه السلام: «**إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، بنا فتح الله وبنا ختم الله، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله. ولكن نُصبح وتُصبحون وننظر وتنظرون أينا أحق بالخلافة والبيعة**»[٢].

هذا المقطع من كلام الإمام الحسين عليه السلام يوضّح تفاصيل الامتداد للنموذج النقي، المعتمد في عملية الإصلاح في المساحة المخرَّبة من أرضية الأُمّة، على عمق الجذور المرتبطة بالسماء والمؤيّدة بها.

وقد أحسّ يزيد بهذا النموذج وأحسّ بخطره، كما أحسّت بطانته المنتفعة من قربها من أميرها الوهمي، وإنّ هذا النموذج يشكّل مصدراً للثورة، ويُهدّد المصالح المادّية لهم، ويعلّق مشروعهم التشويهي المعتمد على سياسة التزييف في بناء الأُمّة العَقَدي والتاريخي، وهذه الامتدادية تسعى إلى قلب الموازين التي تعتمد عليها آليات الاستعباد والاستبداد، وآليات مصادرة الحقوق والحرّيات، والتلاعب بمصائر الأُمّة.

وقد ساهمت في هذا الامتداد عوامل مختلفة على قمّة هرمها الوراثة، ذلك العامل المهم في سلّم الكمال، كما لمسناه في تركيبة الإمام الحسين عليه السلام الكمالية «**إنّا أهل بيت النبوة**» كمختصة لم يشاركه أحد فيها من الأغيار، كما أنّها في الوقت نفسه جلبت له هذا

الكمّ الهائل من مشاعر الحقد والكراهية لدى ذوي النزعات المادية، المُختلّي التركيب وراثياً (التركيب النفسي).

وهذا الامتداد للنموذج مستمدّ من شعار إسلامي غاية في الخطورة على الآخرين (من هم بالاتجاه المعاكس)؛ لأنّه مهدِّد لهم بكل مفردة من مفرداته، ألا وهو شعار «**أفضل الجهاد كلمة حقٍّ عند سلطانٍ جائر**»[٣].

هذا الشعار هو اللائحة السياسية للمنهج الممتدّ، حمله وحكم به مفردات الحياة والدولة، وألزم الأُمّة المشاركة في صنع وتطبيق هذه اللائحة، التي ترفض مفهوم الاستبداد والعبثيّة بجميع صورها، وأيّاً كان مصدرها.

ولم يكن الإمام بغافل عمّا تمارسه السلطة الأُموية، بقيادة العبثي يزيد وهو يلاحق الرساليين، ويُحصي عليهم الأنفاس؛ استمراراً منه لمنهجية الطلقاء.

وكان الإمام يرى مقدار الخسف الحاصل في أرضية الأُمّة الإسلامية العقائدية والمبدئية، والتي إن استمرّ الوضع بها كذلك سوف لا يبقى لهذا المنهج الرسالي شيءٌ يُذكر، وسيسقط الإسلام ولن تقوم له قائمة.

فكان تشخيصاً دقيقاً وحاذقاً استدعى من الإمام الحسين عليه السلام أن يخطّط للثورة؛ لكي تستعيد الأُمّة عافيتها، ولكي يضع الأُمور في نصابها الصحيح، كما جسّدها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله؛ ولذا نرى أنّ الإمام عليه السلام اعتمد سلوكيات يعلم مُسبقاً أنّها ستكلّفه المزيد من التضحيات، فتارة نراه يقول: «**ومثلي لا يبايع مثله**». وأُخرى يقول: «**وأنا أحقّ مَن غيَّر**»[٤]. ووفقاً لهذه السلوكيات وما سواها يُعلن أنّه النموذج المتّحد والأمثل لتطبيق النهج الرسالي.

وأحقّية الخلافة ليست حكراً وملكاً مادّياً كما يراه الاتجاه اليزيدي، حتّى يأتي دور الصراعات الشخصية هنا، بين مَن هو ملك وآخر يرى الأحقّية له بالخلافة، بل المسألة تتعلّق بروح المنهج السماوي المتكامل، حيث قطع سبل المنازعة في الموضوع، ونصَّ عليها في مواطن عدّة، وحْيَاً وحديثاً، ويعنينا مسألة عليها مئة وعشرون ألف شاهد، وقعت في بقعة اسمها خم، حدّدت بموجبها مواصفات الخليفة، ونصّ عليه، وقيل فيها: بخٍ بخٍ...

ومن التطبيق أنّ هذه المواصفات والعقلية المذكورة لا تنسجم مع روح المبدأ المادّي للتيارات المعاكسة؛ لأنّها ستُترجم إلى سلوكيات ونهج سياسة تبقى تحرّك الأجيال على مرّ العصور والأزمان، ملازمةً لاستمرارية المنهج وامتداده.

وهكذا تحرّك الإمام عليه السلام في الأُمّة المقهورة

الضعيفة ليُعيدها إلى جادّة الصواب، بعد أن أوشكت على تقبّل الفكرة اليزيدية التي أخذت بالتجذّر والالتصاق، وفعلاً تحرّك الإمام عليه السلام.

## الحتمية في التحرّك

عندما فشل الوليد في انتزاع البيعة من الإمام الحسين عليه السلام، صار لزاماً على الإمام عليه السلام ـ من حين خروجه من مجلس الوليد والي المدينة ـ أن يستعدّ للخروج من المدينة في جوف الليل، فخرج وهو يتلو قوله تعالى: ﴿**فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾[٥]. وسلك الطريق المعتاد حتّى طُلب منه أن يغيّر المسلك، فأبى قائلاً: «**والله، لا أفارقه** [الطريق الأعظم] **حتّى يقضي الله ما هو قاضٍ**»[٦].

وقد كان السؤال هنا عن تغيير المسلك في سير الجادّة، إلا أن الجواب جاء بالنفي عن مفارقة الطريق الأعظم، على لسان البطل الثائر ذي الامتدادية، والأمثل في أحقّية الخلافة الشرعية لخصوصياته المتعدّدة المرتبطة بوحي السماء من جانب، ومن جانب آخر السلوك الأخلاقي العظيم الذي تهواه نفس العدو قبل الصديق.

إنّ الجواب يدلّ على حتميّة التحرك في الثورة، والتعبير المتقدم في جواب الإمام عليه السلام من ثوابت التحرّك والأسس التي لا يخالطها الشكّ في عملية الإصلاح، هذا الثابت نابع عن معرفية تامّة لأُمور الأُمّة آنذاك، كيف وهو الخبير ابن الوصي الذي يدرك ويعلم أنّ صلاح الأُمّة لا يتمّ إلّا بالثورة، ولكن أي ثورة، الثورة المدروسة الخُطى، ذات الثوابت العميقة، التي تمثّل المرتكز الذي يُعتمد عليه في عملية النهضة الحتمية الوقوع.

دخل مكّة ٣ شعبان سنة ٦٠ للهجرة، فأقام فيها أربعة أشهر وأياماً، وهي أقدس مكان تهوى إليه القلوب من كلّ فجٍ عميق، فالتفّ حوله المسلمون وكعادة أهل العلم ـ لا يرون زكاته إلّا بتعليمه الناس ـ علّمهم من فيض علمه؛ لأنّه ابن الوصي كما وصف نفسه «**ومهبط الوحي**»، ولم يُتمّ حجّه في تلك السنة؛ الأمر الذي يبعث على كثرة التساؤلات وفي جوانب متعدّدة.

ويُجاب عنها ـ بمختصر الكلام ـ: أنّ شخصاً مثل الإمام الحسين عليه السلام يعي تماماً مسؤوليته في التحرّك الرافض، لا سيما وأنّ في خروجه من المدينة ودخوله مكّة ومكوثه فيها أربعة أشهر وأياماً، كلّه يصبّ في التخطيط السياسي الواعي الذي يعتمد على الأُمّة في

التحريك، ويهيئ له الظروف الملائمة للانطلاق؛ فحلّ إحرامه ولم يكمل حجّه، وصرّح بعملية التحرك تاركاً المرحلة السرّية فيه، ومختصراً عنصر الزمن؛ لأنّ هذه المرحلة من حياة الأُمّة لا تتحمّل الانتظار؛ فلا بدّ من هزّة عنيفة تعبّر عن مكنون الأُمّة، فأعلن النداء: «**ألا ومَن كان فينا باذلاً مهجته، موطّناً على لقاء الله نفسه؛ فليرحل معنا، فإنّي راحل مصبحاً إن شاء الله تعالى**»[٧].

وهي صرخة في واقع الأُمّة غاية في الصراحة والشفافية، خالية من نظرية المؤامرة، التي غالباً ما تُحاك خلف الكواليس، ودعوة طوعية لكلّ مَن يجد في نفسه توافر الشروط في البذل والتوطّن والاستعداد للرحيل بهذه الصورة المثالية، التي لم يشهد لها التاريخ من قبل، إنّها في غاية الصراحة والوضوح، خالية من كلّ الممارسات القسرية، وهذا نوع من المنهجية في التحرّك الواعي الذي يضمن للأُمّة كرامتها المهدورة، ويُعيد إليها حالة الوعي في الحركة.

إنّ روح الإمام الحسين عليه السلام روحٌ تجري العقيدة في عروقها، ولا يتحرّك إلّا حسب ما يُمليه عليه الواجب الشرعي في الحفاظ على عقيدة الأُمّة، التي تعرّضت للاهتزاز والانهيار لولا خروجه الذي صحّح المسار، مع علمه بأنّ خاتمة المطاف في التحرّك قتلٌ وسبي، لكنّ هذا لم يثنه عن عزمه في الحركة؛ ولذا نراه يخطّط للثورة؛ ابتداءً من رفض البيعة والخروج من المدينة، مروراً بالإقامة المؤقّتة في مكّة، وانتهاءً بحفر الخندق وتفقّد ساحة المعركة المقبلة، وهي عملية في غاية الدقّة، لا تدلّ إلّا على فكر القائد وشمولية النظرة القيادية عنده، وتدلّ على أنّ الهدف الذي يسعى إليه الإمام الحسين عليه السلام ـ روحي له الفداء ـ أسمى من كلّ الموازين المادّية؛ لأنّه نابعٌ من علم الإمام ابن الوصي الذي به فتح الله وبه يختم، ومثله لا يبايع مثل يزيد.

## سمو الأهداف

لقد شهدت الأُمّة الكثير من الثورات ذات الطابع الإصلاحي، ووقف خلفها الكثيرون، وروّجوا لها كحالات إصلاحية تهدف إلى تصحيح مسار الأُمّة المنحرف، ولكن سرعان ما خبا وهج تلك الثورات، وتعرّضت للتآكل، وبقيت مجرّد أحداث مرّ عليها الزمن، وجزءاً من تراث الأُمّة، وبقيت آثارها (السلبية الطابع) تنعكس على واقع الأُمّة؛ نتيجةً لردود الأفعال التي أحدثتها في الساحة (ساحة الأُمّة)، والمتقصّي لأسباب الانحسار عن مسرح الأحداث يجد أنّ مثل هذه الثورات تطلق شعارات إصلاحية الطابع، لكنّها تُخفي خلفها الأغراض الحقيقية

لنفوس مدّعيها؛ الأمر الذي يدعو إلى ضبابية أهدافها، فتخلو تلك الأهداف من الاستناد التامّ إلى الدعامة التي تمنحها عنصر القوة والاستمرار، والمستمدّ من الاتّكاء على العقيدة التي تؤمّن الثبات والامتداد والمقبولية.

ولذا؛ نرى الإمام الحسين عليه السلام أعلن عن سموّ الهدف الذي من أجله خرج، وهو أمرٌ لم تألفه الأُمّة من قبل، فالإعلان عن الهدف قد يتيح للمتربّص أن ينقضّ على المشروع في مهده، والإعلان عن الهدف ـ ولاسيما من شخصٍ ورث الامتداد من بيت الوصي ـ أسمى ما في الثورة؛ حيث لم يترك للأُمّة خيار (إمّا أو)، ولا ثالث لهما: «**إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت أطلب الإصلاح في أُمّة جدّي محمد صلى الله عليه وآله، أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر**»[٨].

وهو شعار لا يختلط به غيره، مع علمه بما سيؤول إليه الأمر من قتلٍ وأسرٍ وسبي، لكنّه يدلّ على أعلائيّة الهدف وسموّه؛ ولذا صمّم على السير إلى كربلاء، وكلمة السير إلى كربلاء تستوقفنا للتأمّل، فالسفير أُرسل إلى الكوفة، العاصمة الحاضرة، وتقصّي السير إلى كربلاء، حيث (إلى) الغائية هنا يرجع بنا إلى خارطة الأحداث التي رسمها لنا النموذج المتصل بالسماء؛ حيث قال: «**سيُقتل ولدي الحسين بأرضٍ يُقال لها: كربلاء**»[٩].

إنّ الأُمم السابقة (عدا النخبة الرسالية) اعتادت أن تنصب العداوة لمصلحيها؛ لأنّهم يشكّلون الخطر الذي سيطيح بتأسيساتهم المادّية ويحيلها إلى رماد؛ وإن النموذج النقي عالم بأنّ الأُمّة سيؤول أمرها إلى الخراب، بعد الهنات التي تعرّضت لها، وامتناع الأُمّة عن الإتيان بالدواة والكتف؛ ممّا عطّل عملية الكتابة التي لو حصلت في حينها لتمّ التطبيق للمنهج الرسالي، وهو أن تكون الأُمور بيد النموذج الأمثل القادر على إدارة عجلة الحياة بكافّة أصعدتها؛ نظراً لما يتمتّع به من خصوصيات أهّلته لهذا المنصب.

ولو تمّت الملازمة بين قابلية المنهج للاستمرار وبين صلاحية النموذج النقي للامتداد، تتمّ قواعد العملية الإصلاحية على أفضل صورة رسمتها السماء؛ لأنّ هناك فرقاً واضحاً بين وجود منهج رسالي مستمر وبين الواقع التطبيقي لهذا المنهج الرسالي، ولعلّ من أبرز الإشكاليات التي واجهت المنهج هي عدم إتاحة الفرصة المناسبة له بالنزول إلى حيّز التطبيق.

قال الإمام الحسين عليه السلام: «**مَن رأى منكم سلطانا جائراً، مستحلاً لحرام الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسُنَّة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم**

**والعدوان، فلم يُغيّر بفعل ولا قول؛ كان حقّاً على الله أن يُدخله مدخله»**[١٠].

والإمام عليه السلام يعلن بهذا الخطاب المقدس دعوة صريحة لتشخيص هوية الأُمّة السياسية والقائمين عليها في إشراك الشريحة التي تسكت عن إبداء الرأي الآخر في الممارسات التي لا تنسجم مع روح المنهج، ووعدهم بالمؤاخذة والإدخال في نفس المدخل، وهو مبدأ اعتمده الإمام عليه السلام كخطّة لتخليص الساحة من الشوائب كشروط لجعلها نقيّة، وأغلقت الأبواب على مَن لم يخرج؛ ولذا نرى أن الذين صمدوا في الميدان هم الذين لم يختاروا على الخلود أمراً غيره؛ فاشتروا رضا الله بأغلى الأثمان: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ**﴾[١١].

ومن المؤكّد أنّ النخبة الصالحة هي التي تأخذ على عاتقها مهمّة تقنين جوانب حياة الأُمّة باعتبارها صاحبة الوعي الرسالي والذهنية المتفتقة، والتي تستطيع من خلالها أن تمتلك القابلية اللازمة في الإدارة.

ومعلوم لذي كلِّ لُبّ، أنّ النخبة لم تصل إلى مرحلة النخبوية إلّا بعد أن مرّت بعمليات استجلاء وغربلة للنوايا، اجتازوا جميع مراحلها؛ فوصلوا إلى مرحلة توطين النفس على الموت، فكانت النتيجة: «**والله، لقد بلوتهم، فما وجدت فيهم إلّا الأشوس الأقعس، يستأنسون بالمنيّة دوني استيناس الطفل بمحالب أُمّه**»[١٢].

وهذه الخطّة في استجلاء نوايا القوم أثبتت مقدار إخلاصهم في الفداء والتضحية في سبيل العقيدة وكرامة الإنسان، وتبقى ثورة الإمام الحسين عليه السلام نبراساً لكلّ من يسعى للبحث عن عزّة النفس ومعنى الشرف والإنسانية.

## شفافية التحرّك

إنّ الإعلان عن هدفية الثورة عند الإمام عليه السلام لم يكن منفصلاً عن التحرّك منذ البداية، مع العلم المسبق بما ستؤول إليه الأحداث فيما بعد التحرّك، وبما أنّ الإمام عليه السلام خاطب الأُمّة واستنهضها؛ لأجل إزالة التشويه الحاصل في ساحة العقيدة، لكنّه في الوقت نفسه مارس الدور القيادي الكامل في إدارة التحرّك؛ فمنذ أن وصلت إليه الكتب المتوالية من الأُمّة شكّلت عنده الخطاب الشرعي اللازم للتحرك نحو الثورة، فباشر التحرّك المدروس.

فعندما لقي عبد الله بن مطيع الإمام عليه السلام في طريق مكة، قال له: «**جُعلت فداك، أين تريد؟**

**قال الإمام** عليه السلام: **أمّا الآن فمكة**»[١٣].

ثمّ حذّره من الكوفة لشؤمها وخذلان أهلها لهم، ثمّ أشار عليه بملازمة الحرم المكي؛ ظنّاً منه أنّ السلطة آنذاك تأخذ حرمة الحرم بعين الاعتبار، وهو ظنٌّ يختلف عن ظنّ القيادة الحكيمة ومنهجيتها الرائدة في الإصلاح التي اتّبعها الإمام عليه السلام، ومع هذا؛ فإنّ المُستشفّ من قول ابن مطيع بعد طلبه المكوث في مكّة أن تُتّخذ مكّة كقاعدة للإمام بدليل قوله: «**ويتداعى إليك الناس من كلّ جانب...**»[١٤]. مع أنّ الواقع الحياتي الذي أُسندت قيادته إلى الإمام عليه السلام يتطلّب تنقية الأهداف الإصلاحية؛ لتتناسب مع إشكاليات الأُمّة المعرّضة للتشويه والاهتزاز في العقيدة.

ولو نظرنا إلى مكوّنات الساحة السياسيّة التي شكّلت عناصر التحرك للثورة، ابتداءً من التحرّك نحو الطف، وإرسال السفير الفدائي العظيم المخلص، صاحب المُثل والمساحة الأخلاقية الرفيعة المستوى، وانتهاءً بكربلاء الدم والسيف والشهادة، وبهذا الشكل يتّضح مدى عمق العبقرية التي يمتلكها الإمام الحسين عليه السلام في الثورة، فنجح في استدامة روح الثورة عبر المواقف التي تعرّض لها في كلّ مراحل التحرّك، فمثلاً: الطرماح بن عدي الطائي يقترح عليه أن يحتمي بطيء، وأنّه يكفل له عشرين ألف طائي حتّى يتبيّن الأمر. فرفض الإمام عليه السلام هذا العرض الذي يبدو مغرياً لأوّل وهلة؛ فإنّ عملية الاحتماء لو أراد أن يمارسها الإمام عليه السلام يتمكّن منها قبل أن يتحرّك، أو قبل أن يصل إلى مشارف طيء، وعلماً منه أنّ هذه العملية ستلغي مشروع الثورة الحتمية الوقوع، سواءً احتمى أم لم يحتمِ.

كما أنّ المسألة ليست ذات طابع قَبَلي، حتّى يلجأ إلى الاستجارة بالقبائل الأُخرى لدفع القتل عن المستجير، بل هي ذات أبعاد أكبر من هذه التصورات، مسألة تعود إلى أنّ الإمام الحسين عليه السلام يمثّل الضمير الواعي للأُمّة، وثقافة لا يمكن مجاراتها؛ نظراً لامتداداتها المتشعّبة في المجتمع، وقرب نسبها وعهدها بالوحي السماوي؛ الذي أمدّها بكلّ قيم السماء، وكلّ هذه العناصر شكّلت الصلاحية المتكاملة للعنصر النقي، الذي يُمثّل تطلعات الأُمّة من خلال ممارسة عملية الوعي التام، وهذا ـ بمجموعه ـ شكّل بؤرة الخطر القادم على دنيا ذوي الاتجاهات المادّية؛ فهبّوا للانقضاض عليها، ولم يرضوا إلّا بانتزاع العلقة التي في الصدور، فالمسألة ليست محتملة لرؤيا تحليلية محدودة النظرة؛ ولذا قام الإمام الحسين عليه السلام في التحرّك بعملية

يعلم أنّها معيدة للأُمّة رُشدها، وتنمّي الوعي لدى أبنائها؛ لكي تستمر عملية الثورة التي جاءت نتيجة الوعي الراقي، وفق المنهج الإسلامي (السماوي)، على أيدي نخبة مارست عملية إيقاظ الأُمة من خلال الإيمان بالمنهج، لا من خلال التكوين الطبوغرافي للمجتمع.

فهذا النوع من الوعي أفرز عنصراً مهمّاً في واقع الأُمّة النخبوي، وهو عنصر الثبات والاستماتة في سبيل المبدأ الذي انتهج من خلال العقيدة، التي ترسخت إلى حدٍّ يدفع المعتنق بذل أغلى ما يملك ـ وهي الحياة ـ في سبيل العقيدة، وهو الطريق الذي لا ثالث له (إمّا، أو)، إمّا النصر الذي هو إحدى الحسنين، أو الشهادة ومعناها الخلود الأُخروي الذي وعدت به السماء بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّـهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ**﴾[١٥].

## دور الأُسوة في القيادة

لا شكّ في أنّ الدور القيادي الذي مثّله الإمام الحسين عليه السلام ولّد جانباً معنوياً، استمدّ منه الثوّار ضمانة نجاح أهداف الثورة الحسينية؛ لأنّ الإيمان الراسخ بسلامة التحرّك وخلوّه من الرؤى الدنيوية ـ التي غالباً ما تعمل على تحجّر الثورات وجمودها ـ هو الذي جعل النخبة واثقة الخطى قوية العزيمة، وهذا الإيمان أنتج بهم أسباب الإبداع الشخصي، الذي شكل بدوره العنصر الإبداعي المتكامل للثورة وقائدها وأصحابه؛ لأنّهم وجدوا الأُسوة المتكاملة، والشخصيّة الممتدة في العمق الرسالي، وهذه الأُسوة شكّلت الدافع المعنوي العالي الدقّة للنخبة الثائرة، وأعطتهم الزخومات اللازمة للاستمرار باتجاه الكمال.

فالأُسوة هي قيادة عميقة المسؤولية، ذات حكمة عالية وشجاعة فذّة، وتُثبِّت الوعي لدى الأُمّة سياسياً وتجعل النخبة تُؤثر الحتف على العيش المتّصف بالذلّة والخنوع.

ولذا نرى الأُسوة القائد (الإمام روحي له الفداء) يقول: «**أُثني على الله أحسن الثناء، وأحمده على السرّاء والضرّاء، اللّهم إنّي أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوّة، وعلّمتنا القرآن، وفقّهتنا في الدين، وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة، فاجعلنا من الشاكرين**»[١٦].

إذاً؛ مصدر القوّة هو الارتباط بالسماء من جهة، وأداء التكاليف المناطة بالمخلوقين من جهة أُخرى، وفي البين إلهاب وتوهّج للوعي؛ يجعله قابلاً لإعلان الرفض لكلّ أنواع الاستبداد أو الاستلاب الممارس في واقع الأُمّة سياسياً وفكريّاً.

وبهذه الدقّة التي امتازت بها الأُسوة المخططة للثورة والقائدة لها تستطيع الأُمّة التمييز بين الحقّ والباطل، وبين الخير والشر.

وهذا الارتباط السماوي الذي أشرنا إليه، والذي جُعل امتداداً لمنهج السماء في الأرض، يتمثّل في حقيقة النبوة وخليفتها الإمامة، التي نصّت السماء على اقتفاء أثرها؛ للخروج من الظلمات إلى النور، من خلال تقويم حركة التاريخ والواقع، وهذا النوع من الامتداد لا يعتريه أدنى ريب؛ وهو مساهم مساهمةً فعّالةً في رفع معنويات النخبة الواعية، وجعلها تستميت في سبيل المبادئ السامية، مع العلم القطعي بتلك النتيجة النهائية، التي وضعها لهم القائد الذي أخذ على عاتقه تهيئة كلّ مستلزمات الحرب؛ انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾[17]، وانتهاءً بحفر الخندق خلف معسكر القيادة؛ وذلك لاستخدامه وفقاً لاستخدامات الحرب الوشيكة ـ بل الحتمية ـ الوقوع؛ ممّا جعل النخبة الرسالية تقطع بعدم التقصير في مسألة التابع للمتبوع؛ لذا نراهم يوم الواقعة كانوا على استعداد منقطع النظير، رابطي الجأش شديدي المراس، ممّا حقّق المراد في الآية الكريمة بإيجاد الرهبة في قلوب الأعداء بصنفيهم، أعداء الله وأعدائهم، أوجدوا الرهبة في قلوب الأعداء باعتمادهم الأسباب الطبيعية في المواجهة، بعد الاعتماد على عنصر الغيب الذي ضمن للجميع التكامل من الحقوق: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ**﴾[18]، وزوّدهم بعناصر الاستماتة، وأعطاهم الآيات المناسبة لخوض غمار المعركة الرابحة في الميدان الكربلائي، الذي حوى الكون بأجمعه يوم التقى فيه صنفان من القوّة، مميّزان بخصائص ميّزت أحدهما عن الآخر، صنفٌ مثّل كلّ قِوى الخير في الكون، وآخر مثّل كلّ قوى الشرّ، المتمثّلة بالأنانيات القاتلة، التي أخلّت بمسيرة الإصلاح التي تبنّتها قوى الخير، المتمثّلة بأبطالها الشرعيين ذوي التأييد السماوي، الذين خاضوا المعركة بأخلاقية لا نظير لها في التاريخ، وابتعدوا فيها عن كلّ الممارسات الإلجائية إلى الطاعة، والانخراط في المعركة؛ إذ يقول القائد الذي أخذ على عاتقه تنفيذ أمر السماء: «**شاء الله أن يراني قتيلاً**»[19]. ويقول: «**لا أُكرهكم؛ مَن أحبَّ أن يمضي معنا إلى العراق أوفينا كرائه، وأحسنّا صحبته، ومَن أحبَّ أن يفارقنا من مكانه هذا أعطيناه من الكراء على قدر ما قطع من الأرض**»[20].

أراد أن يعلّم التاريخ ـ بجميع أجياله ـ المنهجية

الصالحة للتعامل مع الجماهير الثائرة، للوصول بها إلى أفضل النتائج المرجوّة في عمليّة التغيير والإصلاح في مساحات الأُمّة المخرّبة، دون اللجوء إلى أساليب من شأنها أن تحقّق عمليات انتصار طوباوية، لا تلبث أن تفارق التاريخ وتتلاشى مع أوّل استيقاظات الأُمم، صرخات الحسين عليه السلام التي هتفت بها حناجر الموحّدين يوم المنازلة؛ فكان النصر حليفاً له ولأتباعه، بعد أن وقف منادياً أصحابه: «**ألا وإنّي قد أذنت لكم؛ فانطلِقوا جميعاً في حلّ، ليس عليكم حرج منّي ولا ذمام، هذا الليل قد غشيكم، فاتّخذوه جملاً، وليأخذ كلُّ رجلٍ منكم بيد رجلٍ من أهل بيتي، وتفرّقوا في سوادكم ومدائنكم، حتّى يفرّج الله، فإنّ القوم إنّما يطلبونني، ولو أصابوني لهوا عن طلب غيري**»[٢١].

هذه الروحية الخاصّة في الخطاب تناسب ـ تماماً ـ الإعداد العسكري الذي اتّبعه القائد في تخطيطه لقيادة النُّخبة الرسالية المؤمنة، التي اختارت الفناء معه على البقاء في ظلّ أجواء حرّة لم تعهدها الصراعات التي ذكرها لنا التاريخ، بعيدةً عن كلّ أجواء العنف والاستبداد والتفرّد المقيت، وهذه الأجواء جعلت الرسالي يدافع عن العقيدة بإبداع خلّده ورمّزه في ذاكرة الأجيال؛ لأنّ قائده كان معه بمنتهى الصدق والصراحة والنقاء، حتّى مع مَن هو في معسكر الندّ، كما في جوابه للوليد حاكم المدينة: «**أيّها الأمير، إنّا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، بنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجلٌ فاسق شارب الخمر قاتل النفس المحترمة معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله**»[٢٢].

فهذه المنهجية الصريحة الصادقة نراها تُمارس مع الجميع بلا استثناء: «**من أحبّ منكم الانصراف فلينصرف؛ ليس عليه منّا ذمام**»[٢٣]. وفعلاً كان الباقي هو النخبة التي حملت أعباء المرحلة الخطيرة في تاريخ الرسالة، التي بها أعادوا للدين رونقه وفعاليته التي أخمدتها الأهواء والأطماع والممالك الواهية ذات العُقد الدنيئة.

أخلاقية خاصّة مُورست مع الجميع، شملت حتّى القريب ممَّن كان معه قد شدّ الرحال نحو الحياة الأزلية؛ لذا نراه يخاطب النخبة لاستجلاء النوايا؛ ولكي يرتفع الغدر فيما بعد القول الصادق: «**أخاف ألّا تعلموا ذلك، أو تعلموا ولا تنصرفوا للحياء منّي، ويحرم المكر والخديعة عندنا أهل البيت**»[٢٤].

فكانت الواقعة، وقد وصف القائد فيها أصحابه: «**لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ و لا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عنّي**

**خيراً**»[٢٥].

وقد تمخّض عن قوله أروع النتائج في الدفاع عن العقيدة والمبدأ في أروع صور الاستقبال القتالي، متمثلاً بقول الأسدي للأنصار: «**فإذا صار الصباح فأوّل مَن يبرز إلى القتال أنتم، نحن نقدمهم للقتال، ولا نرى هاشمياً مضرّجاً بدمه وفينا عرق يضرب؛ لئلّا يقول الناس: قدّموا ساداتهم للقتال وبخلوا عليهم بأنفسهم؟! فهزّوا سيوفهم، وقالوا: نحن على ما أنت عليه!!**»[٢٦].

وقد نقل لنا التاريخ أجمل المشاهد الإبداعية في الاستماتة والامتثال، تدلّ على نضوج الوعي لدى النخبة الواعية، شيخ كبير طاعن في السنّ، وامرأة عجوز، طفل رضيع، شباب بعمر الورود، الجميع أعطوا المبرّرات اللازمة لخلود الثورة وقائدها وأصحابه الأوفياء في سبيل إعلاء كلمة: لا إله إلا الله محمد رسول الله عليّ وليّ الله، وجعلها منهجاً صالحاً مستمراً قابلاً للشمول والامتداد.

## النتائج الحتمية

مع أنّ عاشوراء الحسين عليه السلام تتضمّن المأساة والتحدّي، فقد أحدثت في المجتمع الذي رضي بالذلّ والهوان هزات عنيفة، أعادت له بعض وعيه المفقود وإرادته المسلوبة، وهذا اللون من الوعي لم يفهمه المشفق والمعارض حينما نصحه بالتأجيل أو بتغيير المسار، فقد ردّ عليهم بقوله المستمدّ من وحي النبوّة المرتبطة بالسماء: «**والله، لا يدعوني حتّى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي، فإذا فعلوا سلّط الله عليهم مَن يذلّهم، حتّى يكونوا أذلّ من فرم الأمة**»[٢٧].

ولأنّه يعلم أنّ السنن التاريخية التي تحكم الحياة لا بدّ من تحريكها بواسطة إحداث هزّة في وجدان الأمة، وعصف في ضميرها، وإنتاج حالة الوعي لديها.

والغرض من عملية تحريك السنن لأجل إصلاح القيم وبناء ما هو صالح للحياة، مع أنّ البعض قد منّى الإمام بالأمان والمواصلة، وفتح صفحة جديدة تقوم على حسن المعاشرة والجوار، فأجابه الإمام بأن هذا لا يكون أبداً.

كما أنّ المشفق قد عرض على الإمام المشورة والنصح غير المستند إلى الجذر العلمي بمجريات الأُمور الحتميّة، فقال: «**يا عبد الله، ليس يخفى عليَّ الرأي، ولكنّ الله تعالى لا يغلب على أمره**»[٢٨].

ومع هذا، فالإمام قاطع بحتمية الخروج؛ لأجل تصحيح المسارات الخاطئة في الشريعة والحياة، ولم يعر

أهمية لما قد أُبدي له من المشفق والمعارض، فسار بوعيه السماوي ليحطّم أجهزة الحكم ومؤسساته الخاطئة، بطريقة حسينية معتمدة على الوعي والفهم الدقيق، وهو عصارة الفهم الحسيني لمجريات الأُمور؛ فحصلت عملية التغيير المتوخّاة في الخروج الحسيني، وتغيّرت بُنى الإنسان الداخلية، وخلقت الوعي لديه من خلال كشف وتحطيم الزيف، وكشف الممارسات الجاهلية التي لا تمتّ إلى الدين بصلة، وكذلك بثّت تلك النهضة في النفوس عقدة جلد الذات، وضرورة إماتة النفس التي لم تُشارك ولم تنصر في تلك النهضة.

كما فتحت الآفاق أمام أعين الناس، ممّا جعلها تميّز بين الغث والسمين، وإن كانت مغلوبة على أمرها ظاهراً.

هذا من جهة، ومن جهةٍ أُخرى نرى أنّ تلك النهضة مهّدت للعديد من الثورات، التي استمدّت روحها من واقعة كربلاء الشهادة، ومنها على سبيل المثال: ثورة المدينة، وثورة التوابين، وثورة المختار الثقفي، وثورة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث سنة ٨١هـ، وثورة زيد بن علي بن الحسين عليه السلام ١٢١هـ.

وهكذا بقيت ثورة الإمام الحسين عليه السلام المصباح الذي يستضيء به كلّ ثائر يروم الثورة في كلّ أنحاء العالم؛ ليعيد للإنسان الاعتبار المفقود، ولكي يكون مؤثّراً في إحداث هزّات مناسبة في سنن الكون؛ لأجل الإصلاح والتغيير.

## طبيعة الصراع

لا يخفى على اللبيب أنّ العنصر الفاعل في الحياة هو الإنسان، صاحب الدور الريادي في مسيرة رسم حركة التاريخ، وتحقيق الهدف المنشود من خلقته: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ﴾[٢٩]، وغالباً ما يتعرّض هذا العنصر الفعال إلى عملية هدم تشمل جميع بُناه الثقافية والفكرية، بل على جميع الأصعدة.

وهو كفرد مساهم ضمن جماعة يُطلق عليها المجتمع، كلاهما يتعرّض إلى عمليات الاستلاب والغزو المسبّبين عن عملية يُطلق عليها الركون إلى الغير (الظالم)، تلك العملية نصّ عليها الكتاب الكريم بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ﴾[٣٠].

وتلك العملية (الركون) تؤثّر في هدم البناء الديني لكلا الطرفين (فرد، مجتمع) وتسبّب لهما الإعاقة وتعطيل المسارات الإصلاحية عندهما؛ لأنّها تحدث فيهما الشلل التامّ، أو شبه التامّ؛ ممّا يجعلهما غير شاعرين بما ينويان له، أو على الأقلّ يجعلانهما يغضّان

الطرف، فيؤثران الصمت على الكلام، والاستكانة على العمل.

وما جرى في كربلاء ـ وما سبقها من أحداث يندى له جبين الإنسانية جمعاء ـ هو عبارة عن صراع بين ثقافتين، إحداهما مستندة في جذرها إلى السماء، ومؤيّدة بها ومتغلغلة في أعماق الفطرة الإنسانية، والأُخرى سطحية خالية من القيم، وتفتقر في النشأة والتكوّن إلى ما يؤيّدها، لكنّها تستخدم الآليات المحرّمة ممّا لا تستخدمه الأُولى، فلغة الثقافة الأُولى نزاهتها وشعورها الدائم بضرورة المحافظة على القيم، والسعي الحثيث لعدم هدمها، بل هي القيم بذاتها، وأمّا لغة الثقافة الثانية، فهي تقدّم نفسها على أنّها الأمثل، ولو سمح لها بالتمدد لأتت على كلّ شيء؛ ولذا كان الإمام الحسين عليه السلام مصيباً على الدوام بقوله: «**على الإسلام السلام؛ إذ قد بُليت الأُمّة براعٍ مثل يزيد**»[٣١].

فالصراع لم يكن مجرّد خروج على حكم جائر، بل هو ثورة على القيم الفاسدة، التي طغت على المجتمع وأدّت إلى تلك الخرابية الواسعة، التي شملت وشلّت نظام القيم الصحيحة في الحياة، وإلّا لو كان الأمر كما يصوّره البعض لأمكن تسوية الأُمور، وإعطاء البيعة والعيش بوفور تقتضيه مفرداتها، فالإمام عند رفضه البيعة ليزيد ووصفه له: «**شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، معلنٌ بالفسق**»[٣٢]، لم يكن رفضه مجرّداً عن الأسباب الداعية له، بل من أشدّه مواجهةً للانحراف الحاصل في ثوابت الشريعة ومبادئها؛ مما يجعل الإمام عليه السلام رافضاً أبداً لهكذا نوع من البيعة، واستمرّ الصراع حتّى حصلت المواجهة الكبرى (كربلاء)، فبان الصبح لذي عينين، وهو ليس صراعاً جديداً، بل له من سابقاته من النظائر، ممّا لا تختلف عنه بكثير، فمنذ بدء الدعوة الإسلامية أُعلنت ثقافة الضدّ، قريش وحلفاؤها ـ عرباً ويهوداً ـ أُعلنت الحرب منكرةً وحي السماء تارةً، ومشكّكةً به أُخرى.

ولا يخفى أنّ النصر دائماً وأبداً هو حليف الثقافة الأعمق جذراً، والممتدة والمعتمدة في جذرها إلى السماء؛ فانتصر الإسلام، وأصبحت كلمة لا إله إلا الله تصدح فوق المنابر والمآذن.

وكانت تلك أُولى بدايات الصراع بين ثقافتين على أرض واحدة، مع كامل الانقطاع عن الممالك المجاورة لهما، ومع قلّة مواردهما في العدّة والعدد.

والنظير الثاني ما آل إليه الأمر في صفّين والجمل، وكلا النظيرين جاء ليصحّح المسارات الخاطئة، وفضح الزمر المشوّهة للمفاهيم والقيم

الصحيحة؛ ولذا عندما نقول: إنّ حقيقة الصراع هو بين ثقافتين أُولاهما إصلاحية، والثانية إفسادية. لا نكون مجحفين لو وصفنا الثانية بأنّها انتهازية مستهترة، غير مقيّدة بضوابط الدين والأخلاق.

وهكذا كان واقع الحياة، بل المستفاد من سيرة الأنبياء والمرسلين أنّهم عملوا على نشر القيم بدءاً بآدم عليه السلام، وختماً بنبوة الخاتم للرسل والرسالات محمد عليها السلام، مضافاً إلى ما ورد في التاريخ من العِبَر الخالدة، الدالّة على أولويّة تقدّم القيم على المفاسد.

ولذا؛ ورد التأكيد على أهمية حسن الخلق في المجتمعات، بقوله صلى الله عليه وآله: «**أفاضلكم أحاسنكم أخلاقاً، الموطّئون أكنافاً، الذين يألفون ويُؤلفون، وتوطأ رحالهم**»[٣٣].

ثمّ إنّ تأكيد المنهج السماوي على أهميّة القيم في الحياة، من خلال الجهاد والمجاهدة في سبيل الله: «**إنّ الجهاد هو العروة، والأمر بالمعروف هو الوفاء، والنهي عن المنكر هو الحجة**»[٣٤].

وقد أبرزت الثقافة الأُولى (ثقافة الحسين عليه السلام) هذه الرؤية في الإصلاح في إطار الأخلاق داخل المجتمعات؛ لما لها من الأهمّية في إدارة الواقع الحياتي للمجتمعات؛ لذا نراه عليه السلام يقول: «**وأنا أوْلى مَن قام بنصرة دين الله، وإعزاز شرعه، والجهاد في سبيله؛ لتكون كلمة الله هي العليا**»[٣٥].

ولا زال الصراع مستمراً إلى يومنا هذا، ولكلٍّ مسلكه الخاص به، وممارساته التي يتّبعها.

فهذا معاوية يخاطب أتباعه صراحةً: «**ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا... ولكنّي قاتلتكم لأتأمّر عليكم؟!**»[٣٦].

وهنا تكشف هذه الثقافة عن أخطر أوراقها، والأُمّة لا زالت تغطّ في السبات لا تحرّك ساكناً ولم تغيّر شيئاً و ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾[٣٧]، وفي المقابل نرى الثقافة الرافضة تضع في المعادلة ما يرجّحها: «**لا والله، لا أُعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أُقرّ إقرار العبيد**»[٣٨].

فكانت نتيجة الصراع هي الامتداد للمسار الذي رسمه الإمام عليه السلام على مرّ التاريخ، وهو ما يؤيّده الخطاب الإلهي: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا**﴾[٣٩].

وأيّ فتح ذلك المعبّر عنه، عندما خرج من مكّة: «**من الحسين بن علي إلى بني هاشم، أمّا بعد، فإنّه مَن لحق بي استُشهد، ومَن تخلّف عنّي لم يبلغ الفتح، والسلام**»[٤٠].

وأيّ رسالة إلى بني هاشم سادة الأُمم وقادة

الأخيار وأُمناء الرحمن، ليس فيها احتمال بالربح والخسارة في الدنيا، بل فيها قطع بالربح والفوز في الآخرة، وهو المراد والمبتغى.

وهذا المراد ناتج عن الخطاب الإلهي: ﴿**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾[٤١].

وبما أنّنا أثبتنا أنّ حقيقة الصراع هو بين ثقافتين، وأشرنا إلى بعض الخصوصيات التي تكتنفهما كليهما، والآن نودّ الإشارة إلى أنّ كلاً منهما لديه الآليات المناسبة لكي يوصل صوته إلى المجتمع، فالثقافة الأُولى تبتغي نشر القيم في الحياة، ولا بدّ أن تكون آلياتها تناسب ما تذهب إليه، وإلا لانخرم وعدها للمجتمعات، بأنّها ستكون ناشرة لقيم الحياة فيها، وبما أنّها الممدوحة على لسان ربها؛ حيث قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ**﴾[٤٢]، فلا بدّ من أنّها ستقوم بنشر أجمل القول في الحياة.

ثمّ قال: ﴿**إِنَّ هَـٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا**﴾[٤٣]، ولا شكّ في أنّ السبيل الموصل إلى الربّ هو سبيل القيم الصالحة لا الفاسدة.

ولو أنّنا نظرنا إلى ما ألقاه صاحب هذه الثقافة ـ في مختلف مراحل حركته نحو كربلاء ـ نجده يحرص كلّ الحرص على القيم مع الآخرين، فقد قال: «**أيّها الناس، اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم بما يحقّ لكم عليَّ، وحتى أُعذر إليكم، فإن أعطيتموني النّصف كنتم بذلك أسعد، وإن لم تعطوني النَّصف من أنفسكم، فأجمعوا رأيكم، ثمّ لا يكن أمركم عليكم غمّة، ثمّ اقضوا إليَّ ولا تنظرون، إنّ وليّي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولّى الصالحين**»[٤٤].

وما أجمله من إعلان وإعلام للناس! فإنّه خطاب بضرورة الاستماع وعدم العجلة والتأنّي حتّى تصدر النصيحة الحقّ، ثمّ يكون العذر له منهم، وما أجمل الدعوة إلى النَّصف للأنفس التي هي أحبّ شيء إلى الإنسان! فلا بدّ من إعطائها النَّصف، وعدم الإساءة إليها، وإقحامها فيما يسبّب لها المساءلة غداً (في الآخرة) أمام الله تعالى.

وما أجمله من صوت حقٍّ وصدقٍ وصراحة ملتزم بضوابط القيم والأخلاق، كما أنّ تلك الثقافة قد استعانت بآليات أُخرى؛ لأجل إيصال صوتها إلى الحياة، ولترفع الإبهام عن ذهن كلّ مستفهم بعدها عن كلّ ما يدور في خلده من عدم أحقّية الخروج؛ لأجل إعادة الأُمور إلى نصابها الصحيح، ومن أبرز تلك الآليات هم الأصحاب الذين رافقوه إلى آخر المحطات في العملية التغييرية، فهذا بريد ينادي: «**يا معشر الناس، إنّ الله بعث محمداً**

**بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله وسراجاً منيراً... أفجزاء محمد هذا؟! يا قوم، إنّ ثقل محمد قد أصبح بين أظهُركم، وهؤلاء ذريته وعترته وبناته وحرمه، فهاتوا ما عندكم، وما الذي تريدون أن تفعلوه بهم»**[٤٥].

وقال الحرّ ابن يزيد الرياحي: «**يا أهل الكوفة، لأُمّكم الهبل والعبر؛ إذ دعوتموه وأخذتم بكظمه وأحطتم به**»[٤٦].

وهكذا استمرّت تلك الثقافة بعرض ما عندها؛ لأجل إلقاء الحجّة على مَن لا يعلم، فكان الصوت المستمر لها يدوي ويصكّ الأسماع عن طريق سليل النبوة وعِقدها المنضود، الإمام علي بن الحسين عليه السلام في أكثر من موقف؛ ليوضح بجلاء أحقّية أهل البيت عليهم السلام، روّاد هذه الثقافة الأصيلة في إحداث عملية التغيير الإصلاحي للقيم في الكون والحياة.

وهذه أخته ممثّلة المرأة في العالم الحرّ، ورائدة الديمقراطية، والمدافعة عمّا تعتقد به من قيم ورثتها عن جدّها النبي الأعظم عليها السلام وأبيها الوصيّ عليه السلام.

فقد روى المؤرخون أنّها أومأت إلى الناس فسكتوا، وراح صوتها الهادر يخترق الأسماع ويصكّها، فقالت: «**الحمد لله والصلاة على أبي محمد وآله الطيبين الأخيار، أمّا بعد، يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر، أتبكون فلا رقأت الدمعة ولا هدأت الرنّة، إنّما مَثَلكم كمَثل التي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم، ألا وهل فيكم إلّا الصلف النطف، والصدر الشنف، وملق الإماء وغمز الأعداء، أو كمرعى على دمنة أو كفضةٍ على ملحودة، ألا بئس ما قدّمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون. أتبكون وتنتحبون؟! إي والله، فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسلٍ بعدها أبداً، وأنّى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة، ومعدن الرسالة، وسيد شباب أهل الجنة، وملاذ حيرتكم، ومفزع نازلتكم، ومنار حجّتكم، ومدرة سنّتكم؟! ألا ساء ما تزرون**»[٤٧].

فاندهش الجميع من هول ما سمعوا؛ فانتبهت القلوب والضمائر لما عرفت من عظيم الشأن والجناية.

تقول الدكتورة بنت الشاطئ: «**لقد أفسدت زينب أخت الحسين على ابن زياد وبني أُمية لذّة النصر، وسكبت قطرات السم الزعاف في كؤوس الظافرين**»[٤٨]، إلى أن وصلت في آخر خطابها: «**فكِد كيدك، واسعَ سعيك، وناصب جهدك، فو الله، لا تمحو ذكرنا، ولا تُميت وحينا، ولا يرحض عنك عارها، وهل رأيك إلّا فند، وأيّامك إلّا عدد، وجمعك إلّا بدد، يوم**

**ينادي المنادي: ألا لعنة الله على الظالمين. والحمد لله ربِّ العالمين، الذي ختم لنا ولأوّلنا بالسعادة والمغفرة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يُكمل لهم الثواب، ويُوجب لهم المزيد، ويحسن علينا الخلافة، إنّه رحيمٌ ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل»**[٤٩].

فأخذت هذه الآلية من الخطاب مأخذها من الناس؛ ممّا حدا بالثقافة الأُخرى إلى إخراج هذا الصوت الهادر الفاضح النهضوي، الموجب لنشر الوعي الإصلاحي، والفهم الصحيح للقيم الصحيحة، ونبذ القيم الفاسدة، لكن لا فائدة فقد اتّسع الخرق على الراقع.

وأمّا الثقافة الثانية، فهي تمتلك من الآليات غير النزيهة، والتي غالباً ما تتّصل بالواقع الجاهلي ذي النظرة الجاهلية والعصبية القبلية، ومن جملة آلياتها أنّها راحت تردّد ما يشمئز السمع عن قبوله، ويترفّع الذوق عن ذكره؛ لعدم صلاحيته؛ ولأنّه يعيد الوعي إلى ما قبل عملية الإصلاح الأُولى، التي جرت على أرض الواقع الإنساني، أي زمن الدعوة إلى الله الأُولى، زمن شروق شمس الإسلام على ربوع الأرض، ومن جملة قادة هذه الثقافة هو:

جزع الخزرج من وقع الأسل
ليت أشياخي ببدر شهدوا

وهو أمر غاية في الخطورة إذ أنّه يصوّر المنازلة على أنّها عملية ثأرية بين طائفتين لا غير، كما أنّ الخطر الأكبر الذي خفي على الكثير هو أنّ الثقافة الأُخرى تنحو منحى الغالب والمغلوب، ولا دخل للدين والعقيدة عندها في شيء، سوى الاستفادة من الإطار الخارجي، الذي به يمكنها أن تسيطر على الناس، وتغيّر المسارات في الوعي العام لديهم.

ويقيناً إنّها ليست مؤمنة بالإسلام بالمرّة، وبذا يكون حالها حال أيّ ثقافة معتادة أُخرى، كاليهودية والنصرانية والرومية وغيرها.

ولكنّ المؤسف له أنّ المجتمع قد انطلت عليه حيل هذه الثقافة؛ فسار في ركبها طائعاً أو مُرغماً دون أن يدقّق فيها، ولا فيما سيؤول إليه الأمر عند اتّباعها.

## الهوامش:

[١] الصافات: آية١٤٧.
[٢] ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص١٧.
[٣] الأحسائي، ابن أبي جمهور، عوالي اللئالي: ج١، ص٤٣٢.
[٤] الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٠٤.
[٥] القصص: آية٢١.
[٦] المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الإرشاد: ج٢، ص٣٥.
[٧] ابن نما الحلي، محمد بن جعفر، مثير الأحزان: ص٤١.
[٨] الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج١، ص١٨٨.
[٩] أُنظر: ابن عساكر، علي بن الحسن، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام: ص٣٤٩.
[١٠] ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٤٨.
[١١] التوبة: آية١١١.
[١٢] الحسن، عبد الله، ليلة عاشوراء في الحديث و الأدب: ص٤٧.
[١٣] ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص١٩.
[١٤] المصدر السابق.
[١٥] التوبة: آية١١١.
[١٦] المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٩١.
[١٧] الأنفال: آية٦٠.
[١٨] التوبة: آية١١١.
[١٩] المازندراني، عبد الرسول، شرح زيارة عاشوراء: ص٩.
[٢٠] الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٤، ص٢٩٠.
[٢١] أُنظر: المصدر السابق: ج٤، ص٣١٧.
[٢٢] ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص١٧.
[٢٣] الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٠٠.
[٢٤] الدربندي، فاضل، أسرار الشهادة: ج٢، ص٢٢٢.
[٢٥] الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج١، ص٦٠٠.
[٢٦] الحسن، عبد الله، ليلة عاشوراء في الحديث والأدب: ص١٦٧.
[٢٧] الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٤، ص٢٩٦.
[٢٨] المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٧٦.
[٢٩] الانشقاق: آية ٦.
[٣٠] هود: آية١١٣.
[٣١] ابن نما الحلي، محمد بن جعفر، مثير الأحزان: ص١٥.
[٣٢] ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص١٧.
[٣٣] الحرّاني، ابن شعبة، تحف العقول: ص٤٥.
[٣٤] أُنظر: الطبراني، المعجم الأوسط: ج٨، ص٣٩.
[٣٥] لجنة الحديث في معهد باقر العلوم، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٤٠٨.
[٣٦] المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص١٤.
[٣٧] الرعد: آية١١.
[٣٨] الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٢٣.
[٣٩] الفتح: آية١.
[٤٠] ابن نما الحلي، محمد بن جعفر، مثير الأحزان: ص٢٧.
[٤١] الحجر: آية٩٩.
[٤٢] الزمر: آية١٨.
[٤٣] الإنسان: آية٢٩.

[٤٤] المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٩٧.
[٤٥] الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٢٤.
[٤٦] ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٦٥.
[٤٧] ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص٨٧.
[٤٨] نقلاً عن: اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، موسوعة طبقات الفقهاء: ج١، ص٣٦٤.
[٤٩] ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص١٠٧.